العدد 27 السنة الثامنة | مارس 2015 – جمادى الأول 1436



ISSN: 2090 - 0449

رقمية الموطن عربية الهوية عالمية الأداء

اول دورية عربية الكترونية محُكَّمة ربع سنوية
متخصصة في البحوث والدراسات التاريخية
تأسست غرة جمادى الأول 1429 هـ
صدر العدد الأول سبتمبر 2008 م

www.kanhistorique.org

موضوع العدد
# التاريخ الحديث والمعاصر



















أول دورية عربية مُحكّمة ربع سنوية متخصصة في الدراسات التاريخية تصدر في شكل إلكتروني ، تأسست غرة جمادى الأول ١٤٢٩ هجرية ، وصدر العدد الأول منها في سبتمبر ( أيلول ) ٢٠٠٨

## دورية كان التاريخية

- تدعو كل المهتمين بالمحافظة على تاريخ الوطن العربي إلى إثراء صفحات الدورية بالموضوعات التاريخية.
- ترحب هيئة التحرير بإسهامات الأساتذة ، والباحثين ، والكتاب المتخصصين ، من مقالات ودراسات وبحوث تاريخية.

## موضوعات الدورية

- الدورية متخصصة في المواضيع العلمية و الأكاديمية البحتة التي تخص أساتذة وطلاب الجامعات العرب ، وأصحاب الدراسات العليا ، والباحثين في الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة ، والمهتمين بالقراءات التاريخية.
- الموضوعات المنشورة بالدورية تعبر عن وجهة نظر كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن جهة نظر دورية كان التاريخية ، أو هيئة التحرير.

## حقوق الملكية الفكرية



## الإشعار القانوني

دورية كان التاريخية غير مدعومة من أية جهة داخلية أو خارجية أو حزب أو تيار سياسي ، إنما هي منبر علمي ثقافي مستقل يعتمد على جهود المخلصين من أصحاب الفكر ومحبي الثقافة الذين يؤمنون بأهمية الدراسات التاريخية.

## أعداد الدورية متوفرة عبر:




دار ناشري للنشر الإلكتروني – الكويت
أول دار نشر ومكتبة إلكترونية عربية مجانية
تأسست يوليو ٢٠٠٣
*www.nashiri.net*




أرشيف الإنترنت الرقمي العالمي
منظمة غير ربحية (سان فرانسيسكو)
*www.archive.org*

## الترقيم الدولي المعياري للدورية

كان التاريخية مسجلة وفق النظام العالمي لمعلومات الدوريات ، وحاصلة على الترقيم الدولي المعياري الموحد للدوريات:
**ISSN: 2090 – 0449 Online**

## الراعي الرسمي




سلسلة المؤرخ الصغير ، هي سلسلة كتب علمية تاريخية ، تهدف إلى توفير المعلومة العلمية حول الموضوعات التاريخية التي تهم الباحثين ، بأسلوب أكاديمي موثق يتوافق مع متطلبات البحث العلمي. وتستهدف السلسلة الطلاب والباحثين لإرشادهم في طريق البحث العلمي ، والإعلامي والمُعلم والمثقف العربي لمساعدتهم على نشر الوعي التاريخي.

## علاقات تعاون

ترتبط دورية كان التاريخية بعلاقات تعاون مع عدة مؤسسات عربية ودولية بهدف تعزيز العمل العلمي في المجالات ذات الاختصاص المشترك ، وتعظيم الفائدة من البحوث والدراسات التي تنشرها الدورية ، وتوسيع حجم المشاركة لتشمل الفائدة كل أنحاء الوطن العربي.

## النشر الورقي

- يحق للكاتب إعادة نشر المقال (البحث) بصورة ورقية أو إلكترونية بعد نشره في الدورية دون الرجوع لهيئة التحرير.
- يحق للدورية إعادة نشر المقالات والبحوث بصورة ورقية لغايات غير ربحية دون الرجوع للكاتب.

## المراسلات

توجه المراسلات والاقتراحات والموضوعات المطلوبة للنشر باسم رئيس تحرير دورية كان التاريخية على البريد الإلكتروني:
**mr.ashraf.salih@gmail.com**

## موقع الدورية على شبكة الإنترنت

لمزيد من التواصل بإمكانك مطالعة الدورية والأرشيف بالكامل على الموقع الإلكتروني بالإضافة إلى مزيد من التفاعل .. نحن بانتظاركم



**www.kanhistorique.org**
**www.historicalkan.co.nr**

# دَّورِيةُ كَان الْتَّارِيْخية

علمية عالمية مُحَكَّمَة ربع سنوية

## السياسات والقواعد والإجراءات

ترحب دَّورِيةُ كَان الْتَّارِيْخية بنشر البحوث الجيدة والجديدة المبتكرة في أي من حقول الدراسات التاريخية، أو العلوم المساعدة ذات العلاقة، ويشمل ذلك كل العلوم نظرًا لطبيعة الْتَّارِيْخ كعلم يتناول النشاط الإنساني كافة. مع مراعاة عدم تعارض الأعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، وألا تتخذ أية صفة سياسية، وألا تتعارض مع الأعراف والأخلاق الحميدة، وأن تتسم بالجدّة والأصالة والموضوعية، وتكتب بلغة عربية سليمة، وأسلوب واضح.

### سياسات النشر

تسعى دَّورِيةُ كَان الْتَّارِيْخية إلى استيعاب روافد كل الأفكار والثقافات ذات البعد التاريخي، ويسعدها أن تستقبل مساهمات أصحاب القلم من الأساتذة الأكاديميين والباحثين والكُتَّاب المثقفين الأفاضل، ضمن أقسام الدورية: البحوث والدراسات، عروض الكتب، عروض الأطاريح الجامعية، تقارير اللقاءات العلمية.

#### هيئة التحرير:

- تُعطى الأولوية في النشر للبحوث والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية للورود إلى هيئة تحرير الدورية، وذلك بعد إجازتها من هيئة التحكيم، ووفقًا للاعتبارات العلمية والفنية التي تراها هيئة التحرير.
- تقوم هيئة التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالدورية للتأكد من توافر مقومات البحث العلمي، وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.
- يكتفي بالإجازة من قبل اثنين من أعضاء هيئة التحرير لنشر مراجعات الكتب، والأطاريح الجامعية، وتقارير اللقاءات العلمية.
- يحق لهيئة التحرير إجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر لتكن وفق المعيار (IEEE) تنسيق النص في عمودين، مع مراعاة توافق حجم ونوع الخط مع نسخة المقال المعياري.
- تقوم هيئة التحرير باختيار ما تراه مناسبًا للنشر من الجرائد والمجلات المطبوعة والإلكترونية مع عدم الإخلال بحقوق الدوريات والمواقع وذكر مصدر المادة المنشورة.

#### هيئة التحكيم:

- يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصية هيئة التحرير والمحكمين؛ حيث يتم تحكيم البحوث تحكيمًا سريًا بإرسال العمل العلمي إلى المحكمين بدون ذكر اسم الباحث أو ما يدل على شخصيته، ويرفق مع العمل العلمي المراد تحكيمه استمارة تقويم تضم قائمة بالمعايير التي على ضوئها يتم تقويم العمل العلمي.
- يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث إلى مدى ارتباط البحث بحقل المعرفة، والقيمة العلمية لنتائجه، ومدى أصالة أفكار البحث وموضوعه، ودقة الأدبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، بالإضافة إلى سلامة المنهاج العلمي المستخدم في الدراسة، ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث، وسلامة تنظيم أسلوب العرض من حيث صياغة الأفكار، ولغة البحث، وجودة الجداول والأشكال والصور ووضوحها.
- البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات جذرية عليها تعاد إلى أصحابها لإجرائها في موعد أقصاه أسبوعين من تاريخ إرسال التعديلات المقترحة إلى المؤلف، أما إذا كانت التعديلات طفيفة فتقوم هيئة التحرير بإجرائها.
- تبذل هيئة التحرير الجهد اللازم لإتمام عملية التحكيم، من متابعة إجراءات التعديل، والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة، حتى التوصل إلى قرار بشأن كل بحث مقدم قبل النشر، بحيث يتم اختصار الوقت اللازم لذلك إلى أدنى حد ممكن.
- في حالة عدم مناسبة البحث للنشر، تقوم الدورية بإخطار الباحث بذلك. أما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها، واستوفت قواعد وشروط النشر بالدورية، فيُمنح كل باحث إفادة بقبول بحثه للنشر.
- تقوم الدورية بالتدقيق اللغوي للأبحاث المقبولة للنشر، وتقوم هيئة التحرير بعد ذلك بمهمة تنسيق البحث ليخرج في الشكل النهائي المتعارف عليه لإصدارات الدورية.

### البحوث والدراسات العلمية

- تقبل الأعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها أو تقديمها للنشر في مجلة إلكترونية أو مطبوعة أخرى.
- تقبل البحوث والدراسات المنشورة من قبل في صورة ورقية، ولا تقبل الأعمال التي سبق نشرها في صورة رقمية: مدونات/ منتديات/ مواقع/ مجلات إلكترونية، ويستثنى من ذلك المواضيع القيمة حسب تقييم رئيس التحرير.
- يجب أن يتسم البحث العلمي بالجَوْدة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه، متوافقًا مع عنوانه.

- التزام الكاتب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات واقتباس الأفكار وعزوها لأصحابها، وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.
- اعتماد الأصول العلمية في إعداد وكتابة البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع، مع الالتزام بعلامات الترقيم المتنوعة.

## إرشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي ألاّ يزيد حجم البحث على ثلاثين (٣٠) صفحة، مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميًا بشكل البحوث، بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل: ملخص، مقدمة، موضوع البحث، خاتمة، ملاحق: (الأشكال/ الجداول)، الهوامش، المراجع.

- **عنوان البحث:**

يجب أن لا يتجاوز عنوان البحث عشرين (٢٠) كلمة، وأن يتناسب مع مضمون البحث، ويدل عليه، أو يتضمن الاستنتاج الرئيسي.

**نبذة عن المؤلف (المؤلفين):**

يقدم مع البحث نبذة عن كل مؤلف في حدود (٥٠) كلمة تبين آخر درجة علمية حصل عليها، واسم الجامعة (القسم/ الكلية) التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة. والوظيفية الحالية، والمؤسسة أو الجهة أو الجامعة التي يعمل لديها، والمجالات الرئيسة لاهتماماته البحثية. مع توضيح عنوان المراسلة (العنوان البريدي)، وأرقام ( التليفون- الموبايل/ الجوال- الفاكس).

- **صورة شخصية:**

ترسل صورة واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع البحث، كما تستخدم بغرض إنشاء صفحة للكاتب في موقع الدورية على شبكة الإنترنت.

- **ملخص البحث:**

يجب تقديم ملخص للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود (١٠٠ - ١٥٠) كلمة.

البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية، يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود (١٥٠ - ٢٠٠) كلمة.

- **الكلمات المفتاحية:**

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوز عشرة كلمات، يختارها الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث، وفي حالة عدم ذكرها، تقوم هيئة التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وإدراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث أثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكة الإنترنت.

- **مجال البحث:**

الإشارة إلى مجال تخصص البحث المرسل "العام والدقيق".

- **المقدمة:**

تتضمن المقدمة بوضوح دواعي إجراء البحث (الهدف)، وتساؤلات وفرضيات البحث، مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

- **موضوع البحث:**

يراعي أن تتم كتابة البحث بلغة عربية سلمية واضحة مركزة وبأسلوب علمي حيادي. وينبغي أن تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحة، وملائمة لتحقيق الهدف، وتتوفر فيها الدقة العلمية. مع مراعاة المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدًا عن الحشو ( تكرار السرد).

- **الجداول والأشكال:**

ينبغي ترقيم كل جدول (شكل) مع ذكر عنوان يدل على فحواه، والإشارة إليه في متن البحث على أن يدرج في الملاحق. ويمكن وضع الجداول والأشكال في متن البحث إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

- **الصور التوضيحية:**

في حالة وجود صور تدعم البحث، يجب إرسال الصور على البريد الإلكتروني في <ملف منفصل> على هيئة (JPEG)، حيث أن وضع الصور في ملف الكتابة (Word) يقلل من درجة وضوحها (Resolution)

- **خاتمة (خلاصة):**

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث، على أن تكون موجزة بشكل واضح، ولا تأتي مكررة لما سبق أن تناوله الباحث في أجزاء سابقة من موضوع البحث.

- **الهوامش:**

يجب إدراج الهوامش في شكل أرقام متسلسلة في نهاية البحث، مع مراعاة أن يذكر اسم المصدر أو المرجع كاملاً عند الإشارة إليه لأول مرة، فإذا تكرر يستخدم الاسم المختصر، وعلى ذلك فسوف يتم فقط إدراج المستخدم فعلاً من المصادر والمراجع في الهوامش. يمكن للباحث إتباع أي أسلوب في توثيق الحواشي (الهوامش) بشرط التوحيد في مجمل الدراسة، وبإمكان الباحث استخدام نمط "APA Style" الشائع في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية ( American Psychological Association)، حيث يُشار إلى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرةً وفق الترتيب التالي: (اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة)، على أن تدون الإحالات المرجعية كاملة في نهاية البحث.

- **المراجع:**
يجب أن تكون ذات علاقة فعلية بموضوع البحث، وتوضع في نهاية البحث، وتتضمن قائمة المراجع الأعمال التي تم الإشارة إليها فقط في الهوامش، أي يجب ألا تحتوي قائمة المراجع على أي مرجع لم تتم الإشارة إليه ضمن البحث. وترتب المراجع طبقًا للترتيب الهجائي، وتصنف في قائمة واحدة في نهاية البحث مهما كان نوعها: كتب، دوريات، مجلات، وثائق رسمية، ...الخ، ويمكن للباحث إتباع أي أسلوب في توثيق المراجع والمصادر بشرط التوحيد في مجمل الدراسة.

## عروض الكتب

- تنشر الدورية المراجعات التقييمية للكتب "العربية والأجنبية" حديثة النشر. أما مراجعات الكتب القديمة فتكون حسب قيمة الكتاب وأهميته.
- يجب أن يعالج الكتاب إحدى القضايا أو المجالات التاريخية المتعددة، ويشتمل على إضافة علمية جديدة.
- يعرض الكاتب ملخصًا وافيًا لمحتويات الكتاب، مع بيان أهم أوجه التميز وأوجه القصور، وإبراز بيانات الكتاب كاملة في أول العرض: (اسم المؤلف/ المحقق/ المترجم، الطبعة، الناشر، مكان النشر، سنة النشر، السلسلة، عدد الصفحات).
- ألا تزيد عدد صفحات العرض عن (١٢) صفحة.

## عروض الأطاريح الجامعية

- تنشر الدورية عروض الأطاريح الجامعية (رسائل الدكتوراه والماجستير) التي تم إجازتها بالفعل، ويُراعى في الأطاريح (الرسائل) موضوع العرض أن تكون حديثة، وتمثل إضافة علمية جديدة في أحد حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة.
- إبراز بيانات الأطروحة كاملة في أول العرض (اسم الباحث، اسم المشرف، الكلية، الجامعة، الدولة، سنة الإجازة).
- أن يشتمل العرض على مقدمة لبيان أهمية موضوع البحث، مع ملخص لمشكلة (موضوع) البحث وكيفية تحديدها.
- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وأدواته، وخاتمة لأهم ما توصل إليه الباحث من نتائج.
- ألا تزيد عدد صفحات العرض عن (١٥) صفحة.

## تقارير اللقاءات العلمية

- ترحب الدورية بنشر التقارير العلمية عن الندوات، والمؤتمرات، والحلقات النقاشية (سيمنار) الحديثة الانعقاد في دول الوطن العربي، والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية، بالإضافة إلى التقارير عن المدن والمواقع الأثرية، والمشروعات التراثية.
- يشترط أن يغطي التقرير فعاليات اللقاء (ندوة / مؤتمر/ ورشة عمل/ سيمنار) مركزًا على الأبحاث العلمية، وأوراق العمل المقدمة، ونتائجها، وأهم التوصيات التي يتوصل إليها اللقاء.
- ألا تزيد عدد صفحات التقرير عن (١٠) صفحات.

## قواعد عامة

- تُرسل كافة الأعمال المطلوبة للنشر بصيغة برنامج مايكروسوفت وورد Microsoft Word ولا يلتفت إلى أي صيغ أخرى.
- المساهمون للمرة الأولى من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات يرسلون أعمالهم مصحوبة بسيرهم الذاتية العلمية "أحدث نموذج" مع صورة شخصية واضحة (High Resolution).
- ترتب الأبحاث عند نشرها في الدورية وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث أو قيمة البحث.

## حقوق المؤلف

- المؤلف مسئول مسئولية كاملة عما يقدمه للنشر بالدورية، وعن توافر الأمانة العلمية به، سواء لموضوعه أو لمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الإشارة إلى المراجع ومصادر المعلومات.
- جميع الآراء والأفكار والمعلومات الواردة بالبحث تعبر عن رأي كاتبها وعلى مسئوليته هو وحده ولا تعبر عن رأي أحد غيره، وليس للدورية أو هيئة التحرير أية مسئولية في ذلك.
- ترسل الدورية لكل صاحب بحث أُجيز للنشر، نسخة من العدد المنشور به البحث، ومستلة من البحث على البريد الإلكتروني.
- يحق للكاتب إعادة نشر البحث بصورة ورقية، أو إلكترونية بعد نشره في الدورية دون الرجوع لهيئة التحرير، ويحق للدورية إعادة نشر المقالات والبحوث بصورة ورقية لغايات غير ربحية دون الرجوع للكاتب.
- يحق للدورية إعادة نشر البحث المقبول منفصلاً أو ضمن مجموعة من المساهمات العلمية الأخرى بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى أية لغة أخرى، وذلك بصورة إلكترونية أو ورقية لغايات غير ربحية.
- لا تدفع المجلة أية مكافآت مالية عمّا تقبله للنشر فيها، ويعتبر ما ينشر فيها إسهامًا معنويًا من الكاتب في إثراء المحتوى الرقمي العربي.

## الإصدارات والتوزيع

- تصدر دَّورِيةُ كَان التَّارِيْخية أربع مرات في السنة: (مارس– يونيو – سبتمبر – ديسمبر).
- الدورية متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الإلكتروني على شبكة الإنترنت.
- ترسَل الأعداد الجديدة إلى كُتَّاب الدورية على بريدهم الإلكتروني الخاص.
- يتم الإعلان عن صدور الدورية عبر المواقع المتخصصة، والمجموعات البريدية، والشبكات الاجتماعية.

## المراسلات

- تُرسَل الاستفسارات والاقتراحات إلى البريد الإلكتروني:
**info@kanhistorique.org**
- تُرسَل الأعمال المطلوبة للنشر إلى رئيس التحرير:
**mr.ashraf.salih@gmail.com**

# محتويات العدد

# ماذا يعني التاريخ ؟

تدل كلمة "التاريخ" على الإعلام بالوقت مضافًا إليه ما وقع في ذلك الوقت من حوادث وأخبار.. والتاريخ بهذا المعنى اللغوي قديم تمتد جذوره إلى الأسرة الأولى من البشر، فحينما هبط آدم وحواء على ظهر هذا الكوكب وأصبح لهما أولاد وذرية، أخذ آدم يقصّ على أبنائه ممّا علّمه الله. ويرى لهم من الأشياء ما علمه ورآه، وأخذ هؤلاء يحتفظون بهذه الأخبار في ذاكرتهم لينقلوها إلى أبنائهم وأحفادهم جيلاً بعد جيل وقبيلاً في إثر قبيل.

ثم توالت الأزمان وانبثق فجر الحضارة وبدأ الإنسان يتعلم الكتابة ويسجل مما يسمعه ويراه وما يحتفظ به في ذاكرته على الحيطان والجدران، وفي العظام والجلود والألواح، فبدأت الإنسانية عهدًا جديدًا يسمى مبدأ التاريخ، وأما العصور التي سبقت ذلك العهد فتسمى عصور ما قبل التاريخ، فالعصور التاريخية إذن تبدأ منذ تعلم الإنسان الكتابة - وهذا في اصطلاح المؤرخين - وكأنما أرادوا أن يسدلوا الستار على تلك الأزمنة المتوغلة في القِدَم، والتي لم تسجل فيها أخبار الشعوب والأمم لأنها كانت أنباء يحيط بها الغموض ولا تستند إلى أساس سليم، بل يشوبها الحدس والتخمين والكذب والافتراء وتفتح الباب على مصراعيه إلى الأوهام والأباطيل، وذلك كله ما عدا ما جاءت به الكتب السماوية الصحيحة.

وإذا كان التاريخ هو الزمان وما وقع فيه من الحوادث فلا عبرة إذن بطول الزمان أو قصره، ولا عبرة كذلك بضآلة الحادث أو ضخامته، ذلك أن الزمن الطويل إنما يتكون من الساعات القصيرة، وكذلك الحوادث الكبيرة إنما تتكون من تجمع الحوادث الصغيرة بعضها إلى بعض في نطاق زمني ومكاني محدود.

فإذا كان موضوع التاريخ كما يراه هيجل هو الحياة البشرية في امتدادها الزمني على الأرض، وما يحكم هذه الحياة من عوامل.. فإن التاريخ لا يبدأ في المراحل التي يكون الإنسان فيها متحدًا مع البيئة، عاجزًا عن التعرف على ذاته، إنه لابد أن يستقل الإنسان عن البيئة بحيث يصبح واعيًا بنفسه حتى ولو ظل هذا الوعي معتمًا للغاية لفترات طويلة من التاريخ.

وقد تشير كلمة "تاريخ" إلى كل من عملية التطور التاريخي وإلى وصف تلك العملية، ولكنهما أمران مختلفان تمامًا، قد لا يميّز بعضنا بينهما تمييزًا دقيقًا في أكثر الأحيان.. فالتاريخ ينبغي أن يُعرف بالوصف الأدبي لأي نشاط إنساني ثابت سواء أقام به الأفراد أو الجماعات، والذي يتجلى في تطور أية جماعة أو فرد، ويؤثر على تطورها. ففي هذا المعنى فقط يستطيع التاريخ أن يكون موضوع دراسة علمية بالمعنى الدقيق.

وهذا التعريف للتاريخ وحده ينبغي أن يكون في ذهن مَنْ يتكلم عن التاريخ والمؤرخين والتأريخ، رغم أنه لا يمكن أن ننكر أن الفكرة العامة للتاريخ في الذهنية الحديثة يمكن ان تمتد نظريًا لتشمل جميع شرايين المعرفة.

د. عبد العليم عبد الرحمن خضر

المصدر: المسلمون وكتابة التاريخ - المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٣

# الحضور المغربي في المتوسط
# خلال القرن السادس عشر الميلادي




**بصراوي يحيى**

باحث دكتوراه في التراث والتاريخ
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
فاس – المملكة المغربية



## مُلَخَّصْ

انطلقنا في هذا العمل من مناقشة فكرة الحضور المغربي في عرض الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر، وذلك على أساس أهمية الفترة المعنية بالدراسة والتي توافق مرحلة التغيرات الكبرى التي عرفها العالم عشية تحول الحركة الملاحية من المتوسط إلى المحيط الأطلنطي، وكذلك على أساس أن المرحلة تعتبر مرحلة انتقالية بين عصر التفوق في العصر الوسيط وعصر التراجع في العصر حديث والمعاصر، أي أن غياب المغرب على معترك الصراع العالمي في المتوسط منذ نهاية العصر الوسيط أدى به إلى تدشين مسلسل التراجع والأفول الذي كلل في بداية القرن العشرين بالخضوع للاستعمار الفرنسي.



**بيانات الدراسة:**

تاريخ استلام البحث: ٢١ مارس ٢٠١٤

تاريخ قبـول النشـر: ٩ يونيو ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

الإمبراطورية العثمانية، القوى المتوسطية، السعديين، المغاربة والبحر، البحرية الأوروبية

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

بصراوي يحيى. "الحضور المغربي في المتوسط خلال القرن السادي عشر الميلادي".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ٩ – ١٧.


## مُقَدِّمَةُ

شهد الحوض المغربي للبحر الأبيض المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر الميلادي أحداث سياسية وعسكرية حاسمة في تاريخ هذه المنطقة، حيث ظهر جليًا أن الوجود الإسلامي في الأندلس كان يلفظ أنفاسه الأخيرة بفعل حركة الاسترداد والضغط المسيحيين من جهة، وبفعل ضعف السند المغربي الذي كان مسلمو الأندلس يعتمدون عليه في الأوقات الحرجة من جهة أخرى. وتدل هذه المعطيات الجديدة على أن موازين القوى بين ضفتي البحر المتوسط اختلت لصالح المسيحيين في الشمال مستفيدين في ذلك من وسائل التقدم المادي والتقني والعلمي. لقد أظهرت هذه المستجدات التي شهدها الحوض الغربي للمتوسط في هذه المرحلة أن الشعوب في ضفتي الحوض تخطو الخطى في اتجاهين متعاكسين تقريبا، إذ كشفت وبجلاء عن مرحلة جديدة في العلاقات بين هاتين الضفتين وعن موازين القوى فهما تمثلت من جهة في بروز ملامح التفوق الأوروبي، ممثلاً في الدولتين الأيبيريتين. وكأن الضفتين تبادلتا الأدوار، فلم يعد المسلمون في الجنوب هم الذين ينتقلون إلى الشمال ويتدخلون في أموره، وإنما إذا العكس هو الصحيح، حيث أن زمام المبادرة انتقل إلى الأيبيريين الذين غدوا لاعبين أساسيين في المسرح السياسي بدمل المغرب عامة وبالمغرب الأقصى خاصة، وذلك بفضل احتلالهم لمعظم الثغور الساحلية وأحوازها، المتوسطية منها والأطلنطية وذلك في الفترة ما بين (١٤١٥) و(١٥١٩م).

أدى هذا الهجوم الأيبيري على البلاد الإسلامية في شمال إفريقيا إلى تدخل الإمبراطورية العثمانية، التي كانت تسعى إلى ضم ما تبقى من بلاد الإسلام لتشكل جهة موحدة في مواجهة المسيحيين في الضفة الشمالية لغرب المتوسط، خاصة بعد أن نجحوا في طرد البرتغاليين من مياه الخليج العربي والبحر الأحمر، وهو مشروع وإن كان يسعى إلى توحيد الأمة الإسلامية غير أنه يتنافى مع نية السلطة المغربية في الحفاظ على استقلالها. وبذلك استطاعت الدولة العثمانية التقدم غربا من دون صعوبات كبيرة،(١) حيث أزاحوا الأيبيريين من المغرب الوسط ثم المغرب الأدنى، ليبقى المغرب

الأقصى الوحيد في شمال إفريقيا بين ثلاث إمبراطوريات شاسعة يصارع من أجل البقاء، رغم ما كان يعانيه داخليا من أوضاع مزرية سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، فقد عاش النظام السياسي في المغرب على عهد الوطاسيين أزمات بسبب الصراع على العرش، وانشغال الحكام بالسلطة وإهمال إعادة بناء الدولة وتوحيدها، والعناية بالجهاز الإداري وبالجيش والأسطول الذي أصبح يشكل أساس قوة القوى المتوسطية؛ العثمانية والإسبانية على وجه الخصوص، خاصةً خلال القرن السادس عشر الميلادي وما بعده حيث سيكون للقوة البحرية كلمتها في قوة الدولة واستمرارها. فكيف كان حضور المغرب خلال القرن السادس عشر في عض البحر الأبيض المتوسط، وكيف يمكن تقييم هذا الحضور إذا صح وجوده بين هذه القوى الكبرى في المتوسط؟

## أولاً: مسألة حضور المغرب في المتوسط خلال القرن السادس عشر من عدمه

**١/١- المغرب وتأثيراته في أحداث المتوسط السياسية والاقتصادية خلال القرن السادس عشر**

**أ- في عهد بني وطاس:**

شكلت بداية العصر الحديث مرحلة تسارعت فيها الأحداث بالمنطقة المتوسطية واتجهت إلى تغيير موازين القوى التي كانت لصالح الضفة الجنوبية في العصر الوسيط، فأصبح المغرب غير قادر على مسايرة القوى الإقليمية في المتوسط على الأقل منذ منتصف القرن الخامس عشر وإلى غاية منتصف القرن السادس عشر، حيث " ... كان يعيش أزمة خانقة فرضت عليه الانكماش والانعزال والانزواء وتسببت في خلخلة هياكله وبناه الأساسية وزعزعتها وضربت في العمق ذهنية سكانه، فتراجعت السلطة المركزية وفشل الوطاسيون في صيانة وحدة البلاد وظهرت كيانات سياسية وعسكرية جهوية مستقلة أو متصارعة (...) كإمارة شفشاون بقيادة علي بن راشد وإمارة المنظري بتطوان...".(٢)

أول إشارة يمكن الحديث عنها في مسألة حضور المغرب في المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي هي ما حصل عندما تمكن الإسبان من السيطرة "على أهم الموانئ [بالمغرب الأوسط] مثلاً المرسى الكبير ووهران..."،(٣) حيث لم يحصل رد فعل مغربي على هذا الفعل الإسباني لأنه بالتأكيد أمر خطير أن تصل إسبانيا إلى حدود المغرب دون أن يكون هناك رد فعل مغربي وإنما جاء رد الفعل هذا من الطرف العثماني "والمتمثل في المعارك التي قادها الأخوان عروج وخير الدين (بربروسا) ضد الإسبان برًا وبحرًا"،(٤) وفي حقيقة الأمر أن بداية التراجع المغربي في مسرح الأحداث بالمتوسط بدأ منذ أن تخلى المرينيون عن جوازاتهم للأندلس، حيث تمكن البرتغال من احتلال سبتة سنة ١٤١٥م، كما تمكن الإسبان من القضاء على آخر تواجد للمسلمين بالأندلس سنة ١٤٩٢ إثر سقوط غرناطة، وما تلى ذلك من توالي احتلال الثغور المغربية في بداية القرن السادس عشر، فاهتمام المرينيين ومَنْ جاء بعدهم بضمان أمن المغرب الداخلي لإيمانهم بأن مستقبلهم السياسي رهين بواقع المغرب لا خارجه شكل بداية انطواء المغرب على نفسه وقبولهم الضربات الأوروبية الناهضة،(٥) وهكذا تمكن البرتغاليون في مدة لا تتجاوز قرن إلا قليل (ما بين ١٤٣٨ و١٥١٥) من السيطرة على كل الموانئ المغربية في البحر المتوسط.(٦)

ويلاحظ على ردود الفعل المغربية إزاء الغزو المسيحي أنها في البداية كانت سلبية وضعيفة، حيث لم ترق إلى مستوى المواجهة والتحرير، واللذين لا يتوافقان إلا بطرد المحتلين،(٧) "... كما أن مسألة التحرير في حد ذاتها لم تعط أهمية كبرى ومحورية من قبل الحكام (...) الذين غالبًا ما كانوا يتقاعسون لأسباب أو لأخرى".(٨) ولعل هذا ما جعل المؤرخ المجهول يتحدث عن "ضعف أمر بني مرين [الوطاسيين] في المائة التاسعة وعجز المؤرخين عن [تقييد] قبيح ما ظهر في وقتهم وسيرتهم وانحطاطهم في أعين الناس [حيث] انقطعت أخبار محاسنهم وخمدت نارهم وقصرت حركاتهم وسكوتهم عن الجهاد...".(٩)

إن ضعف الوطاسيين على تمثيل المغرب كدولة محترمة السيادة أمام القوى المتوسطية الأخرى أدى إلى بروز مجموعة من الحركات السياسية كحركة الجازولي والمنظري وبنو راشد، والتي حاولت إزعاج القوى البحرية الأوروبية على الخصوص في عرض المتوسط وعملت على تحرير الثغور المحتلة، حيث يشير الوزان إلى الدور الذي لعبه المنظري انطلاقًا من مدينة تطوان في مواجهة الأوروبيين إذ يقول "... وكانت له بعد ذلك حروبًا لا تنقطع مع البرتغاليين وكثيرًا ما ضيق الخناق على سبتة والقصر وطنجة"،(١٠) كما نجد عند إبراهيم حركات إشارة أخرى للدور الذي أصبحت تلعبه تطوان على مستوى الجهاد البحري ومضايقة السفن الأوروبية بعد وصول أبي الحسن علي المنظري إليها، إذ يقول: "وعزموا على أن يتخذوا خطًا هجوميًا ضد التدخل المسيحي"،(١١) ويضيف إلى أن هناك وثائق وتقارير فيما يتعلق بمسألة تبادل الأسرى بين البرتغال وتطوان، تتكلم عن أن "مركب وصل إلى إشبيلية في ٢٩ أكتوبر ١٥٢٣ به خمسة وعشرون من النصارى البرتغال الذين أطلق سراحهم وكانوا بتطوان"،(١٢) وفي نفس السياق تكلم محمد داوود عن وجود مستندات في السجل الوطني الإسباني تؤكد لنا ما ذهب إليه إبراهيم حركات،(*) وهذا ربما ما يؤكد وجود نشاط بحري مغربي مكثف على السواحل المغربية بل وحتى الإسبانية.

لكن بالنظر إلى إشارات أخرى وتحليلها نجد أن من كان يقوم بعمليات الجهاد البحري والأسر هم أناس خارج نطاق الدولة وإرادتها، هذا فضلاً عن أن هذه الحركات التي تولت أمور البحر المتوسط نيابة عن الدولة لم تكن بتلك القوة التي كانت عليها الدول الأخرى كإسبانيا والإمبراطورية العثمانية والبرتغال، وهذا ما جعل المغرب يكون بمثابة الحاضرة الغائبة في نفس الوقت، وهذا ما نستشفه من كلام مارمول كربخال الذي تحدث عن قوة تطوان

بقوله: "... تضاف إلى ذلك خمس عشر سفينة صغيرة كان السكان يملكونها ويهاجمون بها سواحل إسبانيا وبواسطتها استطاعوا منذ قريب أن يحركوا لثورة في بعض جهات غرناطة. وقد اهتم بذلك ملك إسبانيا فيليب الثاني فأمر قائد قواته بالحرية بإشبيلية أن يهذب ويغرق مصب نهر تطوان (...) [باعتباره مصدر قوة هؤلاء القراصنة] وقد تم هذا العمل دون أن يستطيع أهل البلاد أن يحولوا دون ذلك..."،[١٣] فالمغرب في هذه المرحلة لم يكن قادرًا على درء الخطر، فكيف نتصور له وجود ودور في المتوسط؟ فعلى عهد محمد البرتغالي لم يكن المغرب "حرًا في اختيار حلفاءه فهو لا يتوفر على إمكانيات كافية تساعده على مواجهة النصارى بشكل ناجح، لذلك فقد كان مضطرًا إلى السماح بوجود مراكز متعددة لجهاد النصارى".[١٤]

وأمام هذه الحالة التي أصبحت عليها الدولة المغربية، أصبح على السلاطين الوطاسيين أن يسعوا جاهدين لتدارك الأوضاع وإلا شكل ذلك خطرًا عليهم. وهو الشيء ما أقدم عليه محمد الوطاسي عندما تزوج بالست الحرة حاكمة تطوان وزوجة المنظري الثالث بعد وفاته سنة (٩٤٨هـ/١٥٤١م)، وهذا ما شهد به مؤرخو الإفرنج في ذلك العهد حيث صرحوا "بأن زواج السلطان الوطاسي بالست الحرة إنما كان لتوطيد المن في هذه الربوع من المغرب"،[١٥] وعلى ذكر الست الحرة، فقد ذكر محمد داوود أنه في رسالة من جان الثالث ملك البرتغال للتوسط بين حاكم سبتة والست الحرة، كتب إليه سبستيان رسالة وفيها أن الست الحرة كانت قد سمحت للمراكب التركية بالدخول إلى تطوان الخ...، وهو ما يدل على أنها كانت تباشر الأعمال الخارجية حتى مع الدول الأجنبية،[١٦] وهذا ما يؤكد ما ذهبنا إليه سابقًا عن ضعف الدولة وعدم قدرتها على لعب دور هام على المستوى الخارجي.

إن الحديث عن الحضور المغربي في المتوسط خلال النصف الأول من القرن السادس عشر هو حديث عن الدور الذي قام به الوطاسيين على هذا المستوى، بحكم أنهم الملوك الشرعيين للبلاد نظريًا على الأقل، لكن بعد تصفحنا لمجموعة من المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع وجدنا أن معظمها يتحدث عن زاوية الهجمات البرتغالية أو الإسبانية على السواحل المغربي، بل وحتى على المستوى التجاري نجد عبارات تدل على أن السفن الأوروبية في معظم الأحيان هي التي كانت تتجه إلى المغرب للتبادل والاتجار. لذلك نستطيع القول؛ إنه رغم وجود حركات سياسية حاولت صد الهجمات الأوروبية، فإن المغرب خلال هذه المرحلة دخل مرحلة الجهاد الدفاعي بعدما كان متزعمًا ومتبنيًا الجهاد الهجومي في الأندلس.[١٧]

**ب- في عهد السعديين:**

أول ما يشير إليه عبد الكريم كريم في مقدمة تحقيقه لكتاب الفشتالي "مناهل الصفا" هو أن التنافس من أجل السيطرة على البحر الأبيض المتوسط كان بين ثلاثة أقطاب، العثمانيون والإسبان والبرتغال، في حين يشير. ضمنيًا. إلى أن المغرب خلال هذه المرحلة لعب دور المقاوم فقط، ولم يكن طرفًا في نزاع المتوسط في القرن السادس عشر، بل كان يرد الأخطار الخارجية فحسب، ونستشف هذا المعطى من قوله: "... عرف _أي المتوسط_ صراعًا بين الإمبراطوريات الثلاث: الأتراك العثمانيون في الشرق الإسلامي، والإسبان والبرتغال في الغرب الإسلامي من أجل السيطرة والتحكم في حوض المتوسط وقد تمركز الصراع منذ منتصف هذا القرن في الشمال الإفريقي، وبلاد المغرب الأقصى بوجه خاص (...) وأمام هذه الأخطار الخارجية برزت القيادة السعدية التي تزعمت الجهاد الوطني لرد الأخطار الخارجية..."،[١٨] وفي الوقت ذاته نجد محمد حجي يتحدث عن حالة المغرب التي أصبحت تسترد عافيتها لكن ذلك لم يتم على حد قوله: "بين عشية وضحاها، وإنما ظل يتقدم ببطء مع انتشار نفوذ السعديين بتعثره مرة ونهوضه أخرى ليستوي قائمًا في النصف الثاني من القرن العاشر"،[١٩] لكن محمد حجي ربما في هذه العبارة كان يتحدث عن التحسن في الميادين المختلفة داخليًا، في حين لا يشير بأي إشارة واضحة لتحسن دور المغرب على المستوى المتوسطي وحضوره فيه، فما قصده ربما هو الوضع الداخلي وظروف عيش السكان.

لقد عاش المغرب بعد توحيد البلاد سنة ١٥٥٤م "ربع قرن في شبه ركود سياسي [شكل مرحلة انتقالية ظهرت بعدها مشاكل من نوع جديد يرجع بعضها للأحوال الداخلية، وبعضها الأخر يتصل بالمؤثرات والعلاقات الخارجية، خاصة مع جيرانه من أتراك ومسيحيين] إذ يبدو أن السعديين كانوا قد أعطوا الأولوية في المجابهة للأتراك (...) في حين كانوا يرون في سياسة الانكماش البرتغالية من جهة، وفي مناقشة الإسبان الدائمة للأتراك بالمغرب الأوسط من جهة أخرى، ما يدعوهم إلى قبول تعايش شبه سلمي معهم ولو إلى حين".[٢٠] ومن هنا يتضح أن السعديين بدورهم فضلوا عدم دخول غمار الصراع بالبحر المتوسط وربما هذا ما جعل السعديين لا يقومون بأي محاولة لاسترجاع باقي الثغور المحتلة، فهذا عبد الله الغالب "يمالئ الإسبانيين سرًا أو يغض الطرف عنهم على الأقل ليستولوا على حجرة بادس بالقرب من مليلية حتى لا يجد الأتراك الذين كانت سفنهم آنذاك تصول وتجول في الغربي للمتوسط، منفذًا يتسربون منه إلى المغرب"،[٢١] وبمعنى آخر لم يكن المغرب مستعدًا لمواجهة القوى الكبرى في المنطقة ويدافع عن حقه في أن يلعب دورًا رياديًا في للمتوسط أو على الأقل ليبرز موقعه كقوة لا يستهان بها من طرف أقطاب المتوسط آنذاك.

إن مجرد تقرب السعديين بقيادة محمد القائم من الإسبان لطرد الأتراك من الجزائر أو على الأقل لدرء خطرهم، يعني تفوق الأتراك على المغرب، لأن إسبانيا إذا ساعدت المغرب ستساعده بحرًا وليس برًا، بمعنى أن القوة البحرية المغربية آنذاك لم تكن قادرة على مواجهة الأتراك العثمانيين، فمثلما كان تحالف الإسبان مع الجنوبيين ضد الأسطول البحري العثماني في معركة لبانتى دليلاً

على عدم قدرة الإسبان وحدهم على مواجهة العثمانيين بحرًا، ولو تتبعنا كذلك التقارب المغربي الإنجليزي خلال الربع الأخير من القرن السادس عشر من أجل القضاء على الدور الذي كان لإسبانيا في المتوسط سوف نلاحظ أن حضور المغرب في حلبة الصراع، كان ضعيفًا ويستوجب بالضرورة قوى أخرى محالفة له.

إذا افترضنا أن المغرب بعد خضوعه للسعديين أصبح يستجمع قواه. كما ذهب إلى ذلك محمد حجي. وينظر إلى مكانته المفقودة في البحر المتوسط، فمن الضروري التساؤل عن **أهم ما أقدم عليه المغرب في هذه المرحلة. ولعل أبرز حدث شهده المتوسط آنذاك هو معركة ليبانتو سنة ١٥٧١، فما هو موقع المغرب منها؟ وكيف كانت مساهمته؟**

قبل الإجابة عن هذا السؤال يجب القول؛ بأن المغرب لحد تلك الساعة لم يكن على أهبة الاستعداد للقيام بأي دور فيها، فكما هو معروف أن عبد الملك المعتصم وأحمد الذهبي فرا من المغرب خوفًا من أخيهما عبد الله الغالب إلى الجزائر، بمعنى أن أمر مشاركة المغرب بقيادة عبد الله الغالب إلى جانب الأتراك أمر مستبعد خاصةً وأن الغالب اتبع نفس سياسة والده محمد الشيخ تجاه الأتراك، وأمر استتباب الأوضاع والسيطرة عليها لم يكن مضمونًا، لأن عبد الملك لا زال بالجزائر يعد العدة للعودة إلى المغرب والسيطرة عليه، ويشير عبد المجيد قدوري إلى أن عبد الله الغالب تبنى "بعدما خلف أباه سياسة الابتعاد عن الأتراك والحذر منهم وفلي المقابل حاول الاقتراب من إسبانيا تحسبا لأي طارئ".[٢٢] أهم ما نقرأه من موقف عبد الله الغالب أنه لم يكن ليقدر على مواجهة الأتراك وحده وهو ما دفعه إلى اللجوء إلى إسبانيا وهو ما يدل على أن حضوره وقوته في المنطقة ليستا بمستوى العثمانيين ولا حتى بمستوى إسبانيا نفسها. لأنه ليس من المنطقي لأي أحد أن يطلب العون من شخص أقل منه قوة، لذلك نقول أنه إلى حدود ١٥٧٢ على الأقل لم يكن المغرب ليجاري القوى المتوسطية الكبرى وعلى رأسها الأتراك والإسبان.

بالعودة لمعركة ليبانتو نسجل أن عبد الله وأحمد الذهبي شاركًا في صنع الأحداث فيها إلى جانب الأتراك، وفيما يخص مشاركة المغرب، فحتى إذا سلمنا بقدرة المغرب على المشاركة فيها فلماذا لم يشارك؟ هناك احتمالين للإجابة عن هذا السؤال، الأول أن عبد الله الغالب لم يرد الدخول في المعركة مع أي جانب والتزم الحياد، وهو احتمال وارد، "لاسيما وأن التحالف البندقي في سنة ١٥٧١م حول مواجهة الأتراك والمناطق الخاضعة لهم دفاعًا وهجومًا كان يستثني المغرب ولم يجعله مستهدفًا"،[٢٣] لأنه من الطبيعي إذا دخل إلى جانب أي طرف وخسر سيكون لذلك عواقب وخيمة خاصة وأن البلاد لا تتحمل أي مشاكل أخرى، أما الاحتمال الآخر فهو أن المغرب ليس له ما يقدمه في هذا النزاع، وبالتالي يكون قد لعب دور المتفرج فقط في هذه المرحلة.

قد لا نبالغ إذا قلنا بأن معركة وادي المخازن بدورها تشكل دليلاً على أن المغرب لم يكن بتلك القوة التي كانت لها القوة الأوروبية والعثمانية ي المتوسط، وإلا لما استطاع البرتغال الوصول إلى الأراضي المغربية والتوغل فيها ولا إلى حصر الأمر على المستوى البحري أو على الأقل محاولة إبقاء الحرب في السواحل، بمعنى أن البرتغاليين لم يتجرءوا على المغرب إلا بعد أن ترك أبوابه مفتوحة بدون أسطول قوي يدافع عنها. لقد عاش المتوسط في الثلث الأخير من القرن السادس عشر أحداثًا مهمة ارتبط بها ارتباطًا عضويًا، واستطاع أن يندمج في السياسيات المتوسطية بداية من مشاركة عبد الملك في معركة ليبانتو على جانب العثمانيين ووقوعه في الأسر لدى الإسبان وما استطاع أن يقوم به من علاقات مختلفة حتى مع رجال العرش الإسباني، والتي ساعدته على فك أسره ثم مشاركته الفعالة في القضاء على الاحتلال الإسباني في تونس، وبهذا تكونت له شخصية صقلتها أحداث المتوسط، وعرف كيف يتسرب إلى داخل المنظمات السياسية التي تتحكم في المتوسط وعلى رأسها الإسبان والعثمانيين،[٢٤] وما إن تمكن من الحكم حتى "أسس أسطول وزع قطعه على موانئ الشمال والعرائش وسلا".[٢٥]

قد نبدو متناقضين في أفكارنا المتعلقة بحضور المغرب على الساحة المتوسطية قبيل معركة وادي المخازن عندما اعتبرنا أن المعركة في حد ذاتها تشكل دليلاً على عدم توفر المغرب على أسطول يحمي ثغوره ويسد أبوابه، في الوقت الذي نأتي فيه بمعطيات حول عبد الملك وعلاقته بالقوى المتوسطية الأوروبية منها والعثمانية، لكن ما أوردناه من معطيات هي في الحقيقة تؤكد بعضها البعض، فعدم قدرة عبد الملك على إثبات نفسه كقوة بحرية في المتوسط هو ما يفسر ربما لجوؤه إلى طرف دبلوماسية لكسب الوقت من جهة وعدم مواجهة قوة أوروبية هو في غنى عنها، على الأقل إلى حين تمكنه من أمور البلاد، فالرجل على ما يظهر كان على دراية بأن قوة الدولة ومكانتها عند الدول الأخرى مرتبطة بمدى تحكمها في البحر وقوة أسطولها، لذلك نجده كما يشير إلى ذلك المؤرخ المجهول في قوله: "وأمر بإنشاء السفن في سلا والعرائش وأدخل القرصنة وصار أهل الأندلس يسافرون في البحر مع أهل المغرب وضايقوا بالنصارى أشد تضييق وكثرى الغنائم"،[٢٦] إن ما قام به عبد الملك يبقى عبارة عن محاولة لاسترداد ما كان للمغرب في هذا البحر من قوة حاول الأوروبيون وغيرهم إجهاضها لكن هذه التجربة تبقى كبداية لما سيأتي فيما بعد.

لقد ساهمت معركة وادي المخازن في إعطاء المغرب سمعة طيبة على المستوى الدولي جعلت الدول الأوروبية تغير من نظرة الاحتقار التي كانت تنظر إليه بها، وهذا ما يختلف جذريًا عن الأوضاع العامة التي مرت بها العلاقات المغربية الأوروبية خلال النصف الأول من القرن السادس عشر،[٢٧] "ومنذ ذلك الحين [أي من انتصار المخازن] أصبحت العلاقات الخارجية للمغرب أبعد ما تكون عن علاقة الدولة المنهزمة أمام الدول المستعمرة، بل أصبحت

علاقة المشاركة الفعالة في الأحداث التي كانت تهز المنطقة كمشاكل الخلافة في البرتغال، ومشاكل الخصومات بين إسبانيا وإنجلترا وبين هذه الأخير وفرنسا الخ".[٢٨] ولكن رغم وجود إشارات كثيرة عن حضور المغرب في عرض المتوسط خلال هذه المرحلة التي أعقبت معركة وادي المخازن نتيجة استقراره ونشاط اقتصاده وتنويعه، فإن مسألة عدم قدرته على استرداد ثغوره المحتلة طرحت أكثر من سؤال: هل لأنه كانت لديه أولويات أخرى كغزو السودان مثلاً للتقوي بما فيه الكفاية لمواجهة قوى المتوسط التي استطاع بعضها الوصول إلى أراضي جديدة لم تكن معروفة وخبرت بحرًا أكثر ظلامًا من المتوسط، أم لرغبته في الحفاظ على عنصر الجهاد الذي يحقق للسعديين استمرار المشروعية السياسية، فما دامت بعض الثغور محتلة فإن ذلك يعني استمرار الولاء والبيعة، أم لاستعمالها في إطار سياستهم الخارجية للتعبير عن حسن نيتهم في ربط علاقات سياسية ودية مع إسبانيا والبرتغال وتجاوز أسباب الصراع الدفين وتكون في الوقت ذاته رسالة موجهة لباب العالي في حالة ما إذا فكر في التحرك لغزو المغرب.[٢٩]

من الصعب الإجابة عن هذه الأسئلة، ولكن من الواضح أن معركة وادي المخازن أعادت توزيع الأوراق من جديد وغيرت الكثير في خريطة الدول المسيطرة على البحر الأبيض المتوسط، فبعض "الوثائق التاريخية [المأخوذة] من المجلس العسكري الإسباني المنعقد يوم (١٦ غشت/ أغسطس ١٥٧٨) قد أسند مهمة الدفاع عن مدن سبتة وطنجة وأصيلا . وهي قواعد احتلال برتغالي . على القائد أنطونيو مانسو (Antonio Manso)، كما أن القوات الإسبانية المرابطة في جنوبي إسبانيا قد أمرت بأن تكون على أهبة الاستعداد لرد أي خطر خارجي ضد أيبيريا من قبل المسلمين".[٣٠] وفي نفس الاتجاه نجد الفشتالي يتحدث عن عزم المنصور على استرداد الأندلس وما قام به من محاولات لاستغلال الصراع القائم بين الإسبان من جهة والإنجليز والفرنسيين والهولنديين من جهة أخرى، وكيف أن الأسطول المغربي قد أصبح قوة يخشى بأسها في الدفاع والهجوم، وقد قام الأسطول المغربي بهجومات على جزر كناريا وأحرز انتصارات عديدة بها،[٣١] وربما أن القوة التي ظهر بها المنصور بعد معركة وادي المخازن يؤكدها المؤرخ المجهول بقوله: "ثم أمر [سلطان النصارى] بإقامة هدية البحر وأن يتفضل عليهم بأمانه فأنعم لهم بذلك ووفى بعهد معهم".[٣٢] إن هذه السهولة في الاستجابة لطلب النصارى من طرف المنصور تطرح علامة استفهام كبيرة تندرج ضمن مسألة عدم قدرة المنصور على استرداد الثغور المحتلة وما طرحناه من أسئلة متعلقة بها فيما سبق.

لم يركز أحمد المنصور على تقوية دولته على المستوى الخارجي ليثبت نفسه كقوة فاعلة في أحداث المتوسط، واستمر في سياسة التأرجح بين القوى الكبرى في المتوسط، جريًا على عادة من سبقه من الملوك الوطاسيين والسعديين، تارة يقف ضد الإيبريين ويلوح دائمًا بإعلان الجهاد والاستعانة بالعثمانيين، وتارة يلتقي معهم عندما يهم العثمانيون بالتحرك عسكريًا في اتجاه الغرب المتوسطي، كذلك فعل مع الإنجليز في الثلث الأخير من القرن السادس عشر، عندما دخل الإنجليز وبقوة حلبة الصراع الدولي في المتوسط[٣٣] خاصةً بعد انتصارهم على أسطول الأرمادا الإسباني سنة ١٥٨٨، فسعى جاهدًا إلى استغلال علاقاته التجارية مع الإنجليز للتخلص من خطر الإسبان.

إذا كنا في ختام هذا الشق قد ذهبنا في طرحنا إلى اعتبار أن حضور المغرب في المتوسط كان غائبًا أو على الأقل خافتًا جدًا يمكن إهماله، فإننا سنحاول في الشق الثاني من هذه الدراسة دعم هذا الطرح بمناقشة الدعائم التي من الممكن أن تعتمد عليها الأطروحة المعاكسة لما ذهبنا إليه بكل اقتضاب، خاصةً فيما يتعلق بضرورة توفر ظروف داخلية مستقرة ومساعدة على لعب دورًا مهمًا على الساحة الدولية، وكذا المجهودات المبذولة على مستوى التسلح والرقي بالقوة والأسطول البحري، وغير ذلك من الشروط اللازمة لهذا الحضور.

## ثانيًا: الشروط اللازمة للحضور في المتوسط

### ١/٢- أوضاع المغرب الداخلية وانعكاساتها على قوته الخارجية

#### أ- الوضعية السياسية والأمنية:

لقد خرج المغرب من القرن الخامس عشر منهك القوى بعد سلسلة من الأزمات السياسية الحادة التي عرفها منذ منتصف هذا القرن، وقد ورث الوطاسيون تركة ثقيلة لا يحسدون عليها حيث كانت البلاد مفككة والأطماع الخارجية محدقة بها ممثلة في دول قوية مما جعل تحدياتها كبيرة ومواردها محدودة للغاية، لذلك لم يكن غريبًا أن يفشل الوطاسيون في بسط نفوذهم على جميع البلاد وقنعوا في العديد من الجهات بمجرد الاعتراف بهم، وقد كان لضعف سلطة الوطاسيين بفاس وعجزها عن صيانة المن والدفاع عن البلاد أثر بالغ في انتشار الفوضى والفتن مما أدى إلى تجزئة المغرب إلى وحدات سياسية شبه مستقلة بعضها أملتها ظروف الجهاد ومقاتلة العدو المحتل للسواحل وبعضها شعر ببعد مركز الحكم وضعفه، والبعض الآخر كان مضطرًا على المهادنة والدخول تحت حماية المحتل.[٣٤]

لقد شكلت التمردات والاغتيالات السياسية إحدى المشاكل والأزمات السياسية التي هزت المغرب في هذه المرحلة ومنعته من مسايرة تحولات عصره، بالإضافة إلى التدخل الأجنبي الذي ساهم بشكل أو بآخر في تقزيم دوره في البحر المتوسط خاصة احتلال سبتة ومليلية وغيرهما من الجزر والمواقع الاستراتيجية،[٣٥] في ظل عدم تمكن الوطاسيين من صياغة استراتيجية دفاعية منظمة لمواجهة تلك الأخطار، ليزداد الوضع السياسي سوءًا مع دخول السعديين حلبة الصراع السياسي وبروز لعبة القوة الإقليمية، وعلى أية حال؛ فإن هذه الأوضاع المتردية ترتب عنها انعدام خطير للأمن وانعكست سلبًا على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

**ب- الوضعية الاقتصادية والاجتماعية:**

تأثرت أوضاع المغرب الاقتصادية بحالة التجزئة والفتن السائدة في داخل البلاد، وبما عرفه المحيط الدولي من تغيرات في تلك الفترة من حروب الاسترداد والمد العثماني في شمال إفريقيا، فضلاً عن تدهور تجارة القوافل وأعمال الزراعة بفعل الاضطرابات الأمنية والجو الذي تسوده الفتن والفوضى، وبذلك اضطربت المظاهر الاقتصادية ولم يبقى أثر للنشاط الاقتصادي الذي عرف به المغرب في مجال المبادلات التجارية مع بلدان المتوسط،[٣٦] وقد عانى المغرب خلال نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر -حسب ما جاءت به المصادر المعاصرة- من مجاعات مهولة دامت مدد متفاوتة وأدت إلى وفاة العديد من السكان، ومن الملاحظ أن هذه المصائب كانت تكرر كثيرًا وتطول مما كان يجعل الدولة تواجه مصاعب كبيرة في التنظيم والتخطيط.

ففي بداية القرن السادس عشر الميلادي كانت السلطة المركزية ضعيفة مما جعل بعض الزوايا تحل محل الدولة في تحمل العبء، ويظهر توالي الأزمات بشكل خطير على الأجيال المتعاقبة، ذلك أن المتتبع لما جاء في المصادر من إشارات في الموضوع يلاحظ أن عدد السكان قد انخفض مقارنة مع ما كان عليه خلال القرون الماضية، وقد أدى ذلك على تناقص اليد العاملة في الزراعة وبالتالي تقلصت المساحات المزروعة وتراجعت كمية الإنتاج وانتشر الترحال على حساب الاستقرار والعمران،[٣٧] حيث يذكر الوزان أن بعض القرى والمدن أصبحت عبارة عن أطلال مهجورة لا يسكنها إنسان،[٣٨] ومع وصول السعديين إلى الحكم استمرت الحالة الاقتصادية على ما كانت عليه رغم بعض الانفراج الناتج عن التباعد بين سنين الأزمات وعن الاستقرار النسبي الذي وفرته الدولة الحاكمة.[٣٩]

لقد عكست صعوبة العيش وظروف الرعية المزرية في كثير من الجهات مدى الركود الاقتصادي الذي كانت تعاني منه البلاد، ومحدودية تبادل الإنتاج والرواج التجاري في الداخل وصعوبة التصدير إلى الخارج، ومن البديهي أن هذه للوضعية انعكست سلبًا على مداخل الدولة (الوطاسية والسعدية)، فلم يبقى أمامها إلا الإفراط في فرض الضرائب المختلفة والرفع من قيمتها، وعلى الرغم من أن المغرب خلال بداية القرن السادس عشر وقبله كان يعيش أوضاع اقتصادية واجتماعية مزرية نتيجة للكوارث الطبيعية والمجاعات والأزمات السياسية، إلا أنه عرف وخاصةً في آخره رواجًا تجاريًا مع الخارج بشكل لم يفرع له نظير من قبل، وهو ما يشير إليه إبراهيم حركات نقلاً عن ماسون (Mason) بقوله إن المغرب كان "يروج أعظم حركة تجارية في الشمال الإفريقي".[٤٠]

**٢/٢- قوته الحربية على المستوى البحري**

لقد أورد الحسن الوزان في كتابه أن الدون فرناند ملك إسبانيا قام "بإرسال أسطول (...) فاحتل جزيرة قبالة بادس، فاستغاث أمي بادس بملك فاس الذي أرسل عدد من الجنود المشاة لمهاجمة الجزيرة لكنهم أرهقوا كثرًا (...) واحتفظ النصارى بالجزيرة إلى أن أرسل ملك فاس من جديد جيش بعد مرور أحد عشر عاما، فسقطت الجزيرة في أيدي المسلمين بسبب خيانة جندي إسباني قتل [قائد الأسطول] الذي زنى بزوجته (...) وكان ذلك سنة ١٥٢٠ للميلاد".[٤١] وما نستنتجه من كلام الوزان أن الوطاسي أرسل قوة برية دون دعم قوة بحرية لمواجهة أسطول بحري مجهز بكل أنواع الأسلحة، والسؤال الذي يطرح نفسه هو أين الأسطول المغربي لدرء الخطر؟ وبالمقابل نجد المصادر تتحدث على أن المنظري وغيره ممَنْ تولوا أمور الجهاد البحري، قد أنشئوا أسطولاً أمكنه أن يضايق لأمد طويل سفن البرتغال والإسبان في عرض المتوسط ولم يقبل الرئيس المنظري ولا بنو راشد الهدنة التي عقدها محمد الشيخ وملك البرتغال ألفونسو الخامس عند احتلال هذا الأخير لأصيلا، وتمكن بنو راشد والمنظري من تحطيم عدد من السفن البرتغالية في حوض أصيلا.[٤٢] إن توفر المغرب على أسطول بحري كبير وقوي يتطلب منه توفير موانئ كبرى وهو ما لم يتوفر عليه المغرب خلال القرن السادس عشر، فمما قَرَأْنَاهُ عن الصراع التركي المغربي أيام محمد الشيخ، أن السلطان سليمان القانوني، بعد رفض محمد الشيخ الدعاء له، أمر وزيره بتجهيز العمارة للمغرب أي الأسطول، فجمع وزيره أهل الدولة واستشارهم في توجيه الأسطول إلى المغرب، فاستصعبوا عليه الأمر لما فيه من الخطر للعمارة وقلة المنفعة غذ مراسي المغرب لا تحمل المراكب العظيمة.[٤٣]

يذهب البعض إلى إرجاع سبب عدم قدرة المغرب خلال القرن السادس عشر على مزاحمة القوى الكبرى في الحوض الغربي من المتوسط إلى سوء التنظيم العسكري . الذي حاول السعديون تداركه، وإلى اعتماده على القبائل وغياب جيش نظامي وعدم التوفر على السلاح... "وإذا كان السعديون قد نجحوا في تكوين جيش بري قوي مكنهم من السيطرة على الصحراء الشاسعة وما وراءها من بلاد السودان فإنهم لم يتمكنوا من إعادة بناء الأسطول المغربي الذي أفل نجمه ذهاب عز المرينيين، رغم ما قام به أحمد المنصور بصفة خاصة من إحياء دار صناعة السفن الموحدية برباط سلا واستجلب إليها من أوروبا كلما تحتاج إليه من أدوات ومواد حديثة بل واشترى سفن إنجليزية جاهزة ليعزز الأسطول المغربي الذي جُعل مقر قيادته العرائش (...) ومع ذلك لم نسمع صدى يذكر لنشاط الأسطول الحربي أيام السعديين..."،[٤٤] إلا ما أشار إليه الفشتالي بقوله: "مما نستطرد لكم ذكره على وجه البشرى (...) إعلامكم أن عدو الدين طاغية قشتالة (...) لما آنس من تلقاء جنابنا العالي نار العزم تلتهب التهاب (...) وهممنا (...) قد همت بتجديد الأسطول والاستكثار من المراكب (...) وعلم أن الحديث إليه يساق..."[٤٥] لقد جاء هذا الحديث بمناسبة دعم إسبانيا لثورة الناصر، ولا يهمنا الآن إن كانت نية المنصور العبور إلى إسبانيا أم لا ردًا على دعمها لثورة الناصر، لكن ما يهمنا هو أن المنصور لا يمكنه الحديث بهذه اللهجة إذا لم تكن له القدرة على ذلك، ولكن طيلة الفترة التي قضاها المنصور في الحكم لم تقع أي مواجهة بحرية بين

المغرب وجيرانه مما يزيد من غموض معرفتنا بالأسطول المغربي لهذه الفترة.[٤٦]

**٣/٢- الطبقة البرجوازية في مغرب القرن السادس عشر**

ارتبطت قوة أوربا بالطبقة البرجوازية المحركة لاقتصاد القارة وجعلت هذه الطبقة قوتها أداة لفرض طموح لا يتوقف يحركه هامس السيطرة، فمنذ القرن السادس عشر أصبحت للتجار مكانة معترف بها في المجتمعات الأوروبية بل [إن] طبقتهم لا غنى للمجتمع عنها، كما سبق وأن دعمت هذه الطبقة من التجار الاكتشافات الكبرى، فمثلا "اعتمد كريستوف كولومبو في رحلته البحرية للعالم الجديد على مساهمة الأبناك الإيطالية وبالخصوص على عائلة برارد في فلورنسا التي ساهمت بنصف تكاليف رحلته"،[٤٧] لكن بالنسبة للمغرب فالسلطان هو مَنْ كان يتحكم في شؤون البحر وحتى مسألة الجهاد البحري التي كانت تقوم به جهات شعبية لا علاقة لها بالسلطة خاصة في مراحل ضعف هذه الأخيرة، لم يكن ليتطور بالشكل الكبير نظرًا لغياب دعم مادي قوي يجعل هذه الحركة البحرية تتطور وتنضج، وذلك لغياب فئة قادرة على تمويل هذه الحركة البحرية، ولعل هذا ما يفسر ضعف التواجد المغربي بالمتوسط كقوة مهابة الجانب في أوقات الشدة والأزمات حيث تضطر السلطة للاهتمام بالشؤون الداخلية في ظل تناقص المداخيل.

وإذا رجعنا بشيء من التحليل إلى الدواعي التي أدت بالمنصور إلى التوجع للسودان وترك الجهاد البحري كما عبر على ذلك المؤرخ المجهول، لوجدنا أن المنصور كان يدرك جيدًا الفرق بينما ما يتطلبه الجهاد من أموال ضخمة ستخدم في إنشاء الأسطول وصيانته حتى يلعب دور كبير في الساحة الدولية آنذاك، وبين ما يتطلبه غزو السودان، وهو ما نجد له صدى عند بروديل عندما نجد يتحدث عن ارتفاع أسعار النقل البحري في نهاية القرن السادس عشر وخسارة الطرق البحرية صراعها أمام الطرق البرية،[٤٨] فضلاً على ما سيوفره السودان وثرواته للمغرب من مكانة تجارية عند الأوروبيين تجعله بين ضفرين ينعم بنوع من الأمان من طرف الدول المتنافسة على تجارته، دون أن يحتاج لأن يخسر كل تلك الأموال حتى يحقق ذلك الأمان، وهنا تدخل مسألة الرغبة وخوض غمار الصراع في البحر المتوسط.

ولكن هذا لا يمنع من القول حسب ما رآه عبد الكريم كريم، أن هناك من الإشارات ما يدل على وجود طبقة برجوازية ناشئة على الأقل، خاصةً في عهد المنصور نظرًا للأموال التي تكدست لها في عهده كما يشير إلى ذلك الفشتالي بقوله: "حتى صار بلك في عداد الأغنياء وأهل الثروة والرفاهية"،[٤٩] لكن يبدو أن رجال التصوف في العصر السعدي حضوا بمكانة كبيرة وتمتعوا بامتيازات لم يكونوا في استعداد للتنازل عنها، حتى لو كان ذلك من أجل دعم مشروع يرمي إلى تقوية الأسطول البحري كما حصل مع السلاطين السعديين الذين حاولوا إنشاء قطع بحرية اعتمادًا على الضرائب التي رفعت قيمتها.[٥٠]

**٤/٢- الوجود المغربي في المتوسط خلال القرن السادس عشر (مسألة الرغبة)**

يرى بعض الباحثين أنه رغم فشل الحركات السياسية كحركة المنظري وبنو راشد كانت تجعل من قضية تصفية الحضور الأجنبي بالبلاد المغربية أحد أهم أسباب قيامها حتى وإن فشل أغلبها في تحقيق أهدافها، إلا أن ذلك يعطي فكرة وتعبيرًا عن إرادة ورغبة الجميع في تخليص البلاد من الاحتلال والرد على الأعداء المسيحيين الذين طردوا المسلمين من الأندلس،[٥١] وفي الاتجاه نفسه نجد أحمد بوشرب يتحدث عن بروز رغبة أكيدة لدى المغاربة منذ مطلع القرن السادس عشر على المستوى الشعبي أولاً ثم على المستوى الرسمي ثانيًا (بعد سنة ١٥٤٩)، لركوب البحر من جديد ردًا على هجمات المسيحيين وأن هذا النشاط الجهادي ارتكز على الموانئ التي بقيت حرة كالعرائش وتطوان وسلا، ويسوق لذلك دلائل استنبطها من شهادة الإجباريين البرتغاليين، مثلا دوكويش الذي تحدث عن أن مجاهدو العرائش أسروا سنة ١٥١٦م سفينة كرافيلا برتغالية قبل دخولها أصيلا، وكذلك فعل مجاهدو تطوان في السنة نفسها، كما أشار الرجل إلى الأدوار الطلائعية في ميدان الجهاد البحري التي قام بها أخوان من تطوان اسمهما (Xacros) وما ألحقاه من ضرر في المنطقة الممتدة بين سبتة والعرائش وجبل طارق، كما أنه اعترف أن المسلمين المغاربة كانوا حاذقين في أمور الرحب.

كما أشار إخباري آخر "لويش دوسوزا" على الحروب البحرية التي دارت بين مجاهدين من تطوان والعرائش من جهة والأسطول البرتغالي المكلف بمراقبة المضيق من جهة أخرى، وتضيف محاضر محاكم التفتيش حقيقة بالغة الأهمية أن هذا النوع من الجهاد لم يقتصر على سكان المدن الساحلية ذوي العادات البحرية، بل شمل أشخاصًا ينتمون إلى مناطق كضواحي القصر الكبير أو مراكش أو ترو دانت أو فاس،[٥٢] وهناك شهادات متعددة من هذا القبيل يمكن الرجوع إليها في هذه المقالة لأحمد بوشرب. بالموازاة مع ما سبق هناك من الباحثين من يرجع سبب عدم قدرة السعديين على إنشاء أسطول على مستوى أسطول الموحدين والمرينيين على عزوف المغاربة عن التعود على ركوب البحر، والاهتمام بالصناعة البحرية لفترة طويلة. حتى إذا سلمنا بوجود تصور عام بوجود المغرب في المتوسط، ينبغي التساؤل عن أهدافه من هذا الوجود في تلك الفترة؟ إننا سنجد أنفسنا أمام هدفان لا ثالث لهما، إما حضور من الجهاد وهي مسألة لم تعد موجودة أساسًا بدليل أنه لم يتم تحرير حتى الثغور المغربية، وحتى وإن وجدتا إشارات عن عزم المنصور على التوجه للأندلس فإنها سياسة يحتمها منطق الواقع ومتطلبات الظروف السياسية، أما الهدف الثاني فهو من أجل التجارة وفي هذا يبدو أن المغرب استبدل الأدنى بالذي هو خير واتجه إلى السودان.

## خاتمة

حاصل القول؛ أن الأوضاع المزرية التي كان يعيشها المغرب أيام الوطاسيين خلال القرن السادس عشر، لم تسمح له بأن يلعب دورًا مهمًا على مستوى البحر المتوسط باسم الدولة الوطاسية، لأن حضور رجال الجهاد البحري وعلى رأسهم بنو راشد والمنظري... هم مَنْ كانوا يواجهون الأساطيل المسيحية التي كانت تحوم في المياه المتوسطية وإن كانت هناك من الإشارات ما يدل على أن الوطاسيين كانوا يحاولون ضبط أمور الجهاد وجعلها تحت رعايتهم، إلا أنها لا تكفي إلى الاتجاه في القول بأن الدولة المغربية كانت ذات مساهمة فعالة على مستوى الأحداث التي عرفها المتوسط إبان هذه المرحلة عبر التحكم في حركة الجهاد البحري على الأقل، أما بعد صعود السعديين إلى المشهد السياسي في المغرب خلال أواسط القرن السادس عشر الميلادي وردت إشارات مهمة على أنهم قاموا بتأسيس أساطيل بحرية وتوجيه مجموعة من الأحداث السياسية التي عرفها المتوسط خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، وبدء الحضور المغربي يبرز شيئًا فشيئًا إلى أن اتضحت معامله بعد معركة وادي المخازن، لكن هذا الحضور لم يكن حضورًا مغربيًا صرفًا، وإنما تطلب حضورًا بالإضافة، بمعنى أن المغرب كان يحتاج إلى قوة أخرى ليظهر وجوده في المتوسط، وذلك ما تجلى من خلال مجموعة من النماذج حاول فيها المغرب التقرب من دول ضد أخرى كالتقارب المغربي الإسباني ضد العثمانيين.

لذلك يمكن القول؛ أن لا أحد يجادل في أن الحضور المغرب في المتوسط تراجع بشكل مهول في القرنين الخامس عشر و السادس عشر مقارنةً مع ما كان عليه سابقًا، حيث يشير ابن خلدون إلى السيطرة المطلقة للموحدين على الحوض الغربي للمتوسط إلى حد أنه لم يكن المسيحيين يجرؤون على وضع خشبة واحدة في مياهه، وبهذا يمكن القول؛ بأن الحضور المغربي في المتوسط خلال القرن السادس عشر، لا يمكن أن يقارب الحضور العثماني أو الإسباني مثلاً، ولعل هذا ما نستشفه من قول فرنان بروديل: "يبرز هذا الأمر على نحو جلي في القرن السادس عشر الذي نحت فيه الإمبراطورية الإسبانية مستندة إلى مرتكزاتها الإمبريالية نحو السيطرة على الحوض الغربي من المتوسط سيرة كاملة ليصبح بحرًا إسبانيًا لا يمتلك المسلمين منه غير جهته الجنوبية التي ما لبثت إسبانيا أن سعت إلى اختراقها (...) هذا بينما كان (...) البحر الأيوني بحرًا عثمانيًا بامتياز".

## الهَوامِشُ:

(١) فرنان بروديل، "**المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني**"، ترجمة مروان أبي سمراء، ط. ١، بيروت، المنتخب العربي، [د. ت.]، ص: ١٢٥.

(٢) عبد للمجيد قدوري، "**المغرب وأوربا مسألة التجاوز ما بين القرنين ١٥ و١٨**"، ط. ١، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، [د.ت.]،ص: ٢٧٢.

(٣) محمد حجي، "**الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين**"، ج. ١، المحمدية، مطبعة فضالة، ١٩٧٧، ص: ٣٨.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٣٩.

(٥) عبد المجيد قدوري، س.م.، ص: ٩٧.

(٦) محمد حجي، س.م.، ص: ٤٠.

(٧) أحمد بوشرب، "**دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور**"، ط. ١، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٨٤، ص: ٣٩٠.

(٨) أحمد الهشميوي، "**الفئات الأوروبية المقيمة بالمغرب أيام السعديين**"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب تخصص تاريخ مرقونة بخزانة الكلية، ج. ١، ص.٥٢.

(٩) المؤرخ المجهول، "**تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**"، تح. عبد الرحيم ب حادة، مراكش، مطبعة تينمل، [د.ت.]، ص: ١٢.

(١٠) حسن الوزان، "**وصف إفريقيا**"، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ط.٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣ ص: ٣١٩.

(١١) إبراهيم حركات، "**المغرب عبر التاريخ**"، ج. ٢، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٨٤، ص: ٢١٩.

(١٢) نفسه، ص: ١٨٤.

(*) يمكن الاطلاع على هذه الشهادات بالرجوع إلى كتاب محمد داوود "تاريخ تطوان"، ج. ١، ط. ٢، تطوان، مطبعة ....، [د.ت.]، ص: ١١٥.

(١٣) مرمول كربخال، "**إفريقيا**"، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج. ١، الرباط، مطبعة المعارف، الجديدة، [د.ت.]، ١٩٨٤.

(١٤) أوكست كور، "**دولة بني وطاس (١٤٢٠-١٥٥٤)**"، ترجمة محمد فتحة، ط.١، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، [د.ت.]، ص: ٧٥.

(١٥) محمد داوود، م.س.، ص: ١٢٢.

(١٦)المرجع نفسه، ص: ١٢٠.

(١٧) عبد المجيد قدوري، م.س.، ص: ٧٣.

(١٨) عبد العزيز الفشتالي، "**مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**"، تح. عبد الكرم كريم، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، [د.ت.]، ص: ١.

(١٩) محمد حجي، م.س.، ص: ٤٠.

(٢٠) محمد حجي، م.س.، ص: ٤٥-٤٦.

(٢١) نفسه، ص.ص: ٤٦-٤٧.

(٢٢) عبد المجيد قدوري، م.س.، ص: ١٧٢.

(٢٣) المرجع نفسه، ص، ١٦٨.

(٢٤) المرجع نفسه، ص، ١٦٣، ١٨١-١٨٢.

(٢٥) إبراهيم حركات، "المغرب عبر..."، م.س.، ص: ٢٥٧.

(٢٦) المؤرخ المجهول، م.س.، ص: ٥٣.

(٢٧) أحمد الهشميوي، م.س.، ص: ١٦١.

(٢٨) حسن الصقلي، "**ثقل العنصر الأجنبي**"، مذكرات من التراث المغربي، الرباط: (د.م)، ١٩٨٥، مج٣،ص٥١.

(٢٩) أحمد الهشميوي، م.س.، ص.: ١٦٣-١٦٤.

(٣٠) عبد العزيز الفشتالي، م.س.، ص: ٤٠ (أخذ من الهامش).

(٣١) نفسه، ص.ص.: (١٩٣-١٩٧).

(٣٢) المؤرخ المجهول، م.س.، ص.: ٦٥-٦٦.

(٣٣) أحمد الهشميوي، م.س.، ص.: ١٥٩-١٦٠.

(٣٤) عبد الكرم كريم، "**المغرب في عهد الدولة السعدية**"، الدار البيضاء، شركة الطبع والنشر، ١٩٩٧، ص.: ١٥- ١٦.

(٣٥) عبد المجيد قدوري، م.س.، ص.: ٢٦٤-٢٦٥.

(٣٦) عبد الكريم كريم، م.س.، ص.: ١٢-١٣.

(٣٧) محمد مزين، م.س.، ص: ١٩٧.

(٣٨) حسن الوزان، م.س.، ص: ٣١١.

(٣٩) محمد مزين، م.س.، ص: ١٩٧.

(٤٠) إبراهيم حركات، م.س.، ص: ٣٨١.

(٤١) حسن الوزان، م.س. ص.: ٣٢٦-٣٢٧.

(٤٢) إبراهيم بركات، م.س. ص: ٢١٩.

(٤٣) عبد الهادي التازي، "**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**"، مج. ٨،

(٤٤) محمد حجي، م.س. ص: ٤٨.

(٤٥) عبد العزيز الفشتالي، م.س. ص: ١٧٠.

(٤٦) أحمد الهشميوي، م.س. ص: ٣٨.

(٤٧) عبد المجيد قدوري، م.س.، ص.: ٦٤-٦٥-٦٦.

(٤٨) بروديل، م.س.، ص: ١٥٩.

(٤٩) عبد العزيز الفشتالي، م.س.، ص: ٢٢٩.

(٥٠) أحمد بوشرب، "**المغاربة والبحر النصف الأول من القرن السادس عشر**"، "مجلة بحوث" ، ع. ٤، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية III، المحمدية، [د.ت.] ١٩٩١، ص: ٥٤-٥٥.

(٥١) أحمد الهشميوي، م.س.، ص.: ١٣٦-١٣٧.

(٥٢) أحمد بوشرب، "**المغربة والبحر**..."، م.س.، ص.: ٥٤، ٥٨-٥٩-٦٠.

# أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني

**حفيان رشيد**
ماجستير التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة الأمير عبد القادر
قسنطينة – الجمهورية الجزائرية

## مُلَخّصْ

جابت قوافل بلدان المغرب العربي خلال العهد العثماني مناطق عديدة، وباتجاهات مختلفة نحو المراكز والأسواق التجارية، وهذا باختلاف حجمها من حيث العدد، والنوع (تجارية أو دينية)، مساهمةً بذلك في تحريك عجلة الاقتصاد المغاربي برًا من خلال منح فرص للعمل فيها كأدلاء أو حراس وغيرها من المهام الضرورية أو استثمار لرؤوس الأموال، وكان من بين الأهداف الأساسية المرجوة إلى جانب الربح الاقتصادي هو وصولها بسلامة وأمان، لذا فإن شرط الأمن كان من بين أهم العوامل التي رسمت اتجاهاتها واختياراتها تفاديًا للخسائر المادية والبشرية على حد السواء، لذا حاولنا في هذا المقال أن نتتبع هذه الظاهرة (أمن القوافل) لما لها من انعكاسات على النشاط الاقتصادي للتجار وحتى على حياتهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما هي أهم الإجراءات المتخذة من طرف التجار والحجاج باعتبارهم من المكونات البشرية للقوافل لمواجهة هذه المخاطر؟

**بيانات المقال:**
تاريخ استلام البحث: ١٢ يناير ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ٤ مارس ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**
الطرق التجارية، القوافل الدينية، المجتمع المغاربي، البقاع المقدسة، الحج والحجاج

**الاستشهاد المرجعي بالمقال:**
حفيان رشيد. "أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ١٨ – ٢٢.

## مُقَدِّمَةْ

تعتبر سلامة القوافل، وحالة الأمن في الطريق من أهم الشروط المطلوبة لضمان نجاح تجارتها وأرباحها، فقد كان عامل الأمن أكبر هاجس لها لما ينتج عنه من انعكاسات، وقد أكد ذلك ابن خلدون بقوله: "أن حدوث العدوان على الناس في أموالهم يذهب الآمال، والتحصيل والاكتساب لما يرون أن غايتها ومصيرها(مصير الأموال)، انتهى من أيديهم وبالتالي كان السعي وراءها مستحيل،[١] هذه الظاهرة التي أثرت على سيرورة التبادل التجاري القائم بين أقطار المغرب العربي فحاولنا بذلك من خلال موضوع المقال الكشف عن جانب مهم من حياة المجتمع المغاربي كون أغلب الدراسات انصب اهتمامها حول التاريخ السياسي لهذه الأقطار وأغفلت بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية. قبل التطرق إلى ظاهرة الأمن كعائق بشري أمام القوافل خلال العهد العثماني وجبت الإشارة والوقوف عند أهم الطرق التجارية البرية الرئيسة التي تربط بلدان المغرب العربي والموضحة في الخريطة المرفقة، وأهم القوافل التي كانت تجوب هذه الشبكة.

## (١) الطرق التجارية

من خلال تتبع شبكة الطرق التجارية في بلاد المغرب العربي خلال العهد العثماني نرى أنها تحتوي على ثلاث طرق برية رئيسة عرضية الاتجاه أي تمتد من الغرب نحو الشرق، فالأول شمالي (تلي) يربط بين أهم المدن الداخلية وبعض المدن الساحلية للأقطار المغاربية، أما الطريق الثاني فجنوبي عرضاني يربط بين المدن الصحراوية لبلاد المغرب،[٢] والطريق ثالث يتوسط الأول، والثاني يسمى بالطريق العرضاني الأوسط،[٣] إضافة إلى مجموعة من الطرق الثانوية التي تصل بين هذه الطرق وتقطعها في شكل عمودي من أسواق الشمال نحو الجنوب، علمًا أن الطرق الرئيسة المذكورة

ارتبط اتجاهها بمجموعة من الشروط الذي وجب توفرها في المحطات التي ترتادها القوافل، هذه الشروط التي كانت إما مواضع للمياه الصالحة للشرب، أو مناطق للرعي، أو استتب الأمن فيها أو لسهولتها،(٤) وهي نفسها العوامل التي تتدخل في تحديد اتجاه الطرق، لذا فإننا نجد أن هذه الطرق لم تكن دائمًا مستقيمة بل كثيرًا ما كانت تتعرج باتجاهات مختلفة شمالاً وجنوبًا، شرقًا وغربًا، أو عمودية وأفقية،(٥) وأول هذه الشروط هو توفر الماء، إذ كانت مواضع المياه تلعب دور في تحديد مسار القوافل،(٦) فعنصر الماء يبقى دومًا وسط مجموعة من العناصر المختلفة والعوامل والمؤثرات عنصرًا أساسيًا لأهميته، حتى أنه عُد في نظر البعض مقابل للحياة، فنجده في الطريق الجنوبي أو طريق الحج كان مهمًا في اختياره من قبل الحجيج أو التجار.(٧)

إلى جانب المياه نجد عنصر أخر لا يقل أهمية عنه هو "الكلأ"، إذ يُعَدّ من بين العوامل المهمة والشروط المطلوبة التي يجب توفرها في الطريق خاصةً إذا علمنا أن وسائل النقل في القوافل كانت تعتمد أساسًا على الحيوان، ولهذا وجب توفر الكلأ لأهميته، إذ كان علفًا وغذاء للحيوانات،(٨) أضف إلى ذلك "الأسواق" التي تعتبر من أهم النقاط المقصودة باعتبارها مجال فسيح للتبادل التجاري يتيح عملية البيع والشراء، فنجد أن أغلب المراكز التجارية والمدن التي تتوفر على الأسواق، والفنادق، وأماكن الراحة للقوافل كانت من بين النقاط الموجهة والمرشدة والمساهمة في رسم شبكة الطرق بين البلدان المغاربية. وفيما يخص محطات هذه الطرق فهي مبينة على الخريطة (ملحق رقم ١)، علمًا بأن شبكة الطرق خلال الفترة المدروسة لم يحدث لها تغيير كبير على ما كانت علية في الفترة الإسلامية، كما أنها لم ترق ولم تتطور مقارنة بنظيرتها في أوربا،(٩) وإلى جانب دورها الاقتصادي فقد لعبت أدوارًا أخرى منها السياسي، والثقافي، والديني، فقد كانت طريق للتاجر والسلطة السياسية، والعالم، والحاج، ومن هنا يتبين أن هذه الشبكة جابتها قوافل متنوعة وجبت الإشارة إليها.

## (٢) أنواع القوافل

إن الحديث عن القوافل المتبادلة بين البلدان المغاربية يستوجب الوقوف عند أنواعها، فهي ليست تجارية بحتة، وإنما فيها جانب ثان هو الجانب الديني، أو ما يطلق عليها بقوافل الحجيج (ركب الحج) الذي يقطع البلدان المغاربية انطلاقًا من المغرب الأقصى مرورًا بالجزائر، ثم تونس وليبيا متجهًا نحو المشرق (البقاع المقدسة) لتأدية مناسك الحج كل عام.

**١/٢- القوافل ذات الطابع التجاري:**

هدفها الرئيس هو المتاجرة بيعًا وشراء بين أرجاء ومراكز المغرب العربي، إذ تختلف مراكز انطلاقها واتجاهاتها بين الجزائر وتونس، بين ليبيا والجزائر وتونس، بين الجزائر والمغرب، وأخرى تجول البلدان المغاربية بكاملها حاملة مختلف السلع ومستوردة احتياجاتها ومتطلبات السوق لديها، لذا فإن هذه القوافل يصعب علينا حصرها في قافلة أو قافلتين من حيث تنظيمها، ومواعيد انطلاقها، "ومدى ضخامتها ومقدار حمولتها، إلى غير ذلك من التفاصيل التي لا تزال غير معروفة بشكل محدد ودقيق"(١٠) إلا أن ذلك لا ينفي خضوعها لتنظيمات مسبقة قبل انطلاقها كاختيار الوقت للخروج من طرف تجار القوافل قبل خروجهم للتجارة، كاختيار الزمن والشهر المناسب.(١١)

**٢/٢- القوافل الدينية (ركب الحج):**

لقد كان الحج فرصة سنوية للتجار لتحقيق الربح على طول الطريق المؤدي إلى البقاع المقدسة (مكة)، لما يقع من بيع وشراء لما حملوه من بضائع يتم جمعها من مختلف المواضع، والمحطات التي مروا بها، وقد جرت العادة أن تقوم بهذه الرحلة الدينية والدنيوية ثلاث قوافل قاعدة انطلاقها من المغرب تحت قيادة أشراف مغاربة،(١٢) يتم اختيارهم بشروط.

وقد يصل عدد الركب من (١٥٠٠) إلى (٢٠٠٠) حاج، وفي كل محطة يؤسس الركب تجارة للتبادل فيقوم أصحاب القوافل بشراء والبيع،(١٣) إذ يوفر الحجاج في الطريق النقود وبعض السلع المجلوبة من بلدانهم، إذ عادةً ما يمارس الحجاج حرفة التجارة في الذهاب والإياب لكسب قوتهم، خاصةً إذا علمنا أن طريق "الحج طريق شاق، ويحتاج إلى التزود بالمال والمئونة والاستعداد للدفع من أجل القوت والحمل، والركوب والكسوة ومصارف أخرى معروفة أو طارئة"،(١٤) فكانت هذه العملية سنوية، لتحقيق أهداف دينية ودنيوية منها الحج، وطلب العلم، وربح المال، قيل في ذلك "حج وحاجة"،(١٥) حتى أن التجار كانوا ينتظرون ويستغلون فرصة موسم الحج للقيام بالمتاجرة مع الركب لعدة أسباب منها: أن ركب الحج يمثل حاجزًا للتجار إذ يوفر لهم الحماية من الاعتداءات،(١٦) وكذلك التمتع بالإعفاءات الجمركية حتى قيل في المثل "حج مبرور وذنب مغفور، وتجارة لن تبور."(١٧) ولقد اعتمدت هذه القوافل بنوعيها على مجموعة من الحيوانات كوسيلة أساسية للنقل أهمها الجمال التي ساهمت مساهمة عظيمة في التجارة خاصة الصحراوية نظرًا للمؤهلات الطبيعية التي ميزها الله إياها "من جفون وأرجل طويلة ذات أخف مشقوقة، وأنف واسع، وقدرة على تحمل العطش...."،(١٨) ومن هنا نتساءل هل كانت هذه القوافل باختلاف أنواعها في مأمن في طريقها.

## (٣) أمن الطرق

لقد كانت القوافل المغاربية في تجارتها تعاني من ظاهرة اللصوصية وقطاع الطرق، هذه الظاهرة التي تحدث عنها الكثير من الرحالة الذين لم يسلم ركبهم منها، حتى أنه تم الحديث عنها بإسهاب سواءً على المستوى العام أو الرسمي بين البلدان المغاربية، علمًا أن هذه الظاهرة تواصلت حتى دخول بعض هذه البلدان تحت الهيمنة الاستعمارية الفرنسية في القرن التاسع عشر الميلادي،(١٩) وقد حاولنا حصر بعض المقتطفات من نصوص الرحلات لما تحتويه من مادة غزيرة حول وصفها لهذا الظاهرة، أو

بعض الرسائل الرسمية المتبادلة، متسائلين كيف كان رد فعل تجار القوافل حول هذه الاعتداءات وما هي الإجراءات المتخذة من أجل حماية قوافلهم وأموالهم من ذلك ؟.

إذا ما تتبعنا ظاهرة اللصوصية في الطرق بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني فهي لم تكن بالجديدة عليها، فبين الجزائر والمغرب كانت تعود إلى القرن السادس عشر الميلادي، حسب ما أكده لنا الحسن الوزان في وصفه للطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان قائلاً: "قلما ينجو التجار من شرهم لاسيما في فصل الشتاء"،[٢٠] وحتى ركب الحجاج لم يسلم من ذلك رغم القدسية والهيبة التي يحملها، فقد ورد في رحلة أبي مدين الدرعي الحجازية لأحمد السوسي وصفه لمحطة فجيج كمحطة من محطات الطريق من المغرب باتجاه الجزائر، بأن الحجاج كثيرًا ما يتعرضون للصوصية فيها قائلاً: "وهذه أول بلاد اللصوص، لما صلينا العشاء، تداعت علينا اللصوص تداعي الذئاب وتختطف اختطاف الثعالب، فلم نزل معهم بالبارود والصياح إلى الصباح، وما رأينا قبلهم أقل حياء وأجسر منهم..."،[٢١] حتى أن هذه الظاهرة كانت تثير الرعب في أوساط الحجاج قول العياشي في ذلك "حصلت للركب روعة لخبر أخبروه أن بإزائهم قوم من العرب يريدون الإغارة فشمر الناس للقتال، وأخرجوا عدتهم للحرب، وهيئوا آلة حربهم فلم يلقوا كيدًا، وتبين بعد ذلك أن الخبر لا أصل له"،[٢٢] وفي الرحلة الناصرية وصف صاحبها الدرعي محطة أم الحران في طريقه من المغرب إلى الجزائر بقوله: "والمحل معلوم بالسرقة والاختلاس".[٢٣]

وبين الجزائر وتونس لم تسلم القوافل أيضًا من ذلك، بل تفاقمت أكثر كونها مناطق عبور خاصة لقوافل الحجيج وقد مورست هذه الظاهرة بأكثر خاصة في المناطق الصحراوية إذ كانت تجارتها تعترضها هجمات اللصوص، وقطاع الطرق سواءً كانوا من البدو الرحل، أو الطوارق الملثمين،[٢٤] أو مجموعة من القبائل التي تتزعم الصحاري كقبيلة ورغمة التي كانت تقوم بأعمال قطع الطريق على الأراضي التونسية.[٢٥] علمًا أن ركب الحجاج لم يسلم من ذلك في هذه خاصةً في منطقة الجريد، كتعرض ركب الحج الفاسي إلى غارات القبائل البدوية التونسية مثل قبائل الهمامة التي قوبلت بالحرب من طرف حمودة باشا[*] الذي كان يمثل السلطة السياسية آنذاك في إيالة تونس.[٢٦] وقد اشتهرت بعض المحطات في البلاد التونسية بهذه الظاهرة خاصةً توزر التي ورد ذكرها في العديد من نصوص الرحلة، فقد وصفها الدرعي بقوله "وتوزر فإنها أكثر بلاد الله سرقة"،[٢٧] أما الورثيلاني فعبر عن ذلك إلى حد التنبيه بقوله: "وتوزر وقابس محطة الخطفة، بل توزر أعظم فكل من غفل عن حاجة في يده إلا خطفوها فإياك والغفلة فيها....".[٢٨]

مع العلم أن هذه الظاهرة استمرت حتى القرن التاسع عشر الميلادي، كما سبق القول، وهذا من خلال ما أشارت إليه الوثائق الأرشيفية التي كانت عبارة عن مراسلات متعلقة باغارات على القوافل والعروش الجزائرية متبادلة بين السلطة السياسية في تونس والجزائر وقد أوردت أسماء لقطاع الطرق هما محمد بوعلاق والناصر بن شهرة،[**] ففي أحدى الرسائل ورد ما يلي: "وبعد فسيكون في شريف علمكم، أن قافلة خرجت من توزر أصل أهل القفلة سوافة متوطنين بتوزر وحاملين على إبلهم رزق أهل رعيتنا الشرق والقفلة المذكورة فيها أحد عشر بعيرًا فقط فلما وصلوا إلى قرب سوف[***] إلى بير يقال لها بوقصيصعة خرج عليهم سبعة وستين فارسًا من أولاد يعقوب أخذوا القفلة المذكورة وقتلوا منها اثنين... وساقوا الإبل المذكورة.."[٢٩] وفي مراسلة أخرى ورد أن الناصر بن الشهرة نهب أكثر من ثلاثين جملاً ولاذ بالفرار. حتى أن حاكم عموم الجزائر آنذاك طلب النظر في قضية هذا الرجل في إحدى الرسائل الموجهة قائلاً: "والحاصل أن ابن الشهرة في هذه الأيام كثرة حركاته فالمرغوب منكم أن تعلمنا بجميع ما يبلغكم على سيرة ناصر بن الشهرة الآن وطلب الدولة التونسية في إمعان النظر في نازلة هذا الرجل الذي حير بسيرته وسلوكه أهالي دواوير قسنطينة...".[٣٠]

وحتى إيالة طرابلس الغرب لم تسلم من اللصوصية، وقطاع الطرق، فقد عرفت منذ بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي فوضى عارمة في كل أطرافها مما استفحل ظاهرة قطاع الطرق المهددة للقوافل التجارية،[٣١] مما أدى إلى تفضيل العديد من التجار إلى ارتياد طريق البحر انطلاقًا من طرابلس ذهابًا إلى تونس، وهذا لعدم توفر شرط الأمن على طريق البر بين غدامس وتونس، ودليل ذلك وصول بعض السلع من تونس إلى غدامس عبر البحر،[٣٢] حتى أن المقولة المتداولة في ليبيا حول هذه الظاهرة هي "بات ومات"،[٣٣] وقد اشتهرت المحطات التي ينزل الحجيج بها بذلك مثل: طرابلس التي اشتهرت بعملية النهب والسرقة،[٣٤] فقد أورد الورثيلاني أن الركب كان يحرس ليلاً من السراق إلى غاية مغادرتهم،[٣٥] ليتضح بذلك أن ظاهرة انعدام الأمن في الطرق كانت من بين الهواجس التي عانت منها قوافل الحجيج والتجار الذين لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمامها.

## ٤) الإجراءات المتخذة لحماية القوافل

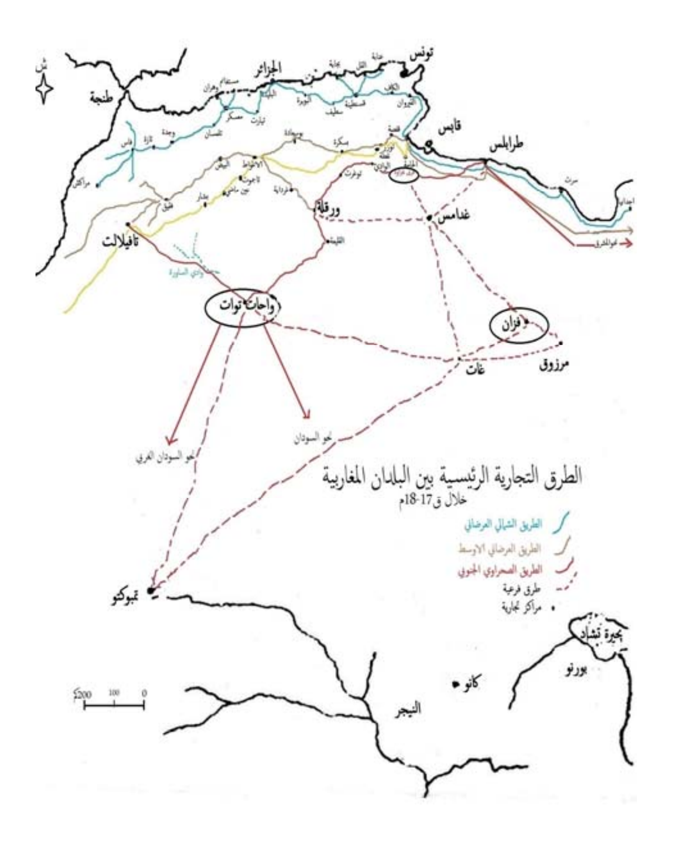
لقد كان أمن القوافل في الطرق من بين الأمور المحسوب لها من طرف التجار لذا فقد كانوا دومًا يتخذون مجموعة من الاحتياطات والتدابير اللازمة التي يواجهون بها أي خطر أو طارئ قد يحدق بهم وبأملاكهم ومن ذلك إسناد مهمة حراسة القوافل وتأمينها إلى القبائل ذات النفوذ، وأهم هذه القبائل وارغما على الحدود التونسية الصحراوية،[٣٦] وقبيلة الشعامبة في الجنوب الجزائري،[٣٧] وأولاد محمد في فزان بليبيا،[٣٨] لأنه في القبيلة توجد نوع من الحماية الطبيعية أو المرافقة التي تسمح بعملية التبادل التجاري التي تزيد بتوفر عنصر الأمان، كما يقوم تجار القوافل بتزويد قوافلهم بالسلاح، من أجل الدفاع عن أموالهم، والتصدي لهجمات اللصوص،[٣٩] فقد ذكر العياشي في الركب المرافق له أنه "...شمر الناس للقتال، وأخرجوا عدتهم، وهيئوا آلة حربهم...".[٤٠]

إضافة إلى تزويد القافلة بالحراس وعادة ما تكون أصول هؤلاء مختلفة الانتماءات القبلية لتكثر عصبيتهم تكون مهمتها حماية القافلة،(٤١) وتنظيم استعلامات مهمتها إعلام القافلة بأي خطر مسبق للاحتياط، أو الاستعداد للمواجهة، خاصةً على الطرق الصحراوية، وقد أطلق عليها اسم "شرطة الصحراء".(٤٢) وإن اشتد الخطر، فإن القافلة تقوم في بعض الأحيان بتغيير الطريق إلى مسلك ثان إن وجد، أو التوقف ريثما زال الخطر كحل لتفادي قطاع الطرق.

## خاتمة

إن هذه الظاهرة قد صورت لنا جزء من حياة المجتمع المغاربي، إذ كانت لها أثار جانبية عليهم أضرت بتجارتهم رغم اتخاذ التجار الإجراءات اللازمة لحماية قوافلهم التي تكن في مأمن تام من اللصوصية وقطاع الطرق، كما أن تكاليف الحماية من دفع مبالغ للحراس أو لقبائل الطريق، أو تأخرهم لخطر محدق بهم كان على حسابهم، فكلما زادت هذه الأخطار تراجعت فوائد الربح خاصةً إذا علمنا أن معظم هذه القوافل كانت موجهة من طرف العامة، ولم تكن موجهة من طرف السلطة السياسية ولو كانت كذلك لكانت أكثر حماية وأمنا.

## الملاحق:




**خريطة رقم (١)**

الطرق التجارية الرئيسة بين البلدان المغاربية

خلال القرن ١٧ – ١٨م

## الهوامش:

(١) ابن خلدون (عبد الرحمن)، **تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَنْ عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)**، طبعة مصححة اعتنى بها أبو صيب الكرمي، الرياض، بيت الأفكار الدولية، ص١٤٤.

(٢) سعيدوني (ناصر الدين)، **شبكة المواصلات في الجزائر أثناء العهد العثماني**، ضمن كتاب: البحرية والطرق التجارية العثمانية، إعداد وتقديم عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر العالمي الثامن للدراسات العثمانية الذي نُظم من ١٥ إلى ١٨ أكتوبر١٩٩٨، عن الولايات العربية خلال العهد العثماني رقم(١٢)، زغوان (تونس)، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلوماتية، ٢٠٠٠، ص٧٠.

(٣) الزبيري (محمد العربي)، **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، ط٢، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤، ص١٢٣.

(٤) مروان (محمد عمر)، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية في غدامس خلال العهد العثماني الثاني (١٨٣٥-١٩١٢)**، بنغازي، دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٩، ص٣٧٠؛ محمد شرف الدين (أنعام)، **مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي (١٧١١-١٨٣٥)**، ط١، طرابلس، ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٩٨، ص ٦٤.

(٥) محمد شرف الدين، المرجع السابق، ص٦٠.

**(6)** Faroua (Mahmoud), *le commerce caravanier de la Tunisie après la première guerre mondiale*, revue d'histoire maghrébine, no 55/56, Tunis, 1989, p26.-27.

(٧) القرشي (سليمان)، **الماء في الرحلات الحجية المغربية بين الحقيقة والرمز**، ضمن كتاب: السودان وأفريقيا في مدونات رحالة الشرق والغرب اكتشاف الذات والأخر، أبحاث ندوة العرب والمسلمين/ دورة ابن حوقل، الخرطوم، السودان، دار السويدي للنشر والتوزيع، فبراير٢٠٠٦، ص١٦٨-١٦٩.

(٨) مروان، المرجع السابق، ص٣٧٠.

(٩) سعيدوني، المرجع السابق، ص٦٥.

(١٠)بن خروف (عمار)، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن (١٠هـ/١٦م)**، الجزائر، دار الأمل،ج٢، ٢٠٠٨، ص٦٣.

**(11)** Surtil (E), *marche des caravanes de l'Afrique centrale*, Revue de l'Orient de l'Algérie et des Colonies.T.6, Paris, 1850, p06 - 07.

(١٢)الزبيري (محمد العربي)، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين (١٧٩٢-١٨٣٠)**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤، ص١٨٣.

**(13)** Prax, *commerce de l'Algérie avec la Mecque et le Soudan*, Revue de l'Orient de l'Algérie et des Colonies,T. 5, Paris,1849, p.338.

(١٤)سعد الله (أبو القاسم)، **مع العياشي في رحلته إلى القدس**، مجلة التاريخ العربي، الإمارات العربية، جمعية المؤرخين المغاربة، ع١٠/١٩٩٩، ص١٩٤.

(١٥) فيلالي (مختار بن الطاهر)، **رحلة الورثيلاني، عرض ودراسة**، باتنة (الجزائر)، دار الشهاب، ١٩٩٨، ص٨١.

**(16)** Aucapitaine (baron Henri), *étude sur la caravane de la Mecque et le commerce de l'intérieur de l'Afrique*, Paris, extrait de publications de l'académie nationale, 1861, p.02.

(١٧) مروان، المرجع السابق، ص ٣٨٢.

(١٨)فيصل (محمد موسى)، **موجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر**، بنغازي، منشورات الجامعة المفتوحة، ١٩٩٧، ص٥٠.

(١٩)تونس، الأرشيف الوطني، قسم السلسلة التاريخية، الحافظة ٢١٢، الملف ٢٣٧، تاريخ ١٨٥٦-١٨٦٨م، الوثائق١٥-٢-٦-١٧-٢٩.

(٢٠)الوزان الزياتي (الحسن بن محمد المدعو ليون الإفريقي)، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج٢، ١٩٨٣، ص١١.

(٢١)القاضي (محمد)، **رحلة أبي مدين الدرعي الحجارية لأحمد الصغير السوسي**، مجلة التاريخ العربي، الامارات العربية،ع٥١/٢٠١٠، ص٥١.

(٢٢)العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، **الرحلة العياشية**، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، الإمارات العربية، دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.مج١، ص ١١٢.

(٢٣)حساني (مختار)، **الأحوال الثقافية والسياسية للجنوب الجزائري من خلال رحلة الدرعي**، ضمن أعمال طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر،٢٠٠١، ص٢٨.

(٢٤)بوعزيز (يحي)، **طرق القوافل والأسواق التجارية كما وجدها الأوربيون في الصحراء الكبرى، خلال القرن التاسع عشر**، مجلة الثقافة، الجزائر، ع٥٩/١٩٨٠، ص١٣٢.

(٢٥)الأغواطي، **رحلة الاغواطي الحاج ابن الدين في شمال أفريقيا والسودان والدرعية**، ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، الجزائر، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص١٠٢.

(*) كان مولده في ١٨ ربيع الثاني ١١٧٣/ الموافق لـ٨ ديسمبر١٧٥٩، تولى حكم تونس في سنة ١٧٧٧ وافته المنية في ١٩ أكتوبر١٨٣٤م. يُنظر: ابن أبي الضياف (أحمد)، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، تونس، الدار العربية للكتاب، المجلد الثاني،ج٣، ١٩٩٩، ص١١-٥٣.

(٢٦)ابن عبد العزيز (حمودة بن محمد)، **الكتاب الباشي**، (د.ط)، تحقيق الشيخ محمد ماضور، تونس، الدار التونسية للنشر، ج١-١٩٧٠، ص١٣.

(٢٧)الدرعي (أحمد بن محمد بن ناصر)، **الرحلة الناصرية**، المطبعة الحجرية، ج١، ص٥٤-٥٥.

(٢٨)الورثيلاني (الحسن بن محمد، ت.١١٩٣-١١٩٤ هـ/١٧٧٩-١٧٨٠م)، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثيلانية)**، الجزائر، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، ١٩٠٨، مج١، ص١٢٨.

(**) ورد ذكره أنه جزائري الأصل في الرسالة التي بعثها ليون روش قنصل جنرال دولة فرانسة المكلف بأمورها بالحاضرة التونسية مؤرخة في ١٦ أكتوبر١٨٦١ إلى حاكم عموم الجزائر الذي لم يرد اسمه (تونس، الأرشيف الوطني، قسم السلسلة التاريخية، الحافظة ٢١٢، الملف ٢٣٧، الوثيقة ٦).

(***) سوف مدينة بالقرب من نفطة في تونس بالبلاد الجريدية يُنظر: الحميري (محمد بن عبد المنعم)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٥، ص٣٣٣. وهي منطقة صحراوية في الجنوب الجزائري تسمى مدينة واد سوف حاليًا.

(٢٩)تونس، **الأرشيف الوطني**، قسم السلسلة التاريخية، الحافظة ٢١٢، الملف ٢٣٧، الوثيقة ١٧، دون تاريخ.

(٣٠)تونس، **الأرشيف الوطني**، قسم السلسلة التاريخية، الحافظة ٢١٢، الملف ٢٣٧، الوثيقة ١٥، تاريخ ١٨٦١.

(٣١)فيرو(شارل)، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، ترجمة وتحقيق: محمد عبد الكريم الوافي، ط٣، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٤، ص ٣٢٠-٣٢١.

(٣٢)مروان، المرجع السابق، ص٣٩٦-٣٧٠.

**(33)** Prax, *régence de tripoli*, Revue de l’Orient de l’Algérie et des Colonies, T.7, Paris, 1850, p11.

(٣٤)فيلالي، المصدر السابق، ص١٤٥.

(٣٥)**الرحلة الوثيلانية**، المصدر السابق، مج١، ص١٧٠.

**(36)** sur la géographie et le commerce de l’Algérie méridionale, Paris, 1840, p89. Carette, recherches

**(37)** Carette, *du commerce de l’Algérie avec l’Afrique centrale et les états barbaresques*, Paris, 1844, p25.

**(38)** Ibid, p17.

(٣٩)الحضيري (محمد المدني)، **الطريق من طرابلس إلى فزان**، مجلة البحوث التاريخية، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي،ع١/جانفي١٩٧٩، ص٩٩.

(٤٠) بوعزيز، طرق القوافل والأسواق...، المرجع السابق، ص١٣٣.

(٤١) الرحلة العياشية، المصدر السابق، مج١، ص ١١٢.

(٤٢)الزبيري، **التجارة الخارجية**، المرجع السابق، ص١١٢-١١٣؛ بوعزيز، المرجع السابق، ص١٣٣.

# علي الحمامي بين القومية المغاربية والجامعة الإسلامية
## من خلال "إدريس: رواية شمال إفريقيا"



**منير صغيري**

أستاذ تاريخ المغرب العربي الحديث

المعهد الإسلامي

ولاية باتنة – الجمهورية الجزائرية



### مُلَخَّصْ

تتناول هذه الدراسة أحد أعلام الجزائر الذين أسدل عليهم ستار النسيان والتهميش، فمن غير اللائق أن نرى الساحة التأليفية في ميدان الدراسات التاريخية الأكاديمية المغاربية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة خالية من التعرض لشخصية ذات ثقل نضالي وفكري، على الساحة الوطنية والمغاربية إنه علي الحمامي الجزائري (١٩٠٢ – ١٩٤٩). بحيث حاولنا قدر الإمكان وبالاعتماد على المصادر والمراجع المتاحة تتبع سيرة النضالية لعلي الحمامي منذ نشأته وإلى غاية وفاته، وحاولنا تسليط الضوء على نظرة الحمامي للقومية المغاربية والجامعة الإسلامية في مفهومها التاريخي الحضاري ومفهومها الحديث المعاصر من خلال روايته التي كتبها بالفرنسية عندما كان مقيمًا في بغداد والموسومة بـ "إدريس، رواية شمال إفريقيا".



**بيانات الدراسة:**

تاريخ استلام البحث: ٤ مايو ٢٠١٤

تاريخ قبـول النشـر: ٢٠ يوليو ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

التاريخ المغاربي، القصص التاريخية، القومية المغاربية، الجامعة الإسلامية، الاستعمار الأوربي

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

منير صغيري. "علي الحمامي بين القومية المغاربية والجامعة الإسلامية من خلال إدريس: رواية شمال إفريقيا".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ٢٣ – ٣٣.


### مُقَدِّمَةُ

يُعَدّ تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر مجالاً خصبًا لمختلف الدراسات التاريخية لاسيما ما تعلق منها بالشخصيات المغمورة والتي لها سيرة محمودة في النضال المغاربي من خلال نشاطاتها الحثيثة ضد الهيمنة الاستعمارية في منطقة المغرب العربي الذي ما فتئ أن وقع بين مخالب الاستعمار الأوربي، فقد حدث وانقلبت موازين القوى لصالح الدول الأوربية نتيجة ظروف معينة، والتي بقيت ردحًا طويلاً من الزمن لصالح العالم الإسلامي بما فيه الجزء الغربي منه،[1] لذلك وقع على كاهل الباحثين في مجال التاريخ المغاربي والذين يتمتعون بروح المسؤولية تسليط الضوء على مجهود وجهود الشخصيات النضالية ونشاطاتها ومواقفها من قضايا عصرها، وإن حديثنا عن الشخصيات المغمورة المنسية ذات الثقل النضالي والتي لم تحضا بالدراسة والتحليل، يسوقنا للحديث عن شخصية مغاربية فذة كان لها باع طويل في الدفاع عن شعب اغتصبت أرضه وسلبت حريته، إنه علي الحمامي (بعد سلسلة من الاطلاع والبحث لم أجد دراسة أكاديمية حول هذا الرجل) مناضل من الشتات الجزائري في المهجر.

فقد تنقل علي الحمامي بين العديد من الدول العربية والأوربية، وبذل جهودًا معتبرة في مناهضة الاستعمار الأوربي لبلدان المغرب العربي، وكان له على غرار رواد النهضة والإصلاح في المشرق وجهة نظر متميزة حول قضايا المغرب العربي المحتل، من حيث الجذور والهوية وأساليب النضال في إطار العمل الوحدوي والنضال المشترك، وبطبيعة الحال فقد كان لعلي الحمامي موقف من أساليب الإصلاح لرواده المشارقة، خصوصًا مع ظهور فكرة الجامعة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر كتيار فكري إصلاحي يهدف إلى لم شمل الأمة بالاعتماد على عنصر الإسلام، وسنحاول في مقالنا هذا تسليط الضوء على السيرة النضالية لعلي الحمامي ونظرته للمغرب العربي الإسلامي والجامعة الإسلامية أو الوحدة الإسلامية منذ نشأتها زمن النبي (ﷺ) من خلال روايته "إدريس"

والتي صاغها في قالب أدبي روائي ولكن هي تعبر عن هوية أمة مغاربية.

### أولاً: علي الحمامي: (السيرة الذاتية)

ولد علي الحمامي سنة ١٩٠٢ في مدينة تيارت في منطقة جبلية تسمى عين الحمام[٢] في منطقة الغرب الجزائري، وقد كتب عنه محمد علال الفاسي "عرفت من أحاديثه أنه ولد في الجزائر من أب ريفي من جبل الحمام وأم سوسية، ثم هاجر مع والده إلى المشرق وهو صغير حيث أقام في الإسكندرية وتعلم في مدارس الافرنسيس."[٣] لقد نشأ على الحمامي وترعرع في أرض الجزائر أصله ومسقط رأسه، وعندما بلغ العشرين من عمره[٤] ارتحل مع عائلته إلى المشرق لأداء مناسك الحج، وعلى أثر ذلك استقر رفقة عائلته في الإسكندرية في مصر ولم يعد إلى الجزائر.[٥] وعند اندلاع ثورة الريف بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي انضم إليه وشاركه مغارم الجهاد، وبعد هزيمة الخطابي انتقل إلى باريس سنة ١٩٢٦،[٦] بحيث التقى مع رواد الإصلاح والنهضة في المشرق والمغرب أمثال شكيب أرسلان الذي كان على علاقة وطيدة به، بحيث ورد اسم علي الحمامي في مراسلات شكيب أرسلان للمغاربة،[٧] وكان يتدخل لصالحه في المشرق وأوربا، لأنه كما قال عنه، رجل بائس فقير رغم إمكاناته الفكرية وتقلباته السياسية، حيث تعاون معه في جنيف وهو الذي أوجد له عملاً في البلاد العربية.[٨]

وخلال مكوثه في فرنسا تعرف كذلك على الأمير خالد الجزائري،[٩] الذي أرسله رفقة مجموعة "الشبان الجزائريين" في مهمة إلى الاتحاد السوفيتي الفتي،[١٠] وهناك التقى زعماء حركات التحرر في العالم مثل "نغوين أي كوك"، و"هوشي منه"،[١١] وبقي هناك خلال الفترة الواقعة بين (١٩٢٨) و(١٩٣٠). ثم انتقل إلى سويسرا وألمانيا بين (١٩٣٠) و(١٩٣٢) والمملكة العربية السعودية سنة ١٩٣٣. ثم ارتحل إلى بغداد ومكث هناك من (١٩٣٣) إلى غاية (١٩٤٧) حيث عينه الأمير فيصل مدرسًا للتاريخ والجغرافيا.[١٢]

وغداة الحرب العالمية الثانية عرفت الحركات الوطنية في المغرب العربي انطلاقة جديدة، حيث تأسس مكتب تحرير المغرب العربي في القاهرة، برئاسة محمد بن عبد الكريم الخطابي، ونتيجة لذلك قرر علي الحمامي الالتحاق بالقاهرة لمواصلة المسيرة النضالية رفقة الخطابي وكوكبة من أقطاب النضال المغاربي، غير أن عمله النضالي الذي يجسد العمل السياسي المغاربي المشترك لم يدم طويلاً، فلم يلبث أن وافته المنية رفقة التونسي الحبيب ثامر والمغربي أحمد بن عبود وآخرين، في ١٢ ديسمبر ١٩٤٩ على إثر تحطم الطائرة[١٣] التي كانت تقلهم بسماء باكستان، لتمثيل المغرب العربي في أول مؤتمر إسلامي اقتصادي[١٤] أنعقد في بلد آسيوي مسلم مستقل حديثًا.[١٥]

نقل جثمان علي الحمامي إلى الجزائر،[١٦] ودفن في مقبرة سيدي محمد في الجزائر العاصمة، وقد شيّعت جنازته جماهير غفيرة يتقدمها الإمام محمد البشير الإبراهيمي، والشيوخ العربي التبسي، والعباس بن الحسين، وأحمد بوشمال، والزعيم فرحات عباس، وقد أبّنه الإمام الإبراهيمي، فكان مما قال: "إن هذا التابوت الموضوع بين أيديكم لا يحمل جثمان شخص؛ وإنما قطعة من الوطن الجزائري فُصلت عنه ثم ردّت إليه قطعة من الوطن الجزائري فصلها عنه ظلم البشر ثم ردّها إليه عدل الله".[١٧] وفي السياق نفسه تحدث الأمين العام لحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري فرحات عباس: "لننتزع حريتنا من الاستعمار البغيض أو نموت مثلك في ساحة النضال من أجلها".[١٨] وعلى قبره كتب أحمد سحنون "هنا زرعت حرية، هنا توقف قلب عن الخفقان، بعد أن أفناه حب الجزائر".[١٩] وقد كتب الشاعر أبو زيد قصيدة يرثي فيها الثلاثي المغاربي، نذكر بعض أبياتها:

أيها الراحلون كنتم مثالاً    لاتحاد الأوطان في كل حال
ثم سالت تلك الدماء مزيجًا    مغربيًا أعزز به من المنال[٢٠]

### ثانيًا: رواية علي الحمامي "إدريس، رواية شمال إفريقيا": (لمحة تعريفية)

خلال فترة إقامة علي الحمامي ببغداد وفي الفترة الممتدة من ١٩١٤ إلى ١٩٤٢ ألف بالفرنسية[٢١] رواية "إدريس، رواية شمال إفريقيا" (قرابة ٤٠٠ صفحة) وهي رواية صاغها في قالب فلسفي تاريخي تحكي جذور وأصول الشعب المغاربي منذ أقدم العصور، وتجسد بروز الروح الوطنية المغاربية الحديثة، في خضم انهيار الخلافة الإسلامية وسط ظروف الاستعمار القاهرة. وقد صدر الرواية الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي عندما طبعت في القاهرة سنة ١٩٤٨. ومما جاء في تصديره: "... كتاب الأخ المجاهد علي الحمامي المغربي (نسبة إلى بلاد المغرب) يكشف – ولو أنه محرر في شكل رواية – عن الكثير من أباطيل سياسة فرنسا الطائشة في المغرب. وعسى أن يترجم هذا الكتاب المحرر باللغة الفرنسية إلى اللغة العربية حتى يدرك أبناء عمومتنا في الشرق العربي ما هو جار هناك. كما أن هذا الكتاب لا يخفي بعض الأخطاء التي كانت سائدة في المغرب قبل الاحتلال والتي كانت من البواعث الأكيدة على سقوطه في قبضة الاستعمار. فالبلاد المغربية التي لعبت دورها الكبير في تكوين الحضارة العربية والتي تفتخر دائما بأنها قدمت للمدنية الإنسانية رجالاً كابن خلدون، وابن بطوطة، وابن تومرت، وابن رشد، سوف لا تدخر وسعًا في إعادة مكانتها المفقودة بعد استرجاع حريتها واستقلالها المسلوبين كما هو شأن كافة الأمم قبلت فرنسا ذلك أم أبت والأمر مرفوع إلى الله جل شأنه فعسى أن يوقف العاملين لخلاص بلادهم ويسدد خطاهم آمين" القاهرة ٢٣ جمادي الأول ١٣٦٧ الموافق ٠٣ أبريل ١٩٤٨.[٢٢]

وفي السياق نفسه لاحظ محمود تيمور القيمة الفنية الأدبية والتاريخية العلمية لرواية إدريس فكتب عنها في مجلة الرسالة ما يلي:

**نموذج جديد من قصص قومي: إدريس**
**(قصة مغربية بالفرنسية – الأستاذ علي الحمامي)**
**للأستاذ محمود تيمور**

ثلاث عناصر، متى توافرت لعمل فني مكنت له وأبلغته ذروة الإجادة، فأسلست له أهواء النفوس. تلك العناصر التي أعنيها هي: قوة الإحساس، وصدق التعبير، وموهبة الأداء. وقد اتسقت ثلاثتها في هذه القصة التي ألفها الأستاذ "علي الحمامي" في اللغة الفرنسية وسماها "إدريس" وصور بها الحياة المغربية وما يضطرم فيها من آلام وآمال... في تلك القصة تنبسط صحف من التاريخ وتنصقل مرآة للحاضر وتتجلى أحوال سياسية واجتماعية قائمة وتترسل روح من الوطنية تثير الأفئدة وتهز المشاعر، فالكتاب –بفضل ما حواه من ذلك كله . يُعَدّ نموذجًا من القصص القومي، جديرًا بالتقدير والإعجاب.

ومما هو مسلم به عند البصراء من نقاد الأدب أن الفن لا يجود ولا يؤتي جناه إلا إن تركت له حرية التحليق والانطلاق، لا نزعة تملى عليه ولا مبدأ يتحكم فيه، ومن ثَمَّ كانت القصص التاريخية والسياسية والوطنية في المقام الثاني من القصص الفني لأن كتابها مقيدة أقلامهم بما حدد لهم من أغراض وما عين لهم من أهداف. ولكن الأديب " الحمامي " في قصته القومية ينجو من تبعة هذا النقد ويسمو على تلك الملاحظة، وذلك لأنه لم يخضع قلمه لمنحى مسوق إليه ولم يرد فنه على غرض دخيل عليه. وإنما أحس في قوة وعبر في صدق وأدى قادرًا على الأداء.

لقد عايش المؤلف أمته وشهد ما تعانيه من كوارث، وما يعوق خطاها من أغلال، وشعر بما يعتلج بين حناياها من منازع الحرية والعزة، وكان لذلك أثر في نفسه لم يلبث أن دفعه إلى التعبير فجرى قلمه يصور حياة قومه ويكشف عن آلامها وخوالج نفسها في إيحاء فني قويم. وأنت تساير "إدريس" بطل هذه القصة، وهو يروي لك أحداث حياته، وما تعاقب عليها من أحوال، فإذا بك . وأنت مسترسل معه . تطالع الحياة المغربية في عهدها العتيد، فترى كيف صنعت سياسة الاستعمار بذلك الوطن المغلوب على أمره، وتعلم كيف يسام الخسف والعسف في جحيم تلك السياسة الغشوم، وكيف تتوق نفسه إلى عيش الحرية والكرامة، فهو يكافح ويجاهد ما وسعه من الكفاح والجهاد.

فقارئ هذه القصة لا يملك سكينته إزاء ما يمر به من صور تفصح له عن نفسية شعب أبي يتنزى في الحديد والنار، وتشهد بما يكمن في سيرة ذلك الشعب من فتوة وحمية، وما يغلي في عروقه من دماء أسلافه الذين كانوا في طليعة بناة الحضارة وسادة الأمم. والقصة في جملتها مزاج طريف من التاريخ والسياسة والوطنية والاجتماع، أو طاقة مزهرة تجمع تلك الأفانين المختلفة. وبراعة الكاتب تتجلى في تأليف هذا المزاج، وتنسيق تلك الطاقة. فهيهات أن يلمح القارئ، في أطواء القصة، حديثًا لا يستدعيه الموقف، أو موقفًا ينبو عن السياق، أو إغراقًا في وصف وتصوير تتجافى به القصة عن سبيل التأثير والإقناع.

ما أكثر ما كَتبَ الغربيون عن الأمم الشرقية والإسلامية بلغات الغرب، ولكن ما كتبوه لا يصور نفسية هذه الأمم وعقليتها حق تصويرها، ولا يستوفي حقائقها كما هي عليه، وذلك لأن أولئك الكتاب إما أن تحدوهم نية سيئة ونزعة مغرضة، وإما أن يقعد بهم عجز عن التحقيق وصدق التصوير. وإذا فقد أحسن صاحب "إدريس" صنعًا، إذ كتب قصته بلغة غربية، سدا لذلك النقص، واطلاعًا لقراء الغرب على حقائق أمة إسلامية فتية تنشد سلامة وكرامة. وما أجمله توفيقًا أن تكون تلك اللغة الغربية التي كتبت بها القصة هي اللغة الفرنسية، فالقصة ليست إلا صفحة من اضطهاد المستعمر الفرنسي، فمن الخير أن يقرأها الفرنسيون بلغتهم، دانية المنال، حتى يتبين لهم كيف يؤدون في بلاد المغرب رسالة الحرية والسلام.[٢٣]

## ثالثا: القومية المغاربية

عرفت منطقة شمال غرب إفريقيا عدة تسميات[٢٤] منها "بلاد المغرب" التي أطلقها العرب المسلمون على البلاد والتسمية في حد ذاتها فلكية وجغرافية وتعني جهة غروب الشمس، بالنسبة للحجاز أرض مبعث النبي محمد (ﷺ). ومن المؤرخين العرب الذين استعملوا كلمة المغرب،[٢٥] العلامة عبد الرحمان بن خلدون وخص بها المنطقة التي حددها بتضاريسها من المغرب الأقصى إلى مصر أي من البحر الظلمات (المحيط الأطلسي) إلى البحر الأحمر.[٢٦]

هناك عدة مقومات ومعطيات تؤسس للنزعة القومية المغاربية مثلها مثل القومية التركية والقومية الفارسية منها الطبيعة على النحو الذي ذكرناه سالفًا، والبشرية[٢٧] والتاريخية ودينية، وقد كان العنصر الأخير والذي نقصد به الدين الإسلامي قد تجذر في المنطقة منذ القرن الأول هجري والسابع ميلادي من أهم عناصر الوحدة والقومية المغاربية، ذلك أنه أضاف عدة عوامل حضارية ترسخ وتؤكد وحدته وهي العقيدة الموحدة، بحيث أن كل سكان المغرب، سنة على مذهب الإمام مالك بن أنس،[٢٨] واللغة،[٢٩] وثقافة وفكر،[٣٠] وعادات ونظام حكم وعمران وقيم أخلاقية.

لقد استمرت التباعية السياسية لبلاد المغرب بالخلافة المركزية في المشرق طيلة عهد الخلفاء الراشدين[٣١] والدولة الأمية ولكن خلال عهد الدولة العباسية بدأت تظهر حركات الانفصال، والتي اصطبغت بالنزعة المذهبية على مستوى العقيدة، وذلك منذ ظهور الفرق الإسلامية ولعل أهمها الشيعة والخوارج الذين كما أشرنا تمكنوا من تأسيس دول خاصة بهم على أرض المغرب ونقصد الرستمية الخارجية الاباضية في المغرب الأوسط و الادريسية العلوية في المغرب الأقصى. غير أن أهم الدول التي وحدت المغرب في دولة ذات وحدة سياسية هي دولة المرابطين (١٠٧١ – ١١٤٤م)،[٣٢] وبالخصوص دولة الموحدين (١١٣٠ – ١٢٧٠م) التي وحدت بلاد المغرب كليًا، ولأجل ذلك كان رواد الحركة الوطنية المغاربية،

يشيدون في الكثير من المرات في أدبياتهم بدولة الموحدين ومؤسسها ويعتبرونها نموذجًا تاريخيًا للوحدة والقومية المغاربية ومنهم نذكر شخصية الدراسة "علي الحمامي".(٣٣)

ومن خلال ما سبق؛ يمكن أن نعرف القومية المغاربية بأنها مجموعة الخصائص والمميزات والصفات التي تجعل أفراد المغرب يشعرون بالانتماء إلى بعضهم البعض، من بيئة جغرافيا ودين ومذهب ولغة وأصول وتاريخ مشترك ومصالح المشتركة، هذه الصفات تجعل للمغاربة قومية خاصة بهم.

## رابعًا: الجامعة الإسلامية

يجب أن نفرق بين المفهوم التاريخي العام للجامعة الإسلامية كمبدأ في حياة المسلمين تجسد في فترات التاريخ الإسلامي منذ عهد النبوة، ومفهومها كتيار فكري ظهر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

**١/٤- المفهوم التاريخي العام للجامعة الإسلامية:**

إن كلمة الجامعة في اللغة تحمل معاني (الوحدة والتضامن والتآزر) ومنها الجامع وهو المكان الذي يجتمع فيه الناس للصلاة، يعبدون إله واحدًا، يتوجهون إلى قبلة واحدة، وتزول الفوارق بينهم، وتتألف القلوب على الأخوة وعكسها الفرقة والتنافر والتشتت، وقد حث الإسلام على الوحدة وحذرهم من الفرقة، فقد ورد في الآية الكريمة: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}.(٣٤)

ومن ثمة؛ فإن معاني الجامعة الإسلامية هي الوحدة أو القومية الإسلامية أو الأخوة الإسلامية، وقد عرفها "لوثورب ستوارد" في كتابه حاضر العالم الإسلامي بقوله أنها "الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي"،(٣٥) قد جاء في تفسير الطبري لقوله تعالى {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} قوله: "فقد تمسك واعتصم بالإيمان، الذي هو أوثق ما تمسك به من طلب الخلاص لنفسه من العذاب الله وعقابه. "لا انفصام لها" لا انكسار لها ولا انقطاع،(٣٦) ويقول الدكتور محمد عمارة "إن دعوة الجامعة الإسلامية تعني أن للمسلم انتماءً إسلاميًا يحدد هويته وهوية الكيان السياسي والحضاري الذي يمنحه الولاء".(٣٧)

لقد أدرك النبي محمد (ﷺ)أهمية الجامعة وعلو منزلتها فغرس غريستها بيده في أنفس المؤمنين فنمت وتغلغلت،(٣٨) فقد عمد النبي (ﷺ)عندما حل بالمدينة المنورة بعد الهجرة النبوية إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقد كانت السمة البارزة في التاريخ العرب قبل الإسلام هي انتشار العصبية القبلية المقيتة، ولكن حسب ابن خلدون فإن العصبية الدينية تكون أقوى على الدوام، لذلك زالت مع مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة التي تدعوا إلى الوحدة والألفة والتآخي. وقد قامت الجامعة الإسلامية بعد ذلك على ركيزتين هما الخلافة والحج،(٣٩) فالحج هو الركن الخامس في أركان الدين الإسلامي، وواجب علي كل مسلم قادر أدائه، وهو مؤتمر سنوي يجتمع فيه المسلمون من مختلف أصقاع العالم على اختلاف أجناسهم وألسنتهم، يتبادلون معاني الأخوة. أما الخلافة فهي الركيزة الأساسية لتجسيد الجامعة الإسلامية، فقد قامت(٤٠) بعد التحاق النبي (ﷺ)بالرفيق الأعلى على أساس الشورى طيلة عهد الخلفاء الراشدين،(٤١) ثم تحولت إلى ملك متوارثا لآل أمية وحذا حذوهم العباسيين والعثمانيين.

**٢/٤- المفهوم الحديث والمعاصر للجامعة الإسلامية:**

نتيجة الأوضاع الخطيرة(٤٢) التي كان يعيشها العالم الإسلامي ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية، كحركة تهدف إلى إحياء الخلافة التي كانت تحتضر وتعيش أيامها الأخيرة. وقد عرفها الدكتور محمد عمارة بأنها "ذلك التيار الفكري والسياسي العريض الذي أبصر قادته(٤٣) أن هناك تحديات تواجه الفكر الإسلامي والشعوب الإسلامية، سواء تحديات من الداخل (كالتخلف الفكري والروحي، والانحطاط الحضاري والسياسي والصراعات الإقليمية والقبلية) أو من الخارج في شكل زحف استعماري وقد ضمت الجامعة الإسلامية مدارس وفصائل،(٤٤) رفعت نفس الشعار".(٤٥) أما الدكتور علي المحافظة فيقول أنها "تيار ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كرد فعل علي الغزو الغربي، وعجز الدول الإسلامية علي مواجهته، بعد تيقن المفكرين أن النضال المحلي لا يجدي".(٤٦)

وعليه يمكن القول؛ أن مفهوم الجامعة الإسلامية في التاريخ المعاصر يندرج تحت النزعة الإسلامية التي تهدف إلى إعادة لم شمل الأمة الإسلامية التي فرقتها ظروف وعوامل، قديمة قدم الجامعة نفسها وحديثة متعلقة أساسًا بالتخلف الفكري والحضاري والهيمنة الاستعمارية الغربية المسلطة عليها، ويمكن أن نعتبرها مشروع سياسي يهدف إلى تمديد عمر الخلافة العثمانية التركية، وتجديدها والدعوة للانضواء تحت لوائها.

## خامسًا: نظرة علي الحمامي للقومية المغاربية والجامعة الإسلامية في مفهومها الحديث والمعاصر

ظهرت الجامعة الإسلامية كمشروع سياسي يهدف إلى إعادة لم شمل الأمة الإسلامية، التي كانت قد وقعت بين مخالب الاستعمار واقتطعت من الخلافة العثمانية، وُيَعّد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده المنظرين الحقيقيين للفكرة، ثم انتقلت إلى رواداها من الجيل الثاني كرشيد رضا وشكيب أرسلان، أين كانت أقل نشاطًا وتأثير من الجيل الأول المؤسس لها، من خلال نظرة استقرائية تحليلية نرى أن علي الحمامي قد عاش خلال البيئة التي كان رواد الجامعة من الجيل الثاني ينادون بها ويتخذونها كوسيلة للوحدة وسبيل للتحرر من قيود الاستعمار الغاشم، في الوقت الذي كانت فيه الخلافة العثمانية تحتضر تحت ضربات القوى الأوربية، نلاحظ أن علي الحمامي قد تبنى فكرة النضال القومي المغاربي ودعا لذلك، وما الرواية التي ألفها بعنوان "إدريس" إلا دليل يؤكد على النهج القومي الذي تبناه الحمامي كخيار للنضال وللوحدة المغاربية وتخليص بقاعها من براثن الاستعمار الأوربي.

لقد مارس على الحمامي نضاله الحثيث في إطار القومية المغاربية، فنجده قد عمل في الصحافة وكتب في جريدة "سبيلمان" وغيرها من الجرائد الفرنسية الأخرى وقام بدعاية واسعة لصالح بلاد المغرب جمعاء، وأكثر من ذلك نجده مجاهدًا في ساحة الوغى ضد الأوربيين الغزاة ولصالح البلاد المغاربية، فقد شارك في ثورة عبد المالك الجزائري في المغرب، وحارب مع الأمير عبد الكريم الخطابي في جهاد الريف لتحرير المغرب، كما نجده مناضلا مع الأمير خالد الجزائري في باريس وعمل مع جبهة الجزائريين في باريس اثر الحرب العالمية الأولى، ونراه قد عمل واجتمع مع أقطاب النضال المغاربي المشترك ذوي الوزن والثقل النضالي، فاجتمع بالمجاهد التونسي علي باش حامبة التونسي وجماعته في تركيا كما اجتمع بالأمير شكيب أرسلان ومحمد باش حمبة وصالح الشريف في سويسرا، وعاش زمنا مع الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي في الخليج الفارسي والعراق والحجاز، كما عاش مع المجاهد سليمان الباروني، ولما تم تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة برأسة محمد بن عبد الكريم الخطابي ولما كان هذا المكتب يجسد أفكار وطموح علي الحمامي من وحدة مغاربية ونضال قومي مشترك التحق به وأصبح ضمن أعضائه.[٤٧]

طاف علي الحمامي وتجول بين مختلف أنحاء العالم العربي في جزئه الغربي والشرقي والعالم الأوربي، ولكن كانت أفكاره وعقيدته تتمحور كلها حول وحدة المغرب والنضال المغاربي المشترك كسبيل للكفاح، ولاشك في ذلك فلا نكاد نراه على غير صلة مع ذوي الثقل و الوزن النضالي المغاربي عبر كامل أقطار المغرب العربي، يساندهم أهدافهم الكفاحية من أجل مغرب المتحرر وموحد. لقد ظهرت الدعوة الحمامية التي ترتكز على القومية المغاربية أو المغربة، من خلال روايته التي ضمنها أفكاره في الوقت الذي ألغية فيه الخلافة بعد الحرب العالمية الأولى، وأصبحت جهاز تقليدي لا يستطيع التحكم في مختلف الأقاليم والمجموعات الإسلامية،[٤٨] فظهرت القوميات التي كان يصهرها الإسلام في قالب واحد قوامه الإسلام، وأشهر القوميات المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية القومية العربية القومية التركية القومية الفارسية والقومية المغاربية، من هذا المنطلق ستشرع كل مجموعة في تجسيد قومية خاصة بها بناءً على مجموعة من المعطيات التي تجعل منها وحدة قومية متماسكة، فبرزت القومية العربية كتيار مستقل ينادي بالوحدة العربية ويحارب سياسة التتريك التي انتهجها حزب الإتحاد والترقي عن طريق إنشاء دولة عربية عاصمتها مصر، كما ظهرت القومية الإيرانية على يد رضا شاه البهلوي، وظهرت القومية التركية بشكل جلي على يد مصطفى أتاتورك الذي أسس الجمهورية التركية، وبموجب ذلك تم إلغاء الخلافة نهائيًا.

كل تلك المستجدات التي ظهرت على الساحة الإسلامية عقب الحرب العالمية والتي أنجر عنها إلغاء الخلافة دفعت بعلي الحمامي إلى الدعوة إلى القومية المغاربية مثلها مثل القوميات الإسلامية التي برزت بشكل واضح كخيار قومي وحدوي فرضته ظروف العصر، على غرار القومية العربية والتي بموجب أهدافها وطموحاتها السياسية تكون بلاد المغرب ضمن إطارها ومجالها السياسي بالاعتبار المغرب ضمن نطاق العروبة، ولكن علي الحمامي كانت له وجهة نظر مغايرة واعتبرها كمحاولة لإلحاق المغرب بالمشرق على الرغم من أن التاريخ يثبت أنه كيان مستقل له من الخصائص والصفات ما يجعله مغربًا قوميًا خالصًا، ويميزه عن غيره من القوميات. ويشير إلى ذلك على الحمامي في روايته قائلاً: "إن التاريخ لم يكن إلا مجموعة نوادر غثة مستخرجة من وريقات كتب تهتم بمجمل المجموعات الإسلامية أكثر مما تهتم بحياة شعب واحد من هذه الشعوب، ونحن اليوم لسنا نعيش زمن الخلافة، ومن ناحية أخرى فإن المغرب لم يبد البتة استعدادًا كبيرًا بالتخلي تخليًا صريحًا عن استقلاله لا بعد الإسلام ولا قبله".[٤٩]

كذلك قال: "عرف إدريس هذه المرة نهائيًا أمرًا هو أن روح الشرق قد تغيَّر وأنه من الآن فصاعدًا على كل بلدًا وهو يعود إلى القوانين الخالدة التي أملتها على الدوام الأرض والدم وإلى دروس تاريخه أن يحرص على خلاصه الخالص، فلقد كانت فكرة القومية تشق خطاها تحت الفكرة الدينية.[٥٠] لقد كان علي الحمامي مناضلاً مغاربيًا يؤمن بفكرة القومية ضمن إطارها المغاربي، يقول عنه صديقه محي الدين القليبي: "كان يؤمن بوحدة المغرب من حدود مصر الغربية إلى شاطئ المحيط، ويقول أن هذه القطعة قد اجتمع لسكانها من مقومات الوحدة ما لم يجتمع لغيرهم من الأقوام يؤمن بهذه الفكرة ويعمل لها عمل الجد لا عمل الهزل ويدافع عنها أمام معارضيها حتى يحتد".[٥١]

## سادسًا: نظرة علي الحمامي للقومية المغاربية والجامعة الإسلامية في مفهومها التاريخي العام

تعتبر الجامعة الإسلامية في مفهومها التاريخي الحضاري العام تلك الرابطة الدينية التي جمعت العالم الإسلامي في وحدة سياسية قوامها نظام الخلافة، بغض النظر عن الجغرافيا والأصول واللسان، في محطات وحدوية تاريخية بارزة (الخلافة الراشدة، الخلافة الأموية، الخلافة العباسية، الخلافة العثمانية)، ومعلوم أن الخلافة عبر مراحلها قامت على أرض المشرق الإسلامي العربي- أو التركي فيما بعد- وبموجب ذلك فكل الأقوام التي وصلها الإسلام هي تابعة لتاج الخلافة، ولعل أهمهم العرب، الفرس، والأتراك والأمازيغ، ونحن نخص بالذكر هنا الأمازيغ لأن رابطة الدين الإسلامي أثرت عليم ما لم تأثر على غيرهم من الأقوام فأصبحوا مسلمين وأكثر من ذلك تبنوا لسان القرآن الكريم فتحولوا عربًا مسلمين وذابت قوميتهم في بوتقة الرابطة الإسلامية.

وعلي الحمامي من خلال رواية إدريس يعيد كتابة التاريخ المغاربي، منذ ما قبل الإسلام وما بعده وفق نظرة قومية مغربية، بعيدًا عن أي تأثير الحاقي، وسط بيئة وطنية مغربية خالصة، من هذا المنطلق رد الحمامي كل الأقوال التي تضع الجنس المغاربي بين

أصول شرقية وأصول غربية،(٥٢) واعتبره جنس بربري خالص ضارب بجذوره في أعماق تاريخ شمال إفريقيا الغربية، خاصةً الذين يقطنون الجبال، لأنهم كانوا على الدوام في حالة الرفض الدائم للدخيل الأجنبي، وهذا ما عبر عنه في رواية إدريس "إن عائلة إدريس تنحدر منذ آلاف السنين من هذه الجماعات البربرية الأولى التي لا يعرف أحد الآن لا من أين أتت ولا كيف جاءت لتستقر في هذه الزاوية من المغرب فمنذ عصور سحيقة سابقة على الفتح الإسلامي ظل الجبل باستثناء بعض الأماكن الساحلية مغلقا إغلاقًا تامًا في وجه كل دخيل أجنبي".(٥٣)

لقد أكد على الحمامي على حقيقة تاريخية مفادها رفض البربري الجبلي لكل دخيل أجنبي غير قابل للذوبان في البيئة البربرية أو المغربية، فقد كانت أرض المغرب عبر التاريخ محل استقطاب مختلف القوى السياسية التي كانت لا تتردد في السيطرة على بلاد المغرب، فوجدت مقاومة شرسة من طرف البربر ويفسر ذلك الحمامي بتجذر سمة الحرية والوطنية في نفوسهم، فقاوموا الرومان والوندال والبيزنطيين لأنهم سلبوا حرية البربري واستبدوا بالبلاد والعباد ومارسوا سياسة الرومنة، حيث أورد الحمامي ما يؤكد على ذلك في روايته "حكمت روما وبيزنطة إفريقيا الشمالية بطريقة احتفالية: شيوخ يجلسون على كراسي من عاج وقياصرة يكلل الغار جباههم وأباطرة متدثرون بألبستهم القرمزية الإلهية يحملون بأيديهم صولجان العالم، لقد لمع سيبيون، وماريوس، وسيلا، وقيصر، وأوغسطس في ذلك لمعانًا ساطعًا سريعًا، ونالت روما في إفريقيا كل ما شاءت: المدن ومقار السلطة وأقواس النصر والمسارح وحلبات المصارعة والمعابد والحمامات المعدنية والقنوات المائية والثكنات والآثار التذكارية والتماثيل، أي نالت كل ما يمكن للحجر في نهاية الأمر أن يهب. ولكنها لم تنل شيء آخر. فسياستها لم تكن من هذه السياسات التي يمكنها أن تجلب إليها قلب البربري. لقد صيغت القوانين الرومانية صياغة تمكن المستوطنين من اقتطاع العزب بالاستحواذ على أراضي المواطن الأصيل بغية ما يحتاجه الشعب-الملك من خبز ومن ألعاب. سيترك حتى لا يبدي أنيابه لطبقة الأشراف على أنقاض وعلى شقاء الأجناس المستعبدة. إن هذا تقريبًا ما أمكن لأجداد إدريس أن يحصلوا عليه من سلم الرومانية".(٥٤)

ويصنف علي الحمامي رجال السياسة والدين الذين قالوا بالاندماج الحضاري بين بلاد المغرب القديم وروما على أن يتخلى البربر عن ميزاتهم ضمن خانة غير الوطنيين وذكر البعض منهم: "القديس أوغستين، ويوبا الثاني". وصنف الرافضين لسياسة الدمج في خانة الوطنيين مثل: "يوغرطة، ودونات".(٥٥) فكتب عن غير الوطنيين مالي: "يوجد صنف لا يتسع له صدر أجداد إدريس، بوجه خاص إنه صنف المرتدين، وأدوات التصفية القومية الذين تخلوا بعد أن تم إدماجهم وليتنتهم ثم تنصيرهم عن بلد أبائهم وقطعوا رابطة الدم والقديس أوغستين ويوبا هم نموذجا هذه الفصيلة"،

وكتب عن الوطنيين القوميين: "لكن سقوط قرطاج لم يفت في عضد البربر فقد تسلم البطل القومي العلم الذي انفلت من أيدي القرطاجيين وبرز يوغرطة في الميدان مستعملا وسائل نضال جديدة... إنه ما من شك في أن أجداد إدريس الذين تملكتهم الدهشة والمفاجأة في آن واحد قد سمعوا كلمات الاحتقار التي وجهها القائد النوميدي الكبير صوب روما من أعلى ربوة الجانيكول بعد أن جلب إلى صفه مجلس الشيوخ بالثمن المتفق عليه وبعد أن فضح مكائد مبعوث الوالي "أيتها المدينة القذرة كل شيء فيك يباع".(٥٦) وكتب عن رجل الدين دونات ما يلي: "ينتمي دونا أسقف قرطاج على الرغم من انشقاقه إلى كنيسة إفريقيا، كان مثل القديس أوغستين بربريا لكنه على عكس أب الكنيسة الشهير لم يرتد عن أصوله ولم تمنعه صفة كهنوتيه من تمييز الفروق التي تفصل بين الدين والسياسة. كان يعيش بين المؤمنين التابعين له يقاسمهم الآلام والآمال لأنه كان أقرب إلى الإنجيل من مواطنه الشهير، وعندما اقتنع دونات بتقصير الكنيسة المتعمد وبأن المظالم الاجتماعية تلقى تسامحًا من البابوية ومن الأسقفيات رفض الخضوع لتوجهات البابوية".(٥٧)

غير أن البربر لم يقاوموا الفينيقيين، ويبرر الحمامي ذلك على أن الوافدين الفينيقيين من مملكة صور اللبنانية بقيادة الملكة عليسة استقروا في أرض المغرب على أنهم تجار، ولم يحاولوا فرض نمطهم الحضاري على أصحاب الأرض بل اندمجوا مع السكان الأصليين وتخلوا عن بعض ميزاتهم وتبربروا وشكلوا جنس مزيجًا بين البربر والفينيقيين عرف بـ "الجنس البونيقي".

إذا انطلقنا من فكرة الوطنية والقومية البربرية الرافض لكل دخيل أجنبي وفكرة القدرة الإدماجية للبيئة البربرية فنجد الحمامي يبرر قبول البربر للفاتحين المسلمين العرب، وجعل بلادهم ضمن إطار الجامعة الإسلامية (الخلافة) مثلما برر للفينيقيين، على أن الفاتحين العرب اندمجوا في البيئة البربرية وامتزجوا مع السكان الأصليين وتخلوا عن جزء من خصوصياتهم، مثلما تخلى أصحاب الأرض عن جزء من خصوصياتهم،(٥٨) ومن هذا المنطلق ستظهر التسمية الإسلامية لبلاد البربر وهي بلاد المغرب الإسلامي. جاء في رواية إدريس "سلكت السلالات والقادة العرب المسلك نفسه فهم تأفرقوا تمامًا مثل الفينيقيين، ومن دون أن يفقدوا المزايا الأصلية لجنسهم أصبحوا مغاربة راسخين خالصين".(٥٩) وفي السياق نفسه يؤكد الحمامي القدرة الإدماجية للبربر في مرحلة ما بعد الإسلام، وما انجر بعد ذلك من تطورات "لقد اندمج أمراء قرطبة والأغالبة والأدارسة والرستميون والسعديون في تاريخ المغرب اندماج المرابطين والموحدين.... وحتى الفاطميون لم يجرؤوا البتة رغم أصول مذهبهم الشيعي المشرقية على الوقوف ضد هذا التيار الامتصاصي الذي هو الدليل الجلي على قدرة البلد الإدماجية".(٦٠)

استمر المغرب الإسلامي ضمن المجال السياسي للجامعة الإسلامية (الخلافة)، ولكن رابطة الجامعة بدأت تهن وتضعف أمام

وطنية وقومية المغاربة، خاصةً عندما أحسوا بتعسف ولاة بني أمية في أواخر عهد الدولة الجامعة فظهرت المعرضة التي ترجمت إلى ثورة عارمة،(٦١) أراد قوادها الخروج عن لواء الجامعة الإسلامية (الخلافة الأموية) وعن ذلك كتب الحمامي "فثورة الخوارج الكبيرة كانت موجهة ضد بعض مظاهر تعسف خلافة دمشق وانتهت إلى الانتصار".(٦٢) ورغبة المغاربة في الانفصال عن الخلافة الإسلامية ستثمر خلال عهد الجامعة الإسلامية التي جسدتها الخلافة العباسية، عندما انفصل الأدارسة في إطار البيئة المغربية في المغرب الأقصى وأسسوا دولة الأدارسة سنة ١٧٢هـ وانفصل الرستميون بالمغرب الأوسط وأسسوا الدولة الرستمية سنة ١٦٠هـ، كما انفصل آل الأغلب في المغرب الأدنى حتى وإن أبقوا على التبعية الاسمية للخلافة في بغداد،(٦٣) وأسسوا الدولة الأغلبية سنة ١٨٤هـ، وبذلك انفصل المغرب من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي، ويشير إلى ذلك الحمامي على أن المغربي متعلق بالحرية -حتى على حساب الجامعة الإسلامية- والتي أحس أنها سلبت منه خاصةً منذ أواخر عهد بني أمية إذ كتب في روايته "...ومن ناحية أخرى فإن المغرب لم يبد البتة استعدادًا كبيرًا بالتخلي تخليًا صريحًا عن استقلاله لا بعد الإسلام ولا قبله".(٦٤)

ومن منطلق القومية والخصوصية الدينية المذهبية لبلاد المغرب، رفض الحمامي المحاولات الالحاقية المشرقية، في الميدان العقدي ولا في الميدان السياسي، خاصةً بعد ولادة الشعب المغربي الجديد، منذ انفصاله عن الجامعة الإسلامية، فلم يصبح شعبًا بربريًا ولا عربي بل مغربي له كل الحرية في خلق الروابط التي تجعله مغربًا قوميًا، ففي الميدان السياسي حارب الحمامي المذهب الحنبلي الداعي إلى حصر الخلافة في قريش.(٦٥) ففي الميدان العقدي اعتبر الحمامي المدرسة التمورتية(٦٦) مرجعًا أساسيًا للعقيدة المغربية الإسلامية، وأنه ليس من حق العرب أو الفرس أو الترك أن يجعلوا من أنفسهم قوامين على الإسلام المغربي، الذي يمكن للمغاربة أن يصوغوه وفق البيئة المغربية التي تختلف تمامًا عن البيئة المشرقية. إذ كتب في إدريس: "كان الخوارج سلفيي الإسلام الأول، أما الحنبلية وروافدها فهي سلفيات أخرى. وهناك مدرسة ثالثة خاصة بإفريقيا الشمالية ولدت تحت رعاية الفلسفة الإسلامية الكلاسيكية، إنها مدرسة ابن تومرت وهي متشبعة بذهنية مغربية خاصة تحدد ملامحها".(٦٧) وفي المجال الفقهي الذي يستمد منه المغاربة الأحكام الشرعية لأمور دينهم ودنياهم، فقد اعتمدوا على مدونة سحنون القيرواني توفي ٨٥٤هـ (عاصر أحمد بن حنبل توفي٨٥٥هـ) الذي يعتمد أساسًا على المذهب المالكي، وقد عمل بعدة أسد بن الفرات على نشر المذهب زمن الدولة الأغلبية.

لقد دعا علي الحمامي - بنزعة قومية تقف في وجه النزعة الالحاقية المشرقية- المغاربة أن يربوا وينشئوا أبناءهم تنشئة قومية بالرجوع إلى أعلام المغرب الذين أثروا بفكرهم على الحضارة الإسلامية والحضارة الإنسانية قاطبة إنه الثالوث الممثل في: ابن خلدون، وابن تومرت، وابن رشد. إذ كتب في روايته: "هكذا تمكنت أفكار ابن تومرت التوحيدية من المغرب. لقد أكمل ابن تومرت، مع ابن رشد وابن خلدون، الثالوث الأروع الذي سيرى فيه إدريس مركز تاريخ وحضارة بلده ورمزها. فقد اعتمد إدريس هذا الثالوث مثالاً يحتذى... كان إدريس يأسف أن يكون أمثال هؤلاء الصقور قد حلقوا فوق الأطلس من دون أن يسقطوا أية بذرة أما في عبد المؤمن،(٦٨) والخلافة الموحدية فسيتبين إدريس المستوى الباهر لخصال جنسه الخلاقة. إن عصر المغرب الذهبي عندما كانت قرطبة في بالغ ألقها سيكون له الأثر الأكثر نفعًا في إدريس. ولسوف يقارن عندما يحين الوقت بين هذا القرن المبارك وقرون بيريكليس والمأمون ولويس الرابع عشر... إن إدريس سيتبين في الإمبراطورية الموحدية التي تشير إلى أوج المغرب حصيلة القوى الحرية بأن تكون قاعدة ومثالاً للقومية المغربية: الوحدة العقدية والوحدة القومية، وعلى هامش هذا التأثير المتبادل، الازدهار الفكري الذي يرسخ بناء الأمة ويمكنه من أسس صلبة".(٦٩)

ومن خلال ما سبق؛ يتبين لنا نظرة الحمامي القومية للمغرب، فنجه أعاد صياغة التاريخ المغاربي منذ عصور سحيقة، وحتى بعد الإسلام، صياغة قومية، وأكثر من ذلك فقد دعا المغرب إلى قومية خاصة به لتجذر عناصرها في سكانه، خارج أي نزعة إلحاقية مشرقية، خاصةً منذ انفصال المغرب عن الجامعة الإسلامية زمن العباسيين ودعا إلى الاقتداء بالمصمودي ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية الزاهرة، وكذا العلامة بن خلدون وابن رشد.

## خاتمة

يعتبر علي الحمامي من الشتات الجزائري الذي عاش في المهجر، يناضل ويرافع من أجل قضية شعب مغربي مضطهد متنقلاً بين مختلف البلدان العربية والأوربية، وقد تميز بنزعته القومية المغربية، فأين تجد النضال المغاربي المشترك، تجد الحمامي، ينشط نشاطًا حثيثًا في سبيل عقيدته القائمة على وحدة المغرب العربي والعمل على تحريره انطلاقًا من جهود أبنائه القادرين على تطهير أرضهم من براثن الاستعمار الأوربي، وكان أخرها في مكتب تحرير المغرب العربي في القاهرة. وخلال فترة إقامته في بغداد ألف رواية إدريس التي ضمنها أفكاره القومية، ومنها أعاد صياغة التاريخ المغاربي، صياغة قومية منذ فترة ما قبل الإسلام وحتى بعده، خاصةً منذ نجاح الحركات الانفصالية عن تاج الجامعة الإسلامية (الخلافة العباسية)، أين ولد الشعب المغربي والذي شكل وحدة قومية متناهية التماسك، خاصةً زمن الموحدين، وانطلاقًا من ذلك دعى الحمامي إلى قومية مغاربية مقوماتها متجذرة في سكان المغرب من وحدة العقيدة والمذهب والأصول والتاريخ والعادات والتقاليد، وفي مقابل ذلك حارب كل الإرادات الالحاقية المشرقية المذهبية والعقدية ضمن الرابطة السياسية الإسلامية. لأنه في اعتباره أن للمغرب كلمته في صياغة مذهبه بذهنية مغاربية، وكذا في إقامة وحدته السياسية.

## الهوامش:

(١) لقد تعاقب على حكم أرض المغرب القديم العديد من القوى السياسية والعسكرية الأجنبية بداية بالفينيقيين والرومان والو ندال ونهاية بالبيزنطيين، بحيث شكل الفتح الإسلامي العربي للمنطقة المغرب نقطة تحول حاسمة، ذلك أن سكان المغرب اقتنعوا بتعاليم الدين الإسلامي وشريعته السمحة، فأصبح المغرب القديم مغربًا إسلاميًا عربيًا، وأضيف إلى مجاله السياسي أجزاء واسعة من أوروبا (شبه الجزيرة الأيبيرية). عاش خلال هذه المرحلة نوعًا من الاستقرار السياسي والرقي الحضاري واستمر الحال كذلك إلى غاية هزيمة الموحدين على يد قوى النصارى في معركة حصن العقاب سنة ١٢١٢ فانقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاث وحدات سياسية (الحفصية في المغرب الأدنى، والزيانية في الأوسط، والمرينية في الأقصى)، أكثر ما ميزها الضعف ووالتشتت والحروب المستمرة، وفي هذا الوقت بدأت أوربا تستعيد عافيتها بقيادة اسبانيا والبرتغال فشرعت في شن حروب ضد المسلمين في الأندلس عرفت في التاريخ بحروب الاسترداد، من هذا المنطلق أصبحت الدول المغاربية الثلاث في حالة شبه فراغ سياسي وسط ضعف وانهيار السلطة المركزية للممالك الثلاث، فتم احتلال جل سواحلها، ووسط هذه الأوضاع برز رواد الجهاد في حوض البحر الأبيض المتوسط بقيادة الإخوة بربروس والذين استطاعوا من خلال جهود مضنية أن يجعلوا البحر الأبيض المتوسط بحيرة مغاربية عثمانية بقيادة الجزائر، وانطلاقًا من ثقلها العسكري من خلال أسطولها ووزنها السياسي في المنطقة سارعت الدول الأوربية لإقامة علاقات سياسية وتجارية مع الجزائر، وأهم الدول فرنسا التي عقدت معها حوالي (٥٧) معاهدة ابتداءً من القرن السادس عشر إلى نهاية القرن نفسه، بالإضافة إلى باقي الدول الأوربية التي عقدت عشرات المعاهدات من أجل تأمين سفنها التجارية العابرة للبحر المتوسط مثل البرتغال وهولندا والسويد الدانمرك والولايات المتحدة الأمريكية. لمزيد من التفاصيل حول مكانة الجزائر العثمانية في حوض البحر المتوسط، يُنظر: مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية**، ج١، دار الأمة، الجزائر، ص ٥٠ وما بعدها.

(٢) لقد أورد الشيخ أبو عمران في تصديره لمُؤلف علي الحمامي رواية إدريس أنه من عين الحمام من مدينة تيارت التي تقع في الغرب الجزائري وقد وقع خلط بينها وبين عين الحمام التي تقع في تيزيوزو. غير أنه يوجد إجماع حول نسب الحمامي إلى الجزائر- ولعل السبب في ذلك هو هجرته مع عائلته إلى المشرق في سن مبكرة وسط الظروف الاستعمارية قاصية وعدم عودته إلى الجزائر، ونشير إلى أن البلدان العربية والإسلامية كانت وجهة المهاجرين الجزائريين، الذين لعبوا أدوار هامة لصالح البلدان المستقبلة لهم خاصة دعم حركات التحرر. ينظر:

Ali.Hammami: **idris roman nord africain, Alger, avec un introduction de cheikh Bouamrane**, entreprise nationale du livre 2eme ed, 1988 , P.8.

وحول موضوع هجرة المغاربة ومساهماتهم في بلاد المشرق، يُنظر:

Pierre Bardin: **Algériens et tunisiens dons l ,empir ottoman de 1848 a 1919**, Ed du CNRS, Aix-en-Provence , Paris , 1979.

(٣) جريدة العلم، بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٤٩.

(٤) الحمامي لم يغادر الجزائر إلا وهو ابن العشرين السنة، وهذا يعني أنه عاش وتربى في أحضانها، في ظروف القهر المسلطة عليه وعلى أبناء جلدته من طرف الاستعمار الفرنسي، لذلك فإن علي الحمامي قد تشبع من حب وطنه الجزائر المقهور، مثله مثل باقي الشباب الجزائري المثقف، وعليه فإن إقامته في الخارج وتنقله بين مختلف البلدان العربية والأوربية، لم تحل بينه وبين الدفاع عن شعبه المضطهد، في الجزائر وسائر المغرب العربي.

(٥) عبد القادر جغلول: **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر**، ترجمة: سليم قسطون، ط١، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ١٩٨٤، ص ٢٢٦-٢٢٧.

ولكن صديقه المناضل التونسي محي الدين القليبي (مدير اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري الحر التونسي) يشير في مقال له في جريدة البصائر أن الحمامي مكث في الإسكندرية ردحًا من الزمن ثم عاد إلى الجزائر أين واصل دراسته في كل صنوف المعرفة. يُنظر: محي الدين القليبي: "**الأستاذ علي الحمامي**"، جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد (١٠٠)، ٠٢ ربيع الأول ١٣٦٩/ ٢٦ ديسمبر ١٩٤٩، ص١ - ٢. وأبو عمران الشيخ وآخرون: **معجم مشاهير المغاربية**، منشورات دحلب، الجزائر، ٢٠٠٠، ص ١٦٧.

(٦) وجدنا لمحة تعريفية مختصرة لعلي الحمامي أوردها النفزاوي في غلاف كتاب رواية إدريس الذي ترجمه للعربية، يُنظر: علي الحمامي: **إدريس، رواية شمال إفريقيا**، تعريب: محمد ناصر النفزاوي، معهد الهوقار، (د.م)، ٢٠١١.

(٧) يُنظر: بنونة الطيب: **نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان وعبد السلام بنونة**، دار الأمل، طنجة، ١٩٨٠، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٨) أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج٤، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص ١٢٤.

(٩) من المجاهدين المصلحين الذين أثروا في نهضة الجزائر ودفعوها خطوات إلى الأمام الأمير خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري، ولد في دمشق بالشام، ثم انتقل به والده إلى الجزائر وهو صغير فنشأ فيها وقد رباه والده تربية دينية ثم دخل المدرسة العسكرية في "سان سير" وتخرج منها برتبة ضابط، وشارك في الحرب العالمية الأولى لصالح الجيش الفرنسي وبعد انتهائها عاد إلى الجزائر وفي سنة ١٩١٩ بدأ جهاده السياسي، فالتف حوله المثقفون المخلصون لدينهم وأمتهم ونجح في الانتخابات البلدية في الجزائر العاصمة، وفي سنة ١٩٢٠ أسس جريدة الإقدام هو وصحبه العلماء المخلصون فاتسع بها نطاق دعوتهم، وكان رحمه الله عسكريًا صارمًا، ونتجه للخطورة التي كان يمثلها بالنسبة للاحتلال الفرنسي قامت بنفيه إلى فرنسا سنة ١٩٢٣ وهناك التقى مع المجاهد علي الحمامي. يُنظر: محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج٢، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ٢٠٠٧، ص ٢٤-٢٥.

(١٠) لقد استطاع منضروا الشيوعية والاشتراكية من أمثال كارل ماركس ولنين تجسيد أفكارهم خاصةً منذ نجاح الثورة البلشفية سنة ١٩١٧، وظهور الاتحاد السوفيتي صاحب التوجه الاشتراكي الشيوعي والذي استغلت حركات التحرر في العالم وجعلت منه منبرًا للمطالبة بحقوق الشعوب المضطهدة، ويكفي أن نشير أن حزب نجم شمال أفريقيا الذي كان عبارة عن لجنة الدفاع عن عمال شمال إفريقيا استغل الحزب الشيوعي الفرنسي وهامش الحرية الذي منح له للقيام بنشاطه السياسي. يُنظر: عمار بوحوش: **تاريخ الجزائر السياسي من البداية ولغاية ١٩٦٢**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧، ص ٢٨٨. وأبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (١٩٠٠-١٩٣٠)**، ط٤ ، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص ٣٧٧.

(١١) عبد القادر جغلول: مرجع سابق، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(١٢) يُنظر: **اللمحة التعريفية للنفزاوي**، علي الحمامي: مصدر سابق.

(١٣) يشير عضو مكتب تحرير المغرب العربي في القاهرة عبد المجيد بن جلول إلى بعض حيثيات سقوط الطائرة: على الساعة الثامنة إلا ربع من يوم ١٢ ديسمبر ١٩٤٩ حاول الطيار أن يشق طريقه بين جبلين فشاء الله أن يخطئ التوازن ويصطدم بإحداهما فانفصل جناح الطائرة ومعه جزء من جسمها ليحترق في الفضاء، ويصل إلى الأرض تذروه الرياح، ويشاء القدر أيضًا أن يكون في الجزء ستة عشر من المسلمين ومن بينهم الحبيب ثامر الذي لم يعثر على جثته، والجزء الثاني والذي به عشرة من المسلمين، عُثر على بقايا جثثهم ومن بينها جثة علي الحمامي ومحمد بن عبود.

يُنظر: عبد المجيد بن جلول: "**الثلاثة الذين استشهدوا**"، جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد (١٠٦)، ١٩ربيع الأول ١٣٦٩/ ٠٩ جانفي ١٩٥٠، ص ١-٢ .

(١٤) لقد مَثَّل كل من: علي الحمامي الجزائري، والحبيب ثامر، ومحمد بن عبود المراكشي قطر المغرب العربي بأقسامه الثلاثة في مؤتمر كراتشي الاقتصادي بباكستان، وقد احتجت حكومتا فرنسا وإسبانيا لدى الدولة الباكستانية على قبولهم بين أعضاء هيئة المؤتمر. يُنظر: أبو محمد: "**الفاجعة**"، جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد (٩٩)، ٢٩صفر ١٣٦٩/ ١٩ ديسمبر ١٩٤٩، ص ٣.

(١٥) عبد القادر جغلول: مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(١٦) بناءً على البرقية التي تلقاها مركز حزب البيان الجزائري برقية من مكتب تحرير المغرب العربي في القاهرة والتي تشير إلى إرسال جثمان على الحمامي إلى الجزائر، كان أعضاء الحزب يترقبون وصوله وفي يوم السبت وصلت الطائرة التي تقل الحمامي رفقة جثمان المغربي محمد بن عبود، فاستأنفت الطائرة سيرها إلى المغرب، ودفن الحمامي يوم السبت الفاتح جانفي. يُنظر: باعزيز بن عمر: "**تشييع جثمان الفقيد الكبير علي الحمامي إلى مقره الأخير في العاصمة**"، جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد (١٠٢)، ١٩ ربيع الأول ١٣٦٩/ ٠٩ جانفي ١٩٥٠، ص ١.

(١٧) باعزيز بن عمر: المقال نفسه، ص ٠٢.

(١٨) المرجع نفسه.

(١٩) عبد القادر جغلول: مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(٢٠) أبو زيد: "**ضحايا المغرب العربي**"، جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد (١٠٩)، ١٠ جمادي الأولى ١٣٦٩/ ٢٧ فيفري ١٩٥٠، ص٧.

(٢١) يذهب محي الدين إلى أن الحمامي إلى جانب نبوغه للغة العربية والفرنسية يجيد الإيطالية والأسبانية والألمانية والتركية. كما إلى أن لعلي الحمامي مؤلفات أخرى عجز عن طبعها بسبب الفقر والفاقة، وأنه اقتصد (٤٠) جنيه طبع بها كتاب رواية إدريس. يُنظر: محي الدين القليبي، مقال سابق، ص٢.

(٢٢) علي الحمامي: مصدر سابق، ص ٠٨.

(٢٣) محمود تيمور: "**نموذج جديد من قصص قومي**": إدريس (قصة مغربية بالفرنسية-الأستاذ علي الحمامي)، مجلة الرسالة، القاهرة، ٢٩ جويلية ١٩٤٨.

(٢٤) منها التسميات التاريخية القديمة: نوميديا وموريطانيا أو تسميات حديثة ومعاصرة كالتسمية الجغرافية شمال إفريقيا، وهي تسمية أكثر من استعمالها المستعمرون الفرنسيون والغرب الأوربي عمومًا، فصلا للمنطقة عن تبعيتها الحضارية. كما استعمل الأوربيون تسمية الدولة البربروسية (Etats Barbaresques) في العصور الحديثة نسبة إلى الأخوين وخير الدين، ومن الكلمات التي استعملتها فرنسا الاستعمارية كذلك بلاد البربر (Berberie) خدمة لأغراض التفرقة والتوسع والسيطرة على المنطقة، كما استعمل بعض الكتاب تسمية "بلاد المغرب الإسلامي"، وأخيرًا هناك التسمية المعاصرة الحضارية والتي واكبت تنامي الحركات الوطنية في المنطقة وهي: "المغرب العربي" إلى جانب تسميات سياسية أخرى، ظهرت فيما بعد استقلال المنطقة كالمغرب الموحد أو المغرب الكبير أو مغرب الشعوب.

(٢٥) حاول عبد الله العروي فلسفة المصطلح من الناحية التاريخية، وقال أن معناه واسع بدون تحديد من الناحية اللغوية أو الجغرافية، وأن كلمة المغرب عبارة عن وهم له معنى حيوي وموضوع تاريخ، يُنظر:

Abdallah Laroui: **L, histoire du Maghreb un essai synthese**, F.Maspero, Paris, 1971, P.13-15.

(٢٦) عبد الرحمان بن خلدون: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر....** المجلد (٦)، القسم الأول، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٥٨، ص ١٩٣-٢٠٣. للمزيد من التفاصيل حول تسمية المغرب يُنظر:

Al-Maghrib, In Encyclobedie de L,islam, Nouvelle Edition , Paris , P.1173 - 1200.

(٢٧) لقد شكل أهالي المغرب وحدة شعبية متجانسة بعد الفتح الإسلامي للمنطقة، فقد قبل الشعب المغاربي الاستلام واعتنقوا عقيدته وعملوا بشريعته السمحة، وبعد ذلك شهدت المنطقة عدة هجرات عربية إسلامية أدت إلى اختلاط بأهالي المغرب (البربر أو الأمازيغ) منها هجرة الهلاليين وبني سليم والأندلسيون وشكلوا في النهاية وحدة متجانسة. وهناك مَنْ أشار إلى المد المشرقي الفينيقي قبل الإسلام. وعلى العكس من ذلك ظهرت عدة دراسات اثنية خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية في المغرب، وتندرج عمومًا ضمن "سياسة فرق تسد" وإحكام السيطرة على المنطقة فحواها إن سكان المغرب لا يرتكزون على وحدة بشرية. يُنظر: محمد المكي الناصري "**وحدة المغرب العربي في ظل الإسلام**"، مجلة الثقافة، الجزائر، عدد (١٥)، جمادي الأولى ١٣٩٣/ جوان ١٩٧٣، ص ٧- ٢٤.

(٢٨) لقد انتشر المذهب المالكي في المغرب منذ عهد الدولة الأغلبية على يد أسد بن الفرات. يُنظر: محمد أبو الأجفان: **بناء المغرب العربي**، سلسلة الدراسات الاجتماعية، تونس، ١٩٨٣، ص١١٥-١٤٨.

(٢٩) لقد تحول لسان سكان المغرب تحولاً تامًا، فأصبح عربيًا خالصًا، ذلك أن الأمازيغ كما أشرنا اعتنقوا الدين الإسلامي وتأصل فيهم وبطبيعة الحال سيرحبون بلغة القرآن الكريم. يُنظر: محمد حسن: **تطور الوعي القومي في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦، ص ١١٥- ١٣٦.

(٣٠) لقد ارتبط المغرب بالمشرق منذ بداية الفتح وتحول المغرب القديم إلى مغرب إسلامي، فكان الأرض الخصبة لمختلف الأفكار المتسربة من المشرق، وفي كثير من الأحيان لجأ الدعاة المشارق إلى المغرب وملكوا قلوب البربر الذين يقدسون العلماء والدعاة الذين حولوا ذلك الولاء إلى ملك سياسي متمثل في قيام الدول بالمغرب مثل الادريسية والرستمية والفاطمية العبيدية...الخ. يُنظر: عمار طالبي: **ابن باديس حياته وآثاره**، ج١ ، ط٢ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ص ١٥.

(٣١) لقد بدأت حركة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبقيادة عمر بن العاص الذي بلغ برقة في ليبيا، غير أنه توقف بأمر من الخليفة واستمر خلال بداية عهد عثمان رضي الله عنه، غير أنه توقف خلال عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسبب اندلاع الفتنة الكبرى أواخر عهد عثمان والتي استمرت تباعياتها طيلة عهد علي، وتم فتح المغرب من أقصاه إلى أقصاه وأكثر من ذلك تم العبور إلى شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس) زمن الدولة الأموية.

(٣٢) دولة المرابطين وحدة المغرب جزئيًا بحيث امتد نفوذها السياسي على المغرب الأقصى والأوسط. يُنظر: سعد عباس نصر الله: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ص ١٥ وما بعدها. وحسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، (د.ب)، ١٩٩٢، ص ٤٣٠ – ٤٣٧.

(٣٣) يُنظر: أبو بكر على الصنهاجي: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية**، دار المنصورة، الرباط، المغرب الأقصى، ١٩٨١، ص ١١ وما بعدها. محمد منوني: **حضارة الموحدين**، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، ١٩٨٩، ص ١٠ وما بعدها.

(٣٤) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

(٣٥) لوثورب ستيواد: **حاضر العالم الإسلامي**، تعليق: شكيب أرسلان، ج١، ط٣، ترجمة: عجاج نويهض، دار الفكر، ١٩٧١، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٣٦) محمد بن جرير الطبري: **مختصر تفسير الطبري**، ط٢، مكتبة الرحاب، الجزائر، ١٩٨٧، ص٨٢.

(٣٧) محمد عمارة: **جمال الدين الأفغاني المفترى عليه**، ط١، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٦١.

(٣٨) لوثورب ستيواد: مصدر سابق، ص ٢٨٨.

(٣٩) لوثورب ستيوارد: المصدر نفسه.

(٤٠) بعد وفاة النبي (ﷺ) في ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، عقد الأنصار "الأوس والخزرج" اجتماعًا لهم في سقيفة بني ساعدة وكانوا يهدفون لتعيين خليفة رسول الله (ﷺ)لقيادة الدولة الإسلامية الفتية التي أصبحت في حالة فراغ قيادي، وبين هم كذلك التحق بهم كل من أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة الجراح، وبعد مشاورات التف المؤمنون حول أبو بكر كحليفة لرسول الله (ﷺ)، وحجتهم في ذلك أن الرسول قد استخلفه في الصلاة وقت مرضه، فقالوا قد رضيه لديننا فكيف لا نرضاه لدنيانا. وهكذا تمخض عن هذا الاجتماع ميلاد الخلافة في التاريخ الإسلامي. للمزيد حول الخلافة، ينظر: محمد رشيد رضا: **الخلافة**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٤. وأبو الأعلى المودودي: **الخلافة والملك**، ترجمة: أحمد عزت، شركة الشهاب، الجزائر، ١٩٨٨. مصطفى حلمي: **نظام الخلافة في الفكر الإسلامي**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤.

(٤١) تعاقب على حكم الدولة الإسلامية الراشدة كل من الصحابة رضوان الله عليهم: أبو بكر الصديق (١١- ١٣ هـ)، عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣ هـ)، عثمان بن عفان (٢٣ – ٣٥ هـ)، علي بن أبي طالب (٣٥ – ٤٠هـ).

(٤٢) لقد كان العالم الإسلامي يعيش أوضاعًا خطيرة في جميع المجالات، نتيجة عدة عوامل ولعل أهمها المد الاستعماري الأوربي. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: رأفت الشيخ: **تاريخ العرب الحديث**، عين للدراسات والبحوث العلمية، مصر، ١٩٩٤، ص ٢٦٦ - ٢٧٤.

(٤٣) لقد تزعم حركة الجامعة الإسلامية كوكبة من رجال الإصلاح وعلى رأسهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وشكيب أرسلان، للمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصيات، يُنظر: محمد رشيد رضا: **تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده**، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦. محمد عبده: **الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده**، ط١، تحقيق وتقديم: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، لبنان، ١٩٩٣. أحمد الشرباطي: **شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، (د.ت). مصطفى فوزي عبد الطيف غزال: **دعوة جمال الدين الأفغاني في الميزان**، ط١، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣. يمكن الإشارة إلى بعض المراجع باللغة الفرنسية عن الأفغاني:

Pakdaman (H): **Djamel Eddine Afghani**, édition Maisonneuve et La rose, Paris, 1969 (Thèse). Pakdaman (H): **Notes sur le sejour de Djamal Eddine "Afghani"** Ed en France, 1965.

(٤٤) لقد عرفت الجامعة الإسلامية عدة تيارات عبر مختلف العالم الإسلامي كالمهدية والسنوسية والوهابية. يُنظر: علي البشير الطاهر محمد: **الوحدة الإسلامية والحركات الدينية في القرن التاسع عشر: الحركة الوهابية وحركة جمال الدين الأفغاني والحركة السنوسية**، مطابع الصحافة للتجارة، ١٩٧٥. محمد عمارة: **الجامعة الإسلامية وفكرة القومية عند مصطفى كامل**، ط١ ، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ١٩٩٤، ص٥١-٥٩.

(٤٥) محمد عمارة: **جمال الدين الأفغاني المفترى عليه**، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٤٦) علي محافظة: **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩١٤)**، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٨٧، ص ١٠٩.

(٤٧) كل هذه الإشارات التي تخص سيرة علي الحمامي النضالية المغاربية اقتبسناها من حديث محي الدين القليبي حول صديقه الحمامي. يُنظر: محيى الدين القليبي: المقال السابق، ص ١.

(٤٨) يتكون العالم الإسلامي من عدة مجموعات عرقية نذكر أشهرها: ١- مجموعة الدول العربية المشرقية. ٢- مجموعة الدول العربية المغاربية (شمال إفريقيا). ٣- الكتلة الإيرانية الأفغانية الباكيستانية الكشميرية البنغالية. ٤- الكتلة الاندونيسية الماليزية. ٥- الكتلة الإفريقية وتشمل دول النطاق الصحراوي ودول شرق إفريقيا. ٦- الكتلة التركية القوقازية وتشمل تركيا وجمهوريات وولايات في مرتفعات القوقاز، وهي: أذربيجان، داغستان، شاشان، أنجوشيا، أوستينا، الأوديجا. ٦- الكتلة التركستانية، وتسكنها العناصر المغولية التركية.٧- الجمهوريات الإسلامية في الإتحاد السوفيتي (سابقًا) وهي: أوزبكيستان، طاجكستان، تركمانيا، قزقستان، قرغيزيا، نتاريا، الجوفاش.ينظر: تاج السر أحمد: **حاضر العالم الإسلامي**، ط١ ، إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١، ص ١٥،١٦.

(49) Ali. Hammami: **Op.cit,** P. 137 – 138.

(50) Ibid, P. 147.

(٥١) محيى الدين القليبي: المقال السابق، ص ١.

(٥٢) لقد ظهرت عده آراء حول أصل سكان المغرب منهم مَنْ يرى أن أصولهم شرقية باعتبار شبه جزيرة العرب كانت خزان بشري ومنطلق مختلف الهجرات البشرية، وفي مقابل ذلك حاولت المدرسة الكولونيالية أن ترجع أصولهم إلى الغرب بالنظر إلى التشابه في اللون والقرب الجغرافي من أوربا، هذا لتبرير تواجدها في أرض المغرب، وكذا لتشجيع سياسية التفرقة.

(53) Ibid**,** P.22.

(54) Ibid, P.27.

(٥٥) للمزيد من التفاصيل حول تاريخ المغرب القديم وأهم الشخصيات الفاعلة. يُنظر: شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٩. مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٦.

(56) Ibid**,** P.27 - 29.

(57) Ibid, P.31.

(٥٨) لقد قاوم البربر الفاتحين العرب الأوائل من منطلق التعلق بالحرية والوطنية، ولكن عندكما فقهوا مقاصدهم، رحبوا بهم وأسلموا وحسن إسلامهم وأحبوا لسان الإسلام والقرآن فصاروا عربًا مسلمين، وأكثر من ذلك أصبحت أرض المغرب منطلق الفتوح الإسلامية.

(59) Ibid, P.31**.**

(60) Ibid.

(٦١) لقد انتقل الفكر الخارجي إلى المغرب الإسلامي، بحيث كان البربر، يتضجرون من الظلم الذي كان يعاملهم به عمال بني أمية وعدم مساواتهم مع بقية المسلمين. وقد استغل هذا الوضع رجل يدعى "ميسرة المدغري" وأعلن الثورة على الأمويين، فتم قتل واليهم في طنجة "عمر المرادي"، وتم تولية أحد الخوارج يدعى: عبد الأعلى بن جريج، وبعد احتلال طنجة توجه نحو السوس فاحتلها، وتقدم باتجاه القيروان. للمزيد حول انتشار الفكر الخارجي في المغرب. يُنظر: محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب**، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥.

(62) Ibid, P. 137, 138.

(٦٣) في سنة ١٨٤هـ خاف هارون الرشيد أن تفلت تونس (المغرب الأدنى) من سلطة بني العباس، فقبل العرض الذي تقدم به إليه إبراهيم بن أغلب التميمي، وأسند إليه ولايتها وجعلها وراثية في آل الأغلب، على أن يدفع لخزينة الخلافة أربعين ألف دينار.

(64) Ibid, P.137,138.

(٦٥) شكل موضوع أحقية العرب القرشيين بالخلافة من عدمه جدلاً واسعًا، خاصةً مع نمو الوعي القومي لدى القوميات المنضوية تحت لواء الخلافة المشرقية العربية، فمنهم مَنْ يرى بأحقية العرب القرشيين بالخلافة ودليلهم في ذلك حديث النبي (ﷺ)"إنما الخلافة في قريش"، وعلى النقيض من ذلك ذهب فريق أخر يرى خلاف ذلك ودليلهم في ذلك قوله صلى (ﷺ)"مَنْ ولى من

أمر المسلمين شيئًا، فولى رجلاً وهو يجد مَنْ هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين" – رواه الحاكم في صحيحه-.

(٦٦) نسبة إلى امحمد بن تومورت الذي ولد سنة ٤٨٥هـ لأسرة متدينة من قبيلة "هرتغة" إحدى بطون "مصمودة" الأمازيغية، حفظ القرآن وأخذ مبادئ العلوم في موطنه ثم خرج لطلب العلم فقصد الأندلس ثم المهدية فمصر واستقر بالعراق فأخذ عن أئمته ولازم حجة الإسلام الغزالي. عاد إلى مسقط رأسه سنة ٥١٣هـ وقد حز في نفسه ما آلت إليه الخلافتين العباسية والفاطمية من ضعف وتفكك فأخذ يدعوا في المساجد والمدن الاسلامية التي طاف بها آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، وبعدما التفت حوله قبيلته مبايعة له بالنصرة والدفاع أعلن أنه المهدي المنتظر، وقد اعتبرت هذه البيعة سنة ٥١٥هـ بمثابة بداية العهد الموحدي لأن المهدي أطلق على أتباعه اسم الموحدين. كما أن له مدونات في العلوم الشرعية مثل كتاب التوحيد، والمرشد. يُنظر: أبي بكر علي الصنهاجي: **أخبار المهدي بن تمورت وبداية الدولة الموحدية**، دار المنصورة، الرباط، المغرب، ١٨٧١.

(67) Ibid, P.93, 94.

(٦٨) هو عبد المؤمن بن علي الكومي، تولى قيادة الدولة الموحدية بعد وفاة بن تمورت، ويعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي للدولة.

(69) Ibid, P.38, 39.

# محمد بن عبد الكريم الخطابي
# في مواجهة التدخل الإمبريالي




**عبد العزيز بودرة**

باحث دكتوراه العلاقات الثقافية المغربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس
فاس – المملكة المغربية



## مُلَخَّصْ

كلما حل يوم ٢١ يوليوز من كل سنة وإلا تذكر المغاربة والعالم أجمع انتصار حفنة من المزارعين والفلاحين الريفيين على إسبانيا في معركة أنوال، هذه المعركة التي أرخت لبداية سلسلة من الانتصارات المتتالية التي حققتها المقاومة الريفية على إحدى أعرق القوى الإمبريالية الاستعمارية. كيف ساهم تكوين محمد بن عبد الكريم الخطابي في بلورة مقاومة شعبية وقفت في وجه أطماع إسبانيا؟ وكيف تمكن الخطابي من تنظيم مقاومة شرسة لم يتم القضاء عليها إلا بتحالف القوى الاستعمارية الكبرى وباستعمال أساليب لا إنسانية؟ كلها أسئلة سنحاول الإجابة عنها في هذا البحث الذي نسعى من خلاله إلى نفض الغبار على مجموعة من النقط التي استغلها الزعيم الريفي ووظفها في تنظيم مقاومة عنيدة أرهقت دهاقنة الاستعمار الأوربي. كما سنحاول البحث عن أسباب فشل المقاومة الريفية التي وضعت رهانها على تضارب مصالح الدول الاستعمارية التي سارعت إلى التحالف والتعاضد ونبذ خلافاتها لإنهاء ما عرف بحرب الريف، هذه الحرب التي جعلت أنظار العالم الغربي والعالم المغلوب على أمره تتجه نحو ما كان يدور في منطقة الشمال المغربي. المواجهة اغتنمتها الدول الاستعمارية المهتمة بالريف فرصة لتصفي حساباتها ولتحل كثيرا من مشاكلها، كما كانت حرب الريف مناسبة لأبناء المستعمرات ليراجعوا أنفسهم ويحاسبوا ضمائرهم. لقد جعل الكل من حرب الريف حربه الخاصة. فكيف كان ذلك؟



**بيانات الدراسة:**

تاريخ استلام البحث: ٢٧ يوليو ٢٠١٤

تاريخ قبـول النشـر: ٩ أكتوبر ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

المجتمع الريفي، معركة دهار أوبران، معركة أنوال، الاستعمار الإسباني، الحماية الفرنسية

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

عبد العزيز بودرة. "محمد بن عبد الكريم الخطابي في مواجهة التدخل الإمبريالي".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ٣٤ – ٤٣.


## مُقَدِّمَةٌ

شهد المغرب منذ أواسط القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين، وعلى مر أكثر من قرن، حروبًا مستمرة في مواجهة الأطماع الأوربية، جعلته يتميز بكونه بلد المقاومات، بدءًا بمعركة وادي إيسلي وحرب تطوان، مرورًا بمقاومة التدخل الفرنسي خلال عمليات توغله الأولى من ١٩٠٠ إلى ١٩١٢، وتتويجًا بالمقاومة المسلحة بمختلف المناطق المغربية، وانتهاء بحرب جيش التحرير. والمتتبع لهذه المراحل والأشواط التي قطعتها المقاومة المغربية سواءً من خلال اختلافها أو تفرعها أو شكلها وانتظامها وأساليبها الحربية، ليقف مذهولاً أمام قوتها ومناعتها، مناعة جبال الأطلس، وقوة ورباطة جأش أبطالها. سنتوقف في مساهمتنا هذه، عند أسطع وجه لمع في سماء المقاومة المغربية، وشكل أحد رموزها الأخيار، وعبر عن إرادة الشعب المغربي التواقة إلى الحرية والاستقلال والانعتاق، وسجل إحدى صفحاته المشرقة في تاريخ المغرب الحديث.

تؤكد التجربة الإنسانية على الأرض، أن الرجال العظام في التاريخ، أولئك الذين استطاعوا أن يدركوا وجهته وقوانينه والتعامل معه بالطريقة التي تجعلهم يذكرون فيه كما يذكر الحسين بن علي على منابر الشيعة، لا كما كان يذكر والده على منابر بني أمية. وكانت تلك حالة عبد الكريم الخطابي إلى حد كبير،

وبما أن الإنسان ابن بيئته وجب علينا دراسة المحيط الذي عاش فيه الخطابي خلال بداياته الأولى ومحاولته استكشاف محيطه القريب "الريف" والمتوسط "المغرب" ممثلاً في عاصمة الدولة آنذاك فاس والبعيد ممثلاً في مدينة مليلية بوابة المغرب على أوربا، وتأثير ذلك على شخصيته وإعداده لأن يكون واحدًا من كبار صناع تاريخ المغرب المعاصر.

## أولاً: محمد بن عبد الكريم الخطابي (السيرة والمسيرة)

ولد في أجدير سنة ١٨٨٢م، تلقى تعليمه الأولي على يد أبيه عبد الكريم . الذي كان قاضيًا شريفًا يحاط باحترام عميق لعلمه ولاستقامته على حد سواء، وكان زعيما لقبيلته . في سن الخامسة التحق بالكتاب فحفظ القرآن في سن مبكرة، أعجب كثيرًا بمهنة أبيه التي كانت مهنة لجده وأبي جده، وهو ما جعل أباه يرسله إلى جامعة القرويين سنة ١٩٠٥ لطلب العلم، وسمح له بالاحتكاك بمجموعة من الطلبة وتلقى الدروس في مختلف الاتجاهات وفي تطوير مواهبه، وسيتخرج منها سنة ١٩٠٩م، ليعود من جديد إلى الريف.[١] شارك في التحالف الريفي الذي تشكل بفضل والده من أجل مقاومة الجيلالي الزرهوني المدعو بـ "بوحمارة"، وبعد ذلك سيرسله أبوه إلى "مليلية" كي يدرس القانون، ويكتسب الخبرة من الاسبانيين، ويكشف على نواياهم الاستعمارية في المغرب، اشتغل بالتدريس في إحدى المدارس الصغيرة لأبناء المسلمين المقيمين في المدينة، ثم ترك هذه المهنة كي يمتهن الصحافة بإصداره للصفحة المحررة باللغة العربية في "تلغراف الريف"، ومن أجل العمل كسكرتير في مكتب الشؤون المحلية.

أصبح سنة ١٩١٣م مستشارًا لدى محكمة الجنايات، ثم ترقى لمنصب رئيس العدل، قاضيًا في القضايا الجنائية والمدنية معًا، هذه المناصب التي تدل على كفاءته، سمحت له بالاحتكاك مع المسئولين الأسبان والاطلاع على الوثائق التي تكشف النقاب عن العجز والفساد الإسبانيين، وكذا الخطط التي وضعت من أجل استغلال ونهب خيرات الريف، ويتأكد بشكل قاطع أنه ليس في نية الاسبانيين على الإطلاق السماح لأهل الريف بالانتفاع من ثرواتهم الطبيعية أو معاملتهم كشركاء متساوين كما كانوا يعلنون على الملأ، ليرى بذلك الوجه الحقيقي للاستعمار. فلم يتوانى عن استغلال المنبر الاستعماري "تلغراف الريف" لدحض بعض الأفكار المسمومة التي كانت تبثها "جريدة السعادة" لسان الحماية الفرنسية وكذا الاحتجاج عن التقسيم الفرنسي الاسباني للمغرب حيث يروى أن الجنرال سلفيستري الذي كان يقوم بزيارة مليلية التقى بالأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ودخلا في نقاش انتهى بشجار غير لائق.

كما أن رفض عبد الكريم الأب لعرض إسبانيا المتمثل في تولي منصب نائب السلطان في تطوان، ورفض أطماع الإسبان في فرض السيطرة على بلاد الريف، وكذا إعلان معارضته للاستعمار، ورفض تقديم الولاء للجنرال الإسباني "خوردانا" جعل السلطات الإسبانية تقوم بعزل الأمير من مناصبه، والزج به في السجن قرابة عام، حاول الهروب من السجن إلا أن محاولته باءت بالفشل بعد أن أصيب بكسر في رجله كان سببًا في عرج خفيف لازمه طوال حياته. بعد إطلاق سراحه عاد إلى أجدير ليلتحق بوالده الذي توفي سنة ١٩٢٠، عندما كان يقود إحدى المعارك ضد الإسبان في منطقة تفرسيت، بعد أن تم تسميمه من طرف أحد عملاء إسبانيا وبذلك انتقلت الزعامة إلى ابنه الذي قطع له الوعد بمواصلة الطريق وهو الوعد الذي ترجمه ميدانيًا بقيادته لحرب تحررية في الريف ما بين ١٩٢١م و ١٩٢٦م، والتي انتهت بنفيه إلى جزيرة لاريونيون Réunion La ثم بعد ذلك سينزل في مصر سنة ١٩٤٧م، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة من حياة المنفى والنضال حيث سيواصل صراعه ضد الاستعمار وعملائه إلى أن توفي سنة ١٩٦٣م.

وبخصوص أوصاف الزعيم الريفي يمكن أن ندرج ما قاله كابرييلي Gabrielli عنه بمناسبة زيارته للريف في يونيو ١٩٢٥، حيث كتب: "إنه رجل مربوع القامة، يميل إلى البدانة، ذو سحنة داكنة تحيط بها لحية مشذبة. وله عينان مفعمتان بالحيوية مع ميلهما للحول".[٢] لم نقصد بهذه الأسطر الإحاطة بحياة محمد بن عبد الكريم الخطابي فحياته أعظم من أن تتناولها صفحة أو صفحات، خاصةً وأنه لا يمكن أن نميز بين الأحداث وبين السيرة الذاتية لهذا القائد، لكننا نؤكد أن قصة حياته، وفصول نضاله تستحق بجدارة أن تنشر على الناس أمانة للتاريخ وعرفانا لجميل هذا القائد، الذي كان بطلا لحرب تحريرية شغلت الناس طوال سنوات عديدة، واهتزت لها الصحافة العالمية، وكل وسائل الإعلام والمخابرات والمحافل الدبلوماسية ومجالس البرلمان والأحزاب السياسية في أوروبا، غير أنه لم يعرف لدى الناس إلا باسم أبيه، إذ يدعى من طرف الكل باسم عبد الكريم في حين أن اسمه هو محمد بن عبد الكريم الخطابي.

## ثانيًا: طبيعة حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي

يكفي التدقيق في طبيعة حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي من حيث التنظيم والتكتيك والاستراتيجية لفهم الأسباب التي أدت إلى التحالف الإمبريالي من أجل القضاء على هذه الحركة. فقد استطاعت هذه الحركة التصدي للأطماع الاستعمارية الإسبانية ما بين (١٩٢١ – ١٩٢٥)، ثم الفرنسية ابتداءً من أبريل ١٩٢٥م، والقوتين معًا ابتداءً من شتنبر/ سبتمبر ١٩٢٥م، مستفيدة من تنظيمها المحكم وتكتيكها واستراتيجياتها الواضحين، على غرار حنكة قائدها الذي استطاع في مختلف مراحل الكفاح، التوفيق بين المواجهة العسكرية والتحرك السياسي والدبلوماسي.

كانت الاستراتيجية التي وضعها محمد بن عبد الكريم الخطابي لحرب الريف واضحة الأفق، تمثلت في "تحرير المغرب من أجدير إلى أكادير".[٣] فكان يلح على أن يعمل قادته على جعل جنودهم مستوعبين الوضع على حقيقته، وذلك عبر فهم هذه الاستراتيجية العامة لمعركتهم ليعطي لقضية التحرر من الاستعمار طابعها الوطني. فلم يكن هدفه يقتصر على تحرير تلك البقعة المسماة

بالريف السياسي والممتدة من طنجة حتى مشارف وجدة، إن هذه الرؤية الشمولية اتضحت فيما بعد عنده بل وانفتحت نية التحرير على شمال إفريقيا برمته وهو الفضاء الذي كان يعتبره بنعبد الكريم رحبًا للعمل السياسي بعيدًا عن أية نظرة ضيقة، فاعتبر الصراع ضد المستعمر مصيري لا يقبل المساومة ولا يمكن فصله عن حق الشعوب في تقرير مصيرها واختيار النظام السياسي الملائم لها، هذا ما جاء في رسالة وجهها بن عبد الكريم إلى جمعية الطلبة في "بونيس إيرس" جاء فيها "لا يوجد في هذه الدنيا حق للأمم أقدس وأرسخ من حقها في تقرير مصيرها وأن تحكم نفسها بنفسها".[٤]

كما لم يميز الأمير بين الإسبان والفرنسيين، فقد كان يناهض الإمبريالية بشكل عام، وهذا ما جاء في خطابه للوطنيين الصينيين، حينما قال "أنتم في الشرق الأقصى ونحن في المغرب الأقصى نكافح معًا ضد امبريالية تستعبد شعوبنا"،[٥] هذه هي حقيقة حركة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، البعيدة كل البعد عن ما يتم الترويج له بلا وطنيتها بالمعنى الحديث، لأنها بدأت وانتهت كحركة قبلية، وأنها مثال ساطع على التمرد الأزلي، وعدم الخضوع للسلطة المركزية، مع العلم أن القائد الريفي صرح أكثر من مرة، بعدم رغبته لا في الحكم ولا في المال، كل ما يريده الحرية والانعتاق من ربق الاستعمار، فكلمته العظيمة التي قالها قبل تحقيق النصر في معركة أنوال الخالدة، تبقى شاهدة على ذلك حين قال: "أنا لا أريد أن أكون أميرًا ولا حاكمًا وإنما أريد أن أكون حرًا في بلد حر ولا أضيق من سلب حريتي أو كرامتي"،[٦] أما بعد الانتصار في معركة أنوال المجيدة، فقد قال في اجتماع مع رجال الريف، توافدوا عليه بأعداد غفيرة يريدون إعلانه سلطانًا: "لا أريدها سلطنة ولا إمارة ولا جمهورية ولا محمية إنما أريدها عدالة اجتماعية ونظامًا عادلاً يستمد روحه من تراثه"، فلم يكن كذلك مرابطًا محليًا يقود الجهاد ضد الكفار ويعد بالجنة بل كان قائدًا سياسيًا وسع طموحاته إلى فكرة الوطنية.

أما فيما يخص التكتيك الذي استعمله بن عبد الكريم خلال حرب الريف، والذي جعلها تأخذ مكانها البارز في التاريخ العالمي، فالتصريح الذي أدلى به "ماو تسي تونغ"[٧] لوفد فتح من منظمة التحرير الفلسطيني سنة ١٩٧١، يعطينا صورة جلية عن هذا التكتيك حين قال: "رفاقي الأعزاء أتيتم تزورونني لكي أحدثكم عن حرب التحرير الشعبية في حين يوجد في تاريخكم القريب ابن عبد الكريم الخطابي الذي هو أحد المصادر الرئيسية الذي تعلمت منها حرب التحرير الشعبية"،[٨] فالمغاربة اكتشفوا بمنطقة الريف الخطة الحربية أو التكتيك الذي يضمن وحدة إمكانية الضغط على الاستعمار، ألا وهي حرب العصابات أو الحرب الشعبية، وهو التكتيك الذي رأى فيه الأمير الطريق الوحيد لقهر الجيش الاستعماري المنظم ذو السلاح المتطور، لتصبح بذلك "حرب الريف" مدرسة للثوار عبر العالم، خاصةً وأنها هزت الأركان العسكرية للاستعمار الإسباني والفرنسي معًا، حيث مكنت شعبًا صغيرًا لم يكن يتجاوز ربع مليون نسمة برجاله ونسائه وشيوخه وأطفاله، من تحقيق انتصارات عظيمة على المستعمر، ورفع هامة الريف والمغرب عاليًا، وأصبحت كذلك مثالاً يقتدى بين جميع الأمم التي ابتلت بالاستعمار، فـ "هو شي منه" (Hochi Minh).[٩] الذي واكب حرب الريف لما كان طالبًا في فرنسا، كان يقول عنها: "إن الدروس المستقاه من حرب الريف قد أظهرت بصفة جلية أن باستطاعة شعب صغير هزيمة جيش عصري ومنظم عندما يحمل السلاح ويدافع عن حقوقه فالريفيون استحقوا بجدارة أن يقال أنهم أعطوا الدروس للعالم أجمع"، وكان على حق في رأيه، لأنه أخذ بالخطة نفسها في حرب التحرير التي قادها بالهند الصينية، وما كان في الإمكان أن نجد شاهدًا خيرًا منه على أهميتها.

لهذا شكلت حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي، نموذجًا متميزًا في الحركات التحررية لدى مجموعة من الشعوب المستعمرة لدرجة أصبحت معها كبريات المعاهد والأكاديميات العسكرية في أمريكا وفرنسا وإسبانيا تدرس تكتيكاتها واستراتيجيها.

بهذا الأسلوب الجديد في المقاومة استطاع الريفيون وقائدهم تحقيق انتصارات باهرة على الجيوش الاسبانية شكلت آنذاك دفعة قوية للمقاومة إن على المستوى المادي، والمتمثل في الغنائم التي حصل عليها الأمير من مدافع ورشاشات وبنادق والخرطوش... ناهيك عن الخسائر البشرية في صفوف العدو، فمثلاً بعد الانتصار في معركة "أدهار أبران" و"أنوال"، أصبح في يد الريفيين أزيد من (١٩٥٠٤) بندقية، (٣٥٢) رشاش، (١٢٩) مدفعًا، وقتلوا أزيد من (١٨٠٠) رجل أي جيش برمته وأسروا حوالي (١١٠٠) أسير،[١٠] كما أن "الجنرال سيلفيستر" لم يتمكن من شرب الشاي في دار محمد بن عبد الكريم، كما كان يصرح، لأنه قد لقي مصرعه في معركة "أنوال"، أو على المستوى المعنوي وذلك ما يبرر التحاق مجموعة من القبائل بالحركة التحريرية، التي اقتصرت في البداية على ثلاث قبائل فقط وهي: "بني ورياغل" و"بني توزين" و"بيقوة"، حتى تلك القبائل التي خضعت وقبلت دخول المستعمر انقلبت ضد هذا الأخير، علمًا أن محمد بن عبد الكريم الخطابي قبل تحقيق هذا النجاح، قام بمحاولات عديدة للاستنهاض القبائل ضد إسبانيا، غير أنه أخفق في الحصول على تأييدها، لأنها كانت تظن أنه من المستحيل الانتصار على الأسبان. لتتوالى بذلك هذه الانتصارات حيث أن اثني عشر سنة من العمل الإسباني في المغرب ذهبت خلال أيام قليلة، حيث وصل جيش ابن عبد الكريم حتى مشارف مليلية. فقد شكلت هذه الانتصارات كارثة بالنسبة للإسبانيين أثرت على تاريخ إسبانيا المعاصر تأثيرًا بليغًا، إلى جانب الصدى الذي خلفته هذه الحرب على الصعيد الدولي والمحلي.

كما وجهت هذه الانتصارات ضربة قاسمة لمنظري الاستعمار الذين أكدوا على أن المجتمع الريفي عبارة عن مجتمع فسيفسائي تنخره الصراعات الداخلية والحروب الانتقامية كما أثبتت زيف حسابات "الجنرال سلفستير" الذي كان يرى في الأمير مجرد رجل

مغرور يمكن أن يعيق قوة إسبانيا، لكنه لا يستطيع سبيلاً إلى مقاومتها، وكان يسمي أهل الريف "جنود التنورة"، ضنا منه أنه سيقسمهم قبل أن يتمكنوا من تعبئة أنفسهم. ويرى في استعمال القوة طريقة لإفهام المغاربة أنهم شعب مغلوب وأن علاقتهم مع الإسبان يجب أن تكتسي صبغة علاقات بين غالب ومغلوب. هكذا؛ ستتوج الانتصارات المتتالية بإعلان ابن عبد الكريم، قيام جمهورية الريف في يوليوز ١٩٢٣، أي "إقامة دولة ذات بنية حديثة تتخلص في نفس الوقت من تعسفات المخزن ومن سلبية نظام السيبة".[11]

وقد تم تأسيس سلطة هذه الدولة انطلاقًا من تحليل الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للريف، والبحث عن تنظيم كفيل بتلبية الحاجيات الفعلية للشعب والتعبير عن إرادته في التحرر الوطني، وهو ما فسح له المجال لتسييد القانون بدل العرف القبلي، واستعماله كسلاح مضاد لسلاح الدول الاستعمارية التي تفننت في تمزيق المجتمعات ونشر الفوضى وتشجيع النعرات والعادات السلبية التي تمزق الأرواح بين القبائل، وداخلها ليقضي نهائيًا على بعض العوائد السلبية، مثل عادة الثأر، منع اختطاف النساء، معاقبة كل من يقوم بازدراء اليهود المغاربة أو تحقيرهم.. وعمل على نشر الأمن وفرض نظام ضريبي جديد.[١٢]

غير أن تأسيس هذه الجمهورية ليس لكي تبقى جمهورية الريف، الغاية منها الاقتصار على الريف. ودائمًا في إطار تصفية النظم القبلية ابتكر محمد بن عبد الكريم الخطابي الوسيلة الصحيحة لخوض حرب التحرير، والمتمثلة في الجيش الشعبي، مخالفًا التقليد المتبع في نظام المخزن، حيث اعتمد على تعبئة ذكور كل قبيلة الذي تتراوح أعمارهم بين (١٦) و(٥٠) سنة، وقسمهم إلى نصفين نصف يحارب لمدة أسبوعين كمعدل وسطي، والنصف الآخر ينتج الحياة المادية.[13] لم يكن يعمل هذا الجيش في كتائب منفصلة باستثناء عمامات مختلفة الألوان:

- المشاة يعتمون بعمامة حمراء.
- رجال المدفعية يعتمون بعمامة سوداء.
- حرس الأمير الخاص يعتمون بعمامة مخضرة.

كل جندي يرتدي جلابيته المألوفة المحاكة في بيته ويحمل طعامه الخاص ودخيرته. إلى جانب الاعتماد بشكل أساس على القبائل، أسس القائد الريفي جيش نظامي يتقاضى جنوده رواتب شهرية من خزينة الدولة. هكذا تزود الريفيون خلال المراحل الأولى من الحرب بكل ما يلزم لتنظيم المقاومة على أسس متينة من أسلحة ودخيرة حيث أصبح في يدهم حتى سلاح الطيران والذين حصلوا عليه أما عن طريق شرائه أو الاستيلاء عليه في إحدى المطارات.

لكن لم يتسنى لهم استعماله وفي هذا الصدد يذكر شاهد عيان إسباني للحرب ما يلي: "يبدو أن عبد الكريم يتوفر على (٥) أو (٤) طائرات عسكرية توجد في مكان ما داخل قبيلة بني ورياغل غير أنه لم يستطع استعماله لعدم توفره على الوقود الضروري، ولم يكن يتصور أن يكون عبد الكريم قد حصل على هذا النوع الخطير من السلاح وعلى كل حال فمن الألطاف الإلهية أنه لم يتمكن من الحصول على الوقود وإلا لكان في وسعه أن يمحو جزيرتنا من الخريطة".[١٤] كما أصبح في يد الريفيين شبكة هاتفية جعلت القيادة الريفية في اتصال مباشر مع الوحدات المتحركة المختلفة سمح لها بتنفيذ عمليات مشتركة في ميدان واسع، دون أن ننسى إجبار المقاومة المستعمر الإسباني على التفاوض مع محمد بن عبد الكريم الخطابي بشأن الأسرى الذين افتدهم بملايين البسيطات.

وقد ذاع صيت هذه الانتصارات متجاوزًا حدود الريف التي كانت مسرحًا لها، وبذلك ستنضم قبائل غمارة واجبالة بعد اضطرار الأسبان الانسحاب إلى المراكز الساحلية سنة ١٩٢٤م، كما كان لهذه الانجازات وقع كذلك على التراث الشعبي حيث نجد النساء والعجائز إلى حد قريب كن يرددن الأناشيد والأغاني المشيدة بحرب الريف خاصة عند قيامهن بالأعمال الجماعية مثل الاحتطاب أو الطحن اليدوي أو في طريقهن إلى أو من العين،[١٥] كما نجد كذلك في قبائل الريف فنانين "امذيازن" ينظمون قصائد شعرية للمقاومة ويغنونها في قالب موسيقي.

## ثالثا: محمد بن عبد الكريم الخطابي في مواجهة اسبانيا

قبل أن تنطلق الحرب الريفية الإسبانية قام محمد بن عبد الكريم الخطابي بعمل تعبوي كبير داخل القبائل الريفية عقب وفاة والده في شهر غشت ١٩٢٠ وهو يحارب الإسبان في منطقة "تفريست" الواقعة وسط المسافة بين الحسيمة والناظور، وبعدما تأكد الأمير بالملموس أن إسبانيا لن ترضى بأي حل تفاوضي سلمي وأن غايتها هي إذلال الريف وأهله اعتمادًا على قوة الحديد والنار، أسس أول قيادة جماعية بتاريخ (٢٠ سبتمبر ١٩٢٠) مكونة من (٣٨) شخصية أغلبهم من أعيان قبيلة آيت ورياغل وتعاهدوا على:

- الدفاع عن الدين والوطن والشرف إلى الموت.
- عدم إثارة الضغائن وعدم اللجوء إلى الثأر مهما تكن الظروف والملابسات.
- الالتزام بتنفيذ الأحكام الشرعية في كل الأحوال.[١٦]

بعد الاطمئنان إلى المؤاخاة التي بدأت تسود صفوف آيت ورياغل، امتد عمل الأحلاف والمؤاخاة إلى القبيلتين المجاورتين شرقا لآيت ورياغل وهما آيت توزين وتمسمان، حيث تم تأسيس مركز المجاهدين المتقدم في هذه الأخيرة بموقع "جب القامة" وكانت القوات الإسبانية قد احتلت مراكز استراتيجية في هاتين القبيلتين المطلتين على آيت ورياغل استعدادا لاحتلالها، وبذلك سيتم بسط نفوذ إسبانيا على كل المنطقة الخليفية.[١٧] وفي شهر يونيو من سنة ١٩٢١ انطلقت المعارك بهجوم المجاهدين على مركز "ادهار أوبران" وكان ذلك الهجوم بداية المعارك التي استمرت مدة شهر ونصف على مثلث "ادهار أوبران . إغريبن . أنوال" والتي كانت لها انعكاساتها

الكبيرة على المستقبل السياسي لإسبانيا، واستمرت عقودًا طويلة وأعطت في المقابل شهرة عالمية للريفيين وللمغرب المعاصر تفوق الشهرة التي حصل عليها المغرب بعد معركة وادي المخازن منذ ١٥٧٨ المعروفة بمعركة الملوك الثلاثة.[١٨]

**١/٣- معركة "ادهار أوبران" (٠١ يونيو ١٩٢١):**

تعتبر معركة "دهار أوبران" (جبل أوبران) أول معركة يحقق فيها الريفيون بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي انتصارًا ضد القوات الإسبانية، حيث دفعت الانتصارات المتتالية لإسبانيا الجنرال "سلفستري" إلى التفكير في غزو مدينة الحسيمة، ولأجل ذلك قرر الاستيلاء على "ادهار أوبران"، وبما أن هذا الجبل يوجد في موقع استراتيجي حيث يفصل تمسمان عن البحر الأبيض المتوسط، فقد استشعر محمد بن عبد الكريم الخطابي خطورة الموقف وفكر في ضرورة القيام بهجوم حاسم على القوات الإسبانية بهدف استرجاع "ادهار أوبران" الذي أصبح ذا أهمية كبيرة في تحديد مستقبل حرب الريفيين ضد الإسبان.[١٩]

زحفت القوات الإسبانية باتجاه "ادهار أوبران" بقيادة الكولونيل فيلار (Villar)، أما سلفستري ففضل الإتجاه نحو أنوال في ذلك اليوم، فقد تحدث إلى "موراليس" (Morales) وقال له: "إنه يريد أن يكافئ فيلار (Villar)". وقد علقت المؤرخة الإسبانية ماريا روسا عن ذلك بقولها : "كان في طي الكلام تأنيب وانتقاد له، لأنه كان يعارض هذه العملية ويعتبرها مجازفة".[٢٠] لكن يبدو أن سلفستري كان متيقنًا من احتلال هذا الموقع دون أي مقاومة تذكر فقد قال لضباطه بعد ساعات من وصول قوات "فيلار" إلى "أوبران": "إنني كنت على حق عندما خططت للاستيلاء على هذا المركز وقد كنتم جميعا تعارضونني، فها هو "أوبران" قد تم احتلاله ولم يسمع أحد منكم ولو طلقة نارية واحدة وها هو الجيش الإسباني العتيد يتمركز بذلك المكان ويقوم بتحصينه".[٢١]

أما الحركة الريفية فقد انتظرت إلى أن انتهى الأسبان من أعمال التحصين وتأكدوا من نجاح مهمتهم فانقضت عليهم وهم في طريقهم إلى أنوال التي وصلها الكولونيل "فيلار" بصعوبة بعدما فقد الكثير من جنوده.[٢٢] وبعد ذلك توجت الحركة الريفية إلى "ادهار أوبران" واجتمعوا من كل جهة وأحاطوا من كل جهة بالقشلة، وأخذوا يطلقون النار على الجيش الإسباني الذي كان داخل القشلة المحصنة بسور من خناشي الرمل والأسلاك الشائكة التي اقتلعوها عن آخرها، وتقدموا إلى الأمام، فاقتحموا وقتلوا جميع الجيوش التي كانت داخل القشلة بالحجر الذي كان يتساقط عليهم كالمطر، إلا عددًا قليلاً استطاع الهروب فالتحق إما بسيدي ادريس أو بأنوال.[23] فقدت إسبانيا في هذه المعركة ما يناهز (٣٠٠) رجل، وتمكن المقاومون من الحصول على عدد وافر من الأسلحة التي كانوا في أشد الحاجة إليها، ويؤكد التقرير الذي أعده الجنرال سلفستري في يوم ٨ يونيو ١٩٢١ أن المقاومين غنموا أربعة مدافع وثلاثمائة بندقية وأربعة صناديق فيها ستون ألف من القرطاس، وثلاثمائة وستون من قنابل المدافع، زيادة على عدد من الخيم والأدوية والمأكولات وإثنا عشر ألف ريال إسباني.[٢٤]

ارتفعت معنويات الريفيين بعد واقعة "أوبران"، فهاجم المقاومون في اليوم الموالي في ٢ يونيو موقع سيدي ادريس، وانطلقت فرقة للتدخل السريع، من أنوال فاضطرت لانسحاب أمام ارتفاع عدد كبير من ضحاياها.[٢٥] كان لمعركة "ادهار أوبران" أهمية كبيرة وقد علق عن ذلك جرمان عياش بقوله: "هكذا كانت أوبران، بخلاف رأي بربنغير، هي التي أعطت في كل الريف نفسًا جديدًا للقوة الشعبية الهائلة بعد أن كان قد اعتراها الفتور تدريجيًا من جراء الانقسام، والفوضى، والفشل، والخوف في آخر الأمر. وحيث إن "أوبران" هي التي قطعت خط الرجعة على محمد بن عبد الكريم، الذي كانت القبائل في حاجة إليه من توحيد صفوفها وبلوغ غايتها المنشودة، فقد اندلعت منها ومن يوم وقوعها بالذات هذه الحرب التي تعتبر أول حرب في التاريخ ضد هيمنة أوربا المنتصرة، تلك الحرب الشعبية، الهجومية، التي كادت تكون مظفرة: إنها حرب الريف التي بدأت من تلك المعركة ومن يوم وقوعها".[٢٦] بعد معركة "ادهار أوبران" سيتمكن الريفيين من تحقيق انتصارين آخرين في سيدي إبراهيم وإغريبن، إلا أن المعركة التي ستهز كيان الإسبان وتعرقل مسيرتهم في المنطقة ويصل صداها إلى مختلف أنحاء العالم كانت معركة أنوال.

**٢/٣- معركة أنوال : (٢١ يوليوز ١٩٢١)**

بعد سلسلة من الإجراءات والتدابير العامة التي قام بها الجنرال سلفستري، شهدت مدينة مليلية استعراضًا كبيرًا ضم ما يزيد عن (٢٠٠٠٠) جندي يرأسه القائد العام للقوات الإسبانية العامة في الجهة الشرقية الجنرال **سلفستري**، فكان يومًا مشهودًا يدل على تصميم القائد واستعداده للقتال في سبيل إسبانيا والقضاء نهائيًا على الثورة الريفية التي أزعجت سلطات الاحتلال.[٢٧] قام محمد بن عبد الكريم الخطابي استعدادًا لهذه المعركة بمحاصرة الإسبان وقطع الإمدادات عنهم، وهكذا نجح رجال المقاومة في الاستيلاء على سيدي ابراهيم (أكمة الأشجار) وأصبحوا بذلك يسيطرون على الممر الذي يقطعه الأسبان لتموين موقع إغريبن انطلاقًا من أنوال.[٢٨]

وفي ١٧ من شهر يوليوز، هاجم المقاومين مواقع بويميان وأنوال وإغريبن، لتصبح مهمة الإسبان أكثر تعقيدًا، حيث أصبحت المواقع الإسبانية تعرف شحًا في الماء والمؤن والعتاد، لأن إيصال المؤونة أصبح شبه مستحيل.[٢٩] ولما اقتربت المعركة أرسل الزعيم الخطابي من مركزه بأمزاورو تعزيزات جديدة للمقاومين، تمثلت في خمسمائة مجاهد ليلتحقوا بإخوانهم بخط القتال بأيت عزا، حاملين معهم جميع ما يحتاجون إليه من المواد الحربية والغذائية، بعدما زودهم بمعلوماته وإرشاداته التي كانت كلها تشجيعًا على الصبر والثبات والصمود في وجه العدو مهما بلغت قوته.[٣٠]

بعد احتلال المجاهدين للمراكز الاستراتيجية أخذوا يوجهون مياه الجبال نحو المنطقة التي تحيط بالقيادة العامة الإسبانية في أنوال. فترتب عن ذلك وحل جعل الجنرال سلفستري يتخذ قرار محاربة المجاهدين باستعمال جميع جيوشه للخروج من المازق، وكان عدد هذه الجيوش تسعة عشر ألف رجل تتوفر على عتاد كثير وخمسين مدفعًا ثقيلاً.(٣١)

قام سلفستري بهجوم حاسم كان يطمح من خلاله إلى حسم المعركة، حيث استعمل كل القوات التي وردت عليه من إسبانيا وتطوان، وضمت هذه القوات (٤٠٠٠) ألف جندي إسباني بالإضافة إلى (٢٠٠٠) مقاتل من شرطة الأهالي، فدارت معركة شديدة استمرت نحو ثلاث ساعات ولم يستطيع خلالها الجيش الإسباني اختراق صفوف المجاهدين، رغم استعماله جميع الأسلحة الخفيفة والثقيلة، وبعض الطائرات التي ظهرت لأول مرة في الميدان الحربي بالريف.(٣٢) لما أحس الجنرال سلفستري بخطورة الوضع عقد اجتماعًا مع الرؤساء العسكريين، وتم طرح ثلاثة احتمالات:

- الحوار مع الريفيين من أجل التفاوض حول استلام الموقع.
- مواصلة المقاومة.
- إخلاء الموقع بطريقة مفاجئة ومدروسة.

يظهر أن سلفستري كان ينتظر وصول المزيد من الإمدادات، لكن القبطان "كراسكو" (Crrasco) المسؤول عن شرطة الأهالي، أخبر الكولونيل مانيلا (Manella) الذي أطلع بدوره سلفستري أن عددًا كثيرًا قوة كبيرة من الريفيين تتقدم نحو أنوال مكونة من ثلاثة أقسام للنظاميين، فغير رأيه وقرر الجلاء المباشر.(٣٣)
حينما أعطى التعليمات بإجلاء الموقع، تسابق الجنود الإسبان نحو الخارج يهرعون دون سؤال أو تعليق، يتدافعون ويتزاحمون. هرب بعضهم إلى وجهة مجهولة، تاركين السلاح والعتاد، لقد كبدتهم الحركة الريفية وهم في طريقهم خسائر كثيرة: شاحنات ومشاة يتزاحمون ولم يكونوا آبهين بالبهائم التي تعدو مذعورة في كل اتجاه، وكل ما كان على ظهورها من حمولة يتساقط تباعًا، هكذا غادر الإسبان موقعهم كما حصل في دوائر أنوال الأخرى. كلفت هذه المعركة خسائر فادحة للإسبان، ويقدر المؤرخ الإنجليزي روبيرت فورنو الخسائر الإسبانية في هذه المعركة على الشكل التالي:

- ١٨٠٠٠ قتيل في مقدمتهم الجنرال سلفستري (Silvestre).
- ١١٠٠٠ أسير في مقدمتهم الجنرال نافارو (Navaro).
- غنم الريفيون (١٩٥٠٤) بندقية، و(٣٥٢) رشاشًا، و(١٢٩) مدفعًا إضافةً إلى المواد العسكرية الأخرى كالملابس والخيام والعربات.(٣٤)

ومكنت هذه المعركة محمد بن عبد الكريم الخطابي من تحقيق انتصار عسكري أرغم به الإسبان على الجلوس معه لطاولة المفاوضات قصد استخلاص أسرى أنوال، كما منحت المعركة للزعيم الريفي ثقة الناس واجتماع كلمتهم حوله. وعلى مدى خمس سنوات التي استغرقتها الحرب، كانت المعارك بين المجاهدين والغزاة المحتلين تكاد تكون يومية، وقد قاد ابن عبد الكريم (٣٠٠) موقعة بنفسه، وتُعَدّ معركة "الشاون" التي جرت أواخر سنة ١٩٢٤ وأوائل ١٩٢٥ من أكبر معارك تلك الحرب بعد معركة أنوال فقد دامت (١٢٠) يومًا وأدت إلى مقتل (٢٠٠٠٠) جندي إسباني وإلى خسائر كبرى في العتاد.(٣٥)

### رابعًا: محمد بن عبد الكريم الخطابي في مواجهة فرنسا

لم تندلع الحرب الفرنسية الريفية إلا بعد مرور أربع سنوات تقريبًا عن معركة أنوال وهي فترة حافلة بالأحداث والتطورات التي راكمت بشكل موضوعي عناصر وإشارات هامة حول الأسباب المباشرة وغير المباشرة للتدخل العسكري ضد المقاومة. صحيح أن توغل القوات الفرنسية داخل تراب قبلية بني زروال التي كانت كل من فرنسا وإسبانيا تعتبرانها خاضعة لهما، شكل الشرارة الأولى التي أدت إلى انفجار الأزمة بشكل رسمي بين الطرفين، الريفي والفرنسي، لكن استحضار مجموعة من الأحداث تنم على وجود صراع خفي بين الطرفين سبق الاصطدام المباشر.(٣٦) فقبل تلاحق انتصارات المقاومة الريفية على الاستعمار الاسباني كان موقف السلطات الفرنسية يتأرجح في نفس الوقت ما بين: عدم إعطاء صورة للريفيين وللمغاربة بشكل عام، أن الفرنسيين يعادون المقاومة وذلك لكي لا يؤججوا مشاعر العداء فقد كان "ليوطيLyautey" يحاول عزل ما يحدث في الريف عن منطقة الحماية الفرنسية. الرغبة في إغضاب الاسبان عبر الاستهزاء منهم لعجزهم عن قمع المقاومة في الريف وذلك انتقامًا لحيادهم خلال الحرب العالمية الأولى وكذا السماح لبعض العملاء الألمان و"لعبد المالك بن محيي الدين" القيام بمناوشات انطلاقًا من المنطقة الاسبانية في الشمال.

هذا الموقف الفرنسي من الحرب الريفية الاسبانية لم يكن يعني بأي حال من الأحوال أن الوجود الإسباني في شمال المغرب كان مرفوضًا لدى فرنسا رغم وجود فترات تنافر بين الطرفين، بل على العكس من ذلك كانت فرنسا ترى في التواجد الإسباني في هذه المنطقة ضمان لعدم تدخل انجلترا وألمانيا في منطقة حساسة بالنسبة للفرنسيين وهو ما تجسد في اتفاقية الجزيرة الخضراء سنة ١٩٠٦م، ولهذا ستتجاوز القوتين الاستعماريتين تناقضاتها الثانوية لتصبح المقاومة الريفية هي النقيض الرئيس للطرفين، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى تقرير المقيم العام المارشال ليوطي إلى رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك "بريان" بتاريخ ٢ غشت ١٩٢١م حذر فيه من المصاعب التي ستواجهها فرنسا في حالة إذا ما تم تعميم الحركة التي ابتدأت في الريف واعتبر أن أكبر خطر يهدد المصالح الاستعمارية الفرنسية في المغرب، يكمن في انتشار الثورة الريفية في باقي التراب المغربي.(٣٧)

في البدء تدخلت الإمبريالية الفرنسية في الحرب الريفية الإسبانية ما بين ١٩٢١م و١٩٢٤، بشكل غير مباشر عبر العمل

السياسي للحد من تأثير المقاومة الريفية، عن طريق الحملات الدعائية المسمومة ضد المقاومة ورجالاتها قام بها في منطقة كزناية حليفها "القائد المدبوح"، وفي مرنيسة قام بها "اعمر ولد حميدو"، والتي رد عليها ابن عبد الكريم عسكريا، عبر إرسال قوات إلى هذه المناطق نجحت في إعادة السيطرة عليها بعد أن أجبرت الخائنين على الفرار إلى "المنطقة الفرنسية". كما رد على هذه الدعاية المسمومة كذلك سياسيًا أو دبلوماسيًا، عبر إرسال رسالة احتجاج إلى المارشال ليوطي Lyautey يؤكد فيها قناعته الراسخة بأن كل ما يحاك ضد المقاومة كان من وحي السلطات الفرنسية.[٣٨]

وعلى إثر الانتصارات المتتالية للحركة التحررية بالريف، أعطى ليوطي أوامره إلى القيادة بفاس، لتعمل على إثارة الفتن والقلاقل في تلك الناحية بين القبائل الخاضعة لها وبين تلك المنضمة لحركة الأمير، ولتحقيق ذلك اعتمدت بشكل كبير على "محمد بن عبد الرحمان الدرقاوي" . الذي كانت فرنسا قد أنعمت عليه برتبة كمندار شرفي، والذي كانت كلمته مسموعة في أوساط قبيلة بني زروال والقبائل المجاورة . الذي عمل على تشويش القبائل التابعة لطريقته ليثوروا على الحكومة الريفية ويعرقلوا مسعى المجاهدين[٣٩]، فصار يبث الدعايات والفتاوي شفاهيًا أو بواسطة الرسائل يدعي فيها بأن محمد بن عبد الكريم الخطابي ثائر على العرش العلوي فمَنْ تبعه فهو مسخوط عليه من طرف السلطان وأنه يخدم مصالح دولة أجنبية.

إن الفشل الذريع الذي لحق بعملاء فرنسا منح القائد الريفي سمعة حسنة وشهرة لامعة لدى جل القبائل الجنوبية، جعلت الحكومة الفرنسية التي كانت لا تكترث لما يحدث في الريف، وكانت تقف موقف المتفرج إبان المعارك الريفية الاسبانية ما بين (١٩٢١ – ١٩٢٤)، تقلق أكثر من أي وقت عن مصالحها وأصبح مشكل الريف من الأولويات، وهذا ما جاء في تقرير "ليوطي" لوزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ ١٣ فبراير، ١٩٢٤ والذي ركز فيه على التأييد الشعبي الكبير الذي أصبح يحضى به محمد بن عبد الكريم الخطابي، ملحًا على ضرورة احتلال المرتفعات الإستراتيجية الواقعة على ضفاف نهر ورغة، لتشكل مراكز متحركة لمراقبة تحركات المقاومة، ولتكون سدًا منيعًا أمام أي هجوم مفاجئ من طرفها،[٤٠] فبادرت الحكومة الفرنسية بإرسال مبعوث رسمي إلى أجدير بتاريخ ٢٧ ماس ١٩٢٤، ليبلّغ ابن عبد الكريم عزم فرنسا على توسيع مجال نفوذها على النقط التي تدخل ضمن منطقتها، ورغم أن المسؤولين الريفيين عبروا عن استعدادهم لحل المشكل بشكل سلمي، وطلبوا من السلطات الفرنسية التوضيحات الكاملة حول حدود المنطقتين الفرنسية الإسبانية قبل الشروع في تنفيذ مشروع التقدم نحو المرتفعات، وعبروا كذلك عن الاستعداد للانسحاب من منطقة النفوذ الفرنسي شريطة إعطائهم الوقت الكافي لإقناع القبائل بذلك حتى لا يعود ذلك بالضرر على شعبية الأمير، إلا أن السلطات الفرنسية كانت مصرة على تطبيق مشروعيتها في أقرب الآجال.[٤١]

فتقدمت الجيوش الفرنسية في مايو ١٩٢٤ وعبرت نهر ورغة الفاصل بين مناطق نفوذ الإسبان والفرنسيين وأقامت مراكز عسكرية محصنة. وهكذا؛ سيتحول الغموض الذي كان يراه الكثير من المؤرخين في المواقف الفرنسية اتجاه الحرب الإسبانية الريفية إلى تواطأ كامل ومكشوف على المقاومة الريفية وبالطبع بعد أن أضفت على تدخلها في الريف الطابع الشرعي أي بناءً على معاهدة الحماية وباسم السلطان جاعلين من بطل الريف مجرد ثائر راغب في الملك أو ناقم يطالب بالعرش "وأنه لم يكن سوى آخر تجسيد لداء عضال متعشعش مند القدم في أعماق البلاد وأجلى مظهر في العصر الحديث للتناحر الأزلي بين "بلاد المخزن" و"بلاد السيبة"،[٤٢] بخصوص هذا يقول جرمان عياش: "أنه كان يكفي التذكير بالتعارض التقليدي بين "بلاد المخزن" و"بلاد السيبة" ليتم فجأة طمس النضال الوطني الذي كان المغاربة يخوضونه ضد الغزاة ولتحول هذا النضال إلى مجرد صراعات داخلية جاء الأجنبي لتهدئتها".[٤٣]

إن فشل النشاط السياسي . الذي كان يشكل حجر الزاوية للسياسة الفرنسية في الجهة الشمالية ما بين ١٩٢١ و ١٩٢٤م . في ضمان المصالح الفرنسية الحيوية في المنطقة جعلها تدخل في صراع مباشر مع حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد تأخر دام أربع سنوات عن انطلاق الحرب الريفية الاسبانية، وهو تأخر كان مقصود فرنسا منه بواسطة مقيمها العام في الرباط المارشال ليوطي الذي كان يترقب الحركة التحريرية عسى أن تخمدها إسبانيا بمفردها وتعفي فرنسا من التكاليف التي لم تكن في حاجة إليها إلى أن رأى إسبانيا في حالة الاحتضار، وعلى أنها على وشك أن تشد رحيلها عن المغرب، هذا التدخل جعل كل المحاولات التي قام بها الأمير من أجل مجاملة فرنسا كي لا تتحالف مع إسبانيا ريثما تنسحب الجيوش الإسبانية من المغرب، تذهب سدى، وسيؤدي تطور الأحداث إلى تدهور الأوضاع أكثر لدرجة أصبح التواصل أو بالأحرى التفاهم بين الطرفين لاغيا لتنطلق مواجهات عسكرية حادة بينهما ابتداءً من شهر أبريل ١٩٢٥م.

لقد نجحت المقاومة في بداية الحرب الفرنسية الريفية في إلحاق هزائم نكراء بالاستعمار الفرنسي لتتوالى سقوط سلسلة الحصون التي أقامها الفرنسيون على طول الحدود الريفية، والتي كانوا يعتقدون استحالة اختراقها، وأن أي ريفي لا يجرؤ على التغلغل فيها، حيث تمكن محمد بن عبد الكريم من طرد الفرنسيين من أكثر من ٤٠ مركزًا في مدة ثلاث أشهر، ليصبح الذين سخروا عجز الأسبان على قمع المقاومة محط السخرية لأنهم قاسوا أهوال كوارث مماثلة من جراء الأسباب ذاتها، "فحرب الريف قد هزت أركان سمعة ليوطي العظيمة"[٤٤] الذي أكد على أن الوسائل المتوفرة والمتاحة غير كافية لمواجهة حرب الثوار التي كان يقوم بها

الريفيون. وأصبح يبدي تخوفًا صريحًا من إمكانية دخول قوات المقاومة إلى المدن المحايدة للجهة (فاس، تازة، وزان) فمثلاً: حاكم منطقة تازة الجنرال كمباي Cambay تقدم لـ ليوطي بطلب رسمي بتاريخ ٤ يوليوز١٩٢٥ قصد السماح له بالانسحاب من تازة.(٤٥)

ففي لحظات الانتصار هذه كانت هبة فرنسا تتعرض للإذلال والإهانة، إذ كيف يعقل صمود قبائل معزولة أمام قوات دولة عظمى انتصرت في الحرب العالمية الأولى، وهو ما يفسر إقالة ليوطي . الذي كان إلى عهد قريب معبود الأوساط الاستعمارية التي كانت تكن له إجلالاً حقيقيًا. دون إقامة مراسيم مغادرته للمغرب، وتعويضه بـ: "تيودور ستيك Théodore Steeg" كمقيم عام جديد في المغرب(٤٦) كما تفسر كذلك هذه الانتصارات حالة الاستنفار القصوى للجيوش الفرنسية وحرب الإبادة التي خاضتها فرنسا في الريف، لدرجة أن محمد بن عبد الكريم الخطابي صرح قائلاً: "وهكذا جاؤوا يعلموننا الحضارة بالطائرات والقنابل لقتل أبرياء لا يملكون سوى وسائل الدفاع".(٤٧)

أما بالنسبة للمستعمر الإسباني، فسيتلقى نبأ اندلاع الحرب الفرنسية الريفية والهزائم المتتالية للجيوش الفرنسية بكثير من الارتياح، وهو موقف يجد تفسيره في مبدأ "المعاملة بالمثل" حيث أن الصحافة الإسبانية لم تتأخر في التذكير بالمواقف الفرنسية المتخاذلة إبان المرحلة الأولى من حرب الريف، مع التركيز على التسهيلات التي منحت لأفراد المقاومة في الدخول إلى المنطقة الخاضعة "للحماية" الفرنسية لشراء كل ما يحتاجونه من سلاح ومؤونة، وهنا إشارة إلى تصريح لـ"بريمو دي ريفيرا: لأحد الصحفيين عندما أطلعه على قبضة يده المملوءة بالخرطوش وقال: "إنها استخرجت من أجساد الإسبانيين القتلى، إنها من صنع فرنسي" وأضاف: "سجل كلماتي، فحين ينتهي عبد الكريم منا سيهاجم الفرنسيين مستخدمًا ذخيرتهم الخاصة ضدهم"،(٤٨) هذه الكلمات قالها بعد الانسحاب من شفشاون، الذي انتهى بهزيمة تضاهي هزيمة أنوال. غير أن هذا الموقف سيتبخر، حيث ستجد الحكومة الإسبانية في هذا الحدث فرصة للانتقام من الريفيين، وكذا باستحضار المصالح المشتركة للقوتين الاستعماريتين في المغرب. وقد شجعها في ذلك مبادرة الحكومة الفرنسية بإرسال مبعوث رسمي إلى مدريد في شخص الوزير السابق (Malvy) من أجل إقناع الحكومة الإسبانية بضرورة تحقيق تعاون وثيق بين الدولتين للقضاء على المقاومة.

## خامسًا: محمد بن عبد الكريم الخطابي في مواجهة التحالف الإمبريالي

نظرًا لما تشكل المقاومة من خطورة على المصالح الفرنسية والإسبانية الحيوية المشتركة قامت القوتين الإمبرياليتين بإجراء اتصالات دبلوماسية فيما بينهما قصد خلق الظروف الملائمة للقضاء عليها، وكخطوة أولى اتفق الطرفان على إنشاء لجنة مشتركة لدراسة السبل الكفيلة لتنسيق تحركاتهم، وقد توجت جلسات عمل هذه اللجنة بالتوقيع على اتفاق هام في ٠٩ يوليو ١٩٢٥ يقضي بضرورة التعاون، لتطبيق الحصار البري والبحري على المنطقة الريفية، وبعد يومين سيليه اتفاق آخر أقر على "أن مخطط كل العمليات المشتركة يتم وضعه بالتنسيق بين القيادتين الفرنسية والإسبانية بالمغرب ويعرض على حكومتي البلدين".(٤٩) وستتم الترجمة الفعلية لهذه الاتفاقات في سبتمبر ١٩٢٥ عبر الإنزال الإسباني في خليج الحسيمة،(٥٠) والهجوم الفرنسي في شمال ورغة، في الوقت نفسه، غير أن العمليات المشتركة ستعرف بعض التعثرات جعلت المارشال بيتان (Pétain) ينادي بضرورة الاستمرار في المحادثات بشكل حثيث مع الحكومة الإسبانية، وتبعًا لذلك أصبحت اللقاءات الثنائية بينهما تتم بشكل دوري.

وإذا كان لا يمكننا في هذا البحث الرجوع إلى تفاصيل حرب الريف خلال هذه المرحلة الجديدة فإننا نريد التركيز على بعض الثوابت في شأنها، أهمها الفشل الواضح لكل من إسبانيا وفرنسا في القضاء على المقاومة، إن عن طريق الاحتواء أو العنف بشكل فردي، جعلها تتحالف من أجل ذلك، كما نسجل عدم التكافؤ على مستوى الإمكانيات:

**الإمكانيات العسكرية الفرنسية:**

- (٣) مرشالات وهم:

ليوطي (Lyautey)، بيتان (Pétain) وفرانشي ديسيبري.

- (٣٥٠) ألف جندي محترف من بينهم (١٢) ألف فرنسي.
- حوالي (٤٤٠) طائرة.
- (٦٠) جنرالاً.
- (٣١٥) دبابة.
- عدد كبير من السيارات المصفحة وسيارات الإسعاف.(٥١)

**الإمكانيات العسكرية الإسبانية:**

- إشراف بريمو دي ريفيرا بنسفه على العمليات العسكرية في الريف.
- (٦٠) ألف جندي إسباني وعدد كبير من الجنود المغاربة المنخرطين في صفوف الجيش الإسباني.
- استعمال المدفعية على نطاق واسع.
- طائرات كان أغلبها برمائي لأن المطارات كانت في غير مأمن من قنابل الريفيين.
- سيارات مصفحة مجهزة ببنادق آلية ومدافع ذات العيارات الصغيرة.(٥٢)

**الإمكانيات العسكرية الريفية:**

- جيش رسمي يتكون من المشاة يتراوح عددهم ما بين (٢٠٠٠) و(٣٠٠٠) معظمهم من قبائل بني ورياغل وبقيوة، وقد أنيطت بأكثريتهم مهمة قيادة وتدريب وتأطير وتنظيم مقاتلي القبائل الأخرى على شكل "محلات"، وقد اكتسب هؤلاء الخبرة العسكرية خلال احتكاكهم بالعدو، أو عن طريق ما تعلموه من فنون القتال أيام وجود بعضهم داخل الجيوش الإسبانية والفرنسية، وقد وضعت أسس هذا الجيش سنة ١٩٢٣ وهي السنة التي أحرز فيها ابن عبد الكريم فدية الأسرى الإسبان والتي مكنته من تجهيز الجيش وأداء

مرتبات الجنود.[٥٣] وتحت راية المشاة ينطوي (٧٠) ألف من الأنصار الوافدين من مختلف القبائل الريفية.

- الخيالة: شبه منعدمة وذلك لقلة الخيول في الريف بسبب طبيعة الأرض من جهة، وفقر الناس من جهة أخرى، باستثناء ابن عبد الكريم الذي كان يتوفر على كوكبة صغيرة خاصة لحراسته الشخصية يطلق على أفرادها اسم "الحفاظ".

- كان الريفيون يتوفرون على أكثر من (٢٠٠) قطعة من المدفعية من صنع فرنسي وإسباني وألماني، جلها مؤلفة من تلك التي استولوا عليها خلال المعارك الكبرى.

- امتلاك الأمير سلاح الطيران:

- استولى الريفيون على طائرات في مطار الناظور إثر المعارك التي تلت معركة أنوال.
- طائرتان نزلتا مرغمتين في مناطق الريف.
- اشترى بن عبد الكريم بواسطة القائد حدو والشريف التجاني (٣) طائرات من بعض الضباط الفرنسيين الذين فروا من الجزائر إلى الريف، ورغم أن محمد بن عبد الكريم لم يستعمل هذا السلاح في العمليات الحربية لانعدام أطر الملاحة والصيانة والوقود إلا أنه حرص على امتلاك هذا السلاح لرفع معنويات أنصاره وإضفاء شيء من البرستيج على حركته.[٥٤]

- حوالي (٦٠) ألف مفرقعة منها ما كان من صنع يهود الريف العارفين بصنعة الكي والتلحيم ترسل إلى مواقع العدو بواسطة المقالع.[٥٥]

- المصالح الطبية: انعدمت بمفهومها العصري في الريف، واقتصرت الإسعافات الصحية على الطب التقليدي (التداوي بالمستخرجات النباتية، استخراج الرصاص من الجرحى، جبر الكسور...) لقد كان النقص في هذا الميدان أكبر عائق للحركة التحررية في الريف.

إن هذا اللاتكافؤ الصارخ على مستوى الإمكانيات العسكرية للطرفين، أحسن محمد بن عبد الكريم الخطابي وصفه، حين قال: "حضارتكم مبنية على النار والحديد تتوفرون على قنابل وقذائف ضخمة لهذا تعتبرون أنفسكم متحضرين وليس عندي سوى خراطيش البندقية لهذا فإنكم تعتبروني متوحشًا". وإلى جانب هذا اللاتكافؤ، اتخذ الهجوم الاستعماري شكلاً همجيًا اعتمد على أساليب الترهيب والضربات البشعة والقصف العشوائي والمكثف للمناطق السكنية والأسواق الأسبوعية، لاستهداف المدنيين العزل (أطفال، نساء، شيوخ...) لزرع الرعب والفزع في السكان، والتعجيل بتفكيك القبائل الملتفة حول الحركة التحررية في الريف. لقد شكل هذا الهجوم خرقًا واضح للمواثيق الدولية التي ساهمت هذه الدول نفسها في صياغتها والمصادقة على بنودها، خاصةً استعمال الأسلحة الكيماوية المحظورة والتي تم إلقاؤها عن طريق الطائرات.[٥٦]

في هذه الظروف، وتحت ضغط الرأي العام الفرنسي والإسباني انعقد مؤتمر وجدة (١٨ أبريل – ٥ مايو ١٩٢٦)، بحضور ممثلين عن فرنسا وإسبانيا، وممثلين عن المقاومة.[٥٧] وإذا استحضرنا الشروط المجحفة التي فرضت على الريفيين نفضي إلى خلاصة واضحة ألا وهي: أن المؤتمر لم يكن يراد منه من طرف الدولتين الاستعماريتين سوى تهدئة الرأي العام في البلدين، واستعمال هذه المسرحية لتحميل مسؤولية استمرار المعارك للريفيين، كل هذا يدخل في إطار استراتيجية محكمة للقضاء بصفة نهائية على حركة محمد عبد الكريم الخطابي، وقد استطاع التحالف الإمبريالي تحقيق هذه الاستراتيجية خاصةً بعد استسلام الأمير.

## خاتمة

على إثر التحالف الإمبريالي على حركة محمد بن عبد الكريم وحرب الإبادة التي لم تستثني لا الشيخ ولا الطفل ولا النساء. اضطر الأمير الاستسلام، ليتم نفيه إلى جزيرة لاريونيون سنة ١٩٢٦، وقد دامت مدة نفيه هناك ٢١ سنة، لم تنل من مبادئه وقناعاته. ففي الوقت الذي كانت فيه القوى الاستعمارية تظن أن بنفيها لابن عبد الكريم قد قضت على شيء اسمه المقاومة، وأن هذا الرجل سيتم نسيانه إلى الأبد، نجد أن الأمير ما أن رجع من المنفى الأول، ونزوله بمصر سنة ١٩٤٧ حتى أعلن استعداده لمواصلة الكفاح ضد الاستعمار، وقد ترجم ذلك في مساهمته في تأسيس "لجنة تحرير المغرب العربي" وكذا تهيئ الشروط لتأسيس جيش التحرير في البلدان المغاربية.

لم يقتنع الأمير بالاستقلال الذي حصل عليه المغرب واعتبره استقلالاً شكليًا ورهن رجوعه إلى أرض الوطن بحصول المغرب على الاستقلال التام، هذا الشرط جعل منفاه يستمر حتى بعد وفاته في ٦ فبراير ١٩٦٣. فمازال محمد بن عبد الكريم منفيا في مماته، ولم نستطع أن نمنحه شبرًا من هذا الوطن الشاسع الذي يسع الجميع والذي لم يحتضن أحد صانعي تاريخه السياسي المعاصر.

لا شك أن هذا البحث قد جرني إلى التعبير عن آراء شخصية وأحكام لا تخلوا من الذاتية، ولا أدعي الموضوعية التي تعتبر صعبة المنال في ميدان العلوم الاجتماعية، كما أنه من المؤكد أنني أخطئت في تأويل بعض الأحداث والتواريخ وربما لم أنتبه إلى خصائص ومميزات ودور بعض المساهمين في الأحداث. كل ما أتمناه أن يكون هذا البحث قد أحاط ببعض جوانب هذا الموضوع وسلط الضوء على بعض الجوانب الغامضة من حياة محمد بن عبد الكريم وتقديم مساهمة بسيطة في هذا الشأن وإن كان هو أمر صعب لقلة المراجع والمصادر وتضاربها، كما أن الحقائق التي توصلت إليها تبقى نسبية ونطمح في تطويرها مستقبلاً.

## الهوامش:

(١) فورنو، ربيرت، **عبد الكريم أمير الريف**، ترجمة د. فؤاد أيوب، دار دمشق، (د. ت.)، ص. ٢٦.

(2) Gabrielli, Léon, **Abde-el-krim et les événements du Rif**, 1924-1926, Editions Atlantide, Casablanca, 1953, p. 82.

(٣) عمر الخطابي في شريط سجله سنة 1996 تحت عنوان: (**عبد لكريم الأسطورة**) **Abd El Krim Legende of vrijheibsstrijder**

(٤) أمزيان، محمد، **محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف (١٩٢٦-١٩٦٣)**، منشورات اختلاف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص ٤١.

(٥) مرتين، ميكل، **الاستعمار الاسباني في المغرب (١٨٦٠-١٩٥٦)**، ترجمة: عبد العزيز الوديي، منشورات التل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٨، ص ٧٦.

(٦) تصريح لعائشة الخطابي **للصحيفة الجديدة**، العدد (٦)، ٢٠٠٤.

(٧) **ماو تسي تونغ**: ساهم في تأسيس الحزب الشيوعي الصيني سنة ١٩٢١ وتكلف بطلب من الحزب بتنظيم فرع إقليم "هيونان" كما وضع تقريرًا عن الفلاحين في "هيونان" أبرز فيه الطاقات الثورية للفلاحين وأبرز دورهم في بلد فلاحي مثل الصين وتمكن من تأسيس جمهورية اشتراكية في منطقة "سانشي" تتكون قاعدتها من الفلاحين.

(٨) أمزيان، محمد، **محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف** ...، م. س.، ص ٧.

(٩) **هو تشي منه (Hochi Minh)**: مؤسس الحزب الشيوعي الفيتنامي وقائد الثورة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي، بعد ١٩٥٤ أصبح رئيسًا لجمهورية فيتنام الديمقراطية الشمالية.

(١٠) فورنو، روبرت، **عبد الكريم أمير الريف**...، م. س.، ص ٦٧.

(١١) اليوسفي، عبد الرحمان، **"مؤسسات جمهورية الريف"**، مجلة أمل، العدد(٨)، السنة الثالثة، ١٩٩٦، ص٩١.

(١٢) أقضاض، محمد، **الاحتراق والتوهج الريف بين ١٨٦٠ و١٩٢٠**، منشورات دار الجسور، وجدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص ٤٠.

(١٣) اليوسفي، عبد الرحمان، **"مؤسسات جمهورية الريف"** ...، م. س.، ص. ٩٨.

(١٤) لوكاس، خوسي كاريس، **"يوميات الملازم خوسي كاريس لوكاس رئيس الفرقة البحرية بجزيرة النكور من ٢٤ يوليوز ١٩٢١ إلى شتنبر ١٩٢٥"**، **جريدة الاتحاد الاشتراكي**، العدد ٦٥٨٦، ١٦غشت٢٠٠١.

(١٥) الحليمي، أحمد، **"قراءة تاريخية لملحمة: ادهار ابران"**، مجلة أمل، العدد (٨)، ١٩٩٦، ص ٢٩.

(١٦) بلقاضي، محمد محمد عمر، **أسد الريف: محمد بن عبد الكريم الخطابي**، مطبعة ديسبريس. تطوان، ١٩٧٩ ص ٩٤. ٩٥.

(١٧) الإدريسي، علي، **عبد الكريم الخطابي التاريخ المحاصر**، منشورات تيفراز، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠١٠، ص ٧٨.

(١٨) المرجع نفسه، ص ٧٩.

(١٩) الخطابي، عز الدين، **معركة أنوال والتنظيم الحربي العصري**، السياسة الجديدة، فبراير، ١٩٩٨، ص٥٨.

(٢٠) ذي مادارياكا، ماريا روسا، **في خندق الذئب: معارك المغرب**، ترجمة: كنزة الغالي، مطبعة دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠١٠، ص ١٢٤.

(٢١) ابن عزوز، حكيم محمد، **معركة أنوال**، مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر، الرباط، ١٩٨١، ص ٣٢.

(٢٢) المرجع نفسه، ص ٤٨.

(٢٣) بلقاضي، محمد عمر، **أسد الريف: محمد بن عبد الكريم الخطابي**...، م. س.، ص ١١٤-١١٥.

(٢٤) ابن عزوز، حكيم محمد، **معركة أنوال** ...، م. س.، ص ٤٩.

(٢٥) ذي مادارياكا، ماريا روسا، **في خندق الذئب** ...، م. س.، ص ١٢٤.

(٢٦) عياش، جرمان، **أصول حرب الريف**، ترجمة: محمد الأمين البزاز، عبد العزيز التمسماني خلوق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢، ص ٣٤٤.

(٢٧) ابن عزوز، حكيم محمد، **معركة أنوال** ...، م. س.، ص ١٠٣.

(٢٨) ذي مادارياكا، ماريا روسا، **في خندق الذئب**...، م. س.، ص ١٢٩.

(٢٩) المرجع نفسه، ص ١٢٩.

(٣٠) بلقاضي، محمد محمد عمر، أسد الريف: **محمد بن عبد الكريم** ...، م. س.، ص ١١٧.

(٣١) العلمي، محمد، **زعيم الريف: محمد بن عبد الكريم الخطابي**، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٩، ص ٢٨.

(٣٢) بلقاضي، محمد محمد عمر، **أسد الريف: محمد بن عبد الكريم** ...، م. س.، ص ١٢١.

(٣٣) ذي مادارياكا، ماريا روسا، **في خندق الذئب**...، م. س.، ص ١٣٣.

(٣٤) المرجع نفسه، ص ٦٧.

(٣٥) مرتين، مكيل، **الإستعمار الإسباني في المغرب** ...، م. س.، ص. ٨٢.

(٣٦) الداودي، محمد، **"ملاحظات حول مقال الحرب الكيماوية في الريف"**، جريدة ثفراز ناريف، العدد ١٤، يونيو ٢٠٠٤، ص ٢٠.

(٣٧) المرجع نفسه، ص ٢٠.

(٣٨) خرشيش، محمد، **المقاومة الريفية**، سلسلة شراع، العدد (٢٢)، دجنبر ١٩٩٧، ص ١٤-١٥.

(٣٩) بلقاضي، محمد محمد عمر، **أسد الريف: محمد بن عبد الكريم الخطابي**...، م. س.، ص ١٧٩.

(٤٠) خرشيش، محمد، **المقاومة الريفية** ...، م. س.، ص ١٧.

(٤١) المرجع نفسه، ص ١٨.

(42) Robert Montagne, **les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc**, Paris, 1930.

(٤٣) عياش، جرمان، **أصول حرب الريف** ...، م. س، ص ٢٤.

(٤٤) فورنو، روبرت، **عبد الكريم أمير الريف**...، م. س.، ص ١٧٥-١٧٦.

(٤٥) خرشيش، محمد، **المقاومة الريفية** ...، م. س.، ص ٢٩.

(46) Bernard, Laugan, **Histoire Du Maroc**, Ed. Criterion, paris, pp. 256-257.

(٤٧) بوراس، عبد القادر، **"ليوطي ومواقف الحماية الفرنسية من حرب الريف ما بين ١٩٢١ و١٩٢٥"**، مجلة أمل، العدد (٨)، السنة الثالثة، ١٩٩٦، ص ٨٢.

(٤٨) فورنو، روبرت، **عبد الكريم أمير الريف** ...، م. س.، ص ١٣٨.

(٤٩) خرشيش، محمد، **المقاومة الريفية** ...، م. س.، ص ٩٠.

(٥٠) الموافقة على النزول في الحسيمة لم يتم إلا بعد نقاش طويل خاصةً وأن الخسائر التي مني بها الاستعمار الإسباني في شفشاون قد قوى الرأي العام لصالح سياسة بريمو دي ريفيرا الخاصة بالانسحاب من مراكش.

(٥١) أغزادي، لحسن، **ابن عبد الكريم الخطابي وحرب الريف (١٩٢١-١٩٢٦)**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ١٩٨٩-١٩٩٠، ص ٢٣٢.

(٥٢) المرجع نفسه، ص ٢٣٤.

(٥٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٥٤) المرجع نفسه، ص ٢٣٦.

(55) **The Times**: Interview of Abdelkrim, 12 Octobre 1925.

(٥٦) خرشيش، محمد، **المقاومة الريفية** ...، م. س.، ص ٩٠.

(٥٧) **يقول الجنرال سيمون**: "يجب على مبعوثي القبائل أن يبينوا من أنابهم للمفاوضات التمهيدية التي فتحونا بها منذ بضعة أيام فإن كانوا نوابًا عن القبائل الريفية والجبلية فسيروننا مستعدين لاستقبالهم ومحادثتهم، وإن كانوا نائبين عن عبد الكريم مجرد قائد بني ورياغل وليس له الحق أن يتكلم باسم الجماعة أو يوفد من قبله مَنْ يتكلم باسمها".

# السياسة الصناعية الكولونيالية وأثرها على البنية الحرفية لمغرب الحماية منطقة دكالة أنموذجًا

د. أنس الصنهاجي



أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
دكتوراه في التاريخ المعاصر
فاس – المملكة المغربية

## مُلَخَّصْ

استنادًا إلى معاهدة الحماية، أصبح من حق الإقامة العامة تغيير البناء الاقتصادي المغربي وقطاعاته الأصيلة، التي من أركانها القطاع الحرفي المغربي غير المكيف مع اقتصاد منفتح، ولاحتواء تمرد ومعارضة الحرفيين والمنخرطين في تنظيمات نقابية، مناوئة للسياسة للكولونيالية في القطاع الحرفي، قامت إدارة الحماية بمد الحرفيين بالقروض وشراء منتجاتهم من المواد الأولية، كما قامت بخلق مصلحة لتأطير الحرفيين وتوجيه منتجاتهم وتسويقها، سميت بمصلحة الحرف والفنون الأهلية، التي كان من مهامها تكوين الحرفيين المبدعين، وتطوير المنتوج الحرفي من منتوج تراثي إلى منتوج يواكب مستجدات العصر، وللرفع من مستوى التسويق والتعريف بالمنتوج، أقامت المصلحة عدة معارض ومباريات، وفتحت ورشات نموذجية وتعاونيات في المدن الكبرى، وصاغت مدونة للزرابي، وشجعت على إتقان المنتوج وجودته، وبفضل هذه الإجراءات، تمكنت المصلحة من إنعاش بعض الحرف ذات الصبغة الفنية مثل الزرابي، المطرزات، النحاسيات... التي كانت آيلة للزوال، وقد اعتبرت الورشات النموذجية والتعاونيات من أهم أركان مصلحة الحرف والفنون الأهلية، حيث اختصت الأوراش في تكوين الحرفيين في النسيج، الخزف، صناعة الأحذية وغيرها، وتدريبهم على توظيف أدوات وأساليب عصرية في العمل، تحت إشراف طاقم من التقنيين الأجانب التابع لمصلحة المهن والحرف. فماهي إذن أهم الاستراتيجيات التي اعتمدتها إدارة الحماية لتحديث القطاع الصناعي بمنطقة دكالة؟ وما انعكاسات ذلك على الحرفيين الأهليين وصناعاتهم التقليدية؟ وإلى أي حد نجحت هذه الاستراتيجية في إنعاش المنتوج الحرفي الدكالي وتطويره؟

**بيانات الدراسة:**

تاريخ استلام البحث: ٥ مايو ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ١٠ أغسطس ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

معاهدة الحماية، الحرف التقليدية، الصناعات الأوروبية، المغرب والاستعمار، الصناعات النسيجية والخزفية

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

أنس الصنهاجي. "السياسة الصناعية الكولونيالية وأثرها على البنية الحرفية لمغرب الحماية: منطقة دكالة أنموذجًا".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ٤٤ – ٥٦.

## مُقَدِّمَةٌ

استنادًا إلى معاهدة الحماية، أصبح من حق الإقامة العامة تغيير البناء الاقتصادي المغربي وقطاعاته الأصيلة، التي من أركانها القطاع الحرفي المغربي غير المكيف مع اقتصاد منفتح،[١] ولاحتواء تمرد ومعارضة الحرفيين والمنخرطين في تنظيمات نقابية، مناوئة للسياسة للكولونيالية في القطاع الحرفي، قامت إدارة الحماية بمد الحرفيين بالقروض وشراء منتجاتهم من المواد الأولية، كما قامت بخلق مصلحة لتأطير الحرفيين وتوجيه منتجاتهم وتسويقها، سميت بمصلحة الحرف والفنون الأهلية، التي كان من مهامها تكوين الحرفيين المبدعين، وتطوير المنتوج الحرفي من منتوج تراثي إلى منتوج يواكب مستجدات العصر، وللرفع من مستوى التسويق والتعريف بالمنتوج، أقامت المصلحة عدة معارض ومباريات، وفتحت ورشات نموذجية وتعاونيات في المدن الكبرى، وصاغت مدونة للزرابي، وشجعت على إتقان المنتوج وجودته،[٢] وبفضل هذه الإجراءات، تمكنت المصلحة من إنعاش بعض الحرف ذات الصبغة الفنية مثل الزرابي، المطرزات، النحاسيات... التي كانت آيلة للزوال.

وقد اعتبرت الورشات النموذجية والتعاونيات من أهم أركان مصلحة الحرف والفنون الأهلية، حيث اختصت الأوراش في تكوين

الحرفيين في النسيج، الخزف، صناعة الأحذية وغيرها، وتدريبهم على توظيف أدوات وأساليب عصرية في العمل، تحت إشراف طاقم من التقنيين الأجانب التابع لمصلحة المهن والحرف، ولتحقيق هذه الورشات للمرامي المسطرة مسبقًا، عملت المصلحة على مراقبتها باستمرار عن طريق تقارير شهرية تحدد نوع التجهيزات والإنتاج وعدد الحرفيين وبيداغوجيات العمل، هذا دون أن ينسى المقرر ذكر الإكراهات التي تواجه أنشطة الورشات والحلول الضرورية المقترحة للنهوض بأعمال الورشة.[٣] أما التعاونيات فقد خلقت لاستثمار المجهودات الجماعية للأعضاء، في إطار تنظيمي مدعم بكل التقنيات المتاحة بالورشات النموذجية، وذلك من أجل إبداع منتوج يجمع بين الأصالة المغربية والمعاصرة الأوربية،[٤] وفي الوقت نفسه يرسي قواعد قطاع صناعي رصيف يخضع لشروط التحديث والتطور. وللتعجيل من تحقيق ذلك، منحت إدارة الحماية للمنتسبين إلى التعاونيات، القروض الضرورية لاقتناء الأدوات اللازمة لتدعيم حرفهم بالتجهيزات العصرية.[٥]

وقد ساعد المكتب الشريف للمراقبة والتصدير، الذي تأسس سنة ١٩٣٢م على توفير الأسواق والمعارض اللازمة، لتسويق المصنوعات الفنية المغربية والتعريف بها في الخارج،[٦] غير أن هذه المصنوعات لم تلق سوى إقبالاً خجولاً، لا يرق إلى مستوى التطلعات،[٧] رغم الفروع التي أقامتها الوكالة الحرفية المغربية في الكثير من المدن الأوروبية منذ تأسيسها سنة ١٩٣٨م،[٨] من أجل إشهار المنتجات الحرفية المغربية وخلق سوق لها، وبالاعتماد على نسج علاقات دائمة بين المنتج المغربي والمستهلك في الخارج، عملت الوكالة على تأمين المواد الأولية اللازمة للصانع المغربي، ورصد مختصين لدراسة تكلفة إنتاجه، ناهيك عن برمجتها لبعثات لإنعاش عملية التصدير.[٩]

وقد ظل الإنتاج الصناعي في المجال الدكالي بسيطًا، يستجيب فقط لمتطلبات الساكنة المحلية وحاجياتها، وكانت الأنشطة الصناعية العتيقة مثل الخرازة ،الحدادة، النجارة، الدرازة، الفخار، النسيج الدباغة، النحاس، الحلي... تنتعش في القبائل الدكالية ومدنها، التي شهدت إقامة بعض الصناعات الحديثة من لدن بعض المستوطنين الأوروبيين، الذين وجهوا قسطا من صناعاتهم نحو التصدير، والقسط الآخر لتلبية حاجيات الجالية الأوربية[١٠] والطبقة الدكالية الميسورة، وبالموازاة مع ذلك كانت مؤسسات التصدير والاستيراد الأوربية بدكالة، تغرق السوق المحلية بصناعات أجنبية وبأسعار أسهمت في التضييق على الصناعات التقليدية وإفلاس بعضها، مثل صناعة السروج[١١] والصّفارة،[١٢] خاصةً بعدما باتت مجموعة من المعامل والمصانع داخل أوروبا تنتج وتصدر إلى دكالة/ المغرب، بعض الصناعات التقليدية التي اشتهر المغرب بها مثل صناعة الخناجر، السيوف، الأواني النحاسية، الطرابيش.[١٣] الأمر الذي مهد إلى دق أول مسمار في نعش الصناعة التقليدية الدكالية/ المغربية وصنّاعها، وإلى إحلال أولى التحولات البنيوية في اقتصاد المجتمع الدكالي، فالصناعات الحديثة في المدن أفرزت حركية اقتصادية جديدة وبواكر طبقة اجتماعية طارئة (البروليتاريا) ويدا عاملة أجنبية.

**وقد انقسمت الصناعات في دائرة دكالة إبان الفترة المدروسة إلى صنفين: صناعة أصيلة** مستمدة من الحضارة المغربية اتسمت بالعتاقة والجمود، **وصناعة أوروبية** دخيلة تميزت بالحداثة والتطور.

## أولاً: الأنشطة الحرفية والصناعات الدكالية الأصيلة

اتسمت الصناعات الأصيلة بدكالة، بطغيان الصناعات النسيجية والدومية التي كانت النساء مشهورة بحياكتها، وبعض الصناعات الخزفية، والقليل من صناعة الصابون التي كانت تنشط في منطقة الشياظمة، حيث كان سكانها يستعملون في إنتاجه الزيوت المستوردة من مراكش والرماد الناتج عن الفحم.[١٤] وقد بقيت الصناعات الأصيلة مرتبطة بعادات وتقاليد السكان، ومزاولتها لا تتعدى حدود المعامل الصغيرة أو المنازل، وهي تعتمد في طاقتها على القوة البدنية أو الهيدروليكية، بمساعدة موجات المد والجزر، أو الشلالات. ومن بين أهم هذه الصناعات نذكر الطاحونات المتكونة من قطعتين من الحجر، بقطر يصل إلى متر واحد، وقطعة خشب عمودية في قاعدتها عجلة تصل معدات محمولة على محور الرحى العلوي، أما قطعة الخشب العلوية فتتلقى ذراعًا طويلة حتى تمكّن من تحرك الحيوان خارج العجلات، قدرات هذه الرحى ضعيفة، فهي بالكاد تطحن (٢٠٠) كيلوغرام في اليوم، ومردودها من الحبوب المطحون غير جيد. كما نجد تغذية الساكنة الدكالية المحلية خلال هذه الفترة، خالية في مجملها من صناعة المصبرات، لكنها في المقابل كانت تقوم بتحضير قطع من اللحم في الملح والزيت، ثم تعمد إلى تخزينها لتناولها في فصل الشتاء، كما كانت الطائفة اليهودية تقوم بصنع خمر "ماحيا" بطريقة بدائية، حيث يستهلون العملية برفس العنب تحت الأقدام، ثم يتركونه يتخمّر لمدة خمسة عشر يومًا في إناء، وفي الأخير يفرزون عصارة العنب المتبقي ثم يقومون بطهيه.[١٥]

### ١/١- صناعة الملابس التقليدية

كانت بأزمور والجديدة مصانع صغيرة، تسمى بالعامية "دراز"[*]، حيث كانت ترسل منتجاتها التي تضم "الحايك"، الجلابة، الأغطية (البطانيات)، قطعا طويلة من الصوف إلى المناطق والجهات المجاورة لها. وقد تميزت قطع الصوف الطويلة بطغيان اللون الأبيض، والأبيض المخطط بالأحمر والألوان الغامقة، وكانت مدينة أزمور رائدة في صناعة "الحايك" الذي مثل الزي الرسمي للدكاليين،[١٦] حيث ضمت المدينة أثنى عشر معلمًا في صناعة "الحايك" والجلباب سنة ١٩١٦م،[١٧] بعدما كانوا ثلاثة وعشرين معلمًا بداية عهد الحماية،[١٨] وخمسمائة معلمًا ما بين (١٨٢٢-١٨٥٩) أيام السلطان المولى عبد الرحمان، وكانت الأثواب المنسوبة تباع في المدينة داخل بناية تشمل تسعة وأربعين دكانًا، ومسجدًا،

صغيرًا في طابق واحد يسمى "الجوطية"، وقد نالت أثواب أزمور من الشهرة ما جعل العديد من المشترين يتوافدون عليها باستمرار من مختلف قبائل دكالة والشاوية، ومدن مثل آسفي، مراكش، فاس، طنجة.[١٩]

وكان "دراز" عبارة عن نوالات من الخشب ذات عرض يتراوح ما بين (١٢) و(١٥) مترًا مربعًا، يحوي عُمالاً من مختلف الأنواع: رجال، نساء، أطفال، ومعدات بسيطة للنسيج، مثل مغزلين من خشب كانا يدوران بين أصابع المرأة لتحويل الصوف إلى خيوط، ومشطين "القرشال" لنفش الصوف، وبعد هذه العملية كان النسّاج (الدرّاز) يقوم بتحويل خيوط الصوف إلى ثياب عن طريق المنسج، (لمرمّ) المتكون من دعامتين متعامدتين من خشب، ملتصقة بالحائط بأربعة حبال وخشبتين متوازيتين تتخللها ثقوب لرص الخيوط تسمى "بالدف"، وتكون خيوط النسيج مركبة على خرمتين تخترق "الدّف" من كل جهة، لكي تؤمن شد السلسلة، وبعد مد خيوط النسيج، تبدأ عملية الحياكة بواسطة أربع قصبات مربوطة فيها الخيوط بشكل متعاكس، ومشط لضغط الصوف، ولإنجاز قطعة من ثوب "الحايك" قياسه (٤,٥٠) مترًا في الطول و(١,٧٥) في العرض كان يتطلب ذلك العمل لمدة خمسة عشر يومًا، أما ثمنه فكان يباع بـ (٤٠) إلى (٦٠) فرنكًا حسب جودته وإتقانه، أما الأغطية (البطانيات) فلم تكن تتطلب إلا عمل (٨) إلى (٩) أيام، بثمن تراوح ما بين (٣٠) إلى (٥٠) فرنكًا، رغم أنه أكثر سمكًا من "الحايك".[٢٠]

وعلى العموم، فإن سمعة "الحايك" الزموري وصلت إلى كل جهات المغرب، ما جعله يحظى بإرساله إلى السلطان كهدية أيام الأعياد، ورغم هذه المكانة التي احتلها "الحايك" الزموري ردحًا من الزمن، فإنه كان يفقد مكانته كزي وطني رسمي داخل وخارج المجال الدكالي، كلما تواترت سنوات الحماية، وفي المقابل بدأ الجلباب يحتل مكانته القديمة خاصة بعدما صار إنجازه أقل ثمنًا، والصوف الذي يدخل في صناعة "الحايك" مطلوب بنهم للتصدير من قبل الأوربيين بأثمنة مرتفعة،[٢١] وفي سياق ذلك، نشطت مهنة الخياطة طوال الفترة المدروسة، وكان الخياطون - الذين كان أغلبهم فقهاء دين- يخيطون الجلابيب في يومين، بأجرة تراوحت ما بين (٢) و(٣) فرنكات في الأيام العادية، و(٣) إلى (٦) فرنكات أيام الأعياد والمناسبات، أما "الجبادورات" (Les gilets) فكان الخياط الماهر يقوم بخياطتها في مدة ثلاث أيام بعشرين فرنكًا، و"القفاطين" في مدة أربع أيام بثمن خمسة وعشرين فرنكًا، بعد أن يصرف عشرة فرنكات في التجهيزات اللازمة.

وكان الأجراء الخياطون يتقاضون أجورهم حسب مهارتهم والأيام التي يعملون فيها، فالخياط الماهر كان يتقاضى (٢,٥) فرنكات في اليوم، أما الخياط العادي فكانت أجرته اليومية تنحصر في فرنكين خلال ثلاث أيام، ولم يكن "المتعلم" (المتدرب الصغير) يتقاضى أكثر من خمسة صولدات[*] في اليوم، هذا بالإضافة إلى تمتعه بقميص وجلابة وبلغة أو حذاء رياضي في كل عيد ديني (عيد الفطر، عيد الأضحى، عيد المولد النبوي).[٢٢] وهكذا يمكن القول، إن في الوقت التي كانت فيه الخياطة تعرف انتعاشة نسبية خلال فترة الحماية، كان قطاع النسيج يشهد انتكاسة مضطردة بسبب منافسة قطاع النسيج والقطنيات الأوربية.[٢٣]

**٢/١- صناعات دومية**

يزرع الدوم بكثرة في الكثير من مناطق دكالة، وخصوصًا في الشمال، حيث يغطي مساحة تقدر بحوالي عشرة آلاف هكتار، منها خمسة آلاف مزروعة في الشياظمة ومثلها بمنطقة سيدي علي.[٢٤] وكانت الساكنة الدكالية تستخدم النخل القصير من أجل صناعة الحبال و"التليس"،[**] كما استعملت الألياف الموجودة في جذوره في نسج الخيام المطلوبة من لدن القبائل الرحل، بفضل حيلولتها دون نفاد مياه الأمطار، وقدرتها على طرد الحر في فصل الصيف والقر في فصل الشتاء، هذا فضلاً عن استعمالاتها المتعددة.[٢٥]

تصنع الحصائر بدكالة من الدوم، بأبعاد متساوية وبنموذج واحد على مقياس مترين مربع، وبعد إنجازها يتم بيعها بثمن (٢,٥) إلى (٣) فرنكات للواحدة بسيدي إسماعيل، و(٤) إلى (٥) فرنكات بسيدي بنور، وتعتبر قبيلة أولاد دليم وأولاد دويب من أشهر القبائل إنتاجًا للحصائر الدكالية بحوالي (١٢٠٠) حصيرة كل سنة، كما يصنع بدكالة من جذور الدوم أشرطة عريضة بثمن (٦) فرنكات للمتر المربع، و(٢٥) فرنكًا لكل عشرة أمتار في الطول، و(٠,٧٥) مترًا في العرض، وتستعمل هذه الأشرطة في نصب خيام الرحل، أما أوراق الدوم فاستخدمت أيضًا في ظفر الحبال ذات الحجم السميك (٠,٨٠، ٠,٥٠، ٠,٢٠ مترًا) بثمن ستة فرنكات لكل (٢٥) مترًا، كما تصنع من الدوم حقائب على شكل سلل تباع بثمن (٠,٥٠) إلى (١,٥٠) فرنكًا لكل واحدة، هذا بالإضافة إلى صناعة "التليس"[**] بسعر (١٣) فرنكًا للواحدة، و"الشواري" بثمن (٤) إلى (٦) فرنكات. وهكذا؛ أدت هذه المنتجات الدومية دورًا مهمًا في سد حاجيات الساكنة المحلية، من قبيل فرش منازلهم ونقل بضائعهم وربط حيواناتهم.[٢٦]

**٣/١- صناعة الزرابي**

تُعَدّ مدينة الجديدة أهم مركز لصناعة الزرابي[٢٧] داخل المجال الدكالي، كما يعتبر منتوجها منه ضعيفًا إذا ما قيس مع إنتاج باقي المدن المغربية الأخرى، ففي الوقت الذي أنتجت فيه الجديدة زربية واحدة سنة ١٩٣٩م، أنتجت جارتها مراكش ما عدده (١٢٣١) زربية، ومع بداية ١٩٤٠م توقفت تمامًا مدينة الجديدة عن إنتاج الزرابي[٢٨] وأصبحت زبونًا مستهلكًا للزرابي المراكشية والبيضاوية والفاسية. وفيما يلي جدول يبرز مدى ضعف إنتاج الزرابي بالعاصمة الدكالية.

جدول رقم (١)

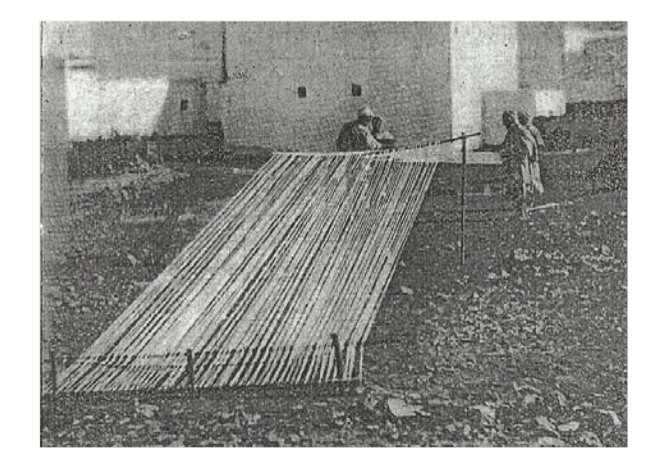
**ضعف إنتاج الزرابي بمدينة الجديدة خلال عقد الثلاثينيات**

| السنة | العدد | المقياس (بالمتر مربع) |
|---|---|---|
| ١٩٣٢ | ١ | ٢,٥٢ (٢٩) |
| ١٩٣٣ | ١٩ | ٨٠,٠١ (٣٠) |
| ١٩٣٤ | ٩ (٣١) | ٣١,٩١ (٣٢) |
| ١٩٣٥ | ٨ | ٢٦,٣٩ (٣٣) |
| ١٩٣٦ | ٣ (٣٤) | ٤,٥٩ (٣٥) |
| ١٩٣٧ | ٤ | ٢,٧٢ (٣٦) |
| ١٩٣٨ | ٥ | ١٦,٥٤ |
| ١٩٣٩ | ١ | ٦,٩٣ (٣٧) |
| ١٩٤٠-١٩٤٥ | .. | .. (٣٨) |

فمن خلال الجدول أعلاه، نستخلص أن إنتاج مدينة الجديدة من الزرابي خلال الفترة المدروسة، تكاد تكون منعدمة طوال فترة الثلاثينيات، بينما كانت منعدمة مع بداية عقد الأربعينيات، وما يجعلنا نغامر بالقول إن مدينة الجديدة شحّت منها صناعة الزرابي مع بداية الأربعينيات هو عدم ورود أي معطيات أو إشارات تنبئ عن إنتاجها ولو بشكل محتشم.

صورة رقم (١)

**الطريقة التي كانت تتم بها عملية إنتاج الزرابي بشكل تقليدي إبان عهد الحماية**(٣٩)



**٤/١- صناعة المطرزات**

تُعَدّ مدينة أزمور من بين أهم المدن المغربية، المنتجة والمصدرة للأثواب المطرزة بالإبرة والخيط الرفيع، والمطهّمة بمختلف الزخارف الفنية،(٤٠) من قبيل صور لتنينات أسطورية شبيهة بالأشكال والشعارات السائدة في القرون الوسطى في أوربا، والتي عثر عليها كذلك في تراث الفنون الفارسية، وتجدر الإشارة في هذا السياق؛ إلى أن هذه التطريزات اختصت بها مدينة أزمور دون غيرها، وقد أدت المعارض الاستعراضية والمواسم، دورًا مهمًا في إنعاش هذه الصناعة، وتسويق منتجاتها داخل وخارج دائرة دكالة، حتى أصبحت مطلوبة في الأسواق العالمية.(٤١)

**٥/١- صناعة الخزف**

هذه الحرفة نجدها في المدن الساحلية أكثر من القبائل،(٤٢) وذلك نظرًا لوجود مناجم الطين بكثرة بها، فمن أبرز المناطق التي ضمت هذه المناجم نذكر مدينة الجديدة، أزمور الغربية، فحص أولاد بوعزيز، وقد اتسم الخزف الدكالي بضعف إتقانه وهزالة جودته، وقد عزي ذلك إلى بداءة الأدوات الصناعية وضعف أدائها، فالمصنع كان عبارة عن حفرة مستطيلة، طولها متران وفتحة ذات متر مربع بها ناعورة خشبية موضوعة على محو يحمل قالبًا، أما العامل فيجلس على لوح له طول الحفرة نفسها، حيث يضع رجلاً على اللوح والأخرى على الناعورة الخشبية لكي تدور سريعًا، وكانت توضع في الحفرة قطعة مخروطية من تراب الفخار، تساعد العامل على تشكيل المنتوج، حيث يبدأ مباشرة بالعمل فيه أولا بيديه المبللتين وبعدها بالمنشفة، وحينما ينشف المنتوج بالشمس، يدخل إلى فرن مكون من الطوب والطين، وبعيد تسخينه بأعشاب جافة (قش، دوم، روث)، وبعد ست ساعات من الطهي يصبح المنتوج جاهزًا للتسويق، وقد أكد **"كولفن"** في هذا الصدد أن من بواعث رداءة المنتوج الخزفي الدكالي، هو قلة ساعات طهيه أو في تركه تحت الشمس لوقت طويل، ما يجعله عاريًا من الحس الفني المطلوب من قبل الأوربيين،(٤٣) ولعل الرأي نفسه شاطره مواطنه "هربير"، حين ذهب أن سوء عملية تسخين الفرن، كانت السبب الرئيس في ضعف جودة المنتوج الخزفي ووضاعته.(٤٤)

**(٥/١) ١- أدوات صناعة الخزف:**

**منشفة مبللة**: تحافظ على طراوة الطين وطواعيته.

**منقاش**: من الجهة الحادة يصلح كمنجرة، ومن الجهة الأخرى يستخدم كمقياس.

**لوحة مربعة**: وهي ذات جوانب حادة شبيهة بقطعة صابون، تصلح لتسوية قعر المزهريات، الجرار، صحون مقعرة.

**المغزل**: يتكون من قطعة خشب مثبتة برأس الرحى والناعورة، بواسطة كاحل من خشب، أما من الجهة السفلى فهو يحمل قضيبا من حديد يشكل المحور، ومن الجهة العليا يتحرك بواسطة رافدة أفقية من خشب موضوعة حسب قطر العلبة، هذه الرافدة تحمل حلقة تدعم المغزل وهو أسطواني في هذا الموضع، ولتكميل الحركة العليا لمغزل الدولاب، تحدث بعض الدورات من الحبل المشدود بواسطة كواحل من خشب أو قصب، التي تثبّت كل واحدة الأخرى.

**دولاب الخزاف**: وهو على شكل علبة دائرية المنظر، غير مصنوعة بنفس المواد، يضم رأس الرحا وناعورة مصنوعة من حجر المطاحن في الغالب، وسطحه موجه إلى السماء، الدولاب المرتبط بالناعورة يدور بسرعة، والدولاب الآخر بطيئ بسبب كثافة الحجر السميك في الوسط. وكان الخزفي الذي يستعمل الدولاب بالناعورة يستخدم طينًا مرنًا جدًا، وفي الغالب ما يكون هذا الخزفي من أهل المدن، أما

الذي يعمل بدولاب من حجر الرحى فهو يستعمل طينًا صلبًا وفي الغالب يكون من ساكنة البوادي.

**المنشاف**: وهو يعمل على تنشيف الخزف على القراميد أو على الرحى.

**الفرن**: يتكون من جب بيضوي ذي محور كبير محفور في الأرض، لكن جزأه الأمامي يتكون من حائط صلب، مفتوح على منحدر حيث يوجد باب الفرن، أما الركيزة التي ترتفع قليلاً على الجدار الخلفي للفرن فهي تقسم الفرن إلى قسمين، هذا علاوة على الموقد الذي ينقسم بدوره إلى قسمين بواسطة الركيزة، وهو متسع جدًا، إذ يمكّن من الشحن المستمر للأشياء القابلة للاحتراق، التي يكون الخزفي يدفعها بواسطة قضيب طويل لمدة ساعتين في أغلب الأحيان، وقد تميزت أفران مدينة الجديدة عن غيرها بوجود شبكة(*) تفرق بين مكان تحضير المنتوج والموقد.(٤٥)

**(٥/١) ٢- أصناف الخزفيات المصنوعة بدائرة دكالة.**

**قدح النورية**: وكان يباع خلال فترة الحماية في الأسواق المغربية، بثمن (٢٥) فرنكًا لكل مائة قدح.

**طوب مربع بقياس (٠,١٥ مترًا)**: كان يباع بثمن أربعة فرنكات لكل مائة طوبة.

**طوب مستطيل بقياس (٠,٢٠) مترًا على (٠,١٢) مترًا**: بيع بثمن (٢,٥٠) فرنكًا للمائة طوبة.

**"التعريجة"**: بيعت بثمن (٠,١٠) فرنكات إلى (٠,٢٥) فرنكًا للواحدة.

**الجرار**: بيعت بثمن (٠,٢٥) إلى (١,٢٥) فرنكًا للواحدة.

**المزهريات**: بيعت بسعر (٠,٢٥) إلى فرنك للواحدة.

**قنوات صرف المياه**: سوّقت بسعر (٠,٥٠) إلى (٢,٥٠) فرنكًا لكل قناة.(٤٦)

هذا بالإضافة إلى الأباريق والقرمود المبرنق والزليج و"طيسان" الناعورات...، إذ كان يوجد بضواحي أزمور في هشتوكة والشياظمة ما يقارب (٣٠٠٠) "سانية" كلها مجهزة "بالطيسان" المصنوعة بأزمور.(٤٧) وكان يعاب على هذه المنتجات الخزفية الدكالية، نحافة سمك المنتوج وضعف صلابته وقلة ساعات الطهي اللازم لجفافه كما يجب، هذا زيادة على انعدام وجود الألوان فيها، وطغيان لون أو لونين بشكل نمطي ممل، الأمر الذي أفرز منتوجًا هزيل الجودة والإتقان، طال حتى المنتجات الخزفية المرتبطة بالمطبخ، والتي جاءت على الشكل التالي:

**الخابية**: كان سعرها خلال الفترة المدروسة بثمن (١,٢٥) فرنكًا إلى (٣,٥٠) فرنكًا.

**جرار لوضع العسل والزبدة**: بيعت بثمن (٠,٢٥) إلى فرنك واحد للجرة.(٤٨)

**المجمر**:(٤٩) بيع بسعر (٠,٢٥) إلى (١,٥٠) فرنكًا للمجمر الواحد.(٥٠)

**الطاجين**: بيع بسعر (٠,٢٥) إلى (٠,٥٠) فرنكًا للواحد.

**الكسكاس**: بيع بسعر (٠,٢٥) إلى فرنك للواحد.

**قدر لطهي المواد السائلة "الحماس"**: بيع بثمن (٠,٢٥) إلى (٠,٧٥) فرنكًا للقدر.

**الصحون والصحون المقعرة (زلايف)**:(٥١) بيعت بثمن (٠,٠٦) إلى (٠,٢٥) فرنكًا للصحن.(٥٢)

**الأباريق**: ظلت تستعمل في البوادي على وجه الخصوص لطهي وتسخين بعض المواد السائلة، مثل الماء والشاي والحليب.(٥٣)

ولما كانت مهنة الخزافة تضم (١٨٠) عاملاً وصانعًا، و(٢٥٠) معاونًا مكلفين بنقل الطين والحطب(٥٤) قبيل الحماية، فإنها طفقت تتراجع سنة بعد سنة وصنّاعها يتناقصون إبان عهد الحماية، بسبب شح الطلب على المنتوجات الخزفية، بعدما صارت الأواني المعدنية المستوردة التي يجلبها التجار اليهود تغرق الأسواق الدكالية.(٥٥)

**٦/١- صناعة الخشب**

نشطت بأزمور معامل قاربت الستين معملاً للخشب، بعمالة قدّرت بنحو (٢٥٠) عاملاً وصانعًا، وكانت سوق الخشب تقام كل يوم سبت، حيث وفر هذا السوق مجالاً لتبضع خشب الأركان الذي كان يجلب من الشياظمة وحاحا بناحية الصويرة، وعمل النجارون بأزمور- على وجه الخصوص- في صناعة المحاريث والناعورات وأنوال النسيج ومراكب الصيد، وكانت هذه الأخيرة تتم صناعتها بخشب أشجار التوت، التي تنبت في حدائق أزمور وهشتوكة، وخشب أشجار الرمان التي توجد في الحوزية، هذا إضافة إلى صناعة أدوات أخرى صغيرة من الخشب، مثل دواليب الغزل والمغازل ومحالج الصوف،(٥٦) ومواد مزينة ومزركشة بطبقات ملونة ومموجة، هذه الصنائع نفسها كانت سائدة بمدينة الجديدة.

**٧/١- الصيد البحري والنهري**

تعتبر مدينة الجديدة نقطة هامة للصيد البحري بدائرة دكالة،(٥٧) في حين احتضنت مدينة أزمور مجالاً حيويًا للصيد البحري والنهري.

**(٧/١) ١- الصيد البحري:**

كان المجال البحري الدكالي يزخر بأنواع جمة من أصناف السمك التي من أشهرها السردين، الشبوط، سمك موسى، سمك الترس، سمك البوري، أما القشريات فكانت تعج بها نواحي الرأس الأبيض، التي تبعد بعشرين كيلومترًا عن غرب الجديدة، وكان هذا النوع يتم بيعه في أسواق الدار البيضاء، حيث البيع بها أكثر ربحًا من أسواق الجديدة وأرفع طلبًا.(٥٨) وإلى غاية سنة ١٩٣٠م كان عدد الصيادين المحليين بالساحل الدكالي مائتي صياد، منهم عشرة أوربيين يملكون ستين مركبًا، يصطاد من (٥٠٠٠٠٠) إلى (٦٠٠٠٠٠) كيلوغرام من السمك سنويًا، حيث اصطادوا سنة ١٩٣٠م ما وزنه (٦٥٤٠٠٠) كيلوغرام.(٥٩) وفيما يلي جدول يبين الأسماك المفرغة في ميناء الجديدة بالطن، ما بين (١٩٤٩م – ١٩٥٦م).

جدول رقم (٢)

**حجم الأسماك المفرغة في ميناء الجديدة (بالطن)**

**ما بين (١٩٤٩م– ١٩٥٦م)**

| السنوات | حجم الأسماك المفرغة بميناء الجديدة (بالطن) |
|---|---|
| ١٩٣٣ | ٢٦٩٢٩٠ (كيلوغرام)[٦٠] |
| ١٩٣٨ | ٢٤٦ |
| ١٩٤٦ | ١٤٤ |
| ١٩٤٧ | ١١٤ |
| ١٩٤٨ | ١٢٣ |
| ١٩٤٩ | ٣٨٧ |
| ١٩٥٠ | ٨٣٩ |
| ١٩٥١ | ٦٠٠ |
| ١٩٥٢ | ١٤٣٠[٦١] |
| ١٩٥٣ | ٥٥٧ |
| ١٩٥٤ | ٠٧ |
| ١٩٥٥ | ٢٢٦ |
| ١٩٥٦ | ١٢٥٢[٦٢] |

نستنتج من خلال الجدول أعلاه أن حجم الأسماك المصطادة من الساحل الدكالي عرفت تذبذبًا، غير أن سنة ١٩٥٦م سجلت ارتفاعًا كبيرًا في هذا المجال.

**(٧/١) ٢- الصيد النهري:**

يزخر نهر أم الربيع بأنواع مختلفة من السمك التي تتسرب إلى ساحل أزمور والجديدة مثل الدبدوب (Barbeau)، السنور (Gobies)، ثعبان البحر أو الأنقليس (L'anguille commune)، البرطم (Tacaud)، أسماء ضخمة (Bar commun)، المعزة (Chèvre)، الكرب (Ombrine)، الملخة (Sole)، البوري (Mulet)، السيفرون ( Hareng)، غير أن الشابل (L'alose) كان الأهم عند صيادي أزمور، لدرجة أن أهل المدينة كانوا يتضررون كثيرًا إذا تأخر عن موسمه لسبب من الأسباب، لأن عدد صيادي سمك الشابل كان كبيرًا جدًا، وتوقفهم عن العمل يقلل من الرواج ويحدث كسادًا في جميع المرافق التجارية، حتى لدى أرباب الحمامات الذين كانوا يشتكون من نقص في المداخيل من جراء توقف الصيد.[٦٣] وكان عدد مراكب الصيد سنة ١٩١٠م خمسين مركبًا، أما بعيد فترة الحماية فقد صارت (٢٥٠) مركبًا، يعمل عليها (٨٠٠) شخص موزعين على الشكل التالي: (٦٥) ممولاً، (١٥٠) أنيس مركب، (٥٥٠) صيادًا، (٥٠) مصلحًا لشباك الصيد.

وكان الصيادون حينما يدنو موسم صيد الشابل- الذي يدوم أربعة أشهر ونيف من نونبر حتى ماي- يجتمعون في إحدى الزوايا، وغالبًا ما تكون زاوية أحمادشة أوالزاوية الوزانية، وأثناء هذا الاجتماع يصرح كل واحد بعدد المراكب التي ينوي استعمالها، ويقوم عدلان بتسجيل هذه التصريحات، ثم يختم هذا الجمع بغذاء يتناوله الحاضرون داخل الزاوية.[٦٤] وكانت أمكنة الصيد التي تمتد من مصب أم الربيع حتى ستة كيلومترات من مصعد النهر،[٦٥] مقسمة إلى اثني عشر قسمًا أو "مشرعًا"، وفيها يصيد كل مركب مصرح به بالتناوب[٦٦] أربعًا وعشرين ساعة متتالية، وكان الصيادون يفضلون الاصطياد بعيدًا عن مصب النهر بثلاثين كيلومترًا، للرفع من حجم صيدهم الذي يصل إلى ألف قنطار سنويًا من سمك الشابل، وإلى أربعمائة قنطار سنويًا من أصناف السمك السالف الذكر.

من ماي إلى أكتوبر سمك الشابل يبقى في البحر العالي، فيصير بذلك الصيد في الوادي مسموحًا به دون تحديد مناطق الصيد، لكن بعد دفع (٢٥) درهمًا كرسوم عن كل قارب مزود بشبكة، أما الصيد في مخاطة الحومية والشيخ أحمد، فبلغت رسومه الألف درهم، وقد كانت هذه الرسوم الخاصة بالصيد النهري بدائرة دكالة تزود خزينة الدولة بـ (١٤٠٠) بسيطة حسنية في السنة. ولم يكن يقتصر تسويق سمك الشابل في الأسواق الدكالية فحسب، بل تعداه إلى بعض أسواق المدن المغربية مثل أسواق مدينة فاس،[٦٧] وبما أن صيد الشابل لا يدوم إلا بضعة أشهر، فإن الصيادين كانوا يقضون باقي أيام السنة في الاشتغال بزراعة الحناء.[٦٨]

**٨/١- صناعة شباك الصيد**

كانت النسوة والصيادون الشيوخ هم مَنْ يتولوا عادة صناعة شباك الصيد وترميم الممزق منها، وذلك باستعمال خيوط القنب المجلوبة من مراكش.[٦٩]

**٩/١- صناعة تحويلية**

**الشمع والصابون الرطب**: اشتهرت هاتان الصناعتان بمدينتي الجديدة وأزمور.[٧٠]

**صياغة الحلي وأواني القصدير**: اختص اليهود بهاتين الصناعتين، إذ هم الذين كانوا يقومون بصياغة الحلي المصنوع من الفضة وأواني القصدير بدائرة دكالة.[٧١]

**صناعة الفحم**: ظلت الأفران الخاصة بتحويل جذوع الشجر إلى فحم، تكثر بالمناطق الدكالية القريبة من الغابات، وكان الفائض من هذا المنتوج يصرف بمدينتي أزمور والدار البيضاء على وجه الخصوص.[٧٢]

**١٠/١- البناء**

كان البناؤون الذي ناهز عددهم بعيد سيادة نظام الحماية، ثلاثة وأربعين بنّاء بأزمور فقط، يستجلبون من مناطق دكالية مختلفة، بعض مواد البناء المهمة التي من أبرزها:

**الجبس**: يجلبه العمال أو المياومون من قبيلة العونات قرب زاوية التونسي، ومن التلال التي تحد شرقًا منطقة الرحامنة.

**الجير والإسمنت**: كانت مواضعه موجودة بمنطقة الساحل الدكالية.

**حجر البناء**: كانت مقالعه منتشرة في كل المجال الدكالي، باستثناء منطقة التيرس بالسهل الداخلي.

**الطين البلاستيكي**: وجدت مكامنه بقبيلة أولاد بوعزيز، وأولاد فرج، وأولاد فهرير.[٧٣]

**١١/١- إنتاج الملح**

توجد على بعد خمسين كيلومترًا من مدينة الجديدة ملاحة بطول (٢,٥) كيلومترات، وعرض (١٥٠) إلى (٢٠٠) متر، وهي مستغلة من قبل المحليين، حيث لها مردود يصل إلى ألف طن في السنتين، ويظل هذا المنتوج مرتبطًا بالأمطار، فكلما كان مستوى الماء مرتفعًا تكون الملاّحة مملوءة بالملح، أما في سنوات الجفاف فيكون الإنتاج شبه منعدم.[٧٤]

**١٢/١- الخرازة**

كانت مدينة أزمور تحتوي بعيد نظام الحماية على ستين معملاً، يشتغل فيه أزيد من (٢٥٠) عاملاً وصانعًا، وكان لهذه الحرفة سوق خاص بها يسمى سوق "الخرازين" مفتوح باستمرار، حيث كان أهل دكالة والشاوية يفدون إليه لشراء "البلاغي" وبيع جلود الأبقار والأغنام والماعز.[٧٥]

**١٣/١- الدباغة**

بلغ منتسبوها في مدينة أزمور بعيد نظام الحماية ثلاثمائة صانع وعامل، حيث اشتغلوا في دباغة جلود البقر والأغنام والماعز، ويظهر أن جلود أزمور كانت مطلوبة، بدليل أنها كانت تباع في الأسواق البعيدة مثل أسواق فاس ومراكش.[٧٦]

**١٤/١- الحدادة**

كان يعمل بعيد فترة الحماية بأزمور (١٥٠) عاملاً وصانعًا في الحدادة، حيث اهتموا بصناعة سكك المحاريث، الفؤوس، المناجل، حدوات الخيول، الأقفال، شبابيك النوافذ، أثقال الناعورات والمسامير.[٧٧] وفيما يلي جدول يوضح أبرز الحرف التي كانت سائدة بأزمور بعيد فترة الحماية:

**جدول رقم (٣)**

أهم الحرف السائدة بمدينة أزمور بعيد نظام الحماية[٧٨]

| نوع الحرفة | عدد عمالها | ملاحظات |
|---|---|---|
| الخبازة | ٨٣ | ١٥ رجالاً و٦٨ امرأة |
| الفرارنية | ٦٠ | ١٢ رئيسًا و٤٨ متعلمًا |
| أصحاب المقاهي | ٨ | |
| الخرازة | ٤٥ | |
| البقالة | ١٨٠ | |
| بائعوا الأحذية | ٢٠ | |
| الكفايتية | ٢ | |
| البياضة | ١٨ | |
| الجيارة | ١٠ | |
| البناية بالطابية | ٨ | كلهم من منطقة درعة |
| البزازة (بائعو الثياب) | ٤٦ | |
| البغازة (بائعو السمك بالجملة) | ٥٢ | |
| الشرّاحة | ٣ | يشرحون ويملحون السمك |
| الشيخات | ١٢ | ليس لهم أمين |
| العبارة | ١ | |
| النجارة | ٤٠ | |
| البناية | ٤٣ | |
| الحدادة | ٣٢ | |
| القزادرية | ٨ | كلهم يهود |
| المختصون في تبيض النحاس | ٤ | |
| الفخارة | ١٩ | |
| الدباغة | ١١ | |
| الدرازة | ٢٣ | |
| الخياطة المسلمون | ٢٥ | |
| الصّاغة اليهود | ٢١ | |
| الحجامة | ٢٨ | |
| الطحانة | ٢٨ | |
| الكراية | ٣٥ | |
| السقاية | ٤ | لهم أمين |
| الصيادة | ٨٠٠ | |
| الدلالة | ١١ | |
| الخضارة | - | لهم أمين |
| **الخمالة منظفوا الواد الحار** | ٢ | |

ومع توالي سنوات الحماية، بدأت بعض الحرف التقليدية تفلس تمامًا، وأخرى تتصارع من أجل البقاء، ففي سنة ١٩٣٦م سجل انهيار مجموعة من المهن التقليدية مثل صناعة الأحذية المطرزة التي لم يتبق من صنّاعها سوى اثنين، وصارت هذه الأحذية تأتي من فاس ومراكش والرباط، كما أصبح الدباغون يشترون الجلد من مراكش، حيث سجلت سنة ١٩٣٢م آخر دباغ في مدينة أزمور، الذي صار بعد ذلك لا يعد إلا القليل من جلد الماعز من أجل إرساله إلى صانع "رابوزات" بالدار البيضاء، وقد تسببت الأقداح المعدنية التي كان يجلبها اليهود إلى المدن والقرى الدكالية.

في كساد الصناعة الخزفية وتراجع أرباحها، وهو المصاب نفسه الذي طال الصائغين اليهود، بيد أن الحلاقين، وأصحاب المقاهي، وبائعي الحرير ظلت مهنهم قائمة لكن بأرباح قليلة، أما الخياطون فقد بقيت حرفهم نشيطة نسبيا.[٧٩]

وقد أسهمت قنطرة أزمور التي انتهت أشغالها سنة ١٩٢٤م في تدهور الوضعية الاقتصادية الزمورية وتردي حالتها التجارية والحرفية، فقبل ذلك كانت أزمور ممرًا مهما بين الشمال والجنوب، وعلى الخصوص بين الدار البيضاء والجديدة، حيث كان يضطر المسافرون إلى التوقف عند أم الربيع، ما كان ينعش على السواء الصناعة التقليدية والحركة التجارية المحلية،[٨٠] لكن بعد الانتهاء من أشغال القنطرة، حدث بغتة انهيار اقتصادي للمدينة، من جرّاء مرور المسافرين على متن الحافلات والسيارات، دون توقف عبر القنطرة الجديدة،[٨١] وهكذا تعطلت المراكب وكسدت الصناعة والتجارة، وما زاد من تعميق الأزمة هو إغراق السوق الأزموري بالمنتجات الصناعية الأجنبية، وإصرار الطبقة الميسورة بها على اقتناء احتياجاتها من أسواق الدار البيضاء،[٨٢] وزادت هذه الحالة خطورة سنة ١٩٣٢م، جراء انخفاض أسعار الحبوب والحناء التي كانت من المنتجات الرئيسة لهذه الناحية، وتضاءل صيد الشابل الذي كان يُعَدّ من عوامل ازدهار أزمور في الماضي، بسبب تشييد سد بن معاشو على نهر أم الربيع، الذي أصبح يحول دون حركة أسماك الشابل أثناء وضع بيضها، وقد اتشحت مدينة أزمور بهذه الانتكاسة الاقتصادية طوال فترة الحماية.[٨٣]

صفوة القول: إن إدارة الحماية قامت بإعادة هيكلة النظام الحرفي الأهلي، وفق أسس ومناهج تنسجم مع النموذج الاقتصادي الكولونيالي، هذه الإجراءات الطارئة جعلت تكلفة إنتاج المصنوعات تقل بفضل استخدام التقنيات العصرية، لكنها لم تستطع فرض نفسها في الأسواق الداخلية على المنتجات الأوربية أو حتى منافستها، مما أدى إلى تضرر عدد كبير من الحرفيين الذين وجدوا أنفسهم عرضة لواقع البطالة، بسبب فشل الإصلاحات في مسايرة الإيقاع الاقتصادي الجديد.

## ثانيًا: الصناعة الأوروبية بدكالة

أسهمت الصناعات الأوروبية في تطوير البنية الاقتصادية الدكالية، رغم طابعها الذي لم يرق إلى مستوى الحداثة التي ترفل فيه البلدان الرأسمالية. فالصناعات الطارئة التي استقدمها المستثمر الأجنبي إلى دائرة دكالة، ظلت في مجملها موجهة لتأمين الحاجيات الملحة لإدارة الحماية، أو لتلبية بعض المتطلبات الاستهلاكية الضرورية للكولون الأوروبي في المنطقة، وقد وصل عدد المؤسسات الصناعية التي بلغ رأسمالها مجتمعة مليون فرنك، وعمالتها مائة عامل بدائرة دكالة، إلى (٢٥) مؤسسة سنة ١٩١٨م،[٨٤] لتنتقل سنة ١٩٣٢م إلى (٤٧) مؤسسة صناعية، تشغل (١٥٠) عاملاً برأسمال (١٥) مليون فرنك،[٨٥] ومن أبرز الصناعات الأوربية التي سادت دائرة دكالة نذكر:

**١/٢- صناعة الحبال النباتية الرقيقة:**

كانت هذه الصناعة من أولى الصناعات الأوربية في دائرة دكالة،[٨٦] حيث قام المستوطن "ألبيرطو موريو" (Alberto Morteo) العامل بقنصلية إيطاليا وممثل شركة "Paquet" الملاحية بالجديدة، بإنشاء شركة لصناعة الأحبال النباتية الرقيقة في منطقة الشياظمة التي تبعد عن الجديدة بـ (٤٥) كلم، والتي تتوفر على دخل صغير يساهم في تأمين المواد الأولية لهذه الصناعة، غير أن هذه الشركة لم تلق النجاح المرجو، فقرر صاحبها تأسيس معمل آخر وسط استغلاليته الغنية بنبات الدوم،[٨٧] على مساحة (٤٠٠٠) متر مربع، كلفته (٨٠) ألف فرنك دون احتساب سعر الأرض، وقد ضم هذا المعمل محركًا بخاريًا، وخمسة آلات خاصة بالتمشيط ذات قدرات عمل مختلفة، تنتج من (٢) إلى (٧) أطنان في اليوم وست آلات للنسيج، يشتغل بها ستة عمال أوروبيين، وما بين (٢٥) و(٣٠) عاملاً أهليًا. أما العمال المكلفون بنقل النخل إلى المعمل فتراوحوا ما بين (٣٠) و (٤٠) عاملاً.

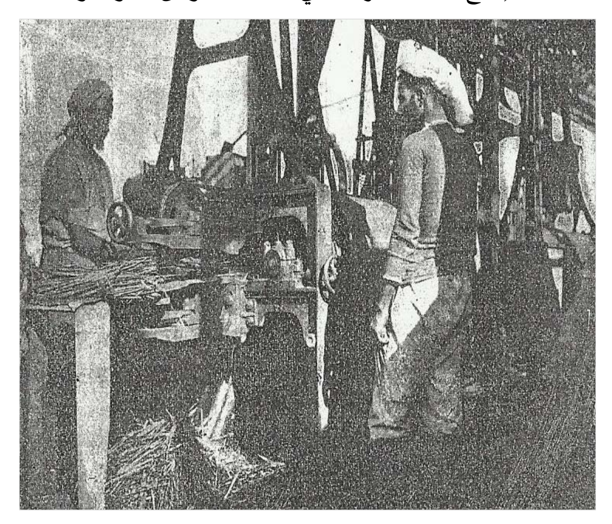
**صورة رقم (٢)**

معمل لصناعة الحبال النباتية بعين تالمست في ملك الفرنسي "فرونسو بيرلدي" (François Peraldi)[٨٨]



**صورة رقم (٢)**

معمل إنتاج الحبال الرقيقة في ملك المستوطن "مورتيو"[٨٩]



ينتج المعمل حبالاً من الدوم بيعت في مختلف أسواق المغرب بحوالي (٥٠) إلى (٧٠) فرنكًا- حسب الجودة - لكل مائة كيلوغرام.[٩٠] وقد استعمل الأهالي والأوربيون أصحاب المخبزات وبعض المصانع، مثل مصنع "مورتيو" (Morteo) نبات الدوم كوقود - في ظل غياب البنزين من دائرة دكالة خلال السنوات الأولى من عهد الحماية - بفضل وفرته وبخاسة ثمنه، حيث لم تتعد قيمته خمسة فرنكات للقنطار، وقد بلغت نسبة استهلاك مدينة الجديدة منه سنويًا خمسة آلاف طن.[٩١]

**٢/٢- المطاحن:**

ظلت دائرة دكالة طوال فترة الحماية، تستفيد فقط من طاحونتين ميكانيكيتين صغيرتين موجودتين بمدينة الجديدة، بمعدات بسيطة[٩٢] قدرت بـ (٥) آلاف إلى (١٠) آلاف فرنك، وطاقة إنتاجية تراوحت ما بين (٤٠٠٠) إلى (٥٠٠٠) كيلوغرام في اليوم من الدقيق،[٩٣] حيث كانت واحدة في ملك السيد "مينسي" (M.Muncez) والثانية في ملك السيد "تيولي" (M.Tiolet).[٩٤] وقد كانت مدينة الجديدة من بين المدن المغربية[*] القليلة، التي أقيمت بها مطاحن ميكانيكية من أصل أوروبي.[٩٥]

**٣/٢- صناعة المثلجات:**

أسس المستوطن الفرنسي "بويسون" (Buisson)"[٩٦]، مصنعًا لصناعة المثلجات بالجديدة[٩٧] منذ فبراير١٩١٣م، بمحرك بنزين من (١٨) خيلاً، ويتوفر المصنع على مبرّد من "كلور الميثيل"، الذي ينتج (٥٠) كيلوغرامًا من المثلجات في الساعة.[٩٨]

**٤/٢- صناعة الماء الغازي وشراب السيرو:**

ساد بدائرة دكالة خلال الفترة المدروسة، مصنعان في صناعة المياه الغازية وشراب السيرو، فالأول كان في ملك المستوطن الفرنسي "طابون" (Tabone)، والثاني في ملك مواطنه "بوشالي" (Bouchalet)،[٩٩] وقد كان هذان المصنعان من أول المصانع الأوربية التي أنشأت بدائرة دكالة،[١٠٠] حيث كانا مزودين بأدوات (مخزّن مياه، آلات تصفية، مضخات نصف دورانية) تعمل على التخلص من الأملاح المعدنية وتعقّم المياه، وقد مكنت هذه الآلات من إنتاج (١٢٠٠) لتر من المياه المصفاة من الأملاح المعدنية، و(٣٠٠٠) لتر من المياه المعقمة يوميًا،[١٠١] كما كانت هذه المصانع تنتج شراب "السيرو"[١٠٢] والمياه الغازية و"البيرة".[١٠٣] ومع قيام الحرب العالمية الأولى بات الإنتاج ضعيفًا، حيث صار المردود من هذه المنتجات لا يتعدى (١٨٠٠) إلى (٢٠٠٠) قارورة في الشهر.[١٠٤]

**٥/٢- صناعات خاصة بالبناء:**

أقيمت في دكالة منذ ١٩١٢م مصانع لإنتاج الزجاج، قنوات صرف المياه، الطوب والجير، وكان السيد "بورو" (M.Bourot) و"كومت" (Comte) من أوائل الأوربيين الذين أنشئوا مصانع خاصة بالبناء،[١٠٥] على الطريق الرابطة بين الجديدة ومراكش، هذه المصانع اشتغلت بالضغط المائي بأربع آلات، وآلة لصناعة الإسمنت، وآلة لصناعة حجر البناء، وقد قدرت الطاقة الإنتاجية لهذه المصانع في اليوم بـ (٢٠٠) زجاجة، و(٢٠٠٠) من الطوب، ومن (٢٠٠) إلى (٣٠٠) كيس إسمنت، أما العمال فلم يتجاوزوا العشرين عاملاً. كما أسس السيد "ساليرنو" (M.Salerno) مقاولة للأشغال العامة بالجديدة سنة١٩١١م، تتوفر على تجهيزات معمل كامل في إنتاج صناعة الزجاج، الطوب، قنوات الصرف الصحي، بالإضافة إلى منشرة ميكانيكية. وفي غرب مدينة الجديدة أسس السيد "بيلوس" (M.Pelous) معمل جير سنة ١٩١٤م، بهدف معالجة حجر الجير الصلب الأبيض الموجود بكثرة على مقربة هذا المعمل، وقد كان هذا الأخير ينتج حوالي (1200) إلى (1500) من الطوب يوميًا.[١٠٦]

**٦/٢- صناعة الخشب:**

احتوت مصانع الخشب على مناشر ميكانيكية بالأشرطة،[١٠٧] ومحركات تعمل بالوقود بقوة عشرين خيلاً، ومطحنة حجرية ومطحنة فولاذية، هذه الآلات مكّنت من نشرالخشب الخام أو المربع، بغية استعماله في البناء أوالتأثيث أو تصديره إلى الخارج، وكان كل من السيد "ديبون" (M.Debono) و"فيناي" (M.Vinauy) و"أشينزه كلفروزو"(Achenza Calavaruzo)،[١٠٨] من المستوطنين الأوائل الذين أنشئوا مصانع حديثة في نشارة الخشب وتقطيعه، كما كانا يتوفران على آلات تسمح بإرضاء جميع الطلبات في هذا المجال.

**٧/٢- صناعة هياكل السيارات:**

كان السيد "غروزان" (M. P. Grossin)[١٠٩] أول مَنْ أنشأ مصنعًا لإصلاح وصيانة السيارات في مدينة الجديدة، حيث كان مصنعه يتوفر على ثلاث مكنات للصهر، ومكينتين للخرق، ومكنات للدفع،[١١٠] وبعد ذلك صارت مدينة الجديدة وأزمور تعج بورشات الإصلاح وتلحيم هياكل السيارات،[١١١] من قبيل الورشات التي كان يديرها كل من المستوطن "ليبلانك" (Leblanc) و"باسكي" (Pasque) و"ليموان" (Lemoine) و"كيرسي" (Quercy).[١١٢]

**٨/٢- صناعة تعليب السمك:**

أقيم أول مصنع لتصبير السمك وتعليبه بدائرة دكالة سنة ١٩٢٦م، من قبل مستوطن فرنسي في مدينة الجديدة،[١١٣] ثم أقيم آخر سنة ١٩٣٢م بالرأس الأبيض،[١١٤] بعمالة قدرت بـ (٢٧) أهلي و(٣٦٥) أهلية و(١٠) أوربيين سنة 1935م،[١١٥] و(22) أهلي، و(280) أهلية، و(5) أوروبيين سنة 1937م،[١١٦] وبقيت دائرة دكالة تقتصر على هذين المعملين حتى سنة ١٩٥١م، التي شهدت إضافة معملين آخرين في هذا المجال، وهكذا احتضنت هذه الدائرة أربعة مصانع لتصبير السمك وتعليبه خلال فترة الحماية، في الوقت الذي كانت فيه مدينة آسفي تضم (٦٤) مصنعًا، وأكادير (٥٤) مصنعًا، والبيضاء (٣٢) مصنعًا.[١١٧] وفيما يلي جدول يوضح عدد المعامل بدائرة دكالة، وحجم الأسماك المعلبة بها خلال فترة الحماية:

جدول رقم (٤)

**عدد معامل تصبير السمك بدكالة والكميات المعلبة بها خلال فترة الحماية**

| السنوات | عدد المعامل | حجم السمك المصبر |
|---|---|---|
| ١٩٣٣ | ٢ | ١٥٥٦٤٠كيلوغرام[١١٨] |
| ١٩٣٥ | ٢ | ٣٤٧٧١٥[١١٩] (كيلوغرام) |
| ١٩٣٧ | ٢ | ٣٣١٢٨٩[١٢٠] (كيلوغرام) |
| ١٩٤٦ | ٢ | ٣٥٠٠٠(طن)[١٢١] |
| ١٩٥١ | ٤[١٢٢] | - |

وكان لبعض شركات تصبير السمك بواخرها الخاصة، حيث كان بعضها مصنوعًا من هياكل الصلب، المزودة بأحدث أجهزة التبريد المشتغلة بانتظام، وقد احتلت صناعة السردين المغربي المرتبة الأولى في العالم، بفضل تضاعف مصانع السردين المحضر بالزيت في كل من مدينتي آسفي وأكادير. أما على مستوى العمالة فقد شغّل هذا القطاع ما يقارب (٣٠٠٠) عامل بشكل مؤقت في فترات معينة من السنة، و(٢٠٠) عامل قار يضم مراقبي العمال، وميكانيكيين أوروبيين، ومستخدمي الصيانة، وكانت اليد العاملة المؤقتة تضم أطفالاً ونساء يعملون لمدة (١٠) إلى (١٢) ساعة، ولا يتقاضون سوى أجر ثمان ساعات، أما الأطفال فكان أجرهم يسقط إلى نصف[١٢٣] أجرة العامل الرجل.

**٩/٢- صناعة خيوط وأثواب الكتان:**

سنة ١٩٤٢م، ثم القيام بمحاولات تطبيقية لدراسة كيفية تحويل آلاف الأطنان من تبن الكتان المهمل إلى أثواب وخيوط، ولتحقيق ذلك اتبع المختصون الخطوات التالية:

أولاً: اقتلاع الكتان قبل نضجه وحبته بعد النضج.

ثانيًا: طحن تبن الكتان بعد تجفيفه.

ثالثًا: غمر الكتان المصفى بالماء لنزع الليف الملتصق به.

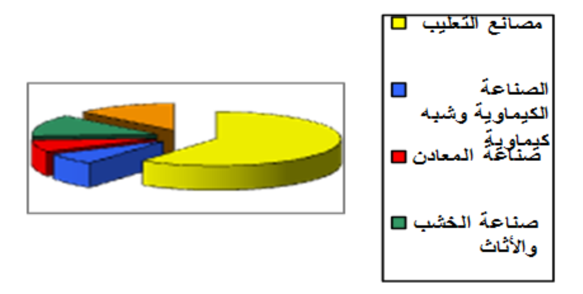
وبعد هذه السلسلة من عمليات التكرير، يتم الحصول على ثلاثة أنواع من ليف الكتان: النوع **الأول** ليف ذو نوعية رديئة، **والثاني** بجودة عادية، **وثالث** بجودة عالية، وبعد ذلك تقوم نساء المنطقة بغزله ونسجه بواسطة المشط التقليدي، وعقب الانتهاء يرسل المنتوج إلى التنظيف، ليصبح إثر ذلك ثوبًا أو خيطًا بلون رمادي جاهز للاستغلال.[١٢٤]

**٢/١٠- مهن وصناعات أوروبية أخرى:**

بفضل توفر دائرة دكالة على إنتاج زراعي مهم من الحبوب، أسس بعض المستثمرين الأوربيين مصنع لإنتاج المكرونة والمعجنات،[١٢٥] وبمجرد استفادة مدينة الجديدة من مصنع لتوليد الطاقة الكهربائية بمحركات ديازال[١٢٦] سنة١٩٢١م،[١٢٧] فتحت مجموعة من المصانع نشاطها لعمليات تصفية الشمع، وصناعة الصابون واستخراج الزيت من الزيتون واللوز.[١٢٨] أما فيما يخص المهن الطارئة على دائرة دكالة، فنخص بالذكر الموظفون في مختلف الإدارات أو رؤساء ومديري الشركات والورشات، مصورون، بائعوا الكتب، أطباء، أساتذة، الإدارات ورؤساء ومديري الشركات والورشات، مصورين، بائعي الكتب، أطباء، أساتذة، صيادلة، محامين، موثقين، خبازين، حلاقين، مهندسين معماريين، معلمين، محاسبين،[١٢٩] لحامين، صناع أحذية.[١٣٠] وقد أسهمت هذه المهن في تطوير البنية السوسيواقتصادية للدائرة، بظهور طبقة اجتماعية جديدة معززة لنمط الاقتصاد العصري. وهكذا نخلص من خلال دراستنا للصناعات الأوربية التي سادت دائرة دكالة غداة فترة الحماية، أنها اتسمت ببنية تقنية بسيطة، حيث كانت معظم المقاولات الصناعية بدكالة مجهزة بآلات متقادمة، وعمل بنهج شبه حرفي، يعتمد بشكل كبير على يد عاملة بئيسة بأجور زهيدة. وفيما يلي مبيان يبين أنواع الصناعات الأوربية التي عمّت دائرة دكالة خلال الفترة المدروسة:

**مبيان رقم (١)**

أنواع الصناعات الأوروبية التي سادت دائرة دكالة خلال عهد الحماية وتبايناتها[١٣١]




وهكذا: نلاحظ من خلال هذا المبيان، أن صناعة التصبير طغت بشكل كبير على مجمل الصناعات الحديثة التي سادت دائرة دكالة خلال الفترة المدروسة، ويعزى ذلك بالأساس إلى توفر المنطقة على سواحل وأنهار غنية بالثروات السمكية، ومجال زراعي ثري بمختلف المنتجات الفلاحية.

## خاتمة

قصارى القول؛ بسبب الصناعة الأوروبية التي غزت الأسواق الدكالية، والمنافسة القوية للمنتوجات المستوردة، صارت بعض المهن والحرف الدكالية في خبر كان، وأخرى مهددة بالاختفاء، غير أن الحرف التي كانت تملك حسا فنيا في صناعتها مثل الزرابي، الأدوات النحاسية، الحلي، المطرزات...، استطاعت أن تحافظ على موقعها في الأسواق، رغم مزاحمة الصناعة الأوربية المدججة بوسائلها التقنية الحديثة، وقد أسهمت هذه الصناعة في تحديث - ولو بشكل نسبي – القطاع الصناعي الدكالي الذي صارت بعض مصانعه تستخدم أدوات ميكانيكية وآلات عصرية مستحدثة مثل مصانع التعليب، المعجنات، النسيج. بيد أن هذه المصانع ظل حضورها ضعيفًا كمًا وكيفًا طوال الفترة المدروسة، حيث لم تتعد – على سبيل المثال – مصانع تعليب السمك الأربعة في مجال يضم

واجهة بحرية فسيحة، وميناء عصري حديث، ومعمل واحد للعجائن الغذائية في منطقة من أغنى المناطق المغربية في زراعة الحبوب وإنتاجها، ما يحيلنا للاستنتاج أن السياسة الصناعية الفرنسية في دكالة/المغرب كانت تبتغي إقامة صناعات بسيطة تؤمن احتياجات الكولون الأجنبي، وتزود المتروبول بالمواد الأولية اللازمة، أي صناعة شبيهة بالانطلاقة الصناعية في إنجلترا في القرن الثامن عشر أو صناعة روسيا في القرن التاسع عشر، لكن تبقى الصناعات المرتبطة بالبناء، والمزدهرة بالقروض، هي الأكثر تطورًا إذا ما قورنت بغيرها في دائرة دكالة، بل في مغرب الحماية الفرنسية برمته، الأمر الذي أسهم في إغراء الهجرة من القرى الدكالية إلى المدن، هروبًا من الأزمات الفلاحية والاجتماعية التي كانت تعانيها، حيث وفرت بعض الصناعات الأوروبية الجديدة فرص عمل للمهاجرين، وأرضية للاستثمارات التجارية والخدماتية والصناعية البسيطة.

## الهَوامِشُ:

(1) Bulletin d'information du Maroc, «***La modernisation de l'artisanat marocaine***», n° 30 Mai, 1953, p. 621.

(2) B.E.S.M, «***Considérations sur les divers aspects des problèmes de l'artisanat marocaine***», vol VII, n°26, Juillet 1945, p. 30.

(3) B.E.S.M, «***Modernisation de l'artisanat marocaine***», vol XIV, n° 48, 4ème trimestre 1950, pp. 99-100.

(4) B.E.M, «***Les coopératives indigènes au Maroc***», vol. IV, n°17, Juillet 1937, p.19.

(5) Bulletin d'information du Maroc, «***L'activité sociale***», n°13-15, Février 1949, pp. 23 - 25.

(٦) من أبرز الدول الأجنبية التي كانت تستورد المنتجات الصناعية التقليدية نذكر: فرنسا، الجزائر، مصر، تونس، بلجيكا، هولندا، إنجلترا، ألمانيا، سويسرا، إسبانيا ،البرتغال، السويد، مستعمرات فرنسا في إفريقيا الغربية. انظر: تفاسكا (أحمد)، **تطور الحركة العمالية في المغرب ١٩١٩-١٩٣٩**، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٨٠، ص. ٥٤.

(٧) جريدة السعادة، **المغرب في معرض باريس**، العدد ٤٤٧٦، الأربعاء ٢٢ شتنبر١٩٣٧، ص.١.

(٨) **الجريدة الرسمية**، العدد ١٣٤، فاتح يوليوز١٩٣٨، ص. ١٠٧٦.

(9) Coindreau (Roger) et senz (Charles), ***Terres lointaines, le Maroc, Maroc français, Maroc espagnole, Tanger***, Ed Société géographique maritimes et coloniales, Paris, 1949, p. 221.

(١٠) عياش (ألبير)، **المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية**، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين السعودي، مواجعة وتقديم إدريس بنسعيد وعبد الأحد السبتي، دار الخطابي، الدار البيضاء، 1985. ص. ٢٠٢.

(١١) ميشوبلير، **مدينة أزمور وضواحيها**، ترجمة وتعليق محمد الشياظمي، مطابع سلا، ١٩٨٩، ص. ٦٠.

(١٢) جريدة السعادة، **صناعة التسفير**، العدد ١٨٩٢، الأربعاء ٥ مارس ١٩١٩، ص. ١.

(١٣) تفاسكا (أحمد)، **تطور ...**، م.س، ص. ٥٦

(14) A.N.R, Carton n°P23, ***L'industrie***, p. 1.

(15) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala au point de vue économique***, Ed Emille Larose, Paris, 1917, pp. 167-168.

(*) **دراز**: كان عبارة عن نوالة من خشب أفقية ذات عرض يتراوح ما بين ١٢ و١٥ مترًا مربعًا.

(16) Goulven (J), «***La Région des Doukkala***», annales de géographie, n° 158, 1920. p.135.

(17) Ibid, p.172.

(١٨) ميشوبلير، **أزمور وضواحيها**، م.س، ص. ٦٠.

(١٩) المرجع نفسه، ص. ٥٦-٥٧.

(20) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., pp.167-173.

(21) Ibid, pp. 173 –174.

(*) **الصولدي**: هي عملة نحاسية مغربية كان يساوي كل ثمانية منها فرنكًا واحدًا.

(22) B.E.M, «***Métiers et classes sociales d'Ezemmour»***, vol. IV, n°16, Avril 1937, p.166.

(23) Idem.

(24) A.N.R, Carton n°P20, ***Notes concernant /Le Doum***, p.1.

(25) Idem.

(**) **التلّيس**: كيس يصنع من الدوم والصوف في الغالب ويستعمل عادة لحمل الحبوب.

(26) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., pp. 134-135.

(27) Desrochers (Georges), ***Le Maroc, son passé, son présent, son avenir***, Ed Elammario, Paris, 1921, p. 332.

(28) B.E.S.M, «***Production indigène»*** ,vol. VII, n° 27, Octobre 1946, p. 173.

(29) B.E.S, «***Production indigène»***, vol I, n°1, Juillet 1933, p.14.

(30) B.E.S, «***Résultat de l'estampillage des tapis marocaines pendant l'année 1933***», n° 3, Janvier 1934, p. 172 .

(٣١) جريدة السعادة، **مقدار الزرابي المنسوجة في الإيالة الشريفة بعام ١٩٣٤**، العدد ٤٢٠٥، السبت ٩ فبراير ١٩٣٥، ص١.

(32) B.E.S, «***Production indigène»,*** vol II, n°7, Juillet 1935, p.45.

(33) B.E.S, «***L'estampillage des tapis marocaines***», vol II, n°9, Juillet 1935, p. 229.

(٣٤) جريدة السعادة، **الزرابي المغربية المختومة بالطابع**، العدد ٤٣٩٤، الأربعاء ٤ نوفمبر ١٩٣٦، ص١.

(35) B.E.M, «***Production indigène»,*** vol IV, n° 18, Octobre 1937, p. 310.

(36) B.E.S, «***Production indigène»***, vol V, n° 21, Juillet 1938, p. 224.

(37) B.E.S, «***Production indigène»***, vol VI, n°24, Avril 1939, p. 129.

(38) B.E.S.M, «***Production indigène»,*** vol VII, n° 27, Octobre 1946, op.cit., p. 173.

(39) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., p. 173.

(40) Goulven (J), «***Maroc***», l'Afrique francais, n°10, 1938, p. 212 .

(٤١) ميشو بلير، **مدينة أزمور وضواحها**، م.س، ص. ٥٨.

(42) Herber (J), «***Les potiers de Mazagan***», Hespris, vol XVII, 1933, p. 49.

(43) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., p. 179.

(44) Herber (J), ***«Les potiers de Mazagan»***, op.cit., p. 50.

(*) **الشبكة:** هي المكان الذي يزود الموقد بالوقود (أغصان يابسة) الضروري لتسخين الفرن وإذكاء ناره.

(45) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., p. 179.

(46) Ibid, p. 177.

(٤٧) ميشوبلير، **مدينة أزمور وضواحيها**، م.س، ص.٥٨.

(48) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., p. 177.

(49) Herber (J), «***Les potiers de Mazagan »***, op.cit., p. 54.

(50) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., p. 177.

(51) Herber (J), «***Les potiers de Mazagan »***, op.cit., p. 54.

(52) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., pp. ١٧٦-.١٧٧

(53) A.N.R, Carton n°P23, ***L'industrie***, op.cit., p. 1.

(٥٤) ميشوبلير، **مدينة أزمور وضواحيها**، م.س، ص. ٥٧.

(55) B.E.S, ***Métiers*** ..., vol IV, n° 16, Avril 1937, op.cit., p. 166.

(٥٦) ميشوبلير، **مدينة أزمور وضواحيها**، م.س، ص. ٥٥-٥٨.

(57) Renseignements économiques officiaux du protectorat de la République française au Maroc, p. 28.

(58) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., p.169.

(59) Bulletin de la société d'encouragement pour l'industrie nationale, «***La navigation au Maroc»,*** vol. 131, 1932, p.551 .

(60) B.E.M, «***L'industrie des peches maritimes au Maroc»***, vol I, n°4, Avril 1934, p. 258.

(61) B.E.S.M, «***Poissons débarqués dans les ports***», vol. XV, n°53, 1er trimestre 1952, p. 323.

(62) B.E.S.M, « ***Poissons débarqués dans les ports*** », vol XXI, n°73, Juillet 1957, p. 99.

(63) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., pp. 170-171.

(٦٤) ميشوبلير، **مدينة أزمور وضواحيها**، م.س، ص. ٥٤.

(65) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., p. 171.

(٦٦) ميشوبلير، **مدينة أزمور وضواحيها**، م.س، ص. ٥٥ .

(67) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., p. 171.

(٦٨) ميشوبلير، **مدينة أزمور وضواحيها**، م. س ، ص : ٥٥.

(٦٩) المرجع نفسه.

(70) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., p. 175.

(٧١) ميشوبلير، **مدينة أزمور وضواحيها**، م.س، ص. ٥٩.

(72) A.N.R ,Carton n°P23, ***L'industrie***, op.cit., p.1.

(73) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***..., op.cit., p. 177.

(74) Ibid, p. 179.

(٧٥) ميشوبلير، **مدينة أزمور وضواحيها**، م.س، ص. ٥٧.

(٧٦) ميشوبلير، **مدينة أزمور وضواحيها**، م.س، ص. ٥٧.

(٧٧) المرجع نفسه.

(٧٨) المرجع نفسه، ص. ٥٩-٦٠.

(79) B.E.M, «*Métiers*…», vol. IV, n°16, Avril 1937, p.166.

(٨٠) الشياظمي (محمد)، "أزمور بعد الجلاء البرتغالي سنة ١٩٤١/ ١٩٤٨"، معلمة المغرب، ج ٢، مطابع سلا، ١٩٩٨، ص. ٣٥٩.

(٨١) المرجع نفسه.

(٨٢) ميشوبلير، **مدينة أزمور وضواحيها**، م.س، ص. ٦٣.

(٨٣) المرجع نفسه.

(84) ***Renseignements économiques officiaux du protectorat de la République française au Maroc***, op.cit., p. 36 .

(85) Hoffherr (R), ***L'économie marocaine peuplement ressources naturelles et crédit***, Imprimerie du Roi, 1931, pp.198 - 199.

(86) Monmarché (M), ***Le Maroc***, Librairie Hachette, 3ème édition, Paris, 1925, p.165.

(87) A.N.R, Carton n°P20, ***Notes concernant /Le Doum***, p.1.

(88) Jmahri (M), **«Une vie de colon *à Mazagan***», les cahiers d' El Jadida, n°12, annèe2012 , p.129.

(89) Goulven (J), **Le cercle des Doukkala**…, op.cit., p.182.

(90) Jmahri (M), **«Une vie de colon**…», op.cit., p. 1٨3.

(91) A.N.R, Carton n°P20, ***Notes concernant /Le Doum***, op.cit., p. 3.

(92) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***…, op.cit., p. 185.

(93) Ibid, p. 183.

(94) Ibid, p.185.

(*)- المدن المغربية التي كانت تتوفر على المطاحن الميكانيكية هي البيضاء، آسفي، مراكش، سلا، تازة، مكناس، وجدة، الرباط، الجديدة. انظر:
B.E.S.M, « ***La meunerie industrielle au Maroc »,*** vol XI, n°39, Octobre 1948, p. 65.

(95) Idem.

(96) A.N.R, Carton n°P20, ***Liste des industries européennes***, p. 2.

(97) Monmarché (M), ***Le Maroc***, op.cit., p. 165.

(98) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***…, op.cit., p. 183.

(99) A.N.R, Carton n°P20, ***Liste des industries européennes***, op.cit., p. 2.

(100) Renseignements économiques officiaux du protectorat de la République française au Maroc, op.cit, p. 36 .

(101) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***…, op.cit., p. 184.

(102) Renseignements économiques officiaux du protectorat de la République française Maroc, op.cit., p. 36.

(103) B.E.S.M, «***Industries de la bière et des boissons gazeuses»***, vol. XIII, n°46, trimestre 1950, p.104.

(104) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***…, op.cit., p. 184.

(105) A.N.R, Carton n°C1985, ***Mazagan et les Doukkala***, la revue marocaine, n°46-51, Février 1917, p.59.

(106) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***…, op.cit., p. 185.

(107) Feucher (Ch), ***Mazagan (1514-1956)***, l'Harmattan, Paris , 2011, p. 180.

(108) A.N.R, Carton n°P 20, ***Liste des industries européennes***, op.cit., p. 2.

(109) Idem.

(110) Ibid, p. 185.

(111) Monmarché (M), « ***Le Maroc »***, op.cit., p. 165.

(112) A.N.R, Carton n°P20, « ***Liste des industries européennes »***, op.cit., p. 2.

(113) Lemoigne (Emile), « ***Le pays et son histoire »***, Ed notre domaine colonial, Paris, 1928, p. 184.

(114) Bulletin de la société d'encouragement pour l'industrie nationale, «***La navigation***…», vol. 131, 1932, op.cit., p.551.

(115) B.E.M, «***Industrie du conserve de poissons au Maroc»***, vol. II, n° 8, Avril, p.130.

(116) B.E.M, «***Renseignements concernant l'industrie du conserve de poissons au Maroc»,*** vol. V, n°20, Avril 1938, p. 120.

(117) B.E.S M, «***Les conserves de poissons»***, vol. XV, n°53, 1er trimestre 1952, p.325.

(118) B.E.M, «***Industrie du conserve de poissons au Maroc»,*** vol. III, n°12, Avril 1936, p. 130.

(119) B.E.M ,«***Industrie du conserve de poissons au Maroc»***, vol. II, n°8, Avril 1935, p.130.

(120) B.E.M, «***Renseignements***…», vol V, n°20, Avril 1938, op.cit., p. 120.

(121) B.E.S.M ,«***Usines de conserves de poisson»***, vol. VIII, n°28, Janvier 1946, p. 259.

(122) B.E.S.M, «***Les conserves de poissons»,*** vol. XV, n°53, 1er trimestre 1952, op.cit.,p. 325.

(١٢٣) عياش (ألبير)، **المغرب والاستعمار ...**، م.س، ص. ٢١٥.

(124) B.E.S.M, « ***Le lin en Doukkala »***, vol X, n°36, Janvier 1948, pp. 200-209.

(125) Feucher (Ch), ***Mazagan (1514-1956)***, op.cit., p.150 .

(126) Guy (Evin), ***L'industrie au Maroc et ses problèmes***, librairie Recueil Sirey, Paris, 1934, p.46.

(127) Hoffherr (R), ***L'économie marocaine***, op.cit., p .190.

(128) A.N.R, Carton n°C1985, «***Mazagan et les Doukkala»,*** la revue marocaine, n°46-51, Février 1917, op.cit., p. 59.

(129) Feucher (Ch), ***Mazagan (1514-1956)***, op.cit., p.194.

(130) Goulven (J), ***Le cercle des Doukkala***…, op.cit., p. 185.

(131) B.E.S.M, «***Le Maroc indistruel en 1952»***, vol. XVI, n°56, 4ème trimestre, 1952, p. 111.

# الأرشيف الصحفي ومغرب زمن الحماية
## تازة في المشروع الاستعماري الفرنسي من خلال يومية "لوبوتي باريزيان"

**عبد السلام انويكَة**



أستاذ باحث في التاريخ المعاصر
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
تازة – المملكة المغربية

**مُلَخَّصْ**

كانت يومية لوبوق بارزيان (*le petit parisien*) الفرنسية، بخلفيات استعمارية خفية تجاه عملية الاحتلال السريع للمغرب، بمواكبتها لعملية توغل القوات الفرنسية في ممر تازة، الذي حظي باهتمام وتتبع دقيق، فمن خلال مقالات كانت قد توجهت بها لهذه الأحداث، يظهر ما كان لهذا المجال الاستراتيجي من عناية، ما يعني كون القوات الفرنسية كانت بصدد تدبير عسكري خاص، بأهداف دقيقة تجاه هذا المجال الفاصل، إنما بتخوفات حول النتائج والزمن والخطة والكيفية التي تم اعتمادها، وكانت الجريدة تهتم بالتقاط كل إشارة خاصة بممر تازة، صادرة عن وزارة الحربية الفرنسية. ومن خلال إشارات وردت بيومية لوبوتي بارزيان، تبين أن القوات الفرنسية في المغرب كانت تعيش إشكالاً استراتيجيًا، تعلق بآليات تمكين جنودها من التموين أثناء عملياتها. معتبرة ممر تازة خيطًا ناظمًا في مستقبل التوغل، ليس فقط بأعالي ايناون إنما في باقي مناطق المغرب الجبلية. وكانت اليومية الأكثر مقروئية آنذاك قد أشارت، أن مصلحة الاستعلامات كانت فاعلة سواء تجاه هذا المجال، وأن المقيم العام ليوطي كان أكثر انشغالاً بأحداث تازة، من خلال مراسلاته مع وزارة الحربية الفرنسية. وإلى جانب التخوف الفرنسي من حرب الريف في بدايتها، فإن استسلام زعيمها ونقله إلى تازة، كان بأهداف استراتيجية تجاه المقاومة بأعالي ايناون.

**بيانات المقال:**

تاريخ استلام البحث: ١٣ فبراير ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ٢٧ أبريل ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

ممر تازة، حرب الريف، الحرب العالمية الأولى، الاستعمار الفرنسي، أرشيف الصحف

**الاستشهاد المرجعي بالمقال:**

عبد السلام انويكَة. "الأرشيف الصحفي ومغرب زمن الحماية: تازة في المشروع الاستعماري الفرنسي من خلال يومية لوبوتي باريزيان".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ٥٧ – ٦١ .

**مُقَدِّمَةٌ**

من تجليات تعثر النماء العلمي ما يصادف من محدودية الوعي بأهمية الأرشيف، لدى عدد من الباحثين في العلوم الإنسانية في البلاد العربية.(١) شعور كان وراء فقدان جزء هام من وثائق بدرجة عالية من القيمة العلمية، والتي بقدر ما ترتبط بمجال ترابي ما، بقدر ما هي بمثابة إرث إنساني بأدوار عدة. أما الأرشيف أو وعاء خزائن تاريخ البشرية،(٢) يعني هيئة حفظ الوثائق والسجلات والتقاييد بشكل منتظم، سواء كانت صادرة عن جهة خاصة أم عامة،(٣) وإذا كانت الوثيقة بالنسبة للأبحاث التاريخية، أداة أساسية لتدبير وقراءة مسافات الزمن الفاصل وتفاعلاته، من أجل تجاوز ما قد يحصل من مخاطر ذاتية وتحيز،(٤) فمن غير المفيد القفز على ما يمكن أن يسهم به الأرشيف الصحفي كمصدر للكتابة والتنقيب يتحتم على الباحث الانفتاح عليه، لتحقيق قراءات أعمق تجاه قضايا ما وزمن تاريخي ما، علما بأن البحث التاريخي في جميع البلاد العربية، مدعو من وجهة أكاديمية لتحقيق التجديد عبر البناء الإشكالي، وأدوات منهج يقوم على إدراك ما توفره باقي علوم الإنسان، ويظهر أن جل الأبحاث التي توجهت بالعناية لتاريخ الاستعمار الفرنسي للمغرب (١٩١٢- ١٩٥٦)، كانت بمتغير منهجي أسهم في تجاوز كثير من البياض، ما يسجل عليها كونها اعتمدت أرشيف فرنسي ومغربي، ووثائق ومذكرات، دون استثمار جيد لما يزخر به الأرشيف الصحفي.

والحال أن زمن الحماية كان صحفيًا بامتياز، لما كان لهذه الأداة من دور في المعلومة وتعبئة الرأي العام، كذا ما أسهمت به كآلية استعمارية في التواصل، جعلها بأرشيف ضخم وهام جدًا، لا يزال بالخزانة العامة في الرباط ضمن قسم خاص بأرشيف المغرب، يوجد رهن إشارة الباحثين سواء منه ما كان يصدر باللغة العربية أو الفرنسية في المغرب.(٥) بموقع في البحث العلمي من شأنه الإسهام في تنويع مصدر الخبر، وتمكين الباحث من معطيات أوسع لتمكينه من المقارنة وتحري الحقيقة. وإذا كان العمل الصحفي هو كل ما يتعلق بالأخبار والتثقيف والترفيه، فهو بوظيفة توثيق بحكم أدواره كأداة حاملة لتحولات مجتمعات، والانفتاح على أرشيف الصحافة الأجنبية المكتوبة، لفهم تطورات فترة الحماية الفرنسية على المغرب، كونه يحتوي إشارات ووقائع هامة بشكل منظم، وأحيانًا على درجة من الدقة والشهادة.(٦) مع أهمية اتخاذ الحذر المنهجي كما حال جميع وثائق المعلومة. وهذه الأخيرة كإحدى أساسيات الحياة الاجتماعية، يمكن العثور عليها في الصحافة، التي اهتمت بمناطق كانت تفتقر للمطبعات.(٧) ويبقى من المجحد عدم اعتبار ما يمثله الأرشيف الصحفي، من قيمة مضافة لفائدة التاريخ المعاصر. على إثر ما يلاحظ من تواضع في درجة إقبال الباحثين على الأرشيف الصحفي.(٨) ووعيًا بواقع حال هذا المنحى المنهجي، تأتي هذه المساهمة للحديث عن تازة كحاضرة عتيقة مغربية، زمن الاستعمار، تحديدًا ما هو استراتيجي إن في عملية الاحتلال أو المقاومة، وذلك من خلال جريدة لوبوتي باريزيان،(٩) إحدى أقدم اليوميات الفرنسية.

## (١) ممر تازة في الخلفية الاستراتيجية للاحتلال الفرنسي للمغرب

لم تكن الأوضاع السياسية والعسكرية لتازة والنواحي، ومعها الموقع الاستراتيجي للمدينة، كممر بين مجالين جبليين متقابلين، بمثابة خيط رابط بين فاس وتلمسان بالجزائر. غائبة عن الانشغال الدبلوماسي الفرنسي. ففي زيارة قام بها وزير الحرب الفرنسي للجزائر مايو ١٩١٤، قادته حتى الحدود المغربية الجزائرية بالقرب من وجدة. تحدث أيام قليلة بعد احتلال تازة، مشيرًا إلى أنه لم يكن بالإمكان استراتيجيًا التأخر عن هذه العملية. وأنه لو حدث ذلك لكانت الخسائر كبيرة في صفوف القوات الفرنسية، لما تتميز به قبائل ممر تازة من حماس للدفاع عن مجالها. مضيفًا أن أي تأخر كان سيسمح بوقت كبير لهذه القبائل، كي تستعد للقتال بتوفير حاجياتها من العدة والعتاد، وأن أي تردد كان سيكون بفائدة استراتيجية لهذه الأخيرة في صدامها مع القوات الفرنسية.

وكان وزير الحرب الفرنسي قد أكد أن التوغل بتازة في الوقت الذي تم تحديده لهذه العملية كان ضرورة استراتيجية، لدرجة اعتبار القرار الذي اتخذه المقيم العام ليوطي آنذاك كان واجبًا، نظرًا لظرفية المغرب الداخلية التي كانت تقتضي هذه المهمة العسكرية بهذا المجال الجغرافي الهام. ولم يغفل التأكيد على أنه لو لم تتم عملية احتلال تازة، لكانت إحدى الأخطاء الاستراتيجية المؤثرة على اللاحق من العمليات. مشيرًا في نفس الوقت إلى أن العملية كانت بنقاط ايجابية عدة، لفائدة مؤسسة الحماية سياسيًا وعسكريًا ومعنويًا. وأن أهم نتيجة كانت هي توفير الدعم اللوجستي للقوات الفرنسية وبكلفة أقل انطلاقًا من الجزائر، حيث الجوار من جهة الشرق عوض نقل المواد من مرسيليا إلى الدار البيضاء، ما كان يواجه مشاكل البعد ومعها شروط تقنية غير مناسبة في الميناء.(١٠) وكان مركز امسون العسكري الذي بلغته السكة الحديدية سنة ١٩١٣، قد شكل مصدر تموين للقوات الفرنسية في طريقها إلى تازة التي اعتبرت بأهمية أساسية، لما يمكن أن تسهم به في ما سمى بالتهدئة. وكان احتلال المدينة يعني تقسيم قبائل المنطقة، إلى طرفين الأول في الشمال والثاني في الجنوب، ما يعني في الاستراتيجية العسكرية الفرنسية، التضييق على المقاومة ومنع تهريب الأسلحة من الريف.(١١)

## (٢) أهمية الاستكشاف المجالي الاستعماري قبل العمليات العسكرية

كان يتم نقل المعطيات العسكرية الميدانية لفائدة الصحافة عن طريق التلغراف (Radio Télégramme).(١٢) أما عملية التوغل فقد كانت تتم تغطيتها بالاعتماد على مبعوثين صحفيين خاصين،(١٣) ما يعني قوة الحمولة الاستعمارية والبعد الاستراتيجي، الذي توجهت به القوات الفرنسية لممر تازة. وقبل إقدامها على احتلال المدينة ومعها الممر الشهير باسمها، قامت القوات الفرنسية معتمدة على فرق عسكرية خاصة، بعمليات استطلاعية استهدفت جمع المعطيات بثلاث نقاط أساسية متباينة طوبونيميا. الأولى توجهت نحو منطقة امسون، والثانية لأطراف تازة شمالاً، وثالثة شملت غرب المدينة تحديدًا كدية الجماعة حوالي (١٥) كلم.(١٤) وقد اختارت القوات الفرنسية أسلوب المفاجأة والتدخل السريع عند اقترابها من تازة لاعتبارين، الأول له علاقة بما تم تحقيقه من انتصارات من قبل الجنرال گورو بالواجهة الغربية من المدينة على الجوار من وادي ايناون، ما كان بأثر على قبائل المنطقة. وثانيًا على مستوى شرق تازة ما قامت به قبيلة اتسول، من هجمات على مركز امسون العسكري. وعليه فقد اختار الجنرال ليوطي استغلال هذا الاضطراب والبلبلة، التي كانت توجد عليها قبائل أعالي ايناون خلال زمن بداية التهدئة الفرنسية، لوقف الأخطار قبل أن تتقوى قبائل المنطقة وتتحول إلى كيانات بردود فعل مهددة للأهداف الفرنسية.(١٥)

ومن جهة الغرب حيث مركز تيسة كقاعدة منذ بداية مايو ١٩١٤، كان الحديث قد اتسع حول عمليات وشيكة للسيطرة على تازة اعتمادًا على أربع طائرات، اثنان منها كان لها مقعدان (Biplaces)، واثنان بمقعد واحد (Uni places). كما تم الحديث على أن هذه العملية ضمت خمسة عشرة عسكريًا متخصصًا في الميكانيك، وشاحنتين لنقل البنزين والزيوت مع قنابل يدوية وقطع

غيار خاصة بالطائرات. وقد تم اعتماد مركز سوق تيسة، موقعا للطيران الحربي طيلة مدة العمليات تجاه تازة.[١٦] وبشرق تازة تحديدًا بمركز امسون، قام الجنرال بومكّارتن قائد القوات الفرنسية في المغرب الشرقي، بتكوين كتيبتين من ستة آلاف جندي، تم جلبهم من مركزي جرسيف وتاوريرت. وفي طريق هذه القوات إلى تازة توقفت لفترة قرب وادي بولجراف غير بعيد عن المدينة، ما يعني اعتمادها على استراتيجية خطوات مجالية في تدبير التنقل، للتمكن من إنجاح مهمتها العسكرية.[١٧] وكان دخول تازة على الساعة الحادية عشرة وخمسون دقيقة نهارًا، بعد عملية إعداد وتحرك للقوات الفرنسية أثناء الليل. مناسبة صدر فيها بلاغ رسمي من قبل وزير الخارجية الفرنسي، تم الحديث فيه عن أسلوب المفاجأة، الذي تم اعتماده تجاه الأهالي، وعن المقاومة التي أبدتها قبيلة غياتة دفاعا عن المدينة. إضافة لما أورده حول خسائر بشرية في صفوف المقاومة اعتبرها صعبة التقييم.[١٨]

وفي ما يتعلق باستراتيجية التوسع بالأطراف الشمالية والجنوبية من تازة، اعتبرت القيادة العسكرية الفرنسية محليًا، أن قبائل المنطقة كانت بمثابة أحزمة على أطراف ممر تازة، ما كان وراء عدم الاعتماد الكامل على الأسلوب السياسي في التوسع بسبب طبيعة القبائل وميلها للمواجهة. ولهذا فقد تم التوجه لأسلوب الاتصال بزعماء محليين، لتسريع حركة التوسع واحتلال المواقع الاستراتيجية، واعتماد اليقظة لبلوغ مصادر عيش القبائل للسيطرة عليها ودفعها لقبول الاستسلام.[١٩] وكان احتلال تازة قد فتح الطريق بين الجزائر والمغرب، وبالتالي المجال أمام الأنشطة التجارية. كما أن التمكن من ممر تازة الاستراتيجي، ساهم في تحقيق الربط التلغرافي بين باريز ووهران وفاس وبشكل سريع. وعلى المستوى الاقتصادي والعسكري اعتبرت الأوساط الفرنسية، أن بناء التلغراف كان من دعامات عملية التوغل، بنفس الأهمية التي كانت توجد لدى خط السكة الحديدية، في بلد كان يصعب فيه التوسع انطلاقًا من البحر، وأن الاتصال بالتلغراف السريع كان ضرورة عسكرية واستراتيجية.[٢٠]

## (٣) القوات الفرنسية بين توغلها في ممر تازة وأحداث حرب الريف

وجه المقيم العام ليوطي في١٢ مايو ١٩١٤، رسالة لوزير الحرب الفرنسي تضمنت أخبار عمليات عسكرية كانت قد وقعت بنواحي تازة تحت قيادة الجنرال كّورو. أشارت لبدء التوغل المجالي في الصباح الباكر، بواسطة ثلاث كتائب توزعت بالمنطقة، لمهاجمة مرتفعات جبلية كانت تستوطنها قبيلة اتسول، وبنفس الرسالة ورد حديث عن الشيخ الحجامي كزعيم مؤطر. وحول حصيلة العمليات العسكرية على أطراف ايناون، أورد المقيم العام حادث مركز بني فراسن شمال تازة، والذي أصيب فيه الفرس الذي كان يمتطيه الجنرال كّورو، إثر سقوطه بموقع صخري خطير.[٢١] كما تم الحديث عن استغلال المقاومة لمسالك الجبال الوعرة غرب تازة، وعن ما حصل بمنطقة واد أمليل من مقاومة تزعمها الحجامي جمعت بين قبيلتي اتسول وغياتة. واجهت فيها القوات الفرنسية مقاومة شديدة على امتداد ثلاثة أيام متتابعة، انتهت بخسائر بشرية وصفتها الجريدة بالهامة في صفوف المقاومة.[٢٢] وفي ١٦ يوليو من نفس السنة كانت فرقة عسكرية متحركة قد توجهت من تازة، تم تكليفها بمراقبة النواحي من خلال نزولها بمواقع عدة مجاورة شمال ايناون. وعلى الرغم من كل التتبعات الاستعلامية العسكرية، تدهورت الأوضاع الأمنية بالمنطقة، واستغلته المقاومة لتنظيم هجمات على أورش لبنيات تحتية، وقتلها لعمال كانوا مكلفين بترميم طريق غير بعيد عن تازة.[٢٣]

وكانت الحرب العالمية الأولى قد فرضت على فرنسا استراتيجيًا، بناء قوة عسكرية في المغرب مع مراعاة العدد والنوعية، وتبني خطة تفوق في هذا المجال لمجابهة المقاومة، في كل المجال المغربي وبنواحي تازة تحديدًا.[٢٤] وحول تطورات حرب الريف المفتوحة على ممر تازة من جهة الشمال، فقد اعتبرت الأوساط الفرنسية أن الطلب الذي تقدم به بن عبد الكريم من أجل التفاوض من جديد، لم يكن سوى من مكائد الحرب. وأن الهدف كان فقط ربح الوقت للتمكن من الفرار، خاصةً وأنه بحسب قناعتها لم يَعد يمثل قبائل الريف نظرًا لطبيعة الأحداث الجارية. وعلى الرغم من الظروف الأمنية المتدهورة بشمال تازة، قام المقيم العامSteeg بزيارة لجبل بويبلان، (بقعة تازة)، مرفوقا بجنرالين Mangin وDechambrun كذا العقيد Nogues، إضافة لعدد من الصحافيين ومنهم مبعوث جريدة لوبوتي باريزيان. وفي مأدبة غذاء حضرها زعماء قبيلة آيت سغروشن وعدد من المتعاونين من الأهالي، أشار في كلمة له بالمناسبة الى قرار فرنسي بإصدار عفو شامل عن القبائل المقاومة بالمنطقة، شريطة استسلامها خلال مدة زمنية لا تتجاوز الشهر، هذا قبل لجوءها لتدخل عسكري واتخاذ الإجراءات المناسبة.[٢٥]

وقد اعتبرت العمليات العسكرية الفرنسية بشمال تازة حيث تهديدات حرب الريف، بمثابة مرحلة ثانية كان الهدف منها رسم حدود جغرافية نهائية بين فرنسا وإسبانيا. واستراتيجيًا كان التدخل العسكري بشمال تازة، بمثابة إعداد لعمليات لاحقة بجنوب ممرها، حيث الأطلس المتوسط وما كان يعرف ببقعة تازة.[٢٦] وقد اختار بن عبد الكريم الاستسلام في نهاية مطافه للفرنسيين عوض الإسبان، وتم الحديث على أن هذه العملية تمت رسميًا أمام الجنرال (Moichut)، في معسكر جيراردو بتازة بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٢٦.[٢٧] وكانت الجريدة قد تحدثت على أن زعيم حرب الريف، وصل تازة مرفوقًا بخاله بوجيبار وابن عمه محمد. وأن مرافقيه الآخرين وصلوا عبر سيارات عسكرية إلى الوجهة نفسها، في موكب رسمي قادمين من مركز أكنول.[٢٨] ومن شروط القوات الفرنسية لقبول "الأمان" لفائدة قبائل بن عبد الكريم إطلاق سراح الأسرى الأجانب، وكانت طائرة فرنسية استطلاعية على بعد حوالي عشرة كلم٢ من مركز تاركّيست، قد تتبعت توجه عدد كبير من الأسرى باتجاه الفرق

العسكرية الفرنسية، حيث تم استقبالهم بالاحتفال العسكري الشرفي. وكان عددهم قد بلغ (٢٨٣) منهم ستة ضباط وثمانية ضباط صف وسبعة وعشرون جنديًا، كذلك مائة واثنا عشرة من الجزائريين والسنغاليين ومائة وخمسة من الإسبان، إضافة إلى خمسة وعشرون من المدنيين منهم امرأتين وأربعة أطفال. وأنه بعد تلقيهم للعلاج في مراكز عسكرية أمامية، تم التوجه بهم إلى تازة.[٢٩]

وكانت أخبار قد انتشرت حول أحداث عسكرية في المنطقة في غشت ١٩٢٦، بعد استسلام قائد ثورة الريف ونقله لتازة، دفعت الجنرال (Naulin) لتوجيه دعوة إلى مبعوثي الصحف بالتوجه إلى تازة، مناسبة استقبل فيها عددًا من الايطاليين والأمريكيين والسويسريين. لاطلاعهم على جزئيات العمليات الجارية التي كانت تعرفها منطقة تسول غرب تازة. الوضع الأمني الذي تمت السيطرة عليه نهائيًا، برفع العلم الفرنسي ثانية وإخضاع قائدها الأكثر عنفًا وعنادًا.[٣٠] ومن جملة ما أورته الجريدة كذلك، خبر وفاة باشا تازة الذي تم الحديث عنه من خلال صفة عسكرية، كضابط كان ينتمي لفيلق الشرف.[٣١]

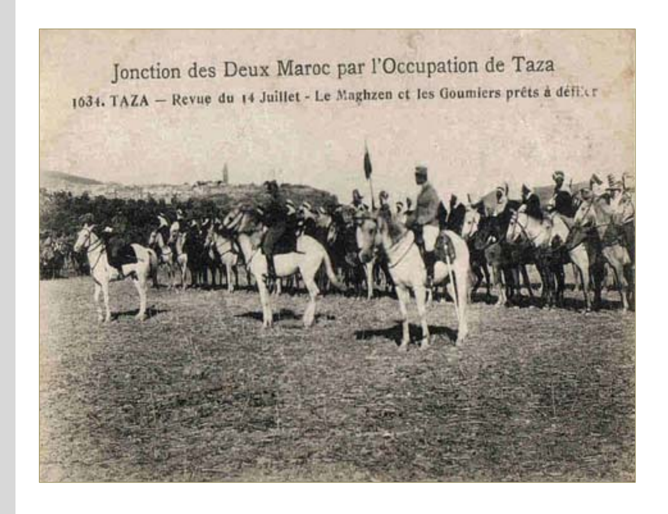
## خاتمة

كانت يومية لوبوتي بارزيان الفرنسية الأكثر مبيعات آنذاك، بخلفيات استعمارية خفية تجاه عملية الاحتلال السريع للمغرب. بمواكبتها لعملية توغل القوات الفرنسية في ممر تازة، الذي حظي باهتمام وتتبع دقيق. ومن خلال قراءة تقنية لمقالات كانت قد توجهت لهذه الأحداث، يظهر ما كان لهذا المجال الاستراتيجي من عناية على صفحاتها الأولى، في فترة حرجة من تاريخ الاحتلال الفرنسي للبلاد. ما يعني كون القوات الفرنسية كانت بصدد تدبير عسكري خاص، بأهداف دقيقة تجاه هذا المجال الفاصل، إنما بتخوفات مركبة حول النتائج والزمن والخطة والكيفية التي تم اعتمادها. وكانت الجريدة تهتم بالتقاط كل إشارة خاصة بممر تازة، كانت تصدر عن وزارة الحربية الفرنسية. ومن خلال إشارات وردت بيومية لوبوتي بارزيان، يتبين أن القوات الفرنسية في المغرب كانت تعيش إشكالاً استراتيجيًا، تعلق بآليات تمكين جنودها من التموين أثناء عملياتها.

فقد اعتبرت ممر تازة خيطًا ناظمًا في مستقبل التوغل، ليس فقط بأعالي ايناون إنما في باقي مناطق المغرب الجبلية. وكانت اليومية الأكثر مقروئية قد أشارت عبر ما أوردته من مقالات حول تازة خلال هذه الفترة من التوسع، أن مصلحة الاستعلامات كانت فاعلة سواء تجاه المجال أو المجتمع. وأن المقيم العام ليوطي كان أكثر انشغالاً بأحداث تازة، بل كان في اتصال دائم من خلال مراسلاته مع وزارة الحربية الفرنسية. وإلى جانب التخوف الفرنسي من حرب الريف في بدايتها، على مناطق نفوذها في مغرب الحماية. فإن استسلام زعيمها ونقله الى تازة، كان بأهداف استراتيجية تجاه المقاومة بأعالي ايناون. وكون الجريدة أوردت في صفحة أولى لأحد أعدادها، وفاة إحدى رجالات المخزن على عهد الحماية، وأحد الأعيان الذي كان يشغل منصب باشا تازة، من شأنه إبراز ما كان عليه الإعلام الفرنسي، من تتبع دقيق لأحوال المغرب، وما كان له من أدوار في تنوير الرأي العام، وتعبئة العمليات العسكرية فيما وراء البحار كما الحال بالنسبة للمغرب.

**الملاحق:**


1209. TAZA (Maroc Oriental) Passage d'un Convoi d'Arabes dans l'OUED AGHEBAL


Jonction des Deux Maroc par l'Occupation de Taza
1634. TAZA — Revue du 14 Juillet - Le Maghzen et les Goumiers prêts à défiler


Jonction des Deux Maroc par l'Occupation de Taza
29. TAZA - M. le Général BAUMGARTEN, après l'occupation de la Ville de TAZA, sortant de la porte de la vieil'e Casba avec son Etat-Major allant à la rencontre du Général GOURAUD

## الهوامِش:

(١) في الأرشيف هناك التاريخي والقضائي والسياسي والإداري والعسكري. ثم أرشيف الفنون والهيئات الدينية كذا الأختام والنقود وغيرها. وكلمة أرشيف يونانية الأصل"أرشيون"، وقد شاع استعمالها في اللغات الأخرى مع تغيير في الحروف والنطق. وليس هناك مصطلح عربي لهذه الكلمة، رغم أن اللغة العربية نشأت في أرض حضارات، ففي العراق ظهرت المجموعة الأولى القديمة للسجلات، التي كانت تحفظ في المعابد. ويعرف قاموس"أسفورد" الأرشيف بالمكان الذي تحفظ فيه الوثائق العامة والمستندات التاريخية.

(٢) الألوسي سالم عبود، **الأرشيف تاريخه وتصنيفه وإدارته**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، دار الحرية للطباعة، طبعة١، بغداد،١٩٧٩، ص١.

(٣) المرجع نفسه، ص٣.

(٤) شكاك صالح، **من المغرب المعاصر إلى المغرب الراهن، إشكالات الاستمرارية والتحول، التاريخ الحاضر ومهام المؤرخ**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم (١٥٨)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، طبعة ١، ٢٠٠٩، ص٥١.

(٥) الريس المصطفى، **ملاحظات أولية حول علاقة شيوخ الزوايا بالاستعمار الفرنسي**، مجلة المناهل، عدد (٨٩- ٩٠)، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، مطبعة دار المناهل،٢٠١١، ص ٢٦٩- ٢٧٠.

(٦) الشافعي حسن، **صحافة الحماية، مصدر جديد للتأريخ**، مجلة الذاكرة الوطنية، ندوة المقاومة المسلحة بتازة، منشورات المندوبية السامية للمقاومة،٢٠٠١، ص١٦.

(7) Aouchar Amina, *la Presse Marocaine et la Lutte Pour l'indépendance*, imprimerie de Fedala, Mohamadia, 1990, p.13.

(٨) بيضا جامع، **أرشيف هافاس وكتابة تاريخ الصحافة المغربية، وثائق عهد الحماية**، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم٥٧، مطبعة فضالة المحمدية، طبعة ١،١٩٩٦، ص١٦١.

(٩) تأسست سنة ١٨٧٦، آخر عدد صدر منها كان سنة ١٩٤٤، من أهم اليوميات الفرنسية في عهد الجمهورية الثالثة، تم تأسيسها من طرف (Louis Andrieux)، برلماني يساري ووكيل الجمهورية، كان ذلك بتعاون مع (Jules Roche)، كرئيس تحرير لها، الجريدة كانت بميولات يسارية في البداية، قبل أن تتحول بشكل سريع إلى منبر واسع الانتشار، ونظرًا لخط تحريرها وأسلوبها الحديث، بلغت أقصى إشعاعها ومبيعاتها في مليون نسخة سنة ١٩٠٠، ثم أكثر من مليونين في نهاية الحرب العالمية الأولى، كأكبر نسخة سحب في العالم آنذاك.

(10) le Petit Parisien(Quotidien), M. Nouleus, Ministre de la Guerre nous Déclare que Nous ne Pouvions Retarder la Marche sur Taza, N°13717, Année 1914,p1.
(11) le Petit Parisien, Taza Sera Prochainement Occupé, N°13718,Année 1914,p1.
(12) le Petit Parisien, la Prise de Taza Gouraud Ecrase Encore les tribus, N° 13711 , p1.
(13) le Petit Parisien, Comment sur Une Auto Mitrailleuse je Suis Entré dans Bab Mrouj, N°17681,P.1.
(14) le Petit Parisien, N°13718, ibid., P.1.
(15) le Petit Parisien, Nos Troupes sont Entrées Hier Matin dans Taza, N°13708,p1.
(16) le petit parisien, la marche sur taza, N°13706,1914,p1.
(17) le Petit Parisien, N°13708, ibid., P.1.
(18) Ibid,p1.
(19) le Petit Parisien, N°13718, ibid,p1.
(20) le Petit Parisien, Après la Prise de Taza, Avant la Rail le Télégraphe, N° 13716, Année1914, p1.
(21) le Petit Parisien, Rapport Officiel du Général Lyautey sur les Combats de Taza, N°13713, Année 1914.
(22) le Petit Parisien, N°13711, ibid., p1
(23) le Petit Parisien, N°17681, ibid., p1

(٢٤) بوزويتة سمير، **المقاومة البرنوسية للاحتلال الفرنسي**، مجلة الذاكرة الوطنية، ندوة المقاومة المسلحة وجيش التحرير بمنطقة تازة، منشورات المندوبية السامية للمقاومة،٢٠٠١، ص١٤٩.

(25) le Petit Parisien, le Conseil des Ministres à Rejeté la Demande d'Abdelkarim, N°17984, p1.
(26) le Petit Parisien, la Seconde Phase des Opérations s'ouvre au Maroc, N° 17991, p1.
(27) le Petit Parisien, Abdelkarim s'est livré, N°17986, Année1926,p.
(28) le Petit Parisien, Abdelkarim est Arrivé a Taza, N°17989.
(29) le Petit Parisien, Abdelkarim à Capitulé, N°17985.Année1926,p1.
(30) le Petit Parisien, Comment Nos Troupes ont Recoupé le Pays Tsoul, N°17706, Année1926,p1.
(31) le Petit Parisien, Mort du Pacha de Taza, N°18903, Année1928, p1.

# التحضير للثورة الجزائرية من خلال الاستعدادات الداخلية والاتصال بالحركتين الوطنيتين التونسية والمغربية




**عبد الحفيظ موسم**

أستاذ مؤقت تاريخ المغرب العربي الحديث
قسم التاريخ – جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان – الجمهورية الجزائرية



**رفيق تلي**

أستاذ مؤقت تاريخ المغرب العربي الحديث
قسم التاريخ – جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان – الجمهورية الجزائرية



## مُلَخّصْ

تكتسي الدراسات التاريخية المتخصّصة أهمية بالغة في حياة الشعوب والأمم، لأنها تساعد على استخلاص العبر وتسمح بالاطلاع على التجارب السابقة قصد توظيفها والاستفادة منها في الحاضر وذلك بالاعتماد على منهج علمي يراعي متطلبات الحاضر وخصوصيّات الماضي، من هذا المنطلق فإننا نرى أننا في حاجة ماسة إلى مثل هذه الكتابات التاريخية التي من شأنها أن تميط اللثام وتنفض الغبار عن صفحات تاريخية لا زالت مغمورة من تاريخنا الوطني (التاريخ الجزائري)، خصوصًا ما تعلق منها بمرحلة هامّة لا زالت تأثيراتها بارزة للعيان ألا وهي مرحلة تاريخ الثورة الجزائرية ١٩٥٤ – ١٩٦٢م. فالحديث عن الثورة الجزائرية هو الحديث عن اليوم الذي شكل في تاريخ الجزائر حدًا فاصلاً بين عهد الاستعمار وعهد الإرادة والتحرر لمحو آثار السنين الطويلة من الاستعباد بالوسيلة واللغة البليغة التي يفهمها العدو ممثلة في الكفاح المسلح، وسنتطرق في هذه الدراسة إلى التحضير للثورة الجزائرية من خلال الاستعدادات الداخلية والاتصال بالحركتين الوطنيتين التونسية والمغربية، مسلطين بذلك الأضواء على دور المنظمة الخاصة في الإعداد للكفاح المسلح والاتصالات التي كان يجريها قادتها مع قادة الحركتين الوطنيتين في تونس والمغرب الأقصى، لعلنا نساهم من خلالها في توضيح أهم الترتيبات التي تم من خلالها التحضير لثورة نوفمبر المجيدة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.



**بيانات الدراسة:**

تاريخ استلام البحث: ١٩ مايو ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ٧ أغسطس ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

ثورة نوفمبر، الكفاح المسلح، الحركات الوطنية، الوطنيين التونسيين، الوطنيين المغاربة

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

عبد الحفيظ موسم، رفيق تلي. "التحضير للثورة الجزائرية من خلال الاستعدادات الداخلية والاتصال بالحركتين الوطنيتين التونسية والمغربية".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ٦٢ – ٦٩.


## مُقَدِّمَةُ

بعد مجازر ٨ مايو ١٩٤٥م الرهيبة في الجزائر، برز في صفوف حزب الشعب الجزائري – حركة انتصار الحريات الديمقراطية – تيار يناهض العمل السياسي العقيم، وينادي بتكوين جهاز عسكري كحل أنجع للثورة على المستعمر وتحقيق الاستقلال، وعليه تم الإعلان - خلال المؤتمر الأول لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية يومي ١٥ و١٦ فيفري ١٩٤٧م، عن ميلاد المنظمة الخاصة من طرف جماعة من الشباب المتحمس للعمل العسكري كخطوة أولى لإعلان الثورة المسلحة في جو تكتنفه السرية التامة، حيث كان من أولويات هذه المنظمة اختيار العناصر المخلصة والمتحمسة للنشاط الثوري وتلقينها دروس خاصة في التدريب العسكري (حرب العصابات، الإغارات والكمائن، صناعة المتفجرات، استعمال وسائل الاتصال...)، كما لجأت المنظمة إلى جلب وشراء الأسلحة الضرورية وإنشاء مخازن في سرية تامة لها، وتمكنت من تجنيد حوالي ١٥٠٠ مناضل مكونين تكوينًا عسكريًا وسياسيًا عاليًا، حيث ظهر ذلك جليًا من خلال العمليات الهجومية التي نفذوها مثل الهجوم على مركز بريد وهران في أفريل ١٩٤٩، ولم يكتف قادة المنظمة الخاصة بالتحضير للثورة الجزائرية على المستوى الداخلي فقط، بل عملوا على الاتصال مع البلدان العربية والحكومات المساعدة لحركات التحرر، وفي هذا الصدد تم الاتصال

بقادة الحركتين الوطنيتين في تونس والمغرب الأقصى من أجل تنظيم التعاون في مجالات التسليح والاتصالات العسكرية وغيرها، وعلى الرغم من اكتشاف المنظمة الخاصة من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية في مارس ١٩٥٠، إلا أنها لم تتوقف عن نشاطاتها بل واصلت أعمالها في بعض جهات الوطن، وظل مناضلوها على اتصال مع بعضهم البعض من أجل التحضير للثورة فضربوا موعدًا جديدًا مع التاريخ لاسترجاع السيادة الوطنية حين اتخذوا قرارًا في غاية الأهمية، تمثل في تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل في مارس ١٩٥٤، هذه الأخيرة التي شرعت في عقد سلسلة من الاجتماعات لضبط اللمسات الأخيرة لتفجير الثورة الجزائرية الذي كان في ٠١ نوفمبر ١٩٥٤.

## أولاً: بوادر الكفاح المسلح

منذ سنة ١٨٣٠م وهمّة الشعب الجزائري لا تكلّ عن النّضال في سبيل استرجاع حرّيته، وبعث سيّادته على أرضه، بدءًا بالمقاومات والانتفاضات الشّعبية، مرورًا بمرحلة النّضال السياسي السّلمي في إطار الحركة الوطنية، حيث بلغ النّشاط السياسي والتنافس الحزبي آنذاك أوجّهما، وكان للأحزاب الجزائرية أثر لا ينكر في توعية الجماهير ورفع مستواها السياسي، إلاّ أن الحلول السياسية لتلك الأحزاب والمنظمات ظلّت غير مجدية في ظل بطش الاستعمار.[١]

خلص الشعب الجزائري إلى نتيجة مفادها "أن ما أخذ بالقوة، لا يستعاد إلاّ بالقوة"، وهي النتيجة التي تعزّزت كثيرا بعد مجازر مايو ١٩٤٥م الرّهيبة في الجزائر، فهذه المجازر مثلت نقطة تحوّل هامّة في سيّاسة الحركة الوطنية الجزائرية، إلى الحدّ الذي يجعلنا نقول أنها كانت بمثابة بداية النّهاية للوجود الاستعماري في الجزائر، لاسيّما وأنها دعّمت مبادئ الوطنيين، وهزّت نفوس الجامدين، وحقّقت تطلّعات المتلهفين من الشباب المناضلين إلى إشعال نار الثورة، وضرورة رفع السلاح كوسيلة لانتزاع الاستقلال الوطني.[٢]

فبعد مجازر ٨ مايو ١٩٤٥م، برز في صفوف حزب الشعب الجزائري – حركة انتصار الحريات الديمقراطية – تيار يناهض العمل السياسي العقيم، وينادي بتكوين جهاز عسكري كحل أنجع للثورة على المستعمر وتحقيق الاستقلال، فخلال المؤتمر الأول لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد يومي ١٥ و١٦ فيفري ١٩٤٧م، تم الإعلان عن ميلاد المنظمة الخاصة (Organisation secrète para militaire)، من طرف جماعة من الشباب المتحمس للعمل العسكري، وبذلك ظهرت إلى الوجود أول منظمة سرية عسكرية كانت بمثابة النواة الأولى لميلاد جهة التحرير الوطني، والخطوة الأولى لإعلان الثورة المسلحة.[٣]

## ثانيًا: التحضير للثورة في اهتمامات المنظمة الخاصة

ارتبطت المنظمة الخاصة بالمناضل محمد بلوزداد، ومجموعة من المناضلين ممّن أبدوا استعدادهم للتحضير للثورة المسلحة في إطار السّرية، وذلك بتدريب المناضلين، وجمع المال والسلاح عبر مختلف مناطق الجزائر، كما حدّد لقاء القبّة المنعقد في ١٣ نوفمبر ١٩٤٧م، الذي جمع أركان المنظمة الخاصة، صورة العمل للمنظمة كخلية سرّية عسكرية لحركة الانتصار، وذلك بانتقاء عناصرها من بين المناضلين الوطنيين البارزين، وفق شرطين أساسيين:

١– اختيار العناصر الشجاعة المخلصة القادرة على التّجنيد والانقطاع عن الحياة الحزبية السياسية وعن الحياة العامة، والتّفرغ الكامل للنّشاط الثوري.

٢– اختيار العناصر غير المعروفة على الصعيد السياسي، والتي لم تصطدم من قبل مع الإدارة الاستعمارية.[٤]

لم تكن هذه الشروط كافية لانخراط المناضلين في صفوف المنظمة الخاصة، بل كانوا يخضعون قبلها إلى التجربة والمتابعة لمدة معينة، حتى يتمّ التأكّد من جدارتهم، وحينها يُسجّل القبول بتأدية اليمين والقسم على المصحف، فيدخل بذلك المنخرط مباشرة في خدمة القضية الوطنية بخدمة أهداف المنظمة الخاصة والالتزام بالأوامر وأداء المهام دون أدنى تفريط. وبعد الالتحاق بالأفواج والخلايا، يتم الشروع في التدريبات التي يحرص عليها قادة مسؤولون يحجبون وُجوههم بأقنعة في إطار العمل بالسرية، وكانت التدريبات تخص الجانب العسكري الذي يشتمل على دروس قتالية في الجبال مع التدريب الميداني على استعمال البوصلة والخريطة، إضافة إلى الجانب السياسي العقائدي باعتبار أن المناضل المنخرط في المنظمة كان يتلقى تكوينًا سياسيًا وعقائديًا يرتكز أساسًا على الدين الإسلامي.[٥]

وجاء في ورقة العمل المنبثقة عن اجتماع شهر نوفمبر ١٩٤٧م لهيئة الأركان، تحديد مهام المسؤولين الجهويين على النحو الآتي: بوضياف محمد (الشرق القسنطيني)، حسين آيت أحمد (منطقة القبائل)، أحمد بن بلة (منطقة وهران)، محمد ماروك (العاصمة)، رجيمي الجيلالي (متيجة والتيطري)، الجيلالي بلحاج (الأصنام والظهرة)، هذا الأخير الذي كان في نفس الوقت مسؤولاً عسكريًا على المنظمة، بينما كانت عملية التنسيق على المستوى الوطني بيد محمد بلوزداد (رئيس المنظمة)،[٦] لكن هذه الهيكلة لم تلبث أن عرفت تغييرا خلال سنتي ١٩٤٩-١٩٥٠م.[٧]

وفي الجانب التنظيمي أيضًا، قام مسؤولو المنظمة الخاصة بتشكيل مجموعة من الأقسام المتخصّصة، وهي: **قسم متخصص** في إيجاد مخابئ للمناضلين الذين تبحث عنهم السلطات الاستعمارية، وإعداد مخابئ للأسلحة والذخيرة. **شبكة الاتصالات**، ومهمّتها شراء أجهزة الاتصالات والتدرّب على استعمالها. **قسم المتفجرات**، الذي تتمثل مهمّته في صنع القنابل المتفجرة، ودراسة تقنيات تخريب الجسور.[٨]

ولتعزيز فعالية المنظمة الخاصة أكثر فأكثر، أخضعت لنظام هرمي مضبوط، وألحقت بها أربع دوائر هي: دائرة المصالح العامة ، الاستعلامات ، المتفجرات، ودائرة خاصة بالمتعاطفين مع المنظمة،

أما الدائرتان الإضافيتان فتختصان بالتموين والتسليح،[٩] وبذلك يمكننا القول؛ أن المنظمة الخاصة، استطاعت أن تنطلق انطلاقة قوية منذ بدايتها، وفقًا للشروط التي وضعتها في قانونها الداخلي الخاص بالتجنيد والشروط التي يجب أن تتوفر في أعضائها من أجل ضمان الهدف المنشود المتمثل في تفجير الثورة،[١٠] بحيث لم تلبث أن تحوّلت إلى منظّمة شبه عسكرية تستقطب المناضلين المؤمنين بالمبادئ الوطنية والثورية، دون أن تتّخذ لنفسها زيًّا عسكريًا معينًا، باعتبار أن همّها الأساسي كان يتمثّل في تعبئة أكبر قدر من العناصر التي تتوفر فيها شروط التّجنيد والمتحمس للكفاح المسلح.[١١]

هكذا؛ استطاعت المنظمة الخاصة، وفي فترة وجيزة أن تفرض نفسها، وأن تُطوّر الوضع النّضالي في الحزب، من خلال غرس التّقاليد النّضالية في مناضليها، غير أن الانشغال الكبير الذي اعترض نشاطها، تمثل بصفة واضحة في التموين بالمال والسلاح، وهو ما يوضحه التقرير الذي قدمه السيد حسين آيت أحمد إلى اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية حين صرح قائلاً: "ينقصنا السلاح والمال، لا سلاح لنا ولا مال، ونحن نواجه قوة عسكرية تتوفر على الأسلحة الحديثة، وتتكون من جيش يتمتّع بتقاليده وتجاربه".[١٢] فبالنّسبة للموارد المالية التي كانت تحتاج إليها المنظمة الخاصة في تسيير شؤونها، فإنها طرحت أكثر من انشغال، وعلى الرغم من المبلغ المالي المقدر بحوالي (٨٠٠) ألف فرنك الذي استفادت منه المنظمة من جانب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، والاشتراكات التي كان يلتزم المناضلون بدفعها بانتظام، إلاّ أن اتساع شبكة المنظمة وامتداد حقل نشاطها، كان دائما يطرح مسألة المزيد من الدّعم المادي، ولعلّ هذه المسألة هي التي دعت بعض قيّاديي المنظمة الخاصة إلى ترتيب عملية الهجوم على مركز بريد وهران، والدليل على ذلك ما قاله السيّد أحمد الوهراني: "نظرًا لقلة الإمكانيات المالية لتجهيز المنظمة السرية، تم التخطيط للقيام بالهجوم على بريد مدينة وهران يوم ٠٧ أفريل/أبريل ١٩٤٩م، وقام بتنفيذه مجموعة من المناضلين... وأسفر هذا الهجوم عن غنم أموال البريد التي استعملت في شراء الأسلحة".[١٣]

جاءت فكرة الهجوم على مركز بريد وهران، بعدما قدّم السيّد نمّيش جلول – موظف في مركز بريد وهران – معلومات دقيقة لأحمد بن بلة لإتاحة الظروف المواتية للعملية التي نالت الموافقة على تنفيذها من قيادة المنظمة الخاصة ، وكلفت حسين آيت أحمد بتعيين العناصر المكلفة بهذه المهمة وهم: بن بلة، بوشعيب، سويداني بوجمعة، حداد عمر، وحمو بوتليليس الذي تكلف بتعيين المخابئ ورابح لورقيوي المكلف بالتغطية، وتمّت العملية بنجاح، حيث مَكّنت من الحصول على مبلغ ثلاثة ملايين ومائة وسبعين ألف فرنك تمّ تحويلها إلى محمد خيضر للإشراف على صرفها وتسيرها.[١٤]

وإلى جانب المسائل المالية، انشغلت المنظمة الخاصة أيضًا بمشكل الحصول على الأسلحة خصوصًا، وأن مسألة التسليح كانت قد طرحت على المكتب السياسي لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية منذ شهر مارس ١٩٤٧م، حين اتفق مناضلي الحزب على أن حلّها ينبغي البحث عنه لدى الأحزاب المعادية للاستعمار والبلدان العربية والحكومات المهتمة بمعركة التحرير في الجزائر، وعلى هذا الأساس أعطيت الأوامر والتعليمات إلى جميع النواب، وعلى رأسهم محمد الأمين دباغين للبحث عن مصادر التزود بالسلاح، غير أن ذلك لم يكلّل بنتائج تذكر بسبب الأزمة المالية التي كانت تتخبّط فيها المنظمة الخاصة، بحيث لم تكن الموازنة المخصّصة لها آنذاك تتجاوز ١٠٠ ألف فرنك قديم شهريًا.[١٥]

لكن على الرغم من افتقار المنظمة الخاصة للإمكانيات المادية، إلاّ أنها استطاعت أن تُثبت وُجودها بنشاط أفرادها، حيث تمكّنت بعد فترة وجيزة من تأسيسها من الحصول على (٣٠٠) قطعة سلاح من ليبيا، كما قام أحد مناضليها، وهو "بناني واعلي" بجمع المال على الأغنياء والتجّار دون علم الحزب لأجل شراء الأسلحة، وهو ما تمّ له بالفعل، حيث تمكّن من الحصول على كميّة معتبرة من الأسلحة تمثلت في (٢٠) رشاشًا و(٣٠) مسدسًا و(٠٥) بنادق حربية وصندوقين من القنابل الهجومية.[١٦] إضافة إلى هذا، فقد تم شراء قطع محدودة من السّلاح من الأسواق الداخلية، بلغ عددها حسب ما ذكره المناضل عمر أوعمران حوالي (٤) رشاشات و(٦٠٠) عبوة تم شرائها من بلكور سنة ١٩٤٨م، كما تمكن كل من حسين آيت أحمد ومحمد يوسفي من الحصول على جهاز إرسال واستقبال (Emetteur Récepteur) من مقر إيزنهاور بفندق سان جورج (الجزائر حاليًا)، و في نفس الوقت قام مناضلون آخرون بغنم كميات معتبرة من الأجهزة الإلكترونية من معامل الطيران المدني بالدار البيضاء (هواري بومدين حاليًا).[١٧]

وبخصوص التّسليح أيضًا، وجّهت قيادة المنظمة الخاصة تعليمات دقيقة إلى مناضليها في إطار عمل منسق ومحفوف بالحيطة والتخفي، تخصّ عملية شراء أسلحة خفيفة، ومعدّات وذخيرة من طرف باعة أسلحة الصّيد المرخصة، ومن أعوان حراس الغابات والمراكز، كما مكّنت العديد من عمليّات الاغتيال لأفراد الشرطة والجيش الاستعماريين من الاستيلاء على كمّيات معتبرة من الأسلحة، فضلا عن دور المجندين الجزائريين في صفوف الجيوش الفرنسية، حيث ساهم هؤلاء بطرائق كثيرة في تمكين عملية جمع الأسلحة وسرقتها من بعض المخازن الاستعمارية.[١٨]

## ثالثا: الاتصال مع الحركات الوطنية في تونس والمغرب الأقصى

يتضح لنا من خلال ما سبق؛ أن المنظمة الخاصة قد حرصت منذ قيامها على ضرورة جمع وتوفير السلاح استعداد للثورة المسلحة، غير أن مشكل التّسليح بقيّ مطروحًا بحدّة،[١٩] وهو ما نبّه إليه المناضل حسين آيت أحمد من خلال التّقرير الذي تقدم به في

اجتماع زدين المنعقد في شهر ديسمبر ١٩٤٨، وممّا جاء فيه بخصوص هذه القضية، تلك العبارة القائلة: "نريد ثلاثة أشياء: الأسلحة، ثم الأسلحة، ودائما الأسلحة"، وعليه تقرّر خلال هذا الاجتماع تأسيس قواعد خلفية للثورة، حيث أعطيت الأوامر والتّعليمات لنواب الحركة خصوصًا المناضل محمد الأمين دباغين، باعتباره مسؤول العلاقات الخارجية لعقد اتصالات مع البلدان العربية، والحكومات المساعدة لحركات التحرّر.[٢٠]

وفي هذا الاتجاه تم الاتصال مع ليبيا ومصر، حيث تمكّن المناضل محمد دحماني، من إجراء اتصال مع رئيس جمعية المختار الليبية، وترتب عن ذلك أن كلّف الأمين دباغين الشيخ حامد روابحية (١٩١٨-١٩٨٦م) بالسفر إلى ليبيا في رحلة البحث عن الأسلحة، لكن دون جدوى، الأمر الذي جعل الأشقاء اللّيبيون يعرضون عليه مواصلة سفره نحو القاهرة لبحث المسألة مع الجامعة العربية، فأحضروا له جواز سفر ليبي ليواصل مهمته،[٢١] وإن لم تتمكن هذه الرحلة من تحقق الهدف المرجو منها، إلاّ أنّها سمحت بإقامة علاقة متينة بين الجزائر ومصر، هذه الأخيرة التي ستصبح فيما بعد أول قاعدة للدعم اللوجستي للثورة الجزائرية،[٢٢] وسنركز في هذه الدراسة على الاتصالات التي قام بها قادة الحركة الوطنية مع تونس والمغرب الأقصى لعلّنا نساهم من خلال ذلك في إبراز دورهما في التّحضير للثورة الجزائرية.

**١/٣- الاتصال مع الحركة الوطنية في تونس:**

كان للمنظمة الخاصة ضابط اتّصال يدعى محمد دحماني مقيم بشكل دائم في تونس كتاجر في الظّاهر، لكنه في حقيقة الأمر كان همزة وصل بين المنظمة والوطنيين التونسيين،[٢٣] حيث كان وراء الزيارة التي قام بها بوضياف رفقة عصامي وحامد روابحية إلى تونس مع نهاية سنة ١٩٤٩م، فاستقبلهم محمد بن دحمان ومسعود المقراني حفيد الشيخ المقراني، وانتهت هذه الزيارة باتّصال الوفد مع مجموعتين هما: **المجموعة الأولى**: تمّت مع بعض مهرّبي السلاح الذين لم يجدوا بحوزتهم سلاحا للبيع، غير أنهم تعهّدوا بتوفيره في المرة القادمة. **المجموعة الثانية**: تمّت بين الوفد المذكور سابقًا وقادة من الحزب الدستوري التونسي من أجل تنظيم التعاون في مجالات التسليح والاتّصالات العسكرية وغيرها.[٢٤]

وبخصوص هذه اللقاءات يذكر المجاهد عبدالقادر العمودي (عضو مجموعة ٢٢)، أنه تم الاتّصال بالتّونسيين، وقام بوضياف رفقة مجموعة من المناضلين بزيارة إلى تونس، أين تمكنوا من الاتّصال بقادة الدّستوريين لتنظيم التعاون معهم في مجالات السلاح والاتّصالات العسكرية وغيرها، وفي هذا الإطار يذكر المجاهد أنه قام بزيارة إلى توزر بالقطر التونسي، واجتمع بوفد من الدستور، فتم التفاهم على سُبل التعاون، وأن تكون هذه الاجتماعات دوريّة.[٢٥]

وفي شهر جانفي/ يناير ١٩٤٩م ، قصد كل من أحمد بن بلة وبوقادوم ودردور تونس، في محاولة منهم لإقناع الوطنيين التونسيين، باللجوء إلى الكفاح المسلح، فالتقى هؤلاء مع الأمين العام للحزب الدستوري التونسي الجديد السيد صالح بن يوسف، الذي تعامل معهم باستعلاء ووصف مسعاهم "بالعمل الصّبياني"، وهو ما أدّى إلى فشل اللقاء، ولم يستطع بن بلة - الذي كان لديه انطباع خاص لاسيما وأنه كان قد سمع هذا النوع من التأملات في مكان آخر لدى أصدقاء فرحات عباس والشّيخ الإبراهيمي- اختراق الحزب، لكنه استطاع أن يكسب عددًا من المناضلين في الحزب الدستوري التونسي الجديد لفكرته واتّفق معهم على التّعاون في صنع المتفجرات.[٢٦]

وعلى إثر ذلك قرّر بن بلة أن يقوم برحلة ثانية إلى تونس رفقة بلحاج جيلالي، لتركيز التّعاون على صعيد ثقني بوجه الحصر بين الدستور الجديد وحركة انتصار الحريات الديمقراطية وتنفيذا لذلك تم إرسال فريق من خبراء المتفجرات إلى تونس في ربيع ١٩٤٩م، وانظم إلى هذا الفريق بوقادوم حاملاً وثائق وكراسات تدريب خاصّة بالمنظمة الخاصة، بنية إقناع حزب الدستور بصحة وجهات نظر حركة انتصار الحريات الديمقراطية، بيد أن جهوده ذهبت سدى حيث أصبحت مهمة إقناع الحزب الدستوري أمرا جدّ صعبًا.[٢٧] ورغم ذلك، إلاّ أن آمال الجزائريين في إقناع الحزب الدستوري الجديد ظلّت مستمرة، والدّليل على ذلك هو أن أحمد بن بلة - وبحكم تجربته وقناعته- كلّف خلال الفترة التي سبقت اندلاع الثورة التحريرية، الضّابط "الحاج علي" بالدخول إلى سوق أهراس، والتحضير لاندلاع الثورة بالتّنسيق مع الثّوار التونسيين، لكنه اغتيل وهو ينجز مهمته في ظروف غامضة.[٢٨]

**٢/٣- الاتصال مع الحركة الوطنية في المغرب الأقصى:**

تم الاتصال مع الحركة الوطنية المغربية من خلال الزيارة التي قام بها المناضل محمد يوسفي سنة ١٩٤٩، بتكليف من قائد المنظمة الخاصة محمد بلوزداد إلى منطقة تاندرار بالجنوب المغربي، وكلفت هذه المهمة بجلب كمية من السلاح بمساعدة شيخ مغربي كان قد شارك في ثورة الخطابي الذي دله على مخبأ يحتوي على كميات لا بأس بها من الأسلحة والذخيرة فقام بنقلها من المثلث الفسيح (بشار، تندرارة، وجدة) إلى الغرب الجزائري عبر مغنية محاولا تأمين وصوله رغم نقاط مراقبة الجيوش الفرنسية.[٢٩] وحسب شهادة عبد الرحمن بن سعيد أنه انتقل مع بن بلة إلى منطقة فقيق المغربية التي اعتبرت إحدى قلاع الاتجاه الثوري في المغرب، وذلك بغرض البحث عن السلاح ومعرفة رأي الحركة الوطنية المغربية حول مسألة الكفاح المسلح، إلا أن الظروف لم تسمح لوفد المنظمة باللقاء مع مسؤولي حزب الاستقلال السيد محمد العالم الذي كان غائبًا، أما اللقاء الذي جمعهم مع نائبه فقط طغى عليه التحفظ واللامبالاة.[٣٠]

غير أن المناضل أحمد بن بلة يذهب عكس ذلك في مذكراته، حيث يقول بأنه لم ترسل أية قطعة سلاح إلى عمالة وهران لأن الأصدقاء المغاربة وعدونا بأن يزودونا بالسلاح وضرب الموعد في

مكان ما من الريف المغربي، وفي الوقت والمكان المعينين حضر رجالنا ببغالهم، وانتظروا أيامًا طويلة دون أن يحضر أي أحد، وعادت قافلتنا بخفي حنين عشية غرة نوفمبر.[٣١] ومع مطلع سنة ١٩٤٩م انتقل وفد عن الحركة يتكون من شرشالي ومحمد خيضر إلى طنجة أين التقيا بزعيم حزب الاستقلال علال الفاسي لطلب المساعدات المالية لشراء الأسلحة، كما اقترحا عليه إمكانية تنسيق عملية الكفاح المسلح على المستوى المغاربي، لكن اللقاء انتهى بدون نتائج.[٣٢]

وفي نفس السياق؛ حاول الاتجاه الثوري تجسيد مشروعة مرة أخرى، حين تم تكوين شبكة لتنسيق عملية الكفاح المسلح على مستوى المغرب العربي تكون وسيلة لتحقيق الهدف، وعن هذه الشبكة يقول محمد بوضياف: "إن بعد إعادة تنظيم المنظمة الخاصة (O.S) في سنة ١٩٥٢م التي أصبحت في علاقات روابط مع حركات التحرر في تونس والمغرب، حل بالجزائر يومئذ ضابطان من الريف المغربي وهما الهاشمي الطود وحمادي الريفي، وكان على اتصال بجهات ثلاث الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ومصالح المخابرات المصرية وبعض ممثلي حزب الشعب الجزائري بالقاهرة بالإعداد لعمل ثوري منسق على مستوى الأقطار الثلاث، وقد اتصلا بقيادة حزب حركة الانتصار الحريات الديمقراطية، دون أن يجد التجاوب المطلوب، لذلك اتصلا بطريقة غير رسمية بالأخ عبد الحميد مهري عضو اللجنة المركزية للحزب، هذا الأخير الذي نظّم اتصالا بين محمد بوضياف والضابطين المغربيين، وبناءً على ذلك قمت باستدعاء ديدوش مراد ليعرض لقاءه مع الضابطين من المغرب، وبحث عملية تنسيق الكفاح المسلح على مستوى المغرب العربي".[٣٣]

ويؤكد المجاهد المغربي الهاشمي عبد السلام الطود ما أورده بوضياف في شهادته مضيفا بأن بوضياف التزم التزامًا كاملاً بمسألة الدعوة لتوحيد العمل المسلح، وتعهد بتعبئة عدد هام من الشباب المؤمن بالعمل المسلح داخل الحركة، وبعد دراسة الوضعية الميدانية تم الاتفاق على دراسة أوضاع المغرب الأقصى، لربط العمل بين القطرين مع الاحتفاظ بمنطقة الحماية الاسبانية شمال المغرب كقاعدة خلفية آمنة للثورة، وقد أكد بوضياف على أنه حضّر مسبقًا ما عدده ستة وستون عملية عسكرية قابلة للتنفيذ فورًا، إلا أنه اشترط أن يكون انطلاق العمليات على جهتين (مغربية، جزائرية).[٣٤] وفي نفس السياق؛ يؤكد المناضل عبد الحميد مهري عضو اللجنة المركزية لحركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية حقيقة هاتين الشهادتين التاريخيتين، مضيفًا لما أورده بوضياف بأنه كان من المفروض حسب خطة هذه المجموعة أن يبدأ الكفاح المسلح في خريف ١٩٥٣م، إلا أن انفجار مستودع صنع القنابل في الأوراس أجّل الانطلاقة إلى غاية نوفمبر ١٩٥٤م.[٣٥] وبهذا يكون قادة وإطارات المنظمة الخاصة قد اجتهدوا كثيرًا في التحضير للعمل الثوري، سواء على المستوى الداخلي أو على المستوى الخارجي من خلال محاولة الإعداد لمشروع ثوري في مستوى طموحات حركات التّحرر المناهضة للاستعمار.

## رابعًا: مواصلة التحضير للثورة بعد اكتشاف المنظمة الخاصة

لم تعمر المنظمة الخاصة طويلاً، فسرعان ما تمّ حلّها على يد مصالح الشرطة الفرنسية عقب عملية تبسة في ١٨ مارس ١٩٥٠م، والمعروفة بقضية عبد القادر خياري،[٣٦] حيث تكبّدت المنظمة من جراء اكتشافها خسائر فادحة تمثلت في حجز كميات معتبرة من الأسلحة والذخيرة والمتفجرات والوثائق السرّية وغيرها، فضلاً عن إيقاف الأعضاء القياديين فيها من أمثال بن بلة، بلحاج ويوسفي ورجيمي، في حين فرّ كل من بوضياف وبن مهيدي وبن سعيد وبن بولعيد وديدوش وبن طوبال إلى الجبال لمواصلة الكفاح المسلح.[٣٧] وبالرغم من كل هذا، لم تتوقف نشاطات المنظمة الخاصة، بل واصلت أعمالها في بعض جهات الوطن كمنطقة الأوراس، وفي تلك الأثناء بدأت الخلافات بين قادة حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وهي الخلافات التي بلغت ذروتها في سنة ١٩٥٣م، حين انشق الحزب إلى قسمين: الرئيس وأنصاره، واللجنة المركزية وأنصارها، حيث أصبح هدف كل قسم يتمثل في السّيطرة على السّلطة الحزبية، وبالتالي الخروج عن الهدف المرسوم لاستقلال البلاد.[٣٨]

وأمام هذه الوضعية التي آل إليها الحزب، حاول بعض أعضاء المنظمة الخاصة إصلاح الوضع وفك النزاع وتوحيد مناضلي الحزب، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل، وهو ما زاد في عزيمة هؤلاء المناضلين على الشروع في الكفاح المسلح، خاصّةً وهم يشاهدون الوضع المزري الذي تعيشه الجزائر، ويشاهدون أيضًا بعض البلدان المبتلاة بالاحتلال الفرنسي تعلن عليه الحرب وتخوض ثورات وطنية مثل تونس والمغرب والهند الصينية،[٣٩] فضربوا بذلك موعدًا جديدًا مع التاريخ لاسترجاع السيّادة الوطنية حين اتّخذوا قرارًا في غاية الأهمية، تمثل في إنشاء "اللّجنة الثورية للوحدة والعمل" في ١٣ مارس ١٩٥٤م، على أن تكون صحيفة المواطن هي لسان حال الحركة الجديدة.[٤٠]

لقد حاول أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل، التّوفيق مرة أخرى بين جناحي الحزب المتنازعين، لكن دون جدوى، فعمدوا إلى الكشف عن هذه الخلافات للشعب، محاولين بذلك إقناعه بأهداف اللجنة الثورية، حيث استطاعت هذه الأخيرة أن ترفع من معنويات الشّعب وتعمل على توحيده وتهيئته للثورة بعد أن يئست من كل المحاولات لتوحيد الحزب، وشرعت في الإعداد للثورة والتخطيط لها، إلى أن حلّت نفسها في ٢٠ جويلية ١٩٥٤م، خاصة بعد ما ظهر ما اصطلح على تسميته بمجموعة الاثنين والعشرين.[٤١]

لم تظهر مجموعة الاثنين والعشرين إلاّ بعدما باشر السيّد محمد بوضياف اتصالاته مع بعض قدماء المنظمة الخاصة

بالداخل واتصاله في نفس الوقت بالسادة محمد خيضر، أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، الذين كانوا يمثلون حزب الشعب الجزائري في القاهرة فهذه التحركات وإن دلّت على شيء إنما تدلّ عن وجود رغبة ملحة وأكيدة لدى هؤلاء، وهي ضرورة التّعجيل بالعمل المسلح، وقد تكلّلت هذه المساعي بتشكيل مجموعة الاثنين والعشرين، التي عقدت اجتماعها الأول في ٢٥ جوان ١٩٥٤م بحي المدنية بالجزائر العاصمة،[٤٢] وتمثّلت النقاط المطروحة في هذا الاجتماع فيما يلي:

- تاريخ المنظمة الخاصة من نشأتها إلى اكتشافها.
- تقرير حول فضح الهيئة المخرّبة لإدارة الحزب.
- العمل المنجز من طرف قدماء المنظمة ما بين ١٩٥٠-١٩٥٤.
- أزمة الحزب و أسباب انقسامها.
- استعراض الوضع بالشمال الإفريقي.[٤٣]

وبعد أخذ وردّ أخذت المجموعة على عاتقها تبنّي فكرة العمل المسلّح باعتباره الحلّ الوحيد والأمثل لاسترجاع الجزائر لسيادتها، ولتحقيق ذلك تمّ الاتفاق على تعيين شخص، يقوم بدوره بتعيين أعضاء يساعدونه، وقد أنتخب لذلك السيّد محمد بوضياف الذي أورد في هذا المجال ما يلي: "وفي اليوم التالي اتّصلت بابن بولعيد وديدوش وبن مهيدي وبيطاط، الذي ساهموا في كل الأعمال التّمهيدية من أجل إنشاء اللجنة المكلّفة بتطبيق قرارات الاثنين والعشرين"،[٤٤] وأضيف إليهم فيما بعد السيّد كريم بلقاسم، فأصبحت القيّادة تتكون من ستة أعضاء، بالإضافة إلى ثلاثة أعضاء كانوا في الخارج هم:" أحمد بن بلة، محمد خيضر، آيت أحمد حسين."[٤٥]

عقد مجموعة السّتّة سلسلة من الاجتماعات في الجزائر العاصمة، بداية من شهر سبتمبر ١٩٥٤م، إلى غاية آخر اجتماع لهم بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٥٤م، أين تم وضع اللمسات الأخيرة لاندلاع الثورة التحريرية، وفي هذا الاجتماع تمت مناقشة قضايا مهمة، وانتهى في الأخير إلى القرارات التاريخية التالية:

- تسميّة المنظمة الثورية الجديدة بجبهة التحرير الوطني، هذه الأخيرة التي حلّت محلّ اللجنة الثورية للوحدة والعمل، كما تمّ تسميّة المنظمة العسكرية بجيش التّحرير الوطني، وعن هذه التّسميات يقول محمد بوضياف: "وفي الأخير قرّرنا تسميّة التنظيم السياسي بجبهة التحرير الوطني، والتنظيم العسكري بجيش التّحرير الوطني"،[٤٦] كما تقرّر أن تكون القيّادة جماعية، وأن المقياس الوحيد هو الإيمان بالكفاح المسلح أسلوبا لتحرير البلاد.
- تحديد الأفكار الرّسمية لتحرير نداء سياسي، يذاع ليلة أول نوفمبر.
- تحديد تاريخ اندلاع الثورة التحريرية، وهو ليلة الأحد إلى الاثنين أول نوفمبر ١٩٥٤م لعدة اعتبارات تكتيكية وعسكرية.
- تحديد كلمة السّر ليلة أول نوفمبر ١٩٥٤م (خالد وعقبة) كوسيلة تضمن التعارف بين المجاهدين.[٤٧]
- تحديد خريطة المناطق وتوزيع المسؤوليات، حيث تم تقسيم التراب الوطني إلى خمسة مناطق هي:

**المنطقة الأولى**: (الأوراس والنمامشة) بقيادة مصطفى بن بولعيد ومساعده بشير شيهاني. **المنطقة الثانية**: (الشمال القسنطيني) بقيادة ديدوش مراد ونائبه زيغود يوسف. **المنطقة الثالثة**: (القبائل) بقيادة كريم بلقاسم ونائبه عمر أوعمران. **المنطقة الرابعة**: (الجزائر العاصمة وضواحيها) بقيادة رابح بيطاط ونائبه سويداني بوجمعة. **المنطقة الخامسة**: (وهران) بقيادة محمد العربي بن مهيدي ونائبه بن عبد المالك رمضان. أما **منطقة الصحراء** فإنها تركت إلى وقت لاحق.[٤٨]

أما رئيس اللجنة السيّد محمد بوضياف، فقد أسندت إليه مهمّة ربط كافة هذه القيادات بأعضاء الوفد الخارجي بالإضافة إلى مسؤولية تهريب السّلاح إلى المنطقة الغربية، وفي القاهرة تم تعيين أحمد بن بلة مسؤولا عن إدارة مكتب الثورة، مكلّفًا بالدّعاية للثورة الجزائرية، وتنوير الرأي العام بالإضافة إلى جمع الأموال والأسلحة.[٤٩]

هكذا؛ وبفضل هذه التّرتيبات تمّت عمليّة التّحضير لتفجير ثورة نوفمبر، من خلال عمل شاق ومتواصل وتحضير جاد تُحيطه السّرية التامة، والإيمان بحتمية النصر، إلى أن تم الإعلان عنها في اليوم المحدد لها، ثم تلا ذلك صدور بيان عن قيادة الثورة الذي عرف باسم "بيان أول نوفمبر ١٩٥٤"، الذي جاء واضحًا في معانيه، مبينًا أن مرحلة النضال السياسي التي تبنتها الأحزاب الوطنية قد تجاوزتها الأحداث، فأوضح البيان أن جبهة التحرير الوطني هي اسم الحركة ودعا الشعب الجزائري بمختلف انتماءاته إلى الانضمام إليها، باعتبار أن الهدف المنشود هو الاستقلال الوطني بواسطة إعادة قيام الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة الوطنية ضمن إطار المبادئ الإسلامية.

## خاتمة

لقد تم التحضير للثورة الجزائرية من خلال عمل شاق ومتواصل تحيطه السرية التامة والإيمان بحتمية النصر، حيث تمكنت المنظمة الخاصة بعد فترة وجيزة من تأسيسها من غرس التقاليد النضالية في مناضلها، كما استطاعت أن تتحصل على أموال معتبرة وكميات من الأسلحة والذخيرة سواء على المستوى الداخلي أو حتى على المستوى الخارجي من خلال اتصال قادتها بقادة الحركتين الوطنيتين في تونس والمغرب الأقصى، ورغم اكتشافها من طرف السلطات الاستعمارية إلا أن عمليات التحضير ظلت متواصلة إلى أن تم الإعلان عن اندلاعها في ٠١ نوفمبر ١٩٥٤، وهكذا يمكننا القول أن ثورة التحرير الجزائرية لم تكن أبدا وليدة ظرف عابر، بل على العكس من ذلك تمامًا، فهي تدل على عمل تاريخي جاد خضع لظروف موضوعية وجعل من جيل نوفمبر ١٩٥٤ يعيش هذا الحدث ويبدع في صياغته ويجعل منه أهم حدث في تاريخ الجزائر المعاصر.

## الهَوامِشُ:

(١) بشير عميمور، "**تحضير وانطلاقة ثورة نوفمبر ١٩٥٤**"، مجلة الجيش، العدد (٤٧٢)، المركز التقني للإيصال والإعلام والتوجيه، نوفمبر ٢٠٠٢، ص ٨.

(٢) محمد لحسن أزغيدي، **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية ١٩٥٦-١٩٦٢**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ٤٦.

(٣) أحسن بومالي، "**المنظمة العسكرية تتبنى الكفاح المسلح**"، مجلة الذاكرة، العدد(٢)، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ١٩٩٥، ص ١١٧.

(٤) إبراهيم لونيسي، "**المنظمة الخاصة L'OS أو المخ المدبر لثورة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤**"، مجلة المصادر، العدد (٦)، القرص المضغوط الصادر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤، الجزائر، ٢٠١٠.

(٥) محمد يوسفي، **الجزائر في ظل المسيرة النضالية: المنظمة الخاصة**، ترجمة: محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات تالة، الجزائر، ٢٠١٠، ص ١٠٩-١١٠. وينظر أيضًا: إبراهيم لونيسي، المرجع السابق.

(6) Benyoucef Benkhadda, Les Origines du 1èr novembre 1954, 2ème édition, éditions du centre national d'études et de recherches sur le mouvement national et la révolution du 1èr novembre 1954, Alger, 2004, p 436.

(٧) خلال الفترة الممتدة من (١٩٤٧-١٩٤٩) كانت قيادة المنظمة الخاصة على النحو التالي: (حسين آيب أحمد قائد عام، عبد القادر بلحاج مدرب عام، بوضياف مسؤول على ناحية قسنطينة، جيلالي رجيمي مسؤول على قطاع الجزائر١، محمد ماروك مسؤول على قطاع الجزائر٢)، بينما أصبحت قيادة المنظمة خلال الفترة الممتدة من صائفة ١٩٤٣ إلى غاية شهر ماي ١٩٥٠ على النحو التالي: ( أحمد بن بلة قائدا عاما، يوسفي أمحمد كمسؤول عن الاتصالات، عبد الرحمن بن سعيد مسؤولا عن القطاع الوطني، جيلالي الرجيمي مسؤولا على قطاع الجزائر ١، أحمد محساس مسؤولا عن قطاع الجزائر ٢، عبد القادر بلحاج مسؤول عسكري.) للمزيد من التفاصيل انظر إلى:

Benyoucef Benkhedda , op,cit , p 440

(8) Ahmed Mahsas, le mouvement révolutionnaire en Algérie de la 1ère guerre, mondiale à 1954, éditions l'harmattan, Paris, 1979, pp 256 - 257.

(٩) محمد يوسفي، المصدر السابق، ص ١١١.

(١٠) محمد لحسن أزغيدي، المرجع السابق، ص ٥٠.

(١١) عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (١٩٤٧-١٩٥٤)**، ج٣، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦، ص ١١٥.

(١٢) محمد لحسن أزغيدي، المرجع السابق، ص ٥٢.

(١٣) المرجع نفسه، ص ٥٣.

(١٤) محمد يوسفي، المصدر السابق، ص ١٢٦.

(١٥) محمد حربي، **جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع الجزائر (١٩٥٤-١٩٦٢)**، ترجمة :كميل قيصر داغر، ط١، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٤٩.

(١٦) مصطفى هشماوي، **جذور نوفمبر ١٩٥٤ في الجزائر**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٦١.

(١٧) الطاهر جبلي، **إرهاصات الثورة الجزائرية: مسألة التسليح في اهتمامات قادة المنظمة الخاصة (١٩٤٧-١٩٥٠)**، المجلة التاريخية المغاربية، العدد ١٤٣-١٤٤، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، أكتوبر ٢٠١١، ص ٥٣ .

(١٨) عبد المجيد بوزيد، **الإمداد خلال حرب التحرير الوطني: شهادتي**، ط٢، وزارة المجاهدين، مطبعة الديوان، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٢٨.

(١٩) مصطفى هشماوي، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢٠) الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص ٧٢. انظر كذلك: محمد حربي، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٢١) محمد عباس، **روّاد الوطنية: شهادة ٢٨ شخصية وطنية**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٥، ص ٢٨٤.

(٢٢) المرجع نفسه، ص ٢٨٥.

(٢٣) عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص ٣١.

(٢٤) الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٢٥) خضراء بوزايد، "**لقاء مع المجاهد عبد القادر عمودي عضو مجموعة (٢٢)**"، مجلة المصادر، العدد(٤)، القرص المضغوط. المرجع السابق.

(٢٦) عبد الله مقلاتي، **العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية**، ج١، ط١، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ٥٠.

(٢٧) محمد حربي، المصدر السابق، ص ٥٨-٥٩.

(٢٨) عبد الله مقلاتي، **الثورة الجزائرية وعلاقاتها بالمقاومة التونسية (١٩٥٤-١٩٥٦)**، مجلة المصادر، العدد ١٩، القرص المضغوط، المرجع السابق.

(29) Mohamed Yousfi, Op.cit, p.87.

(٣٠) الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص ٧٣.

(٣١) **مذكرات أحمد بن بلة كما أملاها على روبير ميرل**، ترجمة العفيف الأخضر، ط٢، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣، ص ٩٦.

(32) Hocine ait Ahmed, memoire d'un cambattant, l'esprit d'undependance (1942- 1952),ed: bouchene, alger, 1990, P.163.

(٣٣) معمر العايب، **مؤتمر طنجة المغاربي، دراسة تحليلية تقييمية**، دار الحكمة، الجزائر، ٢٠١٠ ، ص ٥٨.

(٣٤) الطاهر جبلي، **شبكات الدعم اللوجستيكي للثورة الجزائرية (١٩٥٤-١٩٦٢)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٥٤.

(٣٥) معمر العايب، المرجع السباق، ص ٥٩.

(٣٦) تتمثل هذه القضية في أن مناضل المنظمة عبد القادر خيّاري فشل وأراد الخروج من المنظمة، وهذا الأمر يعتبر مرفوضًا في قانونها الداخلي لأن المناضل يكون قد عرف أسرارها، وبالتّالي قرّرت المنظمة قتله، وكلّفت لذلك ثلاثة أعضاء، هم ديدوش مراد، مصطفى بن عودة وثالث معهما، وقاموا بتنفيذ القرار، لكن في النهاية تبين أن الرجل لم يمت، واتصل بالشرطة الفرنسية وأخبرها عن التنظيم، فقامت سلطات الاحتلال بإلقاء القبض على بعض القادة المنظمون ولاحقت الفارين منهم. للمزيد من التفاصيل حول هذه القضية، انظر: شارل روبير آجيرون، **تاريخ الجزائر المعاصر**، ط١، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٥٧.

(٣٧) محمد حربي، **الثورة الجزائرية: سنوات المخاض**، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلوثي، الجزائر، ١٩٩٤، ص ٥٤.

(٣٨) أحمد مهساس، **الحركة الوطنية الثورية المسلحة**، ترجمة: الحاج مسعود ومحمد عباس، منشورات الذكرى الأربعون للاستقلال، الجزائر، ٢٠٠٢، ص ٣٦٦.

(٣٩) الأخضر جودي بوالطمين، **لمحات من ثورة الجزائر**، ط٢، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٧، ص ٤.

(40) Mabrouk Belhocine, le courrier Alger- le Caire 1954-1956 et le congres de la Soummam dans la révolution, édition Casbah, Alger, 2000. P 34.

(٤١) محمد العربي الزبيري وآخرون، **كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية ١٩٥٤-١٩٦٢**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤م، دار هومة، الجزار، ٢٠٠٧، ص ٢٣.

(٤٢) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(43) Mabrouk Belhocine, op, cit, p 34

(٤٤) محمد لحسن أزغيدي، المرجع السابق، ص ٦١.

(٤٥) عبد الوهاب بن خليف، **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، دار طليطلة، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ١٨٢.

(٤٦) محمد لحسن أزغيدي، المرجع السابق، ص ٦٣.

(٤٧) مصطفى طلاس وبسام العسلي، **الثورة الجزائرية**، طبعة خاصة بدار الرائد للكتاب، الجزائر، ٢٠١٠، ص ١٨٠.

(٤٨) عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية ١٩٦٢**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٦٠.

(٤٩) الأخضر جودي بوالطمين، المرجع السابق، ص ١٨.

# الواقع العسكري للثورة الجزائرية في المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) ١٩٥٤ – ١٩٥٦




**د. الطاهر جبلي**

أستاذ محاضر التاريخ المعاصر
قسم التاريخ - جامعة أبي بكر بلقايد
الجمهورية الجزائرية



## مُلَخّصْ

شكلت الإمكانيات المادية والبشرية ضرورة مملحة بالنسبة لقادة الثورة عشية اندلاع الثورة في أول نوفمبر١٩٥٤، باعتبارها من المسائل الحيوية والحساسة لانطلاق واستمرارية أي عمل مسلح، وتجمع المصادر التاريخية المكتوبة والشفوية منها على أن الإمكانيات المادية والبشرية المتوفرة عند الانطلاقة بشكل عام ضئيلة جدًا، فهناك نسبة قليلة من المجاهدين لا يتجاوز عددهم ثلاث آلاف مجاهد مسلحين ببنادق الصيد وبنادق أوتوماتيكية من مخلفات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) صالحة للاستعمال بنسبة العشر، أي أن طلقة واحدة من بين عشرة طلقات نارية تكون صالحة. ويمكن القول؛ بأن جبهة التحرير الوطني أعلنت انطلاق الثورة التحريرية بإمكانيات مادية جد ضعيفة خصوصًا إذا ما قورنت بإمكانيات العدو الضخمة المدعّمة بمليون أوروبي في الجزائر أغلبهم مسلحون بأسلحة حربية، الأمر الذي دفع بالبعض إلى القول بأن الثورة انطلقت تقريبًا من الصفر. وفي هذا الإطار؛ سوف نحاول في هذه الدراسة التركيز على الواقع العسكري الذي عرفته المنطقة الثانية من خلال التركيز على الظروف والأوضاع الصعبة التي واجهت قيادة الثورة عشية اندلاعها، وعلى رأسها نقص الإمكانيات المادية (المال والسلاح) التي تسببت في ضعف الانطلاقة في موعدها المحدد. وقد ازداد الأمر تعقيدًا بعد شغور مواقع القيادة بها، والإشادة من باب الموضوعية التي يقتضيها البحث التاريخي الأكاديمي الجاد بالأدوار الريادية التي بذلها القادة اللاحقون في المنطقة لتجاوز حالة التردد والركود والتهاون أحيانًا من خلال البحث عن كافة السبل والحلول والبدائل الممكنة لبعث النشاط الثوري وتوفير السلاح، وهي المهمة التي تحققت بعد هجومات ٢٠ أوت ١٩٥٥.



**بيانات الدراسة:**

تاريخ استلام البحث: ٢٥ سبتمبر ٢٠١٣
تاريخ قبـول النشـر: ٧ نوفمبر ٢٠١٣

**كلمات مفتاحية:**

مؤتمر الصومام، زيغود يوسف، الثوّار الجزائريين، العسكرية والدبلوماسية، التسليح والتموين

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

الطاهر جبلي. "الواقع العسكري للثورة الجزائرية في المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) ١٩٥٤ – ١٩٥٦".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ٧٠ – ٨٣.


## مُقَدِّمَةٌ

شكلت الإمكانيات المادية والبشرية ضرورة مملحة بالنسبة لقادة الثورة عشية اندلاع الثورة في أول نوفمبر١٩٥٤، باعتبارها من المسائل الحيوية والحساسة لانطلاق واستمرارية أي عمل مسلح، وتجمع المصادر التاريخية المكتوبة والشفوية منها على أن الإمكانيات المادية والبشرية المتوفرة عند الانطلاقة بشكل عام ضئيلة جدًا، فهناك نسبة قليلة من المجاهدين لا يتجاوز عددهم ثلاثة آلاف مجاهد مسلحين ببنادق الصيد وبنادق أوتوماتيكية من مخلفات الحرب العالمية الثانية صالحة للاستعمال بنسبة العشر، أي أن طلقة واحدة من بين عشرة طلقات نارية تكون صالحة. الأمر الذي أدى بالثورة التحريرية عشية انطلاقها إلى مواجهة مشاكل عدة تعلقت بمتطلبات العمل العسكري كالتموين والتسليح وهياكل التنسيق والتخطيط لعمليات التسليح والتخزين وإنشاء المخابئ وتوزيع الرجال والأسلحة على كافة المناطق العسكرية بشكل محكم، وعلى هذا الأساس حاول قادة الثورة التكيف مع الظروف

والمستجدات ومعالجة هذه المشاكل بدقة خصوصًا في ميدان التسليح والتموين.

ويمكن القول؛ بأن جبهة التحرير الوطني أعلنت انطلاق الثورة التحريرية بإمكانيات مادية جد ضعيفة خصوصًا إذا ما قورنت بإمكانيات العدو الضخمة المدعّمة بمليون أوروبي في الجزائر أغلبهم مسلحون بأسلحة حربية، الأمر الذي دفع بالبعض إلى القول بأن الثورة انطلقت تقريبًا من الصفر. وفي هذا الإطار؛ سوف نحاول في هذه الدراسة التركيز على الواقع العسكري الذي عرفته المنطقة الثانية من خلال التركيز على الظروف والأوضاع الصعبة التي واجهت قيادة الثورة عشية اندلاعها وعلى رأسها نقص الإمكانيات المادية (المال والسلاح) التي تسببت في ضعف الانطلاقة في موعدها المحدد. وازداد الأمر تعقيدًا بعد شغور مواقع القيادة بها، والإشادة من باب الموضوعية التي يقتضيها البحث التاريخي الأكاديمي الجاد بالأدوار الريادية التي بذلها القادة اللاحقون أمثال: (زيغود، وبن طوبال، وعمار بن عودة، ومزهودي، وبو بنيدر، وعلي كافي... وغيرهم) في المنطقة لتجاوز حالة التردد والركود والتهاون أحيانًا من خلال البحث عن كافة السبل والحلول والبدائل الممكنة لبعث النشاط الثوري وتوفير السلاح، وهي المهمة التي تحققت بعد هجومات (٢٠ أوت ١٩٥٥) التي نظر لها وقادها كل من زيغود وبن طوبال، واعتبرت بالنسبة للكثير ممَنْ عاصروا تلك المرحلة منعطفًا كبيرًا في مسار الثورة التحريرية بشكل العام، لأنها حققت كمًا كبيرًا من المكاسب السياسية والعسكرية والدبلوماسية في الداخل والخارج، على الرغم من الثمن الباهظ الذي تكلفته فيما بعد بفعل ردود الفعل القمعية الواسعة التي تعرضت لها الجماهير الريفية في مختلف مناطق الشمال القسنطيني.

كان الوقع الكبير الذي أحدثته تلك الهجومات من بين الأسباب الرئيسة التي دفعت بعبان رمضان إلى البحث عن سبل للاتصال بزيغود يوسف الذي تمكن من تحويل الشمال القسنطيني في غضون سبعة أشهر من منطقة خامدة إلى بؤرة ثورية شديدة الحيوية، وكللت تلك الاتصالات عن طريق مجموعة من المبعوثين من أمثال عمارة رشيد وإبراهيم مزهودي، ثم سعد دحلب في الفترة ما بين نوفمبر ١٩٥٥ وأفريل ١٩٥٦، بالاتفاق بين القائدين على ضرورة العمل على بعث فكرة ومشروع عقد اجتماع وطني (مؤتمر الصومام) يشمل جميع القادة الثوريين في الداخل والخارج.

## (١) وضعية المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) عشية اندلاع الثورة: (١٠ نوفمبر ١٩٥٤)

امتدت هذه المنطقة حتى الحدود التونسية، مارة بسيبوس وصدراته ومداوروش ومن الناحية الغربية نجد سطيف، وخراطة، وسوق الاثنين، ويحدها شرقًا الحدود التونسية،[١] وتُعَدّ المنطقة الثالثة من بين أبرز المناطق التاريخية، واعتبرت أحد أهم معاقل الحركة الوطنية بمختلف تياراتها قبل الانطلاقة، كما شكلت أيضًا مصدرًا أساسيًا موّل صفوف القيادة الثورية بعدد لا بأس به من العناصر التي تشكلت منها أول نخبة ثورية كانت وراء تأسيس جبهة وجيش التحرير الوطني في أول نوفمبر ١٩٥٤.[٢] وقد عين على رأس قيادتها مراد ديدوش[٣] بمساعدة زيرود يوسف،[٤] وقُسمت هذه المنطقة عشية اندلاع الثورة إلى أربع نواحي:

١- ناحية سوق أهراس، عُين على رأسها باجي مختار،[٥] وبها (٣٠) مجاهدًا.

٢- ناحية عنابة وضواحيها، على رأسها مصطفى بن عودة، وبها (٠٨) مجاهدين.

٣- الناحية الغربية، عُين على رأسها لخضر بن طوبال، وبها (١٧) مجاهدًا.

٤- الناحية الوسطى، عُين على رأسها زيرود يوسف، وبها (٤٥) مجاهدًا.[٦]

## (٢) الإمكانيات المادية والبشرية للمنطقة الثانية عشية الانطلاقة: (أول نوفمبر١٩٥٤)

تختلف الروايات حول تقدير حجم الإمكانيات المادية والبشرية التي شهدتها المنطقة عشية انطلاق الثورة، حيث يقدر كل من مراد صديقي، ومصطفى هشماوي حجم العدة والعتاد فيها بـ (٥٣٠) مجاهدًا يتوفر لديهم (٦٠) بندقية إيطالية عيار (56)، وبنادق صيد،[٧] إلا أن محمد حربي يقدر استنادًا إلى شهادة لخضر بن طوبال[٨] تعداد مجاهدي المنطقة الثانية في نفس الفترة بـ (٥٠) مقاتلاً من ضمن قرابة (٧٠٠٠) مناضل في صفوف حركة انتصار الحرية الديمقراطية، وهي نسبة هزيلة وتافهة حسب حربي مقارنة مع حجم القاعدة العريضة التي تمتعت بها الحركة في منطقة الشمال القسنطيني،[٩] لذلك يمكن القول؛ أن التعثر الظاهر في انطلاق الثورة الذي شهدته المنطقة شكل في حقيقة الأمر مفارقة شديدة بالنظر إلى ما كانت تتوفر عليه من قادة وتنظيم في الفترة التي شهدت المراحل المتقدمة في عملية التحضير للثورة.[١٠]

وحسب التقرير الذي قدمه زيرود يوسف خلال جلسات مؤتمر الصومام، فإن عدد مجاهدي الشمال القسنطيني عند الانطلاقة كان يبلغ مائة رجل فقط لا يمتلكون سوى (١٣) قطعة سلاح، لكن دون تفصيل حول وضعية المناطق. ويوضح دحو جربال تلك الوضعية الصعبة بالإشارة إلى أن ديدوش مراد لم يكن لديه سوى (٣٥) رجل في مركز قيادة المنطقة الثانية (عزابة- ميلة- عين الكرمة- فج مزالة- الطاهير)، ولم يكن تحت إمرة بن عودة في عنابة سوى (٠٣) رجال، بينما كان زيرود (سكيكدة- قسنطينة) يقود (٢٧) مجاهدًا، وبن طوبال يقود مجموعة تتكون من (١٣) مجاهدًا وقد تقاسم هاذين القائدين (٣٢) قطعة سلاح.[١١]

وليس ببعيد عن الأرقام المذكورة سابقًا يحصي أحسن بومالي استنادًا كذلك إلى رواية لخضر بن طوبال عدد مجاهدي المنطقة عند اندلاع الثورة بـ (٦٦) لا يملكون إلا كمية ضئيلة من أسلحة المنظمة الخاصة أغلبها غير صالح للاستعمال، ورصيد مالي قدر

بمائة ألف فرنك قديم ساهم به كل من زيرود يوسف، وعمار بن عودة، ولخضر بن طوبال،[12] وفي نفس الوقت تذهب روايات أخرى إلى أن الأسلحة التي كانت بحوزة مجاهدي المنطقة قليلة جدًا ومعظمها بنادق حربية قديمة، وأسلحة صيد وبعض المتفجرات تم توزيعها على المجاهدين ليلة أول نوفمبر ١٩٥٤.[13] وبعد الانطلاقة بعشرة أشهر لم يتمكن زيرود يوسف من حشد أكثر من (٢٠٠) مجاهدًا عشية هجومات (٢٠) أوت ١٩٥٥ حيث يذكر محمد حربي بأن عدد المجاهدين الذين كانوا تحت قيادة زيرود يوسف لم يتجاوز (١٧٥) مجاهدًا بينما رجع جولبار مينيه ( Gilbert Meynier) أن عددهم كان يتراوح ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ رجل.[14]

إلا أن هذه الوضعية لم تستمر طويلاً، لأن جيش التحرير تمكن من مضاعفة وتدعيم صفوفه عقب ذلك بمدة قصيرة الأمر الذي يوحي بأن ذلك كان نتيجة مباشرة للتداعيات التي أفرزتها الهجومات من جهة، وردود الفعل الفرنسية من جهة أخرى، وفي هذا الإطار يشير علي كافي[15] في مذكراته بأن زيرود عقد اجتماعًا عامًا لرجاله بعد أقل من ثلاث أشهر من الهجومات بمناسبة الذكرى الأولى للانطلاقة في (٠١ نوفمبر ١٩٥٥) بدوار بني صبيح حضره حوالي (٤٠٠) مجاهدًا.[16] وهو ما يوضح بشكل جلي أن تحسن وضع المنطقة من حيث التسليح وتطور وحدات جيش التحرير الوطني فيها من حيث العدد والأداء كان في المرحلة التي تلت تلك الهجومات. وفي هذا السياق تشير الإحصائيات الفرنسية إلى أن المنطقة الثانية أصبحت تضم إلى غاية أكتوبر ١٩٥٥ بين (٩٠٠ إلى ١٢٠٠) مجاهد مسلحين بنسبة (٣٠%) سلاح حربي، و(٧٠%) سلاح صيد.[17]

## (٣) المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني): بين قوة التأطير وضعف الانطلاقة

غالبًا ما يفسر ضعف انطلاق الثورة بالشمال القسنطيني بذلك الارتباك الذي طرأ في صفوف الهيئة الأولى لقيادة الثورة، والملاحظ أن المسألة كانت تتعلق في جوهرها بالظروف الاستعجالية التي تمت من خلالها مباشر العمل المسلح والتي لم تتح لمختلف نواحي المنطقة الثانية الفرصة كحشد الرجال وجمع السلاح، كما لعبت أيضًا عوامل التهاون والتقصير عند بعض القادة دورًا هامًا في عدم مسايرة المنطقة الثانية لكل من الأوراس والقبائل.[18] وتفسّر الكثير من الكتابات التاريخية مسألة ضعف انطلاق العمل المسلح في منطقة الشمال القسنطيني بذلك التغيير المفاجئ الذي طرأ في صفوف الهيئة الأولى لقيادة أركان الثورة،[19] إلاّ أن الباحث في هذه المسألة يلاحظ بأنها كانت تتعلق مباشرة بالظروف المستعجلة التي تمت من خلالها مباشرة العمل المسلح والتي لم تعط مختلف نواحي المنطقة الثانية الفرصة الكافية لتعبئة الرجال وجمع السلاح.

## (٤) مميزات النشاط الثوري في مرحلته الأولى في المنطقة الثانية (١٩٥٤ـ ١٩٥٦): المشاكل والصعوبات الميدانية (وضعية الشغور في القيادة)

لم يكن ديدوش مراد الذي التحق بمنطقته ببضعة أيام فقط قبيل بداية الثورة من استدراك مكامن النقص والقصور في الاستعدادات للعمل المسلح في معظم نواحي المنطقة الثانية من القالة وعنابة شرقًا إلى ميلة وجيجل غربًا من الشريط الساحلي شمالاً ومشارف الصحراء جنوبًا[20] التي ميّزها بشكل عام الضعف الشديد في التسلّح والتنظيم والتجنيد في صفوف الأفواج الأولى التي تشكل منها جيش التحرير الوطني في الشمال القسنطيني، كما بقيت عاصمة الإقليم قسنطينة بمعزل عن الانطلاقة في نوفمبر ١٩٥٤ بسبب تراجع ممثلها الذين شاركوا في اجتماع لجنة الـ (٢٢) عن المبادرة بتفجير الثورة عقب خلافهم من عناصر لجنة الخمسة.[21] ودون الاستطراد في هذا الموضوع يمكن القول: بأنه إذا كانت منطقة الأوراس قد عرفت نقصًا ملحوظًا من حيث السلاح والذخيرة، فإنّ الوضع كان أكثر سوءًا من المنطقة الثانية، وفي هذا الإطار يشير المجاهد الطاهر الزبيري بأن ناحية سوق أهراس شهدت أزمة حادة من حيث السلاح والذخيرة رغم جهود ومساعي باجي مختار لتدارك هذا الوضع،[22] وعلى هذا الأساس أخذت العمليات العسكرية الأولى طابعًا هجوميا ركز على عنصر المفاجئة دون الدخول في المواجهة المباشرة مع العدو إلاّ في الحالات الاضطرارية التي لا مفر منها.

وفي هذا السياق؛ انصبت جهود الأفواج المسلحة في المنطقة الثانية على البحث عن مصادر التموين بالسلاح وربط الاتصالات مع بقية الأفواج في النواحي الأخرى وهو نفس المنحنى الذي آلت العمليات العسكرية الأولى[23] التي نفذها باجي مختار في ناحية سوق أهراس يوم ٠٢ نوفمبر ١٩٥٤، بعد تخريب جسر في عين سيمور ثم تلتها عملية منجم الناظور في ٠٦ نوفمبر ١٩٥٤ استهدفت حراس المنجم وسبعة منازل يقطنها فرنسيون، وقد تمكن فوج باجي مختار من غنم ثمانية بنادق وسبع مائة خرطوشة ومبلغ قدر بـ (٤٥٠) ألف فرنك قديم.[24] وقد كانت العمليات العسكرية التي خاضتها الأفواج المسلحة في جبل سيدي أحمد، ووادي بوكركر، ومجموعة باجي مختار في سوق أهراس قد عبرت بعمق عن إصرار المجاهدين على خوض المعركة، إذا كان لابد منها، بالرغم أن هذه المجموعات الثورية الأولى كانت تركز جهودها على السعي المتواصل لجمع المزيد من الأسلحة عن طريق الهجمات الخاطفة التي شنتها على منجم الونزة خلال شهر ديسمبر ١٩٥٤ والانسحاب فيما بعد إلى المناطق الجبلية التي جعلت منها مركزًا لها.[25] كما شهدت الناحية بعد استشهاد باجي مختار معارك أخرى تمكن المجاهدون بقيادة جبار عمر[26] من الحصول على أسلحة متنوعة جلال معركة بوحمرة سنة ١٩٥٥ ومن أهم هذه الأسلحة مدفع رشاش من نوع "٢٩، ٢٤

FM" وهو أول مدفع يتم الحصول عليه، بالإضافة إلى ست بنادق، وأربع رشاشات، وجهازين للإرسال والاستقبال من صنع أمريكي.[٢٧]

## (٥) زيغود يوسف: (القيادة الحيوية في الشمال القسنطيني)

**ملحمة ٢٠أوت ١٩٥٥:**

**(مكاسب الثورة السياسية والعسكرية والدبلوماسية في الداخل والخارج)**

واجهت الثورة منذ انطلاقتها في المنطقة الثانية عدة صعوبات عرقلت العمل العسكري الميداني في معظم النواحي، ولم يتمكن ديدوش مراد من تجاوزها خلال الفترة القصيرة التي استمر فيها على رأس قيادتها قبل سقوطه شهيدًا رفقة مجموعة من المجاهدين الروّاد في وادي بوكركر قرب دوار الصوادق يوم ١٨ جانفي ١٩٥٥.[٢٨] ومنذ هذا التاريخ بدأت المنطقة تتجه إلى الانخراط في العمل المسلح بشكل ملحوظ إلى جانب لأوراس والقبائل من خلال الدور الريادي الذي سوف يلعبه القائد زيرود يوسف نائب ديدوش وخليفته بعد شغور منصب قيادة المنطقة مع مطلع ربيع ١٩٥٥.[٢٩] وقد عرف النشاط الثوري مع مطلع ربيع ١٩٥٥ مرحلة صعبة وضعت المنطقة الثانية على مفترق الطرق، حيث كان لزامًا على قيادتها البحث على مختلف الحلول والبدائل الممكنة لحسم الأمور وبعث النشاط الثوري بعد مرحلة الجمود التي عرفتها الانطلاقة ولم يكن الشغل الشاغل بالنسبة لزيرود يوسف سوى أمرين في غاية من الأهمية أولهما السلاح ثم التحاق الشعب بالثورة واحتضانه لها بكل قناعة والتزام، ولم يكن ذلك بالأمر الهيّن بل كان يتطلب الكثير من الاستعداد والحيطة والحذر حتى لا تكرر تجربة بوكركر.

وانطلاقًا من هذه المستجدات تبلورت عبقرية القيادة عند زيرود يوسف الذي شرع في التخطيط لهجومات ٢٠ أوت ١٩٥٥ التاريخية في الوقت الذي بدأت فيه القوات الفرنسية في اتجاه محاصرة منطقة الشمال القسنطيني بقيادة الجنرال ألارد، (ALLARD) كما وضع العقيد ديكورنو مقر قيادته في الحروش بهدف خنق الثورة في المنطقة الثانية.[٣٠] وقد بدأت أولى العمليات العسكرية التي خطط لها زيرود للرد على العدو والتأكيد على استمرارية الثورة يوم ٠٨ ماي ١٩٥٥ تخليدًا لمجازر الـ ٨ ماي ١٩٤٥، حيث حاول القيام بمحاصرة مدينة "القل" ومنع وصول التموين إليها عن طريق البحر من خلال الهجوم على الثكنات وتخريب بعض المنشآت كالطرق والجسور. كما نجح مساعده بن طوبال في محاصرة مركز للمراقبة العسكرية في الميلية وفي نفس المنطقة تمّ أول هجوم على مركز قيادة دو كورنو.[٣١] وعلى غرار العمليات السابقة قام زيرود بعمليات مماثلة لعمليات ٨ ماي إحياءً لذكرى ٠٨ جويلية ذكرى احتلال الجزائر أستهدف خلالها مراكز العدو ومنشآته العسكرية، وقد تمكن من غنم عدد كبير من الأسلحة خصوصًا وأن الشغل الشاغل لقيادة المنطقة هو السلاح والتموين ودفع الشعب للالتحاق بصفوف الثورة.[٣٢]

أما بالنسبة لعملية جمع السلاح يشير المجاهد علي كافي في مذكراته إلى أن زيرود ومساعديه شرعوا منذ شهر ماي في وضع خطة لجمع السلاح، وقد تميزت العملية بالتسابق مع العدو من أجل نزع السلاح من السكان أو إقناعهم بضرورة تسليمه إلى الثورة خصوصًا، وأن ظاهرة امتلاك السلاح بالنسبة لسكان الريف كانت تمثل مظهرًا من مظاهر الرجولة، وبالرغم من صعوبة هذه المهمة انطلقت أفواج من المجاهدين ومعهم قوائم بأسماء ملاكي السلاح في القرى والمد اشر، حيث يطالبونهم بتسليم السلاح إما عن طواعية وإما بالضغط إن دعت الضرورة لذلك. وقد كان لمناضلي حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية دورًا بارزًا في تسهيل عملية جمع السلاح من المواطنين، ثم كان الفضل للبعض منهم في تشكيل بنية جيش التحرير فيما بعد، ويضيف على كافي بأن الأسلحة التي تم جمعها خبئت في مراكز خاصة بالأسلحة والذخيرة بعيدًا عن عيون العدو، وقد أعتمد المجاهدون في نقلها من مكان إلى آخر على البغال بمساعدة السكان باعتماد طرق ملفقة لإبعاد شكوك العدو.[٣٣]

وحول عملية التحضير للهجومات ٢٠ أوت ١٩٥٥ يذكر المجاهد عمارة بوقلاز[٣٤] بأنه حضر رفقة المجاهد علاوة بشايرية اجتماعًا في تمالوس[٣٥] جمع قيادة المنطقة الثانية من أجل المشاركة في عملية تحضير هجومات ٢٠ أوت ١٩٥٥ رفقة القائد زيرود يوسف وقد كان من أهم المسائل التي ناقشها هذا الاجتماع مسألة التموين والتسليح وأسباب تأخر العمل المسلح نواحي القالة.[٣٦] ويمكن للباحث في هذا السّياق أن يتساءل عن خلفية العلاقة وطبيعتها بين قيادة المنطقة الثانية (زيرود يوسف) والبعثة الخارجية التي كان على رأسها بن بلة؟ ومهما يكن من أمر؛ فإنّ زيرود كان يحاول دائمًا عدم إثارة هذا الموضوع وتحفيز المجاهدين للحصول على السلاح من الداخل مخاطبًا عمارة بوقلاز بخصوص مسألة التسليح قائلاً: "إن سلاحكم يوجد على كتف عدوكم وحذارٍ من الأشخاص الذين يريدون الاستيلاء على أموالنا...".[٣٧]

تحمل زيرود يوسف أعباء الوضعية الصعبة التي عرفتها المنطقة بعد استشهاد ديدوش مراد، بمفرده حيث لم يمر وقت طويل حتى نجح في التقارب والتنسيق مع قيادة المنطقة الأولى (الأوراس) التي عُيّن على رأسها خلال هذه المرحلة القائد شيحاني بشير، بعد إلقاء القبض على بن بولعيد في بن قردان عندما كان متجهًا إلى ليبيا في مهمة جلب السلاح خلال شهر فيفري ١٩٥٥، وقد انتهت تلك الجهود بإبرام اتفاق خلال اجتماع عين القلعة يوم ١٤ أوت ١٩٥٤ عرض فيه زيرود يوسف الحصول على العتاد من قيادة المنطقة الأولى مقابل تنازله على ناحية سوق أهراس.[٣٨] وقد تبين فيما بعد أن الحاجة الملحة إلى السلاح هي التي دفعت زيرود إلى ذلك الاتفاق حيث كان مصرًا على القيام بهجومات شاملة وخاطفة على القوات الفرنسية في كامل تراب المنطقة الثانية بهدف بعث

النشاط الثوري فيها وفك الحصار والضغط المضروب على قلعة الثورة في الأوراس التي تحملت العبء الأكبر في عامها الأول.[٣٩]

لقد شكلت هجومات ٢٠ أوت ١٩٥٥ بقيادة زيرود ومساعده لخضر بن طوبال منعطفًا حاسمًا في مسار العمل الثوري بشكل عام بالنظر إلى ما حققته من مكاسب في مسار العمل الثوري ومن مكاسب سياسية وعسكرية ودبلوماسية على المستويين الداخلي والخارجي.[٤٠] ومما لاشك فيه أيضًا؛ أن الإقدام على تلك العمليات والتخطيط لها لم يكن بنية النزوع نحو المغامرة، وإنما كان يعبر بعمق عن الرغبة في التحرير وفك العزلة عن المنطقة والشعور بالمسؤولية التاريخية التي اقتضت ضرورة العمل على فك الحصار العسكري المضروب على الأوراس، بالإضافة إلى ضرورة أخرى فرضتها الحاجة الماسة للسلاح طبقًا للمبدأ الذي اقتنع به زيرود، وطالما كان يحث عليه رجاله قائلاً: "سلاحكم فوق أكتاف عدوكم" حتى يحفزهم على جمع المزيد من الأسلحة والذخيرة لبعث النشاط الثوري وتجاوز حالة الركود التي ميزت المنطقة لأشهر عدة.[٤١]

## (٦) قيادة الثورة في المنطقة الثانية في مواجهة مشاكل التسليح

**١/٦- المصادر الداخلية لتمويل الثورة بالسلاح (التسليح الذاتي):**

قامت قيادة الثورة في المنطقة الثانية بنشاط كبير في عملية تشجيع الفارين من الجزائريين المجندين في الجيش الفرنسي حيث أقنعتهم بفكرة ضرورة الفرار من الثكنات والمراكز الفرنسية وفي نفس الوقت اشترطت أن يكون الفرار خارج إطار إجازة المجند لأن فراره يعتبر بدون فائدة مادام يكون مجردًا من أسلحته وذخيرته وعلى هذا الأساس كان لزامًا على المجند خلال عملية هروبه أن يكون حاملاً سلاحه وذخيرته إضافة إلى نصيبه من القنابل اليدوية التي منحت له من طرف قيادة الجيش الفرنسي. إلاّ أنه مع مرور الوقت تفطنت الإدارة الفرنسية لهذا النوع من العمليات مع أواخر سنة ١٩٥٥، الأمر الذي دفع بها في نفس الإطار إلى تشديد المراقبة على مخازن الأسلحة والذخيرة في الثكنات والمراكز التابعة للجيش الفرنسي.

وهذا السياق؛ يمكن الإشارة على سبيل المثال لا الحصر إلى عملية فرار كتيبة من الجنود والضباط الجزائريين بقيادة كل من محمد عواشرية،[٤٢] وعبد الرحمن بن سالم،[٤٣] من مركز البطيحة في ٦ مارس ١٩٥٦[٤٤] بعد أن تمكنوا من تصفية الضباط والجنود الفرنسيين الذين كانوا معهم، وقد بلغ عدد الفارين حوالي (١٠٦) مجاهدًا، وتم الاستيلاء على حوالي (٢٠٠) قطعة سلاح من نوع قارة، و(١٣٠) قطعة سلاح من طومسون، و(٧٠) مسدسًا، و(٠٦) مدافع هاون عيار ٨٠ ملم، و(١٢) مدفعًا رشاشًا، و(٠٩) مدافع بازوكا، و(١٠) صناديق من القذائف، و(٤٠) ألف خرطوشة، و(٠٨) أجهزة إرسال، وقد نقلت هذه الأسلحة والذخيرة على ظهور البغال. والجدير بالذكر؛ أن هذا النوع من العمليات انتشر بعد ذلك في كامل التراب الوطني، وهو ما دفع بالإدارة العسكرية الفرنسية إلى أبعاد الجنود الجزائريين من الجزائر إلى أوربا وتعويضهم بجنود فرنسيين.[٤٥]

**٢/٦- المحاولات والجهود الخارجية الأولى لدعم الثورة بالسلاح (المصادر الخارجية):**

كانت النواحي المتاخمة للحدود الجزائرية مع تونس مثل: القالة، والطارف، وسوق أهراس، وعنابة مسرحًا لتحركات مكثفة من طرف ثلة من قادة وإطارات المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) من أجل البحث عن مصادر خارجية لتمويل الثورة بالسلاح لاستدراك التأخر الملحوظ الذي عرفه العمل المسلح عشية انطلاقته في أول نوفمبر ١٩٥٤ في أغلب النواحي التابعة لها. ففي القالة مثلاً نجد بأن الفوج الذي أرسله مصطفى بن عودة إليها بقيادة محمد الهادي عرعار مع نهاية شهر ديسمبر ١٩٥٤[٤٦] لم يقم بأي نشاط ثوري في هذه الناحية، حيث بقي مجمدًا بسبب نقص الأسلحة وانقطاع الاتصال بين عناصر الفوج ومسؤولي المنطقة الثانية. وتجدر الإشارة إلى؛ أن محمد الهادي عرعار قائد الفوج فقد تخلي عن مسؤوليته التي حملته إياها قيادة المنطقة كقائد فوج مسؤولاً عن الناحية إلى أحد جنوده وهو الهاشمي حداد بحجة أن هذا الأخير كان مسؤولاً عليه في مرحلة النضال السياسي.[٤٧] وفي هذه الظروف التحق عمارة العسكري المدعو(بوقلاز) الذي كان مسؤولاً على أفواج الفِداء بمدينة عنابة بعناصر الفوج الذي أرسله مصطفى بن عودة إلى ناحية القالة (بكهف الشهبة، ووادي الحوت).[٤٨]

وبسبب المشاكل والصعوبات التي واجهها النشاط الثوري في ناحية القالة، وعلى رأسها نقص الإمكانيات المادية (السلاح) بدأ التفكير في أنجع الحلول والبدائل الممكنة لتجاوز المرحلة الراهنة بالسعي للحصول عن السلاح والبحث من مصادره في الخارج، وفي هذا السياق يشير المجاهد عمارة بوقلاز. "... فكرنا في الذهاب إلى تونس بنية الاتصال بالوفد الخارجي للثورة الذي كان ينشط بالقاهرة، قصد الحصول على السلاح، وإقامة مراكز على طول الحدود من عين الدراهم إلى مشارف دبداب الليبية.[٤٩] ومع منتصف سنة ١٩٥٥ تم الاتصال بقدماء الثوار التونسيين وبقادة الحزب الدستوري ومسؤولي الطلبة الجزائريين وعلى رأسهم الجنيدي خليفة، وفي سياق هذه المهمة لقي الوفد المبعوث إلى تونس حفاوة واستضافة طيلة شهر رمضان في أحد مراكز الحزب ضواحي تونس العاصمة.[٥٠]

ومن تونس أرسل محمد الهاي عرعار وفدًا مشكلاً من عبد الرشيد يوس، وعاشور السكيكدي إلى ليبيا حيث تمكنا من الاتصال بأحمد بن بلة مسؤول المالية والتسليح في الوفد الخارجي الذي قال لهما، إنّ السلاح متوفر بما في ذلك المدافع، لكن طرح عليهما شرطًا تعجيزيًا تقريبًا؛ وهو أن يتكلفوا بنقل السلاح من ليبيا إلى الحدود الجزائرية على حسابهم وتحت مسؤوليتهم.[٥١] دفعت نتائج هذه المهمة بالمناضل محمد الهادي عرعار إلى انتداب نفسه للذهاب مرة أخرى إلى ليبيا بنية استعمال سابق معرفته بن بلة

وبوضياف لإقناعهما بتمويل عملية نقل السلاح ولو على سبيل القرض، إلاّ أن مساعيه لم تكلل بالنجاح.[٥٢] ويشير بوقلاز في هذا الإطار بأنّ بن بلة أعجب بكفاءة محمد الهادي عرعار وضمه إلى صفوف البعثة في طرابلس لمساعدته هناك، بينما عاد عبد الرشيد يوس بخفي حنين مرة أخرى إلى تونس دون أن يتمكن من أداء المهمة التي أوكلت له مع رفيقه.[٥٣]

وبناءً على هذه المعطيات؛ لم يجد الفوج الذي كان يشرف عليه حداد الهاشمي[٥٤] سوى الاعتماد على نفسه للحصول على الأسلحة، ويضيف بوقلاز حول هذه المسألة أنه تم شراء بعض القطع من الأسلحة من المواطنين في مدينة تونس ومدنين، وعند العودة إلى الجزائر، فضّل حداد الهاشمي البقاء في تونس لضمان عملية تواصل الإمداد بالأسلحة وخلفته على قيادة الفوج الذي رجعت به إلى ناحية القالة بعد شهر رمضان بقليل.[٥٥] لقد كانت قضية التموين بالأسلحة وطبيعة العلاقة مع بعثة الخارج من بين القضايا إثارة في اجتماع قيادة المنطقة الثانية بتمالوس تحضيرًا لهجومات ٢٠ أوت ١٩٥٥، الأمر الذي يدفع الباحث في هذا السياق إلى التساؤل عن خلفية العلاقة وطبيعتها بين قيادة المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) والبعثة الخارجية التي كان يرأسها بن بلة. ومهما يكن من أمر؛ فإنّ زيرود كان يحاول دائمًا عدم إثارة هذا الموضوع وتحفيز المجاهدين على الحصول على السلاح في الداخل مخاطبًا بوقلاز[٥٦] بخصوص مسألة التسليح قائلاً: "إنّ سلاحكم يوجد على أكتاف عدوكم وحذار من الأشخاص الذين يريدون الاستيلاء على أموالنا".[٥٧]

## (٧) دور المنطقة الثانية في ميلاد شبكات تسليح الثورة التحريرية على الجبهة الشرقية

ولدعم شبكة تهريب الأسلحة كلفت قيادة الثورة في سنة ١٩٥٦ ممثلاً عن المنطقة الشرقية إلى طرابلس، وقد كُلف بهذه المهمة المجاهد محمد الطيب بيزار[٥٨] الذي سافر إلى طرابلس واستقبل من طرف محمد الهادي عرعار، وفي بوكمباش على الحدود الليبية التونسية وقع الاتصال بقيادة الثورة، وتم تعيين مجموعة من المجاهدين للقيام بالعملية وهم: (محمد الهادي عرعار: منسق التنظيم - قاضي بشير: مسؤول التنظيم- محمد طالب: مسؤول الشؤون الاجتماعية - جيلالي عوني: مسؤول الاتصال - محمد الطيب بيراز: سؤول النقل).[٥٩] ويضيف المجاهد محمد الطيب بيزار أن عملية نقل الأسلحة من ليبيا تمت عن طريق الشاحنات بمشاركة مجموعة من الثوّار الجزائريين أمثال: بخوش بلخير، وعمر مزهودة، وحسين حشحوش، وقد تمّ اختيار المجموعة وفقًا لعدة معايير من بينها القدرة على سياقة الشاحنات، ومن بين مسؤولي جبهة التحرير الوطني في طرابلس نذكر كل من محمد الهادي عرعار، وقاضي بشير،[٦٠] وطالب محمد، وساكر كمال، وأحمد سليم، وتمت العملية بإشراف قادة الثورة في الخارج وعلى رأسهم أحمد بن بلة، وعلي مهساس.[٦١]

وحول الموضوع نفسه يشير أحد أبرز القادة الذين كلفوا بمهمة إمداد جيش التحرير الوطني بالأسلحة انطلاقًا من بن غازي بليبيا المجاهد عبد المجيد بوزبيد[٦٢] بأن المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) على الحدود التونسية مع نواحي عنابة، قالمة، سدراته على مشارف الأوراس تشكل معبرًا هامًا عمقه (١٢٠) كلف مناسب لمرور الأسلحة والتجهيزات العسكرية وحركة المجاهدين وكتائب الإمداد إلى المناطق الثانية والثالثة والرابعة.[٦٣] انطلق أول فوج من المنطقة الثانية بعد أن شكله المجاهد مصطفى بن عودة في عملية الذهاب والإياب بين تونس والجزائر مع بداية صائفة ١٩٥٦، وقد ضمّ كل من: (علي بوهزيلة، وإسماعيل مخانشة، والطاهر بودربالة، وعبد الرشيد يونس، وغيرهم) وحاولوا الاتصال في تونس بعلي مهساس، وأيت أحسن اللذين كلفهما بن بلة بمهمة إمداد الأسلحة وإيصالها إلى الجزائر، وكذلك بعبد الحي وعبد الكريم هالي، وعباس لغرور.[٦٤]

لقد سجلت وحدات من جيش التحرير الوطني في المنطقة الثانية التي كلفت بمهمة إمداد الثورة بالسلاح بين سنوات (١٩٥٤-١٩٥٦) أكثر من ٥٠٠ رحلة عن طريق هذا المعبر بفضل جهود أحمد بن بلة انطلاقًا من القاهرة وليبيا، ثم على مهساس وعمارة بوقلاز في تونس،[٦٥] وقد أخذت فيما بعد منطقة الاستسلام تسمية القاعدة الشرقية مع نقطة الالتقاء في بلدة الأربعاء في تونس كان برئاسة العقيد عمارة بوقلاز.[٦٦] وعند هذا المقام تجب الإشارة إلى؛ نقطة مهمة تتعلق بصلب هذا الموضوع هي أن عملية الإمداد قبيل الإعلان الرسمي عن تنظيم القاعدة الشرقية (أفريل/ أبريل ١٩٥٧) كانت تحت الإشراف المباشر لأحمد مهساس الذي تولى مهمة التسليح في تونس بتكليف وتنسيق وثيق مع أحمد بن بلة، بعد إزاحة التنظيم السابق بقيادة السعيد عبد الحي، وقد كان هذا التنظيم يقوم بالتنسيق مع المنطقة الأولى (الأوراس) من خلال جهود بن بولعيد ونائبه شيحاني بشير، ثم مع عباس لغرور بعد أسر الأول وتصفية الثاني الذي أصبح حلقة وصل المنطقة مع الوفد الخارجي بواسطة عبد الكريم هالي المساعد الأول لعبد الحي.

وفي خضّم هذه المستجدات بادر المجاهد عمارة بوقلاز رفقة زملائه إلى إقامة مراكز استقبال للسلاح والذخيرة على امتداد نفوذهم على الحدود الشرقية تحسبًا لقدوم قوافل من الداخل طلبًا للأسلحة، وقد بدأت هذه القوافل تتوافد فعلاً الأمر الذي طرح من جهة أخرى مشاكل كبيرة على مسؤولي المنطقة الثانية تطلبت حلول فورية.[٦٧] وفي هذا السياق؛ يشير المجاهد عمارة بوقلاز بأنه تحدث في شهر أوت ١٩٥٥ قبل هجومات الشمال القسنطيني مع زيرد يوسف حول هذه المراكز، لكن قائد المنطقة الثانية لم يخف شكوكه، نتيجة تعثر عملية الإمداد بالأسلحة من طرف الوفد الخارجي إلى درجة أنه حذر من التعامل مع هؤلاء الأشخاص الذين يريدون الاستيلاء على أموال منطقته.[٦٨]

## (٨) الإمكانيات المادية والبشرية للمنطقة الثانية عشية: مؤتمر الصومام (٢٠ أوت١٩٥٦)

بالعودة إلى محاضر جلسات ومقتطفات الوثيقة الأساسية التي أعدّها القادة الحاضرون في المؤتمر، وبعد قراءة التقارير السياسية والعسكرية للولايات (الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة)، يمكن للباحث الوقوف على حجم الإمكانيات المادية (التجنيد- التسليح-الأموال) وأخذ فكرة دقيقة بشكل كاف عن القوى المادية للثورة بعد ٢١ شهرًا من الانطلاقة في كل المناطق العسكرية في الداخل. وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى؛ أن تقرير المنطقة الثانية تم قراءته على مسامع الحاضرين من طرف قائدها زيروd يوسف في أول جلسة للمؤتمر، حيث حاول إعطاء صورة عامة عن الوضعية السياسية والعسكرية في منطقته. وفي هذا السياق يشير التقرير إلى أن التعداد البشري للمنطقة الثانية عشية انعقاد المؤتمر ١٩٥٦ قدر بـ (١٦٦٩) مجاهدًا، و(٥٠٠٠) مسبل، أما بالنسبة للأسلحة والأموال، فقد أشار التقرير إلى (١٣) بندقية رشاش، و(٣٢٥) بندقية حربية منها رشاشات صغيرة، و(٣٧٥٠) بندقية صيد، ورصيد مالي قُدر بـ (٣٠٢) مليون و(٥٠٠) ألف فرنك، وبذلك قُدر مجموع الأسلحة بـ (٤٠٨٨) قطعة متنوعة.[٦٩]

## خاتمة

مما سبق الإشارة إليه في صلب هذا البحث؛ يبدو جليًا للباحث في هذا الموضوع (الواقع العسكري للثورة الجزائرية في المنطقة الثانية - الشمال القسنطيني: ١٩٥٤- ١٩٥٦) الدور الذي لعبته المنطقة الثانية في المرحلة الأولى من عمر الثورة التحريرية، حيث أنها كانت من أقوى المناطق في عملية التحضيرات والتعبئة المادية والمعنوية لاندلاع الثورة التحريرية عشية انطلاقتها في أول نوفمبر١٩٥٤، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهتها في عمليات أول نوفمبر ومشاكل التسليح والشغور في مناصب القيادة، إلا أنها تمكنت من تجاوز الكثير من الأزمات، وتكيفت مع الظروف الحرجة بفضل الدهاء والحنكة السياسية والعسكرية لقائدها زيغود يوسف، الذي تمكن من فك الحصار المضروب على الأوراس من خلال الهجومات التاريخية في ٢٠ أوت ١٩٥٥ التي أثبت من خلالها على استمرارية العمل الثوري وشموليته، وحل مشاكل السلاح، والتحضير لعقد مؤتمر وطني يجمع القيادة الشرعية للثورة الجزائرية سنة ١٩٥٦.

## الهَوامِشُ:

(١) أحسن بومالي، **استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى**، الجزائر ١٩٨٥، ص ٧٦.

(2) Mohamed harbi, *le FLN Mirage et réalité* (désorganise ala pris du pouvoir (1945-1962) Ed J.A: Paris 1980, P. 116.

(٣) **ديدوش مراد (١٩٢٧- ١٩٥٥)** الملقب بسي عبد القادر ولد ديدوش يوم ١٣ جويلية ولد ١٩٢٧ بحي المرادية بالعاصمة، تنتمي أسرة ديدوش مراد إلى منطقة ابسكريين بنواحي أزفون بالقبائل الكبرى، والده كان يملك حمام بالقرب من الكاتدرائية بالقصبة، تحصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٣٩، ثم واصل دراسته بالثانوية التقنية بالحامة العناصر إلى غاية ١٩٤٢، ثم غادر الثانوية التقنية سنة ١٩٤٢، وانتقل إلى قسنطينة لمواصلة دراسته، لكن وفاة والده حالت دون ذلك فعاد إلى العاصمة توظف في هيئة السكك الحديدية التي لم يدم بها طويلاً إذ غادرها سنة ١٩٤٥ ليتفرغ للنشاط السياسي، كما كانت له مهام أخرى تتمثل في تنشئة الشباب عن طريق الكشافة حيث أسس فوج الأمل بقيادة الشهيد ذبيح الشريف. كما عرف بحبه للرياضة وممارستها لها، فكون "فريق سريع مسلمي الجزائر المعروف ب "RAMA" انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري في ١٩٤٣ وهو ابن السادسة عشر ليكون أحد المؤطرين لأحداث الثامن مايو ١٩٤٥ في الجزائر العاصمة ليتولى بعدها الإشراف على أحياء المرادية والمدنية وبئر مراد رايس سنة ١٩٤٦، حضر على غرار وطنيين آخرين في المؤتمر السري لحركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد يوم ١٥ فيفري ١٩٤٧ ببلكور وكان بيته الكائن بحي المرادية ملجأ لمناضلي حزب الشعب الجزائري، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، ومقر لاحتضان الاجتماعات السرية، فالأحداث الدامية التي عرفتها الجزائر أثناء مظاهرات ٠٨ مايو ١٩٤٥ دفعت بحركة انتصار الحريات الديمقراطية إلى إعادة بناء الحزب من جديد. وقد سمحت هذه الفرصة للشهيد ديدوش مراد بلعب دور هام في إعادة تنظيم وإنشاء المنظمة الخاصة "OS" وأصبح من قادتها البارزين، فتولى مناصب هامة ضمن المنظمة الخاصة الجناح المسلح لحركة انتصار الحريات الديمقراطية والتي أوكلت مهمة تأسيسها لمحمد بلوزداد، وفي هذا الصدد كلف بالإشراف على بعض أحياء العاصمة ليعود إلى قسنطينة في ١٩٤٨ حيث نشأ مجموعات شبه عسكرية بصفته مسؤولاً عن المنظمة السرية قبل أن يعين كمسير جهوي للجزائر والبليدة عند اكتشاف المنظمة من طرف العدو في ١٩٥٠.

بدأت السلطات الاستعمارية في عملية البحث عنه باعتباره قائدًا خطيرًا، وحكم عليه غيابيًا بـ١٠ سنوات سجنًا، مما اضطره إلى الدخول في السرية "سي عبد القادر" وهو اسمه الثوري ألقي عليه القبض في وهران، قدم أمام قاضي التحقيق بعدة اتهامات، لكنه تمكن من الفرار. كما قام رفقة مصطفى بن بولعيد بإنشاء نواة لصناعة المتفجرات وهذا في سنة ١٩٥٢، ونظرًا لما يتمتع به من مميزات القائد المحنك، وللظروف غير المواتية، أرسل إلى فرنسا للعمل كمساعد لبوضياف في تنظيم خلايا الحزب. وعند اشتداد الصراع داخل حركة الانتصار والحريات الديمقراطية عاد "سي عبد القادر" إلى الجزائر وأسس مع بعض المناضلين اللجنة الثورية للوحدة والعمل (CRUA) في ١٩٥٤ وصار من محرري جريدة الوطني"Patriote" لسان حال اللجنة الثورية. وخلال صيف ١٩٥٤ شارك في اجتماع ٢٢ التاريخي وأصبح بعدها عضوًا في لجنة الستة، حيث كلف بمهمة الاتصال والتنسيق مع منطقة القبائل. كما كان أحد محرري بيان أول نوفمبر ١٩٥٤ وعند اندلاع الثورة أسندت إليه القيادة في الشمال القسنطيني وبالتالي كان أول قائد لمنطقة الشمال القسنطيني التي أخذت فيما بعد تسمية الولاية الثانية، وفي هذه الفترة بالذات كثف جهوده ضد الاستعمار الفرنسي.

وفي١٨ جانفي/ يناير ١٩٥٥ كان العقيد ديدوش مراد رفقة (١٧) مجاهدًا يحاولون الانتقال من "بني ولبان" إلى دوار "الصوادق" في منطقة السمندو في قسنطينة (زيغود يوسف حاليًا)، توقفوا في وادي بوكركر، ولكن على إثر وشاية أحد العملاء، وجدوا أنفسهم محاصرين بمضلي العقيد "دو كورن" (Ducournan) وبذلك سقط شهيدًا وهو لم يبلغ بعد سن ٢٨ ليكون بذلك أول قائد منطقة يستشهد بساحة الشرف. انظر: **تاريخ الجزائر (١٨٣٠-١٩٦٢)**، القرص المضغوط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة ١ نوفمبر ١٩٥٤. وزارة المجاهدين. الجزائر.٢٠٠٢.

(٤) **زيغود يوسف (١٩٢١- ١٩٥٦):** ولد زيغود يوسف في ١٨ فيفري ١٩٢١، في قرية "سمندو" التي تحمل اليوم اسمه وتقع شمال قسنطينة، انخرط وعمره ١٧ عامًا في حزب الشعب الجزائري، وأصبح سنة ١٩٣٨ المسؤول الأول للحزب بـ "سمندو". بعد انتخابه ممثلاً للحركة من أجل الحريات الديمقراطية، ينتمي للمنظمة الخاصة التي أوكل إليها توفير الشروط الضرورية لاندلاع الكفاح المسلح. سنة ١٩٥٠ تلقي الشرطة الاستعمارية القبض على زيغود يوسف بتهمة الانتماء إلى المنظمة الخاصة إلى غاية ١٩٥٤ تاريخ فراره من سجن عنابة، والتحاقه باللجنة الثورية للوحدة والعمل. في أول نوفمبر ٥٤ كان إلى جانب ديدوش مراد، مسؤول الشمال القسنطيني الذي أصبح يُسمَّى الولاية الثانية حسب تقسيم جيش التحرير الوطني. بعد استشهاد البطل ديدوش مراد يتولى زيغود يوسف خلافته. ومن موقع هذه المسؤولية قام بتنظيم الهجوم الشهير، هجوم ٢٠ أوت ١٩٥٥ الذي كان له أثر كبير في التجنيد الشعبي من أجل معركة التحرير، بعد عام كامل، وفي ٢٠ أوت ٥٦ انعقد مؤتمر الصومام الذي وضع الهياكل التنظيمية للثورة وعُيِّن زيغود يوسف عضوًا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية مع ترقيته إلى رتبة عقيد في جيش التحرير وتأكيده قائدًا للولاية الثانية. بعد عودته إلى الولاية الثانية وشروعه في تنفيذ قرارات المؤتمر، وخلال إحدى جولاته لتنظيم الوحدات العسكرية سقط زيغود يوسف شهيدًا في كمين وضعه العدو يوم ٢٥ سبتمبر ٥٦ وعمره لم يتجاوز ٣٥ سنة، انخرط في سن الرابعة عشر في صفوف حزب الشعب الجزائري. عُيِّن مسؤولاً على قريته سنة ١٩٣٨. ترشح سنة ١٩٤٨ ببلدية سمندو (زيغود يوسف حاليًا) ضمن القائمة الانتخابية لحركة الانتصار وفاز رغم دسائس الاستعمار وأعوانه، وانخرط في المنظمة الخاصة، وأشرف على زرع خلاياها في منطقته، وعند اكتشاف أمر المنظمة ١٩٥٠ سجن مع رفاقه في سجن عنابة، إلا أنه أستطاع الفرار منه والعودة إلى قريته ليبدأ رحلة التخفّي والسرية، سنة ١٩٥٣ ازداد اقتناعه بالعمل المسلّح كخيار وحيد لذلك راح ينظّم المناضلين ويعدّهم ليوم الثورة خاصةً بعد إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل (CRUA)، ومع اندلاع الثورة كان من بين قادتها الأوائل تحت إمرة الشهيد ديدوش مراد الذي خاض معه معركة وادي بوكركر في ١٨ جانفي ١٩٥٥ ، وبعد استشهاد ديدوش مراد في هذه المعركة خلفه زيغود على رأس المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) وواصل بلاءه بتفان حتى جاء صيف ١٩٥٥ أين أشرف على التنظيم والإعداد لهجومات ٢٠ أوت ١٩٥٥ ، التي أعتبر مهندسها الأول والأخير حتى اقترنت هذه الهجومات باسمه.وإلى جانب نشاطه العسكري عرف ببراعته السياسية إذ كان من بين المنظمين الفاعلين لمؤتمر الصومام في ٢٠ أوت ١٩٥٦ وبعد نهاية المؤتمر عاد إلى الشمال القسنطيني ليواصل جهاده إلى أن أستشهد بعد اشتباك مع قوات العدو قرب سيدي مزغيش بولاية سكيكدة وفي يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦. انظر: **تاريخ الجزائر(١٨٣٠-١٩٦٢)**. القرص المضغوط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة ١ نوفمبر ١٩٥٤. وزارة المجاهدين.الجزائر.٢٠٠٢.

(٥) **باجي مختار(١٩١٩- ١٩٥٤):** عضو اللجنة الثورية الموحدة للوحدة والعمل CRUA (١٩٥٤) وقائد في حرب التحرير. ينحدر من عائلة متواضعة، كان أبوه موظفًا في محكمة عنابة ثم بسوق أهراس، ولد يوم ١٧ أبريل ١٩١٩ في عنابة، ثم غادرها قبل سن التمدرس ليستقر في سوق أهراس. بعد دراسته في مدرسة "الأهالي" وحصوله على شهادة نهاية التعليم الابتدائي سنة ١٩٣٤، دخل سنة ١٩٣٦ ثانوية مدينة سوق أهراس التي تحمل حاليًا اسم ابن خلدون وغادرها سريعًا بسبب عنصرية المعمرين تجاه الجزائريين التي جعلته ناقمًا على هذا الوضع انضم إلى ناد رياضي كان، في الحقيقة، تنظيمًا شبه عسكري يقدم تدريبات في شتى الميادين، وفي نفس الوقت كان يتابع دروسًا بالمراسلة، إلى غاية استدعائه لأداء الخدمة العسكرية. تفاداها باللجوء إلى الإضراب عن الطعام لمدة أيام انخرط في حركة الكشافة الإسلامية في أوائل الأربعينيات حتى صار مسئولاً عن فصيلة لمدة ٧ سنوات متوالية بعد نضاله في حزب الشعب الجزائري ابتداءً من سنة ١٩٤٣ ثم في حركة انتصار الحريات الديمقراطية صار عضوًا في المنظمة السرية OS اعتقل في ٢٧ ابريل ١٩٥٠، وحكم عليه بـ ٥ سنوات سجنًا، ثم أطلق سراحه بعد ثلاث سنوات قضاها في سجن الشلف يوم ٢ ابريل ١٩٥٣. ومنذ تسريحه وعودته إلى سوق أهراس انهمك في نشاطات تحسيسية وتحضيرات عسكرية على مستوى النواحي التي كانت واقعة تحت قيادته مثل الونزة وواد كبريت، ومداوروش، وعنابة، ونمامشة، وعين تاحمامين، وبوشقوف. مع اندلاع الثورة أول نوفمبر ١٩٥٤ شارك باجي مختار الذي كان حاضرًا في اجتماع المنظمة السرية المنحلة بهدف تأسيس اللجنة الثورية الموحدة للوحدة والعمل (CRUA)، في عمليات تخريبية كثيرة عبر مناطق الحدود الجزائرية التونسية تحت قيادة ديدوش مراد، وبوصفه مناضلاً في الحركة الوطنية فقد باع جزءًا من ميراثه لشراء الذخيرة، وبعد الاجتماع عاد، حسب المصدر نفسه إلى سوق أهراس، حيث واصل تدريباته وتجميع الأسلحة التي كانت بحوزة المواطنين. اعتقل يوم ٣٠ أكتوبر وهو في طريقه إلى عنابة للحصول على خرائط مختلف الخطوط السكك الحديدية، تمكن من الفرار من قبضة العدو في ذلك اليوم لم يكن في الموعد مع ديدوش مراد الذي قام بذاته بتوزيع بيان أول نوفمبر في ٢ نوفمبر شارك في تخريب جسر عين سنور بالقرب من سوق أهراس، وفي تخريب منجم الناظور بقالمة وفي تحريف القطار الرابط بين الجزائر وتونس عن سكته. وعندما عاد إلى جبال بني صالح، في ولاية قالمة وعلى إثر عملية تمشيط قام بها الجيش الفرنسي في منطقة مجاز الصفا، حيث توجد مزرعة "دالي بن شواف" ستشهد المقاتل باجي مختار يوم ١٨ نوفمبر ١٩٥٤ مع رفاقه في السلاح محمد الطرابلسي ومحمد بناني مسعود عنتر. انظر: **تاريخ الجزائر (١٨٣٠ - ١٩٦٢)**.القرص المضغوط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة ١نوفمبر ١٩٥٤. وزارة المجاهدين.الجزائر.٢٠٠٢. وانظر أيضًا: عاشور شرفي، **قاموس الثورة الجزائرية (١٩٥٤ - ١٩٦٢)**، ترجمة عالم مختار، دار القصبة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٥٧،٥٨.

(٦) **الأخضر** جودي بو الطمين، **لمحات من ثورة الجزائر**، ط٢، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٧، ص ٢٣.

(٧) مراد صديقي، **الثورة الجزائرية، عمليات التسلح السرية**، ترجمة أحمد الخطيب، مكتبة الحياة، بيروت (د.س.ن)، ص ٢٨، وانظر أيضًا: مصطفى هشماوي، **جذور نوفمبر ١٩٥٤ في الجزائر (دراسة)**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر. مطبعة هومة.٢٠٠٢، ص ١٠٤.

(٨) **بن طوبال سليمان (١٩٢٣-٢٠١٠):** (اسمه الحقيقي) والمعروف اختصارًا باسمي الأخضر، وعبد الله. ولد سنة ١٩٢٣ بميلة (٤٥٠ كيلومترًا شرق العاصمة الجزائرية)، بدأ العمل السياسي في صفوف حزب الشعب خلال الحرب العالمية الثانية.عند تأسيس المنظمة السرية (الجناح العسكري لحزب الشعب) في ١٩٤٧ كان بن طوبال أحد أعضائها البارزين إلى غاية

اكتشافها وتفكيكها في (آذار/مارس) ١٩٥٠ وأضحى مطلوبًا من السلطات الاستعمارية. وفي هذه المرحلة الحاسمة تعرف بن طوبال على البطل مصطفى بن بولعيد، ورفيقيه شيحاني، وعاجل عجول، والذين سيكون لهم شأن كبير خلال الثورة في هذه المنطقة. وعند تأسيس "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" كمرحلة تمهيدية لإعداد الثورة المسلحة، وبروز حتمية عقد لقاء للنظر في الوضعية التي وصلت إليها البلاد، وجه المجاهد والرئيس الأسبق محمد بوضياف نداء لبن طوبال لحضور الاجتماع التاريخي الذي احتضنه منزل المناضل "إلياس دريش" في حي المدنية في العاصمة، ليصبح بن طوبال أحد أفراد مجموعة الـ٢٢ التاريخية التي اتخذت في لحظة حاسمة من تاريخ الأمة الجزائرية قرار تفجير الثورة وإعلان العصيان العام. وخلال الثورة كان بن طوبال مسؤولاً عن منطقة العمليات القتالية في ولايات شرق البلاد، وكان أحد مهندسي هجمات الشمال القسنطيني في ٢٠ آب/أغسطس ١٩٥٥ التي أحدثت ارتباكًا لدى القوات الاستعمارية. وعندما تقرر عقد مؤتمر الصومام في ٢٠ آب/أغسطس ١٩٥٦ كان بن طوبال أحد المشاركين في هذا المؤتمر الذي جاء لتنظيم الثورة الجزائرية، وعين كذلك عضوًا مستخلفًا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وتولى قيادة الولاية الثانية في سبتمبر ١٩٥٦ بعد استشهاد قائدها يوسف زيغود، تولى بن طوبال بعد ذلك عدة مسؤوليات خلال الثورة، أبرزها عضو الحكومة الجزائرية المؤقتة. كما كان ضمن الوفد الذي شارك في مفاوضات إيفيان التي أفضت إلى استقلال الجزائر في ١٩٦٢. وشكّل بن طوبال، إلى جانب كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوصوف، ما يُعرف باسم (الباءات الثلاث) والذين نسبت لهم الكثير من الأشياء خلال الثورة، من ضمنها تصفية المجاهد رمضان عبان والإعلان عن سقوطه في ميدان الشرف، قبل أن يتبين أنه كان ضحية صراعات وتصفيات حسابات خلال الثورة. توفي يوم ٢٣ أوت ٢٠١٠. انظر: **تاريخ الجزائر(١٨٣٠-١٩٦٢)**.القرص المضغوط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة ١نوفمبر ١٩٥٤. وزارة المجاهدين. الجزائر. ٢٠٠٢. وأيضًا: الموقع على شبكة الانترنت:

http://4non.net/news189.html-23/01/2012

(٩) محمد حربي، **جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع**، الجزائر (١٩٥٤-١٩٦٢) ترجمة، كميل قيصر داغر، ط١، دار الكلمة للنشر، بيروت ١٩٨٣، ص ١١٤. وأيضًا:

Mohamed harbi, Op.Cit, P. 127

(١٠) إن ضعف انطلاق الثورة بالشمال القسنطيني غالبًا ما يفسر بالارتباك الذي طرأ في صفوف الهيئة الأولى لقيادة الثورة. والملاحظ أن المسألة كانت تتعلق في جوهرها بالظروف الإستعجالية التي تمت من خلالها مباشر العمل المسلح والتي لم تتح لمختلف نواحي المنطقة الثانية الفرصة كحشد الرجال وجمع السلاح، كما لعبت أيضًا عوامل التهاون والتقصير عند بعض القادة دورًا هامًا في عدم مسايرة المنطقة الثانية لكل من الأوراس والقبائل.

(١١) محمد لحسن أزغيدي، **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية (١٩٥٦-١٩٦٢)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٦، ص ١٢٣، وأيضًا:

DjerbeL Daho, le 1er Novembre 1954 l'événement et saportée in la nuit rebelle. Édition la tribun, novembre. Alger.2004., p 127-128.

(١٢) أحسن بومالي، المرجع السابق، ص ٨٠.

(١٣) الأخضر جودي بو الطمين، **لمحات من ثورة الجزائر**، ط٢، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ١٩٨٧، ص ٢٣.

(14) M. Harbi, Op.Cit, p 127. *See also*: Gilbert meynier, Histoire intérieure du FLN 1954-1962, Ed casbah, Alger, 2003, P. 279.

(١٥) **كافي علي (من ٧ أكتوبر ١٩٢٨ إلى ١٦ أبريل ٢٠١٣)**: الرئيس الخامس للجزائر منذ الاستقلال. ولد في ٧ أكتوبر ١٩٢٨ ببالحروش بولاية سكيكدة. من عائلة ريفية تنتمي إلى الزاوية الرحمانية بدأ دراسته بالمدرسة الكتانية في قسنطينة بعد حفظه للقرآن على يد والده وكان معه بالمدرسة هواري بومدين. انتقل إلى جامعة الزيتونة بتونس سنة ١٩٥٠ لاستكمال دراسته. عاد للجزائر سنة ١٩٥٢ ليدخل في الحياة السياسية بعد طرده من طرف السلطات الفرنسية مع مجموعة من زملائه. كان عضوًا في حزب الشعب وساهم بالنضال فيه حتى أصبح مسؤول خلية ومن بعدها مسئول مجموعة. وفي ١٩٥٣ عُين مدرسًا من طرف حزبه حزب الشعب الجزائري في مدرسة حرة بسكيكدة. ساهم في الثورة الجزائرية منذ اتصاله بديدوش مراد في نوفمبر ١٩٥٤، وكانت بداية مشاركته على مستوى مدينة سكيكدة وبعدها التحق بجبال الشمال القسنطيني. وشارك في معارك أوت ١٩٥٥ تحت قيادة زيغود يوسف.في أوت ١٩٥٦ شارك في مؤتمر الصومام حيث كان عضوًا مندوبًا عن المنطقة الثانية. قام بقيادة المنطقة الثانية بين أعوام ١٩٥٧ و ١٩٥٩. وفي مايو ١٩٥٩ التحق بتونس حيث دخل في عداد الشخصيات العشر التي قامت بتنظيم الهيئتين المسيرتين للثورة (الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والمجلس الوطني للثورة الجزائرية). عند استقلال الجزائر في ١٩٦٢ أصبح قائدًا عسكريًا برتبة عقيد. وبعد الاستقلال عُين سفيرًا للجزائر في تونس ثم مصر وبعدها سوريا ولبنان والعراق وإيطاليا وفي عهد الشاذلي بن جديد أنهيت مهام علي كافي الدبلوماسية. عيّن أمينًا عامًا للمنظمة الوطنية للمجاهدين سنة ١٩٩٠. وفي ١٤ يناير ١٩٩٢، عين عضوا في المجلس الأعلى للدولة المكون بالإضافة له من علي هارون ،خالد نزار و تيجاني هدام ثم صار رئيسًا له في ٢ جويلية إثر عملية اغتيال الرئيس محمد بوضياف. دامت فترة قيادته للدولة الجزائرية عبر المجلس الأعلى للدولة لغاية تسليمه السلطة لليامين زروال في ٣٠ جانفي ١٩٩٤. وبنهاية مهام المجلس الأعلى للدولة ابتعد علي كافي عن الأنظار ولم يتدخل لا في السياسة ولا في الإعلام بتصريحات، وابتعد كليًا عن النظام السّياسي في الجزائر، عاد للواجهة الإعلامية والسياسية بعد طبعه مذكراته التي نشرها سنة ١٩٩٩ في كتاب تحت عنوان "**مذكرات الرّئيس علي كافي: من المناضل السّياسي إلى القائد العسكري، ١٩٤٦-١٩٦٢**"، وقد تناولت مذكرات الرئيس علي كافي أسباب قيام ثورة نوفمبر والصراع الذي قام بين المصاليين والمركزيين ويعتبر أن الانطلاقة الحقيقية للثورة كانت في ٢٠ أوت ١٩٥٥. وافته المنية يوم ١٦ أفريل ٢٠١٣. انظر: **تاريخ الجزائر(١٨٣٠-١٩٦٢)**. القرص المضغوط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة ١ نوفمبر ١٩٥٤. وزارة المجاهدين.الجزائر.٢٠٠٢.

(١٦) علي كافي، **مذكرات علي كافي (١٩٤٦-١٩٦٢)**، دار القصبة، الجزائر، ١٩٩٩، ص ٩٣.

(١٧) يوسف مناصرية، **"تمركز قوات جيش التحرير الوطني على الحدود الجزائرية المغربية من خلال الوثائق الفرنسية (١٩٥٦-١٩٦٠)"**، في مجلة عصور، يصدرها مخبر البحث التاريخي، مصادر وتراجم، عدد ٦-٧، جامعة وهران، جوان- ديسمبر ٢٠٠٥. ص١٢٢.

(١٨) عبد النور خيثر، **تطور مؤسسة قيادة الثورة التحريرية (١٩٥٤-١٩٦٢)**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥-٢٠٠٦، ص٢٥٥.

(١٩) لجنة الستة.

(٢٠) علي العياشي، **"لقاء مع المجاهد عمارة بوقلاز"**، لمجلة أول نوفمبر عدد ١١٢- ١١٣ جانفي، فيفري ١٩٩٠. ص٨. وأيضًا، زبير بوشلاغم، "**حقائق وأضواء على عملية الإعداد للثورة في ناحية القالة**" مجلة أول نوفمبر عدد ١٤٣ – ١٩٩٣، ص ٢٢.

(٢١) للمزيد من التفاصيل حول ملابسات هذه القضية انظر: شهادة عبد السلام حباشي في جريدة الشروق اليومي. "**لماذا اختلفت جماعة قسنطينة مع بوضياف**"، يوم ٠٩ جوان ٢٠٠٣، ص ٠٧.

(٢٢) مقابلة شخصية لي معه على هامش الملتقى الوطني الأول حول إطارات الثورة التحريرية المنعقد بالمتحف الوطني للمجاهد أيام ٣، ٤، ٥ نوفمبر ١٩٩٧.

(٢٣) رغم التحضيرات الجيدة في منطقة سوق أهراس إلاّ أنه لم تسجل أية عملية عسكرية ليلة أول نوفمبر ١٩٥٤. انظر: "**شهادة المجاهد بوبكر بن زينة**" لمجلة أول نوفمبر، عدد ٨ نوفمبر ١٩٨٧، ص ٢٣.

(٢٤) علي العياشي، "**لقاء مع المجاهد عمارة بوقلاز**" لمجلة أول نوفمبر عدد ٢١٣، جانفي، فيفري ١٩٩٠، ص ٣٨. وتجدر الإشارة إلى؛ أنه على إثر هذه العملية أستشهد باجي مختار في معركة غير متكافئة بناحية مجازا الصفا يوم ١٨ نوفمبر ١٩٥٤ بعد عمليات استهدفت خطوط السكة الحديدية بين المشروحة وعين تاحميمين.

(٢٥) مجلة أول نوفمبر، عدد ٩٤- ٩٥ سنة ١٩٨٨، ص ٧٩.

(٢٦) **جبار عمر (١٩٣٠-١٩٥٦):** ولد جبار عمر بمنطقة "الهمامة" ناحية سوق أهراس سنة ١٩٣٠ من أسرة فلاحية فقيرة، ولما بلغ من العمر١٢ سنة انتقلت عائلته إلى مدينة الونزة، وفيها دخل أحد الكتاتيب القرآنية ليحفظ ما تيسر له من القرآن الكريم، ثم اضطر إلى العمل فاشتغل عند تجار المدينة مساعدًا، ثم عمل تاجرًا متجولاً وبعد مدة تحصل على وظيفة في منجم الونزة، دخل معترك الحياة السياسية سنة ١٩٥٢،حيث انخرط في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح جبار عمر عضوًا نشطًا وفعالاً في صفوف الحزب بالونزة، وقبيل اندلاع الثورة التحريرية تكثّفت نشاطات جبار عمر في إطار الاستعداد والتهيئة لإعلان الثورة، فسعى بمعية الطاهر الزبيري وحواسنية موسى وغيرها إلى التحضير للثورة في الونزة وقد شمل:

- تكثيف التدريبات العسكرية للمناضلين وكانت تشمل التدريب على استعمال السلاح وكيفية مواجهة العدو، وطرق الهجوم، والدفاع وكذلك استكشاف الطرق والجبال والوديان الموجودة في المنطقة.
- إحصاء الأسلحة الموجودة عند المناضلين للرجوع إليها عند الحاجة.
- إقامة المخابئ ومراكز التموين.
- ربط الاتصالات بالثوار التونسيين، وفي هذا النطاق وبأمر من قيادة الجهة قام جبار عمر بربط الاتصال مع كل من الساسي لسود وعبد الله بن زعير وهما من قادة الثوار التونسيين، وذلك في شهر أوت ١٩٥٤، وكان هذا الاتصال هو الأول من نوعه الهدف منه هو اطلاع الثوار التونسيين عن تحضير المناضلين الجزائريين للقيام بثورة مسلحة ضد العدو الفرنسي مما يستدعي توقف التونسيين عن أخذ أسلحة المواطنين الجزائريين وذلك للاستفادة منها عند إعلان الثورة، وفي نفس الوقت ثم الاتفاق مع الثوار التونسيين على تقديم مختلف المساعدات لهم وعلى اللجوء إلى الأراضي الجزائرية عند الحاجة. كما كانت له اتصالات مع باجي مختار للتحضير للثورة في منطقة سوق أهراس – الونزة – وأشرف جبار عمر على تكوين ١٥ خلية عسكرية سرية بناحية الونزة كانت على استعداد تام لمباشرة الثورة وقد قرر جبار تأخير عمليات أول نوفمبر بالونزة – بأمر من ديدوش مراد بسبب إلقاء القبض على باجي مختار – إلى يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٤ حيث تم الهجوم على المراكز الفرنسية المتواجدة بالونزة ،بقيادة جبار عمر وفي يوم ١٠ نوفمبر خاض مع مجموعة من مجاهدي الناحية معركة مزوزية قرب مرسط ضد القوات الاستعمارية وبعد استشهاد باجي مختار في ١٨ نوفمبر ١٩٥٤، تولى جبار قيادة ناحية سوق أهراس التي أصبحت تابعة للأوراس، واستطاع تنظيمها وقيادتها وأعطى فيها الثورة دفعًا قويًا، وفي أكتوبر ١٩٥٥ أرسل شيحاني بشير الوردي قتال على رأس حوالي ٢٠ مجاهدًا لتدعيم جبار عمر، وخلال هذه الفترة ونتيجة استشهاد باجي مختار في ١٨ نوفمبر ١٩٥٤ أوفدت قيادة منطقة الأوراس مجموعة من المجاهدين على رأسهم أحمد الأوراسي للاطلاع على سير الأمور بالمنطقة فوقعت عدة اتصالات بينهم وبين جبار عمر من أجل تنسيق العمل الثوري، وقد أدى هذا إلى إعطاء دفع قوي للنشاط العسكري بالجهة الشرقية، خاصةً وأن الاتصالات المكثفة لجبار عمر وجنوده بمواطني المنطقة قد أثمر في تعميق تعاون هؤلاء مع المجاهدين والثورة وهذا ما ساعد بدوره على تكثيف العمليات العسكرية في نهاية ٥٤ وسنة ٥٥ ومن بين هذه العمليات:

- **اشتباك ١١ ديسمبر** ١٩٥٤، وقد استهدف القضاء على وحدة من قوات العدو في خنقة معيزة، وأبلى المجاهدون في هذا الاشتباك البلاء الحسن وتمكنوا من القضاء على عدد من جنود العدو واستشهد أثناء ذلك المجاهد جبار بلقاسم.
- **معركة جبل سيدي أحمد**، وقد جرت وقائع هذه المعركة يوم ٩ جانفي ٥٥ وهي من أهم المعارك التي جرت خلال هذه الفترة في منطقة الونزة واستمرت يوما كاملا وكانت وحدة المجاهدين تتألف من ١٤ مجاهدًا على رأسهم جبار عمر بينما كان العدو في عدد كبير من قواته المدعمة بالطيران والمدفعية والدبابات والمدرعات رغم الكثافة العددية لقوة العدو وحاصرته لمختلف جهات جبل سيدي أحمد الذي جرت به المعركة، إلا أن المجاهدين قد تمكنوا من صد العدو ومقاومته طيلة ذلك اليوم، وأحدث خسائر جسيمة في صفوفه وفي هذه المعركة أثبت جبار عمر على مدى ما يتمتع من إمكانيات في قيادة المعارك وتوجيهها وفي تحويل المواقف الصعبة والحرجة لصالح المجاهدين وقد استشهد في هذه المعركة كل من: (عمار النايلي، ومحمد بن سودة) وهما مجاهدان من منطقة مداوروش، ونتيجة الحصار المحكم والتطويق الذي ضربه العدو حول مواقع المجاهدين بالجبل فقد وقع في الأسر كل من: (الطاهر الزبيري، ومشري لخضر، وحركاتي محمد، وجبار الطيب). وتمكن باقي المجاهدين من الخروج من المعركة. وبالإضافة إلى المعارك فقد قامت مجموعات جبار عمر بتنفيذ عدة عمليات فدائية، كعملية إحراق حافلة مارينو وعمليات الردع التي استهدفت الخونة ومزارع المعمرين. وفي سبتمبر ٥٥ ومن أجل إيجاد حل لبعض المشاكل التي كانت تعاني منها منطقة سوق أهراس وخاصةً نقص الأسلحة لدى المجاهدين، فقد قرر جبار عمر الذهاب إلى الأوراس لاتصال بمصطفى بن بولعيد وعرض الأمر عليه من أجل الحصول على بعض الأسلحة التي كانت تدخل الأوراس عن طريق تونس وليبيا، ورافق جبار عمر في هذه المرحلة كل من جلالية محمد المدعو الحاج لخضر، ومحمد لخضر، والحاج عبد الله، وأحمد النايلي، وعندما وصل جبار عمر الأوراس علم بأن بن بولعيد قد ألقت عليه سلطات العدو القبض في بن قردان فاتصل بعمر بن بوالعيد وقدم له عرض حال حول منطقة سوق أهراس والمشاكل التي تعاني منها، وفي الوقت نفسه، قدم له مبلغًا من المال. وبعد ١٥ يومًا عاد جبار عمر إلى سوق أهراس فبدأ في تنفيذ التعليمات الجديدة فقام في البداية بتقسيم المنطقة إلى نواحي عسكرية. وعين على رأس كل ناحية قائدًا وذلك على النحو التالي:

- ناحية الونزة بوخضرة تحت قيادة السبتي بومعراف.
- ناحية ويلات والخضارة تحت قيادة جلالية محمد المدعو الحاج لخضر.
- ناحية تيفاش تحت قيادة سرين محمد لخضر.
- ناحية أولاد بشيح تحت قيادة نوبلي الزين.

وكانت الأوامر المقدمة لكل ناحية هي محاولة الحصول على أكبر عدد ممكن من قطع السلاح لتقوية الثورة بها، وفي الوقت نفسه تموين المراكز الشعبية بالمؤونة والأدوية وما إلى ذلك، وبالموازاة مع التنظيم العسكري كان هناك تنظيم سياسي مهمته الأساسية التعبئة الشعبية وتنوير الرأي العام في الدواوير والقرى.

وفي أكتوبر من السنة نفسها جاء اتصال من الأوراس بعقد اجتماع مع شيهاني بشير لتوحيد النظام السياسي والعسكري في المنطقة، فذهب جبار عمر إلى الأوراس وفي المكان المسمى الجديدة التقى بشيهاني بشير وعقد الاجتماع هناك، لمدة أيام حضرته نواحي تبسة وخنشلة وحنقة سيدي ناجي، كما حضره عبد الله نواورية، وحسب المجاهد حواسنية موسى فإن الاجتماع قد درس عدة نقاط أهمها: التنظيم السياسي والعسكري والتموين والإعلام والاتصال، وقد قدم خلال ذلك كل مسؤول عرض حال عن المنطقة التي يتواجد بها، وفي هذا الاجتماع عُين جبار عمر رسميا مسؤولاً عن منطقة سوق أهراس التي تمتد من خط السكك الحديدية قرب عنابة إلى الكويف، وعُين المجاهد حواسنية موسى نائبًا له، بينما عين المجاهد عبد الله نواورية مسؤولاً على نواحي قالمة. وفي هذا الاجتماع طلب جبار عمر من شيهاني بشير تزويده بالأسلحة، فرد عليه هذا الأخير بأنه عليه أن ينتزعها من أيدي العدو لأن الأوراس تعاني من المشكل نفسه، وقال له بأنه سيرسل في فترة لاحقة فرقة من المجاهدين لتدعيم الثورة بجهة سوق أهراس، وكان هذا آخر اجتماع يحضره شيهاني بشير مع قادة النواحي إذ أنه استشهد حسب بعض الروايات في الشهر التالي أي نوفمبر ١٩٥٥. وفي الشهر نفسه وإثر عودة جبار عمر إلى المنطقة أرسل شيهاني بشير كما وعد بذلك مجموعة من ٢٠ مجاهدًا تحت قيادة الوردي قتال وفي مركز رمضان لعبيدي على بعد حوالي ١٠ كلم شرق مدينة سوق أهراس تم الاتصال مع جنود المنطقة فقدم لهم جبار عمر دليلاً لمساعدتهم على تفقد المنطقة واستطلاعها، وعندما جابوا عدة نواحي استقروا بأولاد بشيح وتمركزوا بها وكان الاتصال شبه دائم بينهم وبين جنود المنطقة.

في هذه الفترة عمل جبار عمر على تصعيد العمليات العسكرية ضد قوات العدو، ولهذا الغرض كان دائم التنقل بين نواحي المنطقة للإشراف على تخطيط العمليات العسكرية، وكان يحث المجاهدين على شن الهجومات ضد العدو الفرنسي ومراكزه لبث الرعب في صفوفه والاستيلاء على أسلحته، وكان يقول لمرافقيه إذا لم نقم بمعركة واحدة على الأقل في الأسبوع فإننا نعتبر لم نقم بالواجب ولهذا فقد حصرت مختلف نواحي سوق أهراس على تنفيذ العديد من العمليات العسكرية والهجومات ضد العدو، وكانت جبال المنطقة كبني صالح وأولاد ضياء وأولاد موسى وويلان والواسطة وسيدي أحمد، وبوصالح، وبوعمود، وبوسسو، والنبايل وغيرها مسرحًا للعديد من المعارك والكمائن التي تصدي فيها المجاهدون بكل بطولة لجحافل الاستعمار ولته الجهنمية، من بينها المعارك الونزة وبوسبعة والدهوارة وغيرها، ورغم الخلاف الذي نشب بين الوردي قتال وجبار عمر حول قيادة المنطقة فقد سارت الثورة في سوق أهراس بكل قوة وثبات.

وعندما تمت عملية الهروب من سجن الكدية عاد الطاهر الزبيري إلى سوق أهراس واتصل بجبار عمر فأخبره هذا الأخير بالخلاف الموجود في المنطقة فاقترح الزبيري عليه الذهاب إلى بن بولعيد لعرض الأمر عليه، وبعد أيام قليلة أرسل الوردي قتال اتصالاً إلى جبار عمر أخبره بأن القيادة في الأوراس تطلب منه الذهاب إلى الأوراس لملاقاة مصطفى بن بولعيد، وفي شهر فيفري تنقل جبار عمر إلى الأوراس وكان معه (١٣) مجاهدًا من بينهم نائبه حواسنية موسى، والطاهر الزبيري، وعبد الله نواورية، وسلك طريق الونزة ومزوزية، بينما ذهب الوردي قتال مع مجموعته المتكونة من (٢٠) مجاهدًا من جهة سدراته كان على الجميع الاتصال بسي مصطفى بن بولعيد في الحمامات بالأوراس وبعد أن طلب الوردي قتال من جبار عمر أن يأمر الطاهر الزبيري وفوج المجاهدين بالعودة إلى المنطقة بحيث لا يبقى سوى جبار عمر نفسه ونائبه حواسنية موسى وعبد الله نواورية، اعترض جبار على ذلك لكنه رضخ تحت إلحاح الطاهر الزبيري، وبذلك عاد

الطاهر الزبيري، وبذلك عاد الطاهر الزبيري ومعه (١٠) مجاهدين إلى منطقة سوق أهراس وواصل جبار عمر ونائبه ونواورية مع الوردي وجماعته التنقل إلى الأوراس، ولما بلغوا الحمامات كان مصطفى بن بولعيد لم يصل بعد إلى المنطقة، فاستقبلهم عجول الذي قال بأن تأخر سي بن بولعيد ناتج عن الحصار الذي ضربه العدو حول الشمال القسنطيني والممتد إلى الأوراس،وطلب منهم الانتظار ريثما يأتي، وبعد أسبوع وكان ذلك في بداية مارس ٥٦ جاء مصطفى بن بولعيد إلى الحمامات واجتمع بالوفود التي جاءت إليه، وعقد اجتماعًا حضره سيدي حنى، نواورية عبد الله ووفد من منطقة القبائل وفي هذا الاجتماع طلب سي مصطفى من الوفود أن تقدم له عروض حال حول المناطق، ويذكر المجاهد حواسنية موسى أنه لما وصل الدور إلى جبار عمر ليقدم تقريره قال له سي مصطفى بأنه سعيد به وفخور بخصاله الحميدة في المنطقة الشرقية، وقال له بأنه كان يعتقد أن يجد جبار عمر كبير في السن، بينما هو لازال شابًا صغيرًا، ومع ذلك فقد زعزع فرنسا وخذلها في عدة مواطن ثم سأل عن الطاهر الزبيري فاخبره جبار عمر بالقصة فقال له سي مصطفى بأن له ثقة كبيرة في الطاهر الزبيري وعليه أن يستعين به في دفع الثورة في المنطقة، ثم طرح جبار عمر الخلاف الموجود بينه وبين الوردي قتال فقال له سي مصطفى بأنه سيأتي إلى سوق أهراس لتسويته.

وفي يوم ٨ أو ٩ مارس عاد جبار عمر والوردي قتال ومن معهما إلى منطقة سوق أهراس وبدأ جبار عمر تنفيذ التعليمات الجديدة المتمثلة في تكثيف العمليات العسكرية ضد قوات العدو وتصعيد العمليات الفدائية ضد المراكز الاقتصادية وتعبئة المواطنين، وبينما كانت تلك الأعمال تجري على قدم وساق اتصل الوردي قتال بجبار عمر، وطلب منه حضور اجتماع في أولاد بشيح ويقول المجاهد حواسنية موسى بأنه ذهب هو وجبار عمر ونوبلي الزين وعند وصولهم إلى أولاد بشيح أمره قتال الوردي بالعودة إلى الأوراس، وفي الطريق سمع أن جبار قد استشهد، وقد كان ذلك بسبب الخلاف الذي استفحل بعد مدة قصيرة بين جبار والوردي، انتهى بتصفية جبار في يوم ١١ أفريل ١٩٥٦. انظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، **من شهداء الثورة**، من منشورات أول نوفمبر، مطبعة، هومة، الجزائر،٢٠٠١. ص٧٧- ٨٩.

(27) Zdaravko Pecar, Alger Témoignage d'un reporter Yougoslave sur la guerre d'Algérie, Entreprise Nationale du Livre, Alger 1987, p34-52.

(٢٨) الزوبير بوشلاغم، "**زيغود يوسف في الذكرى الثلاثين لاستشهاده**"، مجلة أول نوفمبر العدد ٧٨، سنة ١٩٨٦، ص ٣٦.

(29) Mohamed Teguia, l'Algérie en guerre (1954 - 962), Office des publication universitaires Alger, 1988, P. 221- 222.

(٣٠) علي كافي، **مذكرات علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكر (١٩٤٦ – ١٩٦٢)**، الجزائر ١٩٩٩، ص ٧٧.

(31) Mohamed Teguia. Op.Cit, p221- 222.

(٣٢) المتحف الوطني للمجاهد، **الشهيد زيرود يوسف**، سلسلة رموز الثورة الجزائرية ١٩٥٤- ١٩٦٢، دار هومة. الجزائر٢٠٠١، ص ٨١.

(٣٣) علي كافي، المصدر السابق، ص ٧٨- ٨٠.

(٣٤) **العسكري عمارة (١٩٢٥-١٩٩٦)**: المدعو بوقلاز من مواليد ١٩٢٥، بضواحي عنابة، بعد ما أنهى دراسته الابتدائية وحفظ القرآن في الزّوايا، انخرط في سلاح البحرية الفرنسية، وعمره لا يتجاوز السّادسة عشر في سنة ١٩٤٤. انضم إلى الخلايا السّرية لحزب الشّعب الجزائري، وهو ما يزال ضمن القوّات الفرنسية المتواجدة بتونس. مع بداية الثّورة، كُلف بتنظيم جهاز الاستعلامات والفداء بعنابة، وبعد اكتشاف التنظيم التحق برفاقه بنواحي القالة. وفي خريف ١٩٥٥، أصبح مسؤولاً على ناحية القالة، وبني صالح ومساعدًا للمناضل عمار بن عودة. بعد مؤتمر الصّومام أصبح مسؤولاً على ناحية سوق أهراس ومعظم النّاحية الثّانية، والتي المنطقة عرفت فيما بعد

"بالقاعدة الشرقية" وفي أواخر ١٩٥٦ أصبح عضوًا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية في (أوت ١٩٥٧)، وعقيدًا بصفته قائدًا "للقاعدة الشرقية". ومع بداية ١٩٥٨ أصبح عضوًا في قيادة العمليات العسكرية (C.O.M) كرئيس للمكتب الثالث، في٩ نوفمبر ١٩٥٨وضعت لجنة التنسيق والتنفيذ حدًا لتجربة لجنة التنظيم العسكري للشرق الجزائري وعزلته عن كل نشاط وأبطلت رتبته كعقيد وبعثته إلى العراق. تحول إلى رجل أعمال بعد الاستقلال، كما انتخب أمين وطني ممثلاً للقاعدة الشرقية، توفي يوم ١٤ أكتوبر ١٩٩٦. انظر: محفوظ سعد الله، **"لقاء مع المجاهد عمارة بوقلاز"**، مجلة الجيش، عدد ٣٤٦، نوفمبر١٩٩٣، ص٤٠. وأيضًا: عاشور شرفي، **قاموس الثورة لجزائرية (١٩٥٤-١٩٦٢)**، ترجمة عالم مختار، دار القصبة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٩٦.

(٣٥) تقع تمالوس بضواحي سكيكدة.

(٣٦) علي العياشي، المرجع السابق، ص ١٢.

(٣٧) عثمان الطاهر عليه، **العقيد عمارة بوقلاز: نبض القاعدة الشرقية يتحدث**، جريدة السلام يوم ٠٢ نوفمبر ١٩٩١، ص ٧ ، ٨.

(38) Jacques Du chemin, histoire du FLN, Ed: de table ronde, Paris 1962, P.100.

(٣٩) **شهادة المجاهد عمار بن عودة**، في الملتقى الأول حول خطي شال وموريس ولاية الطارف، أيام ٢٠- ٢١- ٢٢ فيفري ١٩٩٨ (شريط سمعي بصري رقم٠٢) في مكتبة المتحف الوطني للمجاهد.

(٤٠) كانت تكلفة تلك الهجومات باهظة فيما بعد بفعل ردود الفعل الاستعمارية القمعية التي تعرض لها سكان الريف في مختلف مناطق الشمال القسنطيني ويعترف بن طوبال بذلك قائلاً بأن التضحيات في صفوف الجزائريين كانت باهظة جدًا على إثر تلك الهجومات. انظر: **شهادة عبد الله بن طوبال**، لمجلة الباحث، يوليو ١٩٨٧، ص ٢٠٧.

(41) Le Monde N° 3298 – 01/09/1955, P.3.

وانظر أيضًا: محمد حربي، **جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع**، المصدر السابق، ص ١١٤، وأيضًا خليفة الجندي، **حوار حول الثورة**، ج٠١، المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام، الجزائر ١٩٨٦، ص ٢٦٤.

(٤٢) **عواشرية محمد (١٩٢٧- ١٩٥٩)**: ولد محمد الطاهر عواشرية في ٩ أوت سنة ١٩٢٧ في قرية اسمها الناظور في منطقة بني مزلين، شرق ولاية قالمة وسط عائلة متواضعة بسيطة تعيش على فلاحة الأرض ورعي الماعز والأغنام ككل سكان القرية، كان أصغر أخوين اثنين، أبوه عواشرية العربي كان يفلح قطعة صغيرة من الأرض ويملك بعض العنزات. ورغم الحالة المتواضعة للأب إلا أنه قرر إرسال ولده محمد إلى المدرسة الوحيدة الموجودة في المنطقة التي كانت خاضعة في تسييرها للإدارة الاستعمارية وقد أكمل بها دراسة المرحلة الابتدائية بنجاح إلا أنه لم يتمكن من الالتحاق بالمتوسطة، لسببين أولهما أن الاستعمار لم يكن يسمح لأبناء الجزائريين أهل الأرض بالتدرج في الدراسة لأكثر من المرحلة الابتدائية حتى يبقيهم في ظلمات الجهل إلّا لفئة قليلة أغلبها من أبناء القياد والطبقة الغنية. وثانيًا كانت المتوسطة في مدينة قالمة وهي تبعد كثيرًا عن القرية ولم يكن باستطاعة العائلة توفير تكاليف النقل كل يوم لمزاولة الدراسة. الأمر الذي اضطره للبقاء مع العائلة رفقة أخويه لفلاحة الأرض ورعي الماعز، حتى سنة ١٩٤٥ الذي عايش وشهد فيه حدثين خطيرين غيّرا مجرى حياته، وبدّلا فكره وطموحه. أولهما: مجازر أل ٨ مايو ١٩٤٥ فقد عايش تلك الأحداث عن قرب لاسيما وأن قالمة والمناطق المجاورة كانت مسرحًا حيًا لتلك الوقائع المؤلمة التي راح ضحيتها أكثر من ٤٥ ألف شهيد جراء طغيان وجرم المستعمر، الذي رفض الوفاء بوعوده بمنح الاستقلال لأصحاب الأرض بعد أن شاركوا معه في الدفاع أن أرضه - فرنسا- أثناء الحرب العالمية الثانية، ولما خرج الجزائريون للمطالبة بالاستقلال قابلهم الاستعمار بالنار والحديد وأطلق عليهم النار وهم عزل من السلاح بأيدي خاوية وصدور عارية إلا من الإيمان بقضية وطنهم واستقلال بلادهم. فقتل منهم النساء والأطفال والشيوخ دون رحمة أو شفقة. أما الحدث الثاني: فهو موت أمّه (سلاطنية اليامنة) الأمر الذي أثر فيه أكثر وترك في نفسه حزنًا عميقًا، وولّد لديه ثورة داخلية تتأجج كالبركان الخامد في صمت تنتظر اللحظة الحاسمة للانفجار وبدأ محمد عواشرية في طرح الأسئلة على نفسه وراح يقارن بين الحياة التي يعيشها المعمرون وعيشة السكان الأصليين (الجزائريين).. وعلى هذا الأساس قرر تغيير ظروف حياته، والخروج من هذه العزلة والانطلاق إلى العالم الرحب لمعرفة المزيد واختيار الحياة من أوسع أبوابها. وفي سنة ١٩٤٩ قرر محمد مع بعض رفقائه من شباب القرية السفر إلى مدينة عنابة دون هدف أو تخطيط مسبق ولم يكن له خيار غير الانخراط في الجيش الفرنسي ليكتسب مهارات الحرب وفنون القتال وكسب لقمة لعيش، ومنها وجد نفسه متورطًا في حرب الهند الصينية التي كان مقتنعًا بأنه لا ناقة له فيها ولا جمل، يدافع عن مصالح فرنسا كرهًا وقهرًا، وعاش جحيم تلك الحرب ثلاث سنوات طويلة تعلّم فيها فنون القتال وبسالة المقاتل وتزوّد بخبرة في الحرب. ثم عاد سنة ١٩٥٢ إلى الجزائر وقرر حينها الزواج، وتزوج بالفعل ولم يمضي عام حتى استدعاه الجيش الفرنسي من أجل تكوين عسكري منظّم لما التمسوه منه من بسالة واستعدادات حربية ومنها سافر إلى الحدود فرنسية-الألمانية في بعثة تكوينية بعد ولادة ابنته البكر (نادية) سنة ١٩٥٣، أين تلقى تدريبًا عسكريًا محكمًا طيلة عامين تحصل على إثرها رتبة رقيب أول وهي رتبة مرموقة لاسيما إذا كان المعني جزائريًا وليس من أبناء المعمرين وقد عومل محمد عواشرية باحترام من قبل الجيش لما كان يمتاز به من كفاءة عالية وخبرة كبيرة في الميدان العسكري. وخلال فترة التكوين اندلعت الثورة التحريرية في أول نوفمبر سنة ١٩٥٤، عاد للجزائر سنة ١٩٥٥ وبأمر عسكري من سلطات العدو تم تحويله للثكنة العسكرية في منطقة تدعى (البطيحة) بالمشروحة ولاية سوق أهراس التي كانت تحتل موقعًا استراتيجيًا بالنسبة للعدو. وفي تلك الفترة استقر وعائلته الصغيرة في عنابة فيما كان يعمل هو بثكنة البطيحة بالمشروحة، وراح ينتقل بين سوق أهراس وعنابة وهنا اتصلت به قيادة الثورة لتلك المنطقة وطلبت منه الانضمام إلى الثورة، وقبل على الفور، لكنهم أمروه أولا أن يقوم بعملية عسكرية ثم بعدها يلتحق بصفوف الثورة، وفعلاً كان الأمر كذلك، حيث خطط محمد عواشرية رفقة أصدقاء له من أهل الثقة ومن بينهم المجاهد عبد الرحمان بن سالم، لأجل عملية عسكرية ضد المستعمر، وما إن حل يوم ٧ مارس ١٩٥٦ حتى سمع كل العالم بالعملية العسكرية ضد ثكنة البطيحة والتي قام بها جنود جزائريون قتلوا فيها ضباط فرنسيين وجردوا الثكنة من الأسلحة المختلفة والتحقوا بالثورة أين كان في انتظارهم مجموعة (محمد قنز) الذي احتضنهم وضمهم إلى كتيبته وهنا بدأ اسم محمد عواشرية يبرز في الثورة رفقة المجاهد الكبير عبد الرحمان بن سالم. فيما لم تستفق القيادة الفرنسية من الضربة بعد وكانت تحت قيادة (بيجار) قاتل الشهيد العربي بن مهيدي، ولكي تستعيد ماء وجهها أعلنت خبرًا كاذبًا بأنها أمسكت بالجنود الفارين وأنها استرجعت الأسلحة التي تم غنمها. وأعطى الأمر للجيش الفرنسي بشن حملات عشوائية على المد اشر والقرى، أين قاموا بالقتل العشوائي للنساء والشيوخ والأطفال بوحشية حاقدة. ولم تحبط تلك العمليات من عزيمة الثوار بل زادتهم إصرارًا وعزيمة على الكفاح وتحرير الوطن، والتحق الثوار الجدد بالقاعدة الشرقية بسوق أهراس وعين كمساعد عسكري مسؤول عن الشؤون الصحية لقائد القاعد الشرقية التي أسست رسميًا بقرار من لجنة التنسيق والتنفيذ - CCE - في

شهر أبريل ١٩٥٧، وكلف بقيادة المعارك التي خاضتها القاعدة الشرقية لما كان يمتلكه من خبرة ومهارة عسكرية، كما كانت له هيبة القائد وملكة التأثير في الجنود وحملهم على الكفاح بكل بسالة وشجاعة، الأمر الذي أقلق المستعمر الفرنسي بقيادة (بيجار) الذي لم يدخر وسيلة لقمع الثورة في القاعدة الشرقية التي كانت أعالي جبال سوق أهراس مسرحًا لها، ولكونها كانت تمتاز بموقع استراتيجي تمثل في كونها منطقة حدودية مع تونس، كما كانت تمتاز بمسالكها الجبلية الصعبة التي أنهكت قادة المستعمر الفرنسي، ووقفت ضدهم سدًا منيعًا. وبالإضافة إلى المعارك الكبيرة التي خاضها مجاهدو هذه المنطقة (القاعدة الشرقية) تحت قيادة المجاهد محمد عواشرية ضد الاستعمار كانوا أيضًا يقومون بعملية تزويد الثورة بالأسلحة والذخيرة بكافة أنواعها عبر الحدود التونسية وتوزيعها على بقية الولايات الأخرى. مما جعل فرنسا تضرب سياجًا كهربائيًا على المنطقة الحدودية سنة ١٩٥٧ بين الجزائر وتونس والمعروف بخط موريس، ولخطورته أطلق عليه اسم (سد الموت)، الذي كاد أن يقضي على الثورة من خلال توقيف الإمدادات العسكرية لها، لولا تضحيات الشهداء الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل كسر الحصار، وتحدي أسلاك الموت بإرادة الشهادة من أجل أن يحي الوطن حرًا مستقلاً... الأمر الذي دفع الرئيس التونسي لقول مقولته الشهيرة لفرنسا بقوله: "إنها ثورة شعبية حقيقية، لا أحد يستطيع توقيفها". أصبح في خريف ١٩٥٨ قائدًا للقاعدة الشرقية خلفًا لعمارة بوقلاز بعد نفيه من طرف قيادة لجنة التنسيق والتنفيذ إلى العراق، ألقي عليه القبض ونفذ فيه حكمًا بالإعدام في مارس ١٩٥٩ في تونس رفقة كل من نواورة ولعموري بتهمة التآمر ضد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية GPRA. استنادًا إلى **رواية سامية عواشرية** (ابنة الشهيد محمد عواشرية) للأستاذ مزليني منير حول الشهيد محمد عواشرية (نشرية) (دون مكان وتاريخ النشر). وانظر: الطاهر جبلي، **مؤتمر الصومام والقاعدة الشرقية**، في مجلة (حولية المؤرخ) العدد ٠٢ يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر،٢٠٠٢. ص٢٥٩-١٨٣. وانظر أيضًا: علي العياشي، **"لقاء مع المجاهد العقيد عمار بوقلاز"**، مجلة أول نوفمبر، العدد المزدوج٢١٢٢١٣، جانفي، فيفري ١٩٩٠، ص.٦-٢٦ وأيضًا: عبد الحميد عوادي، **القاعدة الشرقية**، دار الهدى، عين مليلة، ١٩٩٣، ص٥٧ - ٦٥. وأيضًا: عاشور شرفي، **قاموس الثورة لجزائرية (١٩٥٤-١٩٦٢)**، ترجمة عالم مختار، دار القصبة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٢٤٦.

(٤٣) **بن سالم عبد الرحمن (١٩٢٣-١٩٨٠)**: رائد جيش التحرير الوطني. ولد سنة ١٩٢٣، بدوار الهناشير بلدية عين الكرمة، دائرة بوحجار، ولاية قالمة حاليًا. انخرط في صفوف الجيش الفرنسي سنة ١٩٤٠، منح وسام الشرف في تونس في سنة ١٩٤٤. وبعد عودته من حرب الهند الصينية التحق بصفوف الثورة في منطقة سوق أهراس على اثر عملية البطيحة في مارس ١٩٥٦. وبعد إنشاء القاعدة الشرقية عُين قائدًا على الفيلق الثاني سنة ١٩٥٧، ثم قائدًا للمنطقة الشمالية سنة ١٩٦٠، نقيب في الحدود الشرقية (١٩٦١)، قائد ثكنة في العاصمة في ١٩٦٤ وبعد الاستقلال عُين رئيسًا على القيادة العامة في العاصمة، وذلك سنة ١٩٦٤، ثم عضوا في اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني بين (١٩٦٤ – ١٩٦٥)، ثم عضوًا في مجلس الثورة (٦٥ – ١٩٦٧)، غادر الجيش في ديسمبر ١٩٦٧، بعدما وقف إلى جانب الطاهر الزبيري ضد هواري بومدين، توفي سنة ١٩٨٠. وللمزيد من التفاصيل حول حياة الفقيد، انظر: الزوبير بوشلاغم، **"فقيد الثورة عبد الرحمن بن سالم"**، مجلة أول نوفمبر، عدد ٤٦، ١٩٨٠، ص ٢١ - ٢٨. وانظر كذلك: عاشور شرفي، **قاموس الثورة لجزائرية (١٩٥٤- ١٩٦٢)**، ترجمة عالم مختار، دار القصبة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٧٢،٧٣.

(٤٤) البطيحة ثكنة تقع في بلدية الحنانشة وتبعد حوالي سبعة كلم بسوق أهراس.

(٤٥) إبراهيم العسكري، إبراهيم: **لمحات من سيرة الثورة التحريرية، ودور القاعدة الشرقية**، دار البعث قسنطينة ١٩٩٢، ص ١٠٩- ١١٢، وفي السياق نفسه يشير المجاهد عبد الحميد عوادي بأنه سجل التحاق عدد كبير من الجزائريين الذين كانوا ضمن صفوف الجيش الفرنسي بالثورة ومعهم أسلحتهم ونذكر منهم على سبيل المثال بالريق يونس وبالريق الهادي، وحركاتي عمر، ومحمامدية محمود، وزويتة السعيد، وجيلالي محمد، وفطايمية السعيد. انظر: عبد الجميع عوادي، **القاعدة الشرقية**، دار الهدى، عين مليلة، 1993، ص ٤٦-٤٧.

(٤٦) من أبرز عناصر هذا الفوج نذكر: عاعار الخميسي (محمد الهادي) قائدًا، ومفروش محمد وبوزيد عمار، وفلحاني محمد المدعو(سومسن)، والشايب العربي، وحداد الهاشمي، وعمارة بوقلاز، وعبد الرشيد، وسي علاوة انظر: زوبير بوشلاغم، **"حقائق وأضواء على عمليات الإعداد للثورة بناحية القالة"**، مجلة أول نوفمبر، عدد ١٤٣ سنة ١٩٩٣، ص ٢٣.

(٤٧) إبراهيم العسكري، المصدر السابق، ص ١٣٦.

(٤٨) علي العياشي، **"لقاء مع المجاهد عمارة بوقلاز"**، مجلة أول نوفمبر، العدد المزدوج ٢١٢- ٢١٣ جانفي، فيفري ١٩٩٠، ص ٨.

(٤٩) علي العياشي، المرجع السابق، ص٨.

(٥٠) محمد عباس، **في كواليس التاريخ، القاعدة الشرقية بوقلاز... يعود هذا الأسبوع**، في جريدة الشروق اليومي، عدد ٢٤٩٩ يوم ٢٠٠٩/٠١/٠٦، ص ١٩.

(٥١) المرجع نفسه، ص ١٩. وفي السياق نفسه يشير المجاهد عمارة بوقلاز بأنه تمت الاستجابة لطلب الوفد المبعوث إلى ليبيا، لكن عملية نقل الأسلحة لم يكتب لها النجاح لأسباب مادية وبشرية (نقص المال والرجال)، انظر: علي العياشي، المرجع السابق، ص ١١.

(٥٢) إبراهيم العسكري، المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٥٣) علي العياشي، المرجع السابق، ص ١٢.

(٥٤) إستخلف محمد الهادي عرعار على رأس الفوج حداد الهاشمي عندما تأكد استقراره في ليبيا.

(٥٥) علي العياشي، المرجع السابق، ص ١٢. وأيضًا: محمد عباس، المرجع السابق، ص ١٩.

(٥٦) عثمان الطاهر علية، **العقيد عمارة "بوقلاز" نبض القاعدة الشرقية يتحدث**، جريدة السلام، ٠٢ نوفمبر ١٩٩١، ص ٠٧، وأنظر: إبراهيم العسكري، المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٥٧) لقد أخبر بوقلاز زيرود بخصوص قصة جماعته مع بعثة الخارج في مهمة السلاح فوجده يائسًا تقريبًا من بن بلة ورفاقه، حتى أنه أنكر أصلاً أن يكون الوفد قد جمع أسلحة في ليبيا! ويعلق على هذا الموقف قائد المنطقة الثالثة بقوله: "لا أدري إن كان ذلك من أجل إقناعي فقط أم أن وراء أفكاره أشياء أخرى، لكن الثابت أن الوفد جمع الأسلحة. فعلاً ...". انظر: محمد عباس، المرجع السابق، ص ١٩.

(٥٨) **محمد الطيب بيزار** المدعو (حصة) من مواليد ١٧ مارس ١٩٣٤ بتيفاش ولاية سوق أهراس، انضم إلى صفوف جيش التحرير الوطني في أبريل ١٩٥٥ عمل في ميدان نقل السلاح. انظر: علي العياش، **لقاء مع المجاهد محمد الطيب بيزار**، التموين بالسلاح والذخيرة، في مجلة أول نوفمبر، عدد ٨٧، سنة ١٩٧٨، ص ٦٣.

(٥٩) المرجع نفسه، ص٦١، وأيضًا: المنظمة الوطنية للمجاهدين، التقرير الولائي حول قوافل نقل الأسلحة للولايات، سوق أهراس، ٤ جوان ١٩٩٨، ص ٢.

(٦٠) **القاضي بشير (١٩٢٧-٢٠٠٤) اسمه الحقيقي محمد غزّو:** ولد يوم ٢٧ جويلية ١٩٢٧، بشرفة بهلول ضواحي عزازقة ببلاد القبائل، انخرط بصفة مناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري (PPA)-المحل آنذاك –منذ سنة ١٩٤٤، وقد سمي باسم قاضي بشير قبل التحاقه بجامع الزيتونة بتونس سنة ١٩٤٧، وقبل أن يستقر فيها إلى غاية سنة ١٩٥١، حيث كان عضوًا نشطًا في صفوف جمعية طلبة حزب الشعب الجزائري بقيادة المناضل عبد الحميد مهري، كان من دعاة حتمية توحيد النضال مع الأشقاء في تونس والمغرب، ومن المؤمنين بمبدأ الشمال الإفريقي أو المغرب الكبير كان ذلك في إطار نشاطه في لجنة تحرير المغرب العربي التي جسدت الحركة الميدانية لتنسيق الكفاح في المغرب العربي بعد لقائه مع بعض المناضلين الذين كرسوا شبابهم لهذا الهدف الوحدوي تحت لواء البطل عبد الكريم الخطابي فمن المغرب نجد أمثال (الهاشمي الطود وحمادي العزيز المدعو حمادي الريفي) ومن تونس(عز الدين عزوز ويوسف العبيدي) في طرابلس التي استقر بها بتعليمات من حزبه. كما كان على علاقة طيبة مع عبد العزيز شوشان مسؤول مكتب تونس للتسليح في طرابلس لحماسته في التعاون والتنسيق الثوري(الجزائري التونسي)، وفي هذا الإطار يعود له الفضل في ميلاد الأنوية الأولى لشبكات الإمداد بالسلاح استعدادًا لاندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر ١٩٥٤. إذ يعتبر في هذا المقام المؤسس الأساسي لقاعدة جبهة وجيش التحرير الوطني، بعد اللقاء التاريخي الذي جمعه بأحمد بن بلة ومصطفى بن بوالعيد في طرابلس في ١٤أوت ١٩٥٤ وهو التاريخ الرسمي لتأسيس قاعد طرابلس، وفي الوقت نفسه عينه بن بوالعيد مسؤولاً عن القاعدة، كما كلف منذ سبتمبر ١٩٥٤بمهمة بفزان مع محمد بلحاج لوضع القاعدة العسكرية لجيش التحرير المغاربي في ليبيا. كان شاهدًا على الخلاف الذي وقع بين صالح بن يوسف والطاهر لسود في ربيع ١٩٥٦ حول تسيير جيش التحرير داخل تونس وكان قاضي بشير طرفًا في التوفيق بين الطرفين بطرابلس بعد مفاوضات بين صالح بن يوسف والطاهر بسود. وقد بقي القاضي بشير على رأس قيادة قاعدة طرابلس اللوجيستية إلى غاية الاستقلال الوطني حيث واصل مكوثه هناك بطرابلس إلى غاية ١٩٦٣، حيث كان يمثل رئيس بعثة دبلوماسية جزائرية في ليبيا، توفي بعد معاناة لمدة ٥ سنوات من مرض سرطان البروستات، ببيته الكائن بضواحي مدينة الجزائر يوم ٣١ أكتوبر ٢٠٠٤م عن عمر يناهز ٧٧سنة. انظر: جريدة (الوطن):

De tripoli à la wilaya 1 .Les premières armes.in- El Watan- le 01- 11 2004..

وانظر كذلك: أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف. الجزائر ١٢/١١مايو٢٠٠١، **جيش التحرير المغاربي (١٩٤٨- ١٩٥٥)**، الجزائر٢٠٠١.

(٦١) علي العياشي، المرجع السابق، ص ٦١. وقد أشار المجاهد: محمد الطيب بيزار أن قادة الثورة استقبلوا باخرة لاتوس المحملة بالسلاح في ميناء زوارة الليبي في نوفمبر ١٩٥٥، وقد تكلفت مجموعة من مجاهدي سوق أهراس بنقل الشحنة إلى بوكمباش بليبيا وإدخالها إلى الجزائر. انظر: علي العياشي، المرجع السابق، ص ٦١.

(٦٢) **بوزبيد عبد المجيد:** من مواليد ١٩٣١ في عنابة، من عائلة متوسطة، طرد من الثانوية التقنية بعنابة بسب انتمائه للكشافة الإسلامية ونشاطه في الجمعية الثقافية "شباب البوني". مناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري وحركة الانتصار الحريات الديمقراطية منذ سنة ١٩٤٧، وعضو نشيط في المنظمة الخاصة السرية سنة ١٩٤٩ مما أدى إلى سجنه سنة ١٩٥٠، ليطلق سراحه ١٧ بعد ذلك. التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني سنة ١٩٥٤ ثم بالولاية الثانية (المنطقة الثانية) سنة ١٩٥٦. وفي أكتوبر ١٩٥٧ كلف بإمداد جيش التحرير الوطني انطلاقًا من بنغازي (ليبيا) في سنة ١٩٥٨عُين مسؤولاً لمركز التسليح والتموين بالقطر التونسي ليصبح بعد ذلك، سنة ١٩٦٠ مسؤولاً عن التموين العام بمديرية الإمداد الشرقية، وبعد الاستقلال سرح بطلب منه الجيش (أوت ١٩٦٢) وشغل مناصب مختلفة وعمل لحسابه الخاص في المجال الاقتصادي. استدعى سنة ١٩٦٣ من طرف مدير الأمن الوطني، السيد محمد يوسفي، ليشغل منصبًا ساميًا في صفوف الأمن كمدير للمفتشية والشؤون العامة سنة ١٩٧١، ثم مديرًا عامًا للأمن الوطني من ١٣ جوان سنة ١٩٨٧ إلى ١٣ جوان ١٩٩٠. وقد أنهى مساره المهني كسفير للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لدى جمهورية مالي من ٦ نوفمبر ١٩٩٠ إلى ٣٠ جوان سنة ١٩٩٢. قُلِّد وسام فارس الاستحقاق الوطني من طرف رئيس جمهورية مالي اعترافًا بمساهمته في تجسيد ميثاق السلم الوطني في هذه البدو قلد وسام مصف الاستحقاق الوطني ووسام جيش التحرير الوطني. انظر: عبد المجيد بوزبيد. **الإمداد خلال حرب التحرير الوطني (شهاداتي)**. ط٢، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، ٢٠٠٧. ص٣٠٤.

(٦٣) المرجع نفسه، ص ٣٠.

(٦٤) **محاضرة المجاهد عمارة بن عودة حول التسليح**، إبان الثورة ألقاها بالمتحف الوطني للمجاهد. ديوان رياض الفتح سنة ١٩٨٥(نشرية)، ص٢. وانظر أيضًا شهادة عمار بن عودة: **"عارضت رئاسة فرحات عباس للحكومة المؤقتة وأحبطت مؤامرة فتحي الديب الانقلابية"**، في جريدة الشروق أو نلاين ليوم الأربعاء ٠٧ مارس ٢٠٠٩ على موقع شبكة الانترنيت:

http//www.echoroukonline.com/ara/interviews/30025.htm.01/04/2009.

وللمزيد من التفاصيل حول تنظيم القاعدة الشرقية، انظر: الطاهر جبلي، **القاعدة الشرقية (١٩٥٤- ١٩٦٢)**، رسالة ماجستير- قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ٢٠٠١.

(٦٥) عبد المجيد بوزبيد، المصدر السابق، ص ٣١.

(٦٦) المرجع نفسه، ص٢١. وانظر كذلك: الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص ٦٢-٦٤.

(٦٧) محمد عباس في كواليس التاريخ، **القاعدة الشرقية**، **نكبة بوقلاز ... والعمودي**. جريدة الشروق اليومي، عدد ٢٥١١، يوم الثلاثاء ٢٠/٠١/٢٠٠٩، ص ١٧.

(٦٨) علي العياشي، مرجع سابق، ص٦٢، وأيضًا: محمد عباس، مرجع سابق، ص١٧. والطاهر جبلي، مرجع السابق، ص ٥٧.

(٦٩) المتحف الوطني للمجاهد، **وثائق مؤتمر الصومام ٢٠ أوت ١٩٥٦**، محضر الجلسات ومقتطفات من الوثيقة الأساسية الجزائر ١٩٩٦، ص٢٥. وانظر أيضًا: خالفة معمري، **عبان رمضان**، تعريب زينب بن خروف، مطبعة تالة، ط٢ الجزائر٢٠٠٨، ص١٩٥٦. غير أن محمد حربي يعطي إحصاء آخر حول حجم الأسلحة التي كانت بحوزة المنطقة وهي لا تختلف كثيرًا عن الأرقام التي وردت في محضر جلسات مؤتمر الصومام وكتاب خلفة معمر إذ يشير فقط إلى (٣٣٨) قطعة حربية و(٣٧٥٠) بندقية صيد دون الإشارة إلى الأسلحة الخفيفة، انظر:

Mohamed harbi, les archive de la révolution Algérienne, Ed jeune Afrique paris 19, P.161-163.

# دور المرأة في الثورة التحريرية
## (١٩٥٤ – ١٩٦٢)




**شريف بوقصبة**

أستاذ مساعد – جامعة الوادي

الوادي – الجمهورية الجزائرية

**يمينة العابد**

باحثة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

الوادي – الجمهورية الجزائرية



**مُلَخّصْ**

إن المرأة بالنسبة للجزائر هي الجزائر نفسها وهي الأمة بكاملها باعتبارها الوعاء الذي يضمن الاستمرارية، فقد كانت دائمًا على موعد مع التاريخ فناضلت بعنف وقاومت بشجاعة نادرة إلى جانب أخيها الرجل عبر مختلف مراحل التاريخ خاصة أثناء المقاومات الشعبية للاستعمار الفرنسي وخلال ثورة نوفمبر ١٩٥٤م المجيدة. إن المشاركة الفعالة للمرأة الجزائرية في صفوف الكفاح المسلح ودعمه عبر تأدية مهام عديدة اقتضت عليها درجات مختلفة من الالتزام والخطورة، فحقق هذا الإنسان الضعيف جسديًا ولكن المفعم بالقوة الروحية العظيمة التصدي لتعسف وقهر المستعمر الغاشم، والمساهمة في تحرير الجزائر.



**بيانات المقال:**

تاريخ استلام البحث: ١ أكتوبر ٢٠١٤

تاريخ قبـول النشـر: ٢٢ ديسمبر ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

الثورة التحريرية، العمل العسكري، الاحتلال الفرنسي، النساء الجزائريات، المجاهدات الجزائريات

**الاستشهاد المرجعي بالمقال:**

شريف بوقصبة، ويمينة العابد. "دور المرأة في الثورة التحريرية (١٩٥٤ – ١٩٦٢)".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ٨٤ – ٨٨.


## مُقَدِّمَةُ

لقد كانت ثورة التحرير الوطني للشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي إحدى أقوى الثورات التي انتزعت الاستعمار، بفضل تعبئة جزءًا كبيرًا من الشعب على اختلاف مستوياتهم العلمية والاجتماعية، فكانت بذلك مساهمة المرأة الجزائرية من أهم انجازات الثورة التي تمكنت من إدماج هذا المخلوق الرقيق في دواليبها، بعد أن عانت من فترة عزلة أملتها عليها القوانين الرجعية التي فرضها المستعمر جاعلة نسبة المتعلقات لا تتجاوز (٤%) من النساء،[١] وانطلاقًا مما سبق؛ فإن التساؤل الرئيس الذي يثار هنا، هو: ما مدى مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية (١٩٥٤-١٩٦٢)؟ وسنجيب عن هذا التساؤل عبر المحاور التالية: (مظاهر مساهمة المرأة الجزائرية داخل القطر الجزائري، وإسهامات المرأة الجزائرية خارج القطر الجزائري).

## أولاً: مظاهر مساهمة المرأة الجزائرية داخل القطر الجزائري

ساهمت المرأة الجزائرية داخل التراب الوطني بأعمال عديدة تمكنت من خلالها بالاندماج في العمل الثوري داخل القطر الجزائري، حيث قدر عدد النساء المجاهدات من طرف وزارة المجاهدين في سنة ١٩٧٤م بـ: (١٠٤٦٩) امرأة من مجموع (٣٣٦٧٤٨) مجاهدًا أي ما يعادل (٣.٢٥%)،[٢] أوكلت لها أنبل وأشرف الأعمال من جهة، وأخطر وأصعب المهام من جهة أخرى، وهذا ما سنوضحه فيما يلي:

**١/١- المرأة تحمل السلاح:**

لقد لعبت المرأة دورًا مشرفًا في الثورة الجزائرية فكانت فدائية، مجاهدة ومسبلة إلى جانب أخيها الرجل،[٣] وأثبتت وجودها في الكفاح المسلح بجدارة عالية، حيث التحقت (١٧٥٥) منهن بالجبال أي ما يعادل (١٩%) من إجمالي النساء المجاهدات، فشكلت بالتالي قوة عسكرية فعالة وايجابية حيث كانت:-

**جندية:** تجندت المرأة وانضمت إلى وحدات جيش التحرير وتدربت على أساليب الحرب وحمل السلاح متخلية على كل الأحاسيس الانهزامية، منظمة إلى إخوانها لتشكل معهم عنصر الإصرار والتحدي الذي لا يتراجع ولا يلين. وخير دليل على ذلك هذه الصورة الحية عن مجاهدة كان عمرها ١٥ سنة عند اندلاع الثورة التحريرية سنة ١٩٥٤ تقول: "إن الولاية الثالثة لا زالت تحتفظ بذكرى بطلة جزائرية ألا وهي الآنسة "مليكة" الممرضة التي كانت تشرف مع فتاة أخرى على مركز تمريض قائم في الكهوف، وذات يوم اقتحم الجنود الفرنسيون المركز وأطلقوا النار فورًا في اتجاه فتاتين والجرحى، وبسرعة مدهشة مسكت مليكة رشاشها وأطلقت وابلاً من الرصاص على العدو ولم تتوقف إلا بانتهاء الذخيرة فسقطت شهيدة.... أمام عميروش أقسمنا جميعا نحن النساء أن نموت موتة مليكة أو نحيا في ظل الحرية...".[٤] وقد أشاد مؤتمر الصومام بمساهمة المرأة في الثورة وثمن دور الحركة النسائية على العمل الباهر المقدم لجيش وجبهة التحرير الوطني كمجندة، كما حصر هذا المؤتمر في تقريره الصادر سنة ١٩٥٦ دور المرأة الجزائرية فيما يلي:[٥]

- مؤازرة جنود جيش التحرير عسكريًا ومعنويًا.
- مقت الوشاة واحتقار الجبناء.
- إعطاء الإعانات للثورة.

**فدائية:** كان للمرأة الجزائرية في المدينة دورًا لا يقل أهمية عن أختها الجندية في الجبال، فهي تقوم ببعض العمليات الخاصة والنشاطات الدقيقة المحددة زمنيًا ومكانيًا مثل نقل القنابل الموقوتة والأسلحة للفدائيين.[٦] فكانت لا ترتدي الزي العسكري بل تبقى بزيها النسوي حتى لا تثير شكوك السلطات الاستعمارية، حيث تقوم بعمليات تدمير مراكز العدو وتساهم في الهجوم على الثكنات ومحافظات الشرطة ومراكز الدرك والحرس، وكذلك الملاهي والمقاهي وذلك بوضع القنابل، وبهذه العمليات استطاعت أن تقلق العدو وتنشر الرعب في أوساطهم. وفي هذه السياق صرح المقيم العام بالجزائر "لاكوست" لأحد الصحفيين الفرنسيين قائلاً: "إننا عندما نشاهد المرأة محجبة لا نعرف ما إذا كان ذلك حفاظًا على التقاليد أو لتخفي في سبيل تنفيذ أمرها على أفضل وجه".[٧]

**مسبلة:** ومن المهام التي قامت بها المرأة الجزائرية أثناء الثورة عملها كمسبلة، حيث كانت تقوم بالاتصالات بين الجبهة والجيش وحراسة المجاهدين أثناء تأديتهم لمهامهم، وبذلك كانت تتحدى يقظة العدو، فتحمل الوثائق والسلاح وتشتري الملابس والأدوية وتمررها للمجاهدين رغم حراسة القوات الفرنسية وحملات التفتيش.[٨] ومن بين هؤلاء النساء اللائي قمن بهذه الأعمال "جميلة بوحيرد" التي عثر بحوزتها وثائق ورسائل ومبلغ من المال، دلت جميعًا على أن هذه الفتاة كانت تعمل أمينة سر (سكريترة) لقائد فدائي مدينة الجزائر "ياسف سعدي"، وكانت تعمل مراسلة أيضًا لرسائله وتعليماته وأوامره.[٩]

**٢/١- التموين والتمريض:**

مما لا شك فيه؛ أن المرأة الجزائرية قد أسهمت في مقاومة العدو الفرنسي منذ الاحتلال، وذلك بشتى الطرق والوسائل وحسب ظروف ومعطيات كل مرحلة، فكانت مقاومتها بارزة وفعالة عبر الثورات العديدة التي عرفتها الجزائر منذ الاحتلال ومن بين الأعمال التي تقوم بها التموين والتمريض.

**التموين:** كانت النساء يسحبن المال والأدوية وبوتيرة أقل المؤن من المدن إلى الأدغال، حيث كن يقمن بعملية الجمع في بيئة نسائية ولكن وحدها التي تجمع ثمرة اللمة، فكانت مصنفة في المنطقة المدنية لجهة التحرير الوطني ومعترف بها كمناضلة.[١٠] إلى جانب ذلك؛ قامت بإخفاء المجاهدين متصدية بذلك لكل الصعاب والمخاطر، كما كان الحال بالنسبة لـ "جميلة بوحيرد" التي حولت منزلها إلى ملجأ للمجاهدين، وقدرت نسبة اللواتي كن يقمن بإخفاء المجاهدين وحمل المؤونة في المدن (٦٤%) من إجمالي النساء المشاركات في الثورة، وكلفت (٢٢%) منهن بجمع الأموال والأدوية.[١١] وكان أروع مثال في التضحية هي "فاطمة سوفي" الشهيدة التي ألقي القبض عليها وبحوزتها مؤونة وألبسة وأغطية صوفية كانت موجهة لجيش التحرير الوطني، زج بها في السجن تحت التعذيب والتذليل دون أن تدلي بأي تصريح لفائدة العدو الذي قام وعلى مرأى ومسمع الناس بما فيهم أقاربها باتخاذ أبشع الأساليب غير الإنسانية.[١٢]

**التمريض:** كان على المرأة الجزائرية أن تعمل في المستشفى كممرضة إلى جانب الرجل حتى تستطيع الوصول إلى أخبار المجاهدين المساجين وضحايا التعذيب والعناية بهم، ومن اللواتي قمن بواجبهن خير قيام الممرضة "الزهرة بوراوي" من ولاية تبسة، كانت تعمل في قسم الجراحة النسائية وكانت التعليمات تقضي بتسريب الأدوية والمعدات الطبية وتسليمها إلى بعض المناضلين، حيث طلب منها مجاهدوا المنطقة الخامسة للولاية الأولى على وجه السرعة أدوية مخذرة ومنومة، لأن كثير من المجاهدين الجرحى يعانون من آلام مبرحة فاستطاعت إخراجها من مكتب الدكتور "مرناف" وإرسالها إلى الجبل رغم صعوبة الطريق ونقاط التفتيش. ولم يقتصر عمل المرأة في المدن الشمالية، بل حتى في الجنوب الجزائري كان لها دور، وهذه الحاجة "مريم دباح" تتحدث عن قصتها في كيفية شراء الأدوية وتوزيعها تقول: "كُنا نعمل على توزيع الأدوية بحيث يقوم عدد من الأطفال بشراء عدد من الأدوية لأنه لا يمكن لفرد واحد شراء كل ذلك، وبعد جمعها تقوم بالاتصالات ونعمل على إخراجها إلى الأماكن اللازمة، أحيانًا كنا نخرج الأدوية حتى إلى المقبرة حيث يتسلمها المجاهدون مثل مقبرة الجديدة ببسكرة".[١٣]

**٣/١- الاستخبارات والدعاية:**

إضافة إلى الأدوار المهمة التي لعبتها المرأة الجزائرية في العمل المسلح المباشر، وفي مجالات التموين والتمريض، فقد كان لها دور من الأهمية بمكان في مجال الاستخبارات والدعاية.

**الاستخبارات:** كانت المرأة في المدينة تغالط العدو بمظهر اللباس الأوروبي، حيث تسمح لهن حراسة المرور دون تفتيش أو طلب لاستظهار الأوراق المدنية، كما أسندت لها مهمات مختلفة منها القيام بإحداث مخابئ محكمة في الدهاليز وفوق السطوح وبين طيات الجدران، وأعدت فتحات في المنازل لإخفاء الفدائيين والفدائيات للنجاة أثناء عمليات التطويق والحصار والمتابعة.(١٤) ويبدو أن عملاء الاستخبارات الإناث نادرون في الريف، فكانت النساء مثل سائر السكان بمَنْ فيهم الأطفال يرشدون رجال المقاومة حول تحركات العدو.(١٥) كما كانت تقوم بالحراسة نهارًا، وإيصال الأخبار لجيش التحرير عن تحركات العدو عندما لا يكون ذلك في إمكان الرجل وكانت لها كلمة سر تنتقل من امرأة لأخرى حتى تصل إلى هدفها مثل: الجمال قادمون "الغمان أويسيند".(١٦) غير أن هذا النشاط لم يمنع بعض النساء من أن يقعن فرائس وضحايا في أحابيل شبكة التجسس المضادة التي أنشأها ضباط الشؤون الأهلية (SAS)، حيث يتظاهر عناصرها بالولاء للثورة والتقرب من النساء المشبوهات وإعطائهن معلومات صحيحة لكن بعد فوات الأوان أو بعد أن تكون هذه المعلومات قد أفرغت من محتواها، أو بإرسال بعض الهدايا التافهة إلى المجاهدين لتعبير عن حسن النية اتجاه الثورة، فتنطلي هذه الخديعة على هؤلاء النسوة فيجبن بما كن يحتفظن به من أسرار إلى هؤلاء الخونة. وكذلك من بين النشاطات الموكلة إليهن استدراج العملاء أو الخونة إلى خارج الأماكن المطوقة بعيدًا عن مراكز الاستعمار، حيث يقومون بالانقضاض عليهم ليلاً أو نهارًا، و يقتادونهم إلى الجبال حيث يتم استجوابهم وتصفيتهم، فكانت هذه الوسيلة التي تبدو عليها نوع من الخداع هي من مستلزمات ظروف الحرب.(١٧)

**الدعاية:** ساهمت المرأة في النضال السياسي كمناضلة تكرس جهودها في إرساء قواعد التنظيم للنساء في المدينة، بتكوين نظام سياسي نسائي مشكل من خلايا وأفواج لتعبئة الجماهير الوطنية وتوعيتها وتكوين المسؤولات المحليات، التي تعقد بدورها اجتماعات مستمرة تهتم خلالها بتوضيح ونشر المبادئ الثورية والتوجيه وتوزيع المناشير المتضمنة أوامر القيادة الثورية وتأتي بالأخبار الهامة التي تفيد جبهة التحرير الوطني.(١٨) كما أنها انخرطت ضمن الجمعيتين الموجودتين على الساحة في تلك الفترة وهما جمعية النساء المسلمات الجزائريات التي تم إنشاؤها سنة ١٩٤٧ والتابعة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، وكذا اتحاد النساء الجزائريات المنشأ سنة ١٩٤٤ من طرف الحزب الاشتراكي الجزائري.(١٩) أما الدعاية عند المرأة الريفية، فكانت بسيطة لكنها في غاية الأهمية، وهي تتم بشكل مقصود أو غير مقصود لكنها كانت تترك آثارًا إيجابية وانطباعات ممتازة في نفوس المواطنين، وأكثرها أهمية تلك التي كانت تتم عن طريق الغناء ففيها تبرز المغنيات شجاعة المجاهدين وبطولاتهم وانتصاراتهم، فكانت كلماتها تنفذ إلى قلوب المواطنين ولألحانها وأدائها وقع خاص يهز أوتار أفئدتهم، وميدان هذه الدعاية كان في الأفراح التي تقام عند الزفاف أو الختان. والطريف هنا أن بعض العملاء ممَنْ يدفع بهم الفضول إلى حضور هذه الحفلات الغنائية كانت تغريهم هذه الألحان وتستهويهم هذه المعاني فيشاركون المغنين أو المغنيات الغناء الجماعي - الرحابة- حيث يمجدون الثوار ويرفعون من شأنهم كما كانوا ينعتون أنفسهم بأقبح الأوصاف (حسب ما تعبر عنه كلمات الأغنية).(٢٠)

## ثانيًا: إسهامات المرأة الجزائرية خارج القطر الجزائري

لا يمكن إغفال مشاركة المرأة الجزائرية في المظاهرات والدور البارز الذي قامت به وهي ملتحمة إلى جانب الرجل تارة بالزغاريد الحماسية، وتارة أخرى بإعداد العلم الوطني ورفعه في عنان السماء مرفرفًا بإرادة لا تلين وعزم يضاهي عزم الرجال، وهكذا ضحت المرأة الجزائرية بأعز ما تملك في سبيل عزة الوطن.(٢١) وقد تفطنت جبهة التحرير الوطني إلى الآثار العميقة والإيجابية في آن واحد التي يمكن أن تتركها المرأة في الأوساط الخارجية، ولهذا قررت أن تحمل المجاهدة الجزائرية مسؤولية تمثيل القضية خارج حدود الوطن.

**١/٢- القواعد الخلفية: (تونس - المغرب)**

بدأ دور المرأة في القواعد الخلفية للثورة منذ انخراطها في صفوف جيش التحرير الوطني، فكانت بعض الفتيات من بنات المجاهدين والشهداء يعشن في مخابئ سرية عبر الحدود الجزائرية، إذ أوليت للفتيات غير المتعلمات منهن مهمة صنع المتفجرات والألغام وحفظ الأسلحة وإعداد الأدوية، أما اللاتي تلقين تعليمًا فقد كلفن لكتابة المناشير على الآلة الراقنة، وتكوين فرق من الممرضات تكن دائمًا على استعداد لاستقبال المجاهدين الجرحى. كما كانت القيادة العليا للثورة تختار نخبة من المناضلات اللاتي تتميزن بالخصال الحميدة والروح الثورية، فتهتم بتدريبهن في القواعد الخلفية كمجاهدات في جيش التحرير الوطني جنبًا إلى جنب مع أخيها الرجل.(٢٢)

**٢/٢- الوطن العربي وفرنسا:**

لقد كان للمرأة الجزائرية عمل مكثف على الصعيد الخارجي، لاسيما في الوطن العربي وفرنسا، يمكن أن نوضحه كما يلي:

**الوطن العربي:** في بداية ١٩٥٨ عملت جبهة التحرير الوطني على تحويل (٢٧) مجاهدة إلى تونس، وعن هذا الموضوع تقول المجاهدة زكية بوضياف "حولنا مباشرة إلى القاهرة أين يوجد مقر الحكومة المؤقتة، وكان أول شيء قمنا به هناك هو التدريب على الآلات

الراقنة، لنباشر بعدها العمل في المصالح الإدارية للحكومة الجزائرية المؤقتة لكن لم تنحصر مهامنا في العمل الإداري فقط بل تعدت إلى:

- جمع التبرعات المقدمة للثورة الجزائرية خاصةً أثناء الحملات التي أقيمت تضامنا مع الشعب الجزائري.
- القيام باستعراضات في المناسبات التي تخلد ثورتنا، وذلك بارتداء الألوان الوطنية لإبراز الهوية الجزائرية للجماهير العربية، وهذا عبر مختلف المدن والعواصم العربية كالقاهرة، دمشق، بغداد..."[٢٣]

ولم تستثن الثورة حتى الفنانات، حيث قامت الحاجة "بلاحة الوافية" المعروفة باسم "بالعربي" بانتهاز فرصة إنشاء الغرفة الفنية لجبهة التحرير الوطني وتمكنت من الحصول على جواز سفر تونسي يحمل رقم (٤٤٣٠٩) بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٥٨ وشاركت بصفتها ممثلة ومطربة في كل الجولات الدولية. وكذلك الأمر بالنسبة لـ "مليكة ابراهيمي" التي التحقت بالجبال رغم صغر سنها (١٣ سنة) ثم اجتازت الحدود الجزائرية التونسية والتحقت بالفرقة الفنية.[٢٤]

**فرنسا:** لقد خلقت مشاركة المرأة في كفاح التحرير الظروف الملائمة لكسر الكابوس القديم الذي كان يحيط بها ويقيدها على المشاركة جنبًا إلى الرجل في الشؤون العامة.[٢٥] حيث عملت جهة التحرير الوطني على تنظيمات خاصة تتماشى والوضعية التي تعيشها الجالية الجزائرية عمومًا والمرأة خصوصًا على أرض المستعمر، فأوليت لها مهمة الاتصال مع النساء الفرنسيات وتعريفهن بالوجه الحقيقي للثورة الجزائرية والأهداف التي ترمي إليها، وعلى هذا الأساس عملت فدرالية جهة التحرير على إرسال تنظيم قوي ومتماسك للمرأة الجزائرية المهاجرة وتوسيع قدرتها في المجال السياسي. كما شاركت المرأة الجزائرية في مظاهرات باريس يوم ٩ مارس ١٩٥٦، ومظاهرات ١٧ أكتوبر ١٩٦١، والإضراب العام المقرر من طرف قيادة الثورة الذي دام ثماني أيام، حيث استجابت الموظفات في الإدارات والعاملات في المنازل الأوروبية لذلك. وفي هذا المقام لا يفوتنا إلا أن نضرب مثلاً حيًا عن امرأة مجاهدة في قلب فرنسا، هي المجاهدة "صليحة سقاي" التي استغلت منصبها ككاتبة في مكتب حقوق التأليف لطبع المناشير للمجاهدين، ولكن عندما كثرت الشكوك حولها أرسلتها جهة التحرير إلى فرنسا لتولي مهمة الإشراف على الاتصالات ونقل النقود وتوزيع المناشير وجمع الاشتراكات".[٢٦]

**٣/٢- أهم نشاطات المرأة الجزائرية في مختلف التظاهرات الدولية:**

استطاعت المرأة الجزائرية أن تلعب دورًا بارزًا في المحافل الدولية للتعريف بالقضية الجزائرية عبر العديد من الزيارات والمشاركات الدولية، أهمها:[٢٧]

- **الفيتنام (سبتمبر١٩٥٧):** قام وفد من النساء الجزائريات بزيارة لدولة الفيتنام والذي صادف العيد الوطني الفيتنامي، حيث أصر رمز المقاومة الفيتنامية "هوشي منه" على استقبال الوفد الجزائري ويعرب له عن مدى إعجابه بتحديه وشجاعته من جهة ومقاومة المرأة من جهة أخرى.
- **الصين الشعبية (أكتوبر ١٩٥٧):** كانت زيارة الوفد الجزائري إلى الصين الشعبية أول نشاط على الساحة السياسية بالنسبة للوفد النسوي الجزائري، وكان ذلك ضمن وفد مثل نساء المغرب العربي فمثلت الجزائر "مامية شنوف" و "خيرة مصطفاوي".
- **مؤتمر فينا (١ - ٥ جوان ١٩٥٨):** وجهت المشاركات في المؤتمر الرابع للاتحاد النسائي الديمقراطي دعوة لنساء الجزائريات قصد تقديم تقرير مفصل حول وضعية المرأة في الجزائر والتعريف بالقضية الجزائرية، حيث قوبل وفد النساء الجزائريات في هذا المؤتمر بترحيب كبير نظرًا للشهرة الواسعة التي تتمتع بها الثورة الجزائرية، وخلال هذا المؤتمر دُعيت ممثلة الوفد الجزائري لتصبح عنصرًا في مجلس الرئاسة (علمًا بأن الاتحاد يضم حوالي ٨١ بلدًا)، فقدمت ممثلة الجزائر تقريرًا مفصلاً عما تعانيه المرأة الجزائرية وجاء فيه: "إن جميع بلدان العالم التي تهتم بقضية السلام بالدرجة الأولى تبدي قلقها لاستمرار الحرب في الجزائر وازدياد خطورتها، فشعوب آسيا وإفريقيا في مؤتمر القاهرة وطنجة نددت بخطورة حرب الجزائر على السلام العالمي، وكان من النتائج المنطقية لمواقفهم هذا هو تأييدهم للشعب الجزائري في نضاله فباسم النساء الجزائريات اللاتي يناضلن ويتألمن ويطمحن إلى المستقبل من السعادة والشرف، وباسم أولئك اللواتي يسقطن شهيدات في المعارك أناشد نساء وأمهات العالم أجمع لكي يكون تضامنهن العملي لفائدة حرية الجزائر واستقلالها أكثر قوة وفاعلية، وأناشدهن بصوت متألم لفائدة مئات الآلاف من اللاجئين من النسوة والأطفال والشيوخ الفارين من هول الحروب".

ولقد صادق المؤتمر في بيانه الختامي على لائحة خاصة بالجزائر جاء فيها:

- التأييد الكلي لاستقلال الجزائر.
- التضامن العملي مع المرأة الجزائرية.
- التنديد بالفضائح والجرائم الفرنسية.
- الوعد بالزيادة في الإعانة المادية للاجئين الجزائريين خاصةً الأطفال.

## خاتمة

إن الظروف التي كانت تعيشها المرأة الجزائرية قبل الثورة التحريرية من تهميش وإقصاء متعمد وغير متعمد من طرف الأفكار والعادات البالية للمجتمع أو من طرف المستعمر الفرنسي، لم تكن عائقا أمامها للمساهمة وبقوة في تحرير وطنها بالطرق والوسائل المناسبة التي اقتضتها كل مرحلة من التاريخ التحريري للجزائر، فكانت المسلحة التي تزاول العمل العسكري إلى جنب أخيها الرجل على أرض المعارك، وكانت المساندة بالتموين والتمريض وكذلك الاستعلام والدعاية، كما كان لها دور مهم خارج الوطن بإسماع صوت الثورة التحريرية وكسب التأييد الدولي على الحق المشروع في الاستقلال بشتى الطرق والوسائل.

## الهَوامِشُ:

(١) **المرأة الجزائرية في قلب الثورة التحريرية**، مجلة القوات البرية، وزارة الدفاع الوطني، الجزائر، العدد: ٠٧، مارس ٢٠٠٥، ص: ٢٧.

(٢) المرأة الجزائرية في قلب الثورة التحريرية، مرجع سابق، ص: ٢٧.

(٣) علي زغدود، **ذاكرة الثورة التحريرية**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار الجزائري، ٢٠٠٤، ص: ١١٥.

(٤) **كفاح المرأة الجزائرية**، المركز الوطني لدراسات والبحث في المرأة الجزائرية في قلب الثورة التحريرية، مجلة القوات البرية، وزارة الدفاع الوطني، الجزائر، العدد: ٠٧، مارس ٢٠٠٥، ص: ٢٧.

(٤) **المرأة الجزائرية في قلب الثورة التحريرية**، مرجع سابق، ص: ٢٧.- علي زغدود، **ذاكرة الثورة التحريرية**، المؤسسة الوطنية للاتصال الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤، سلسلة الملتقيات،الجزائر، ص: ٢٥٠-٢٥١.

(٥) حفظ الله بوبكر، **الدور العسكري للمرأة الجزائرية إبان الثورة التحريرية (١٩٥٤-١٩٦٢)**، الملتقى الدولي الخامس حول دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة سكيكدة، الجزائر، يومي (٢٥-٢٦) أكتوبر ٢٠١٠، ص: ٠٣.

(٦) جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، **المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من ١٩ مارس ١٩٦٢ إلى سبتمبر ١٩٦٢**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ١٩٩٥، ص: ٣٥٥.

(٧) **كفاح المرأة الجزائرية**، مرجع سابق، ص: ٢٥١.

(٨) سليمة كبير، **من أعلام الجزائر في العصر الحديث: مجاهدات وشهيدات خالدات**، مكتبة الخضراء للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص: ١٣-١٤.

(٩) سليمة كبير، مرجع سابق، ص: ٢٥.

(١٠) عبد القادر جغلول، **المرأة الجزائرية**، ترجمة سليم قسطون، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ص: ١٢٥.

(١١) **المرأة الجزائرية في قلب الثورة التحريرية**، مرجع سابق، ص: ٢٧.

(١٢) عمار جرمان، **من حقائق جهادنا**، طبعة بمساهمة المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة، الجزائر، ٢٠٠٩، ص: ٢٤٩.

(١٣) **كفاح المرأة الجزائرية**، مرجع سابق، ص: ٢٥٨.

(١٤) **كفاح المرأة الجزائرية**، مرجع سابق، ص: ٢٥٦.

(١٥) عبد القادر جغلول، مرجع سابق، ص: ١٣٥.

(١٦) عمر تابليت، **دور غسيرة في ثورة التحرير (١٩٥٤ – ١٩٦٢)**، الجزء الأول، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، ٢٠٠٨، ص: ١٨٠.

(١٧) مسعود عثماني، **أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد**، الطبعة الأولى، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ٢٠٠٨، ص: ٣٣٠.

(١٨) **كفاح المرأة الجزائرية**، مرجع سابق، ص: ٢٥٩.

(١٩) **المرأة الجزائرية في قلب الثورة التحريرية**، مرجع سابق، ص: ٢٨.

(٢٠) مسعود عثماني، مرجع ساق، ص: ٣٣٠.

(٢١) عثمان طاهر عليات، **الثورة الجزائرية: أمجاد وبطولات**، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة الطباعة الروبية، الجزائر، ١٩٩٦، ص: ١٦٦.

(٢٢) **كفاح المرأة الجزائرية**، مرجع سابق، ص: ٢٦٥- ٢٦٦.

(٢٣) كفاح المرأة الجزائرية، مرجع سابق، ص: ٢٦٧- ٢٦٨.

(٢٤) عبد القادر بن دعماش، **الفرقة الفنية لجبهة التحرير الوطني (١٩٥٨ – ١٩٦٢): الفن في مواجهة الاحتلال**، منشورات انترسيني، ٢٠٠٨، ص: ٩٩ - ١١٦.

(٢٥) بسام العسلي، **المجاهدة الجزائرية**، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٤، ص: ١٢٣.

(٢٦) **كفاح المرأة الجزائرية**، مرجع سابق، ص: ٢٦٨-٢٦٩.

(٢٧) **كفاح المرأة الجزائرية**، مرجع سابق، ص: ٢٧٠-٢٧١.

# عبان رمضان والطموح القاتل لقيادة الثورة
# (١٩٥٥ – ١٩٥٧)




**عابد الصالح**

أستاذ التعليم المتوسط
باحث ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة قالمة – الجمهورية الجزائرية



## مُلَخّصْ

تعتبر الثورة التحريرية من بين أهم الثورات التي كانت لها مساهمة كبيرة في تحرر العديد من بلدان العالم حيث أخذت منها ذلك الزخم النضالي، إلا أن الأمر لا يمنعنا من الالتفات إلى الجوانب السلبية فيها وطرق الموضوعات التي تعتبر من طابوهات تاريخ الثورة، ومن هنا يأتي هذا المقال في إطار أزمة القيادة التي عرفتها مراحل الثورة التحريرية، ومن الواجب الاعتراف بأن العديد من المناضلين ممَنْ انضموا إلى الثورة إنما جرفهم سيلها، ولم يكن عندهم وليد عقيدة واقتناع، وظلوا طيلة سبع سنوات ونصف راكبين موجة أعتى من قدرتهم على التحمل، ومن أمثلة هؤلاء عبان رمضان الذي هو موضوع هذا المقال.



**بيانات المقال:**

تاريخ استلام البحث: ٢٢ يوليو ٢٠١٤

تاريخ قبـول النشـر: ١٨ سبتمبر ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

جبهة التحرير الوطني, مؤتمر الصومام, الثورة الجزائرية, الاستعمار الفرنسي, المناضلون الجزائريون

**الاستشهاد المرجعي بالمقال:**

عابد الصالح. "عبان رمضان والطموح القاتل لقيادة الثورة (١٩٥٥ – ١٩٥٧)".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ٨٩ – ٩٦.


## مُقَدِّمَةٌ

بقدر ما كان الثامن من مايو تعبيرًا عن فرحة عمت المعمورة لانتصار الحلفاء على دول المحور، بقدر ما كان مأساة لكل جزائري عاش في تلك الفترة وشارك في مظاهراتها ورأى ما رأى من صور وأساليب الاستعمار الفرنسي التعذيبية والتي تبقى راسخة في ذاكرة التاريخ إلى الأبد. وعندما نمعن النظر في السياق التاريخي الذي سبق هذه المجازر والذي نسجته تفاعلات الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها المحلية، يتضح أن العوامل التي فجرتها ظهرت في ربيع ١٩٤٤ وأهمها عاملان؛ **أولاً:** صدور مرسوم عن الحكومة المؤقتة الفرنسية برئاسة ديغول في (٧ مارس ١٩٤٤) والقاضي بإدخال بعض الإصلاحات على النظام الاستعماري في الجزائر، والتي تصب في اتجاه مشروع بلوم فيوليت الاندماجي. **ثانيًا:** تأسيس حركة "أحباب البيان والحرية" في سطيف في (١٤ مارس ١٩٤٤)، التي عقدت مؤتمرها التأسيسي في مطلع شهر أبريل من السنة نفسها.

بعد نجاح مناضلي جهة التحرير الوطني في حمل مشعل الحرية بقصد تحرير الجزائر من الهيمنة الفرنسية، لكن الإشكال الذي واجه هؤلاء المناضلين هي أن الثورة انطلقت بدون زعيم لها، وبدون خطة مرسومة وبدون وجود أسلحة كافية لخوض معركة التحرير الفاصلة وفي الحقيقة أن القادة الستة للثورة كانوا على قناعة تامة بأن انطلاق الثورة سيضع الجميع (التيارات المختلفة) أمام الأمر الواقع، وأن المناضلين على مستوى القاعدة سيلتحقون بالثورة ويؤيدونها بدون تحفظ، وهذا ما حدث، فقد سارع المناضلون من جميع الأحزاب إلى الانضمام إلى جهة التحرير الوطني، وكان من بين هؤلاء عبان رمضان والسؤال المطروح هنا:[١] هل يقبل الثوريون أن يظهر على الساحة مناضلون لم يكن لهم السبق في تفجير الثورة ويتسلمون زمام قيادة الثورة التحريرية؟ وإذا ما حدث هذا فما نتائج هذا الأمر؟

### مسيرة "عبان رمضان" النضالية:

خلال منتصف جانفي (يناير) ١٩٥٥ أطلق سراح "عبان رمضان" (Abane Ramdane)[٢] الإطار في حزب الشعب وحركة الانتصار الحريات الديمقراطية والمسؤول السابق لولاية سطيف/ بجاية، من الزنزانات الاستعمارية بعد أن أمضى فيها خمس سنوات للمساس بالأمن الداخلي والخارجي لفرنسا.[٣] وعند عودته إلى مسقط رأسه في (مدينة عزوزة) اتصل به كريم بلقاسم عن طريق نائبه "عمر اوعمران" (Omar Imran) وطلب منه الالتحاق بالثورة ومساعدة قادتها،[٤] لكن أية مهمة تعهد إليه بصفته مسئولاً سابقًا "مثقفًا" (حاصل على البكالوريا في بداية سنة ١٩٤٠) وتم الاتفاق على أن تسند إليه طبقًا للعادة السائدة مهمة كاتب، فاقترح على عبان إذن الاستقرار في الجزائر لدى "رابح بيطاط" مسؤول المنطقة ويكلف بالدعاية وبكلمة واحدة، وكما نقول بالتعبير المبتذل "يعزف على المزمار"، وقبل عبان وقال في نفسه "موسيقى مقابل موسيقى، ولماذا ليس قائد جوق".

وكان إلقاء القبض على "رابح بيطاط" (Rabah Bitat)[٥] في ٢٣ مارس ١٩٥٥ قد منحه تلك الفرصة فالحرب هي الحرب، وعندما يسقط قائد يجب تعويضه وفي غياب بوضياف الذي كان منشغلاً بمشاكل الإمداد وغياب مرشحين آخرين للحلول مكان بيطاط على رأس المنطقة الرابعة فإن "كريم بلقاسم" ونائبه "اوعمران" مسئولي القبائل القريبة والمطلعين جيدًا على الوضع في مدينة الجزائر ومتيجة، فقد اتخذا مبادرة تعيين "اوعمران" مسؤولاً للمنطقة الرابعة، وعبان مسؤولاً على العاصمة التي رفعت إلى "منطقة حرة".[٦] ونتيجة لذلك شهدنا قيام إدارة تضم كلاً من كريم بلقاسم قائد منطقة القبائل، واوعمران عبان منذ أوائل ١٩٥٥، وقد أعطى عبان دفعًا قويًا لهذه الإدارة بحيث أصبحت هي الإدارة الوطنية الحقيقية لجبهة التحرير الوطني ومركز التنسيق بين القيادات الموجودة في الداخل، وبين هذه القيادات الموجودة في الخارج.[٧] ومن أمثلة أعمال التنسيق التي قام بها عبان، ذلك المنشور المؤرخ في أول أبريل ١٩٥٥، هذا المنشور الذي يعتبر أول نص ينشر باسم جبهة التحرير الوطني منذ الإعلان عن أول نوفمبر باسم جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني، وقد حذر المنشور من أولئك الذين يحافظون على حالة الغموض، وندد بأولئك الذين يلجئون إلى الأكاذيب والتهم الباطلة، وأخيرًا وجه عبان نداء إلى الجزائريين "هلموا جماعيًا لتعزيز صفوف جبهة التحرير الوطني"،[٨] ومنذ ذلك الحين أخذ نجم عبان رمضان يسطع في سماء الثورة انطلاقًا من العاصمة، من خلال كذلك السعي إلى مركزة قيادة الثورة من جهة وتوسيع قاعدتها إلى مختلف التيارات والفئات الاجتماعية من جهة ثانية.[٩]

لقد كان استقرار عبان رمضان في مدينة الجزائر نتيجة الصدفة والضرورة حسب بن يوسف بن خدة، وكان ذلك متزامنًا مع مجيء حاكم عام جديد هو"جاك سوستال" (Jack Sostal)، وقد جاء إلى الجزائر لكي يزاول السياسة ويجري مناورات، وحسب المثل السائد "فرق تسد"، وكان بالنسبة لسوستال من الملائم عزل المقاومة قبل تدميرها وذلك بإنشاء قوة ثالثة من الطبقة السياسية المعتدلة، وفي سياق العمل من أجل هذه الغاية أدى الرائد مونتاي (Major Montaa) مدير الديوان زيارة إلى القياديين المسجونين في سجن بربا روس (Brbarros)، وهم: بن خدة وكيوان وهما من المركزين، ومولاي مرباح ووقواق وهما من المصاليين، ومن جهته استقبل سوستال الشيخ محمد خير الدين ( Mohamed Khireddine) من جمعية العلماء المسلمين، ووقواق من المصاليين، وشرشالي من المركزين، وقد نصحهم بإنشاء تجمع وطني شرعي معقول تستطيع الحكومة الفرنسية أن تتحدث معه، وبالنسبة لعبان من المستعجل إفشال هذه الإستراتيجية، ففي منشوره الشهير في جوان (يونيو) ١٩٥٥ ذكر بالأفكار التي تضمنها بيان أول نوفمبر ووجه تحذيرًا صارمًا لجميع أولئك الذين يستهويهم الاستماع إلى سوستال.[١٠]

ويقول عباس بأن عبان رمضان في الواقع في البداية كان مهادنًا استلهم في سلوكه بيان الفاتح نوفمبر الذي ينص بصريح العبارة على أن الثورة أمانة في عنق الجميع بصفة فردية... كما استلهم تاكتيك التوريط الذي اعتمده بوضياف ورفاقه، كما يقول لخضر رباح في ذلك أن عبان حدد له مهمته في أول لقاء به بالعبارات التالية "عليك بالاتصال بكل جزائري سواء كان مناضلاً في حزب أو غير مناضل، يستطيع أن يساعد الجبهة والبلاد بشخصيته أو ماله أو فكره أو شجاعته.... اتصل به وضع إصبعه في دوامة الثورة، واترك لي أمره بعد ذلك".[١١] وعلى هذا الأساس طفق عبان يتحرك ويعمل انطلاقًا من العاصمة حيث اعتمد في تحركه على مبدأ توحيد جميع الجزائريين كشرط لا بد منه لمواجهة عدو قوي والانتصار عليه، وهو منطلق جهوي في محتواه إن لم يكن في شكله، وبفضل هذا المبدأ استطاع أن يجمع حوله ثوار أول نوفمبر[١٢] وأعضاء من اللجنة المركزية التابعين لحزب الشعب الجزائري (حركة الانتصار الحريات الديمقراطية)، وأعضاء حزب فرحات عباس (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري)، وكذا أعضاء جمعية العلماء المسلمين التي كان يرأسها الشيخ البشير الإبراهيمي، وقد تمخضت عن هذه الاستراتيجية الوحدوية نتيجة ملموسة، حيث اتسعت قاعدة جبهة التحرير الوطني وتعززت صفوفها وزاد نطاق تدخلها اتساعًا.[١٣]

وبتأثير قام به عبان رمضان انشأ في يوليو ١٩٥٥ الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (U.G.E.M.A) ثم أسفرت الاتصالات التي تمت مع مجموعة من العمال وعلى رأسهم عيسات ادير ( Aïssat Idir)، ورشيد بوروبية (Rachid Bourouiba)، وهم عمال السكك الحديدية والأستاذان علي يحي عبد النور (Ali Yahia Abdennour)، والطاهر اوصديق (El taher assidik)، والمدرس مولود قايد (Mouloud Gaïd) على إنشاء الاتحاد العام للعمال

الجزائريين(U.G.T.A)[١٤] في ٢٤ فبراير ١٩٥٦[١٥] ليملأ الفراغ الذي تركه الاتحاد العام للعمال (C.G.T) التابع للحزب الشيوعي الفرنسي، وإنشاء الاتحاد العام للتجار في سبتمبر ١٩٥٦. وفي نفس السياق قام عبان رمضان بإرسال "ياسف سعدي" ( Yacef Saâdi)[١٦] إلى سويسرا لجس نبض محمد بوضياف منسق لجنة الستة حول مسألة أولوية الداخل على الخارج، فذكره بوضياف بالمناسبة أن اللجنة كانت أقرت عشية اندلاع الثورة قاعدتين للعمل:

- الأولى: لا لمركزية العمل، نظرًا لاتساع رقعة البلاد وعدم توفر الثوار على وسائل اتصال حديثة، ومعنى ذلك ترك حرية المبادرة لكل منطقة حسب إمكانياتها.
- الثانية: أولوية الداخل على الخارج، بمعنى القرارات الهامة تصدر بالضرورة عن الثوار في الميدان،[١٧] وابتداءً من شهر سبتمبر ١٩٥٥ أقام عبان رمضان علاقات مراسلة مع الوفد الخارجي في القاهرة وقلة من الناس فقط يتصورون كم كان صعبًا في زمن الحرب تبادل الرسائل بين الجزائر والقاهرة.[١٨]

وفي شهر نوفمبر تمكن من عقد أول اتصال بالمنطقة الثانية بواسطة الطالب رشيد عمارة الذي صادف وصوله اجتماع إطارات المنطقة بقيادة "Youcef Zighoud يوسف زيغود [١٩] احتفالا بالذكرى الأولى للثورة وتقيم مسيرتها في نفس الوقت ويشير عبان إلى هذا الاتصال في رسالة إلى خيضر في القاهرة بتاريخ ديسمبر الموالي ، كما يشير في نفس الرسالة إلى اجتماع هام سيعقد بالداخل ويخبره بأنه سيطلب إرسال مندوب أو اثنين عنهم إلى هذا الاجتماع، وشهد الشهر نفسه الخطوات الأولى من عبان لسحب البساط من تحت أقدام رباعي الوفد الخارجي بتعيين الوانشي على رأس فدرالية جبهة التحرير في فرنسا (تحت غطاء مكلف بالإعلام والاتصال اليسار الفرنسي) والدكتور محمد الأمين دباغين ( Mohamed Lamine Debaghine) على رأس جماعة القاهرة، وكان قد أخبر هؤلاء في رسالة بتاريخ ٤ نوفمبر بتقليص مهامهم إلى حد أدنى وقد خاطبهم بالعبارات التالية:[٢٠] "إن بن بلة ليس هو ممثل جيش وجبهة التحرير الوطني في القاهرة أو أي واحد آخر، لا بوضياف، ولا آيت أحمد، أو خيضر أو يزيد أو لحول...إلخ". "إنكم وطنيون مهاجرون في المشرق وكلفتكم جبهة وجيش التحرير الوطني في الخارج.... نرجوكم لا تتقمص من ألان أدوار الوزراء والسفراء والقادة الكبار".[٢١]

أما فيما يخص الاجتماع الذي تحدث عنه عبان رمضان في رسالته إلى الوفد الخارجي، فقد كانت الحاجة ملحة إلى مثل هذا اللقاء، وكانت كل العوامل تضغط على عقد ذلك اللقاء، ففي الميدان الخارجي أصبح اللقاء مع فرنسا محتومًا، حيث قامت الحكومة الفرنسية بعد تولي جي موليه (Guy Mollet) مباشرةً باتصالات ترتيب لقاء مع البعثة الخارجية، إضافةً إلى تلك الرغبة التي كانت تعتري كثير من الدول العربية التي كانت الثورة تتعامل معها وفي مقدمتهم تونس (Tunisie)، وبالإضافة إلى تلك الدوافع الخارجية كانت هناك عوامل داخلية من نوع آخر كتوافد قياديين من أحزاب وهيئات أخرى في الجزائر أبدت رغبتها بالانضمام إلى جبهة التحرير، كما تم التطرق له من قبل، إضافة إلى ضرورة إظهار ناطق رسمي باسم الثورة والكفاح المسلح.[٢٢]

وقد عاد بعد أربع أشهر عبان رمضان إلى الموضوع نفسه في رسالة إلى خيضر بتاريخ ٣ أبريل١٩٥٦ جاء فيها "قررنا عقد اجتماع للقادة الرئيسيين في جبهة وجيش التحرير، يستضيفه زيغود شمال قسنطينة ويحضره: (مسؤول منطقة وهران الذي أرسلناه ليلتحق بنا في العاصمة- كريم بلقاسم وعبان رمضان عن منطقة الجزائر- اثنان من الخارج؛ مسؤول عن مصلحة العتاد وعضو من جهة التحرير)[٢٣] والعنصران القادمان من القاهرة يدخلان عن طريق ليبيا – الأوراس أو ينزلان بالمظلات رأسًا في منطقة الميلية (El Milia) على سبيل المثال، وسينعقد هذا الاجتماع حتى ولو اقتضى ذلك أن نموت جميعًا....إلخ".[٢٤] ويقدم عبان في رسالته هذه صورة قاتمة عن الوضع سياسيًا وعسكريًا، ملحًا على مسألة التسليح ومتهمًا الوفد الخارجي بالتقصير، الأمر الذي شحن المقاتلين عليهم إلى درجة أن أصبحوا يطالبون بالتنديد بأعضاء الوفد الخارجي علانية،[٢٥] لقد كان زيغود يشارك عبان في فكرة عقد لقاء بين مسؤولي جهة التحرير الوطني، كما كان انشغاله كبيرًا أيضًا بمشكل الأسلحة، وقد تحدث قائد المنطقة الثانية أيضًا حول هذا الموضوع ودور أعضاء الوفد الخارجي فاسر إلى دحلب بشيء من المرارة قائلاً: "ماذا تراهم فاعلين خارج البلاد؟ وما لهم لا يرسلون إلينا بأسلحة؟ عليهم إن لم يفعلوا أن يعودوا ليواجهوا الموت معنا"، لقد ترك زيغود في دحلب انطباعًا عميقًا لبساطته وإخلاصه.

وكان هناك اتفاق تام في وجهات النظر بين زيغود وعبان بصدد اجتماع قادة جهة التحرير الوطني،[٢٦] كما كان المحيطون بكريم بلقاسم لا ينقطعون عن الحديث حول اللقاء، وكان عبان أكثرهم إلحاحًا، وفي أوائل أبريل ١٩٥٦ حظي بموافقة من كريم بلقاسم وبدا العمل الجدي: الشروع في تحضير الوثائق والاتصال بالمناطق الأخرى ومن جملة المناطق التي اتصل بها – ولعلها الوحيدة- هي المنطقة الثانية والتي قبل قائدها زيغود يوسف الفكرة دون تردد لكنه اقترح "أصحاب الخارج والداخل"، لكننا نرى فيما بعد أن اقتراحه لم يؤخذ بعين الاعتبار، أما المنطقة السادسة المنشأة حديثًا فكانت موافقتها مفروغًا منها، وكذلك الشأن بالنسبة للمنطقة الرابعة التي كانت تعتبر-إلى حد كبير- جزءًا من المنطقة الثالثة صاحبة الفكرة، أما المنطقة الخامسة التي كانت تحت قيادة عبد الحفيظ بوصوف (Abdelhafid Boussouf) منذ نهاية ١٩٥٥، فإنه اقترح أن تكون موافقته متوقفة على مكان الاجتماع الذي كان يرى أنه يجب أن يكون بالحدود المغربية الجزائرية، لكن اقتراحه لم يؤخذ به ولم يتصل به بعد ذلك، واكتفي بقائد المنطقة السابق العربي بن مهيدي الذي كان يتمتع بسمعة طيبة بين المقاتلين.[٢٧]

وهكذا؛ تجاهل المنظمون كل الاقتراحات بعد أن كانت الأغلبية في صالحهم ووجهت بعثة الخارج وثيقة بدأ تحضيرها منذ لقاء القاهرة من طرف السيد/ حسين آيت أحمد (Hocine Aït Ahmed)، وهي عبارة عن مشروع تمهيدي تعرضت إلى جميع الجوانب بصفة شاملة وقدمت رؤية واضحة حول تكوين القيادة معتمدة في ذلك على تراث الحركة الوطنية، حيث تقترح في موضوع تكوين القيادة القادمة من (١٢) عضوًا تضم قادة المناطق الستة، وستة من البعثة الخارجية، لكنها لم تؤخذ بعين الاعتبار، بل وعمل بعكسها، أما الوثائق فكانت تتم تحت إشراف عبان رمضان بعد أن اختار أفرادها بعناية، إلا أن الصعوبة الكبرى التي تقف أمام الجميع هي الصفة التي يقدم بها اقتراح اسم الشخص الأول، أو القائد العام، أو الرئيس، أو غير ذلك مما يحافظ على مركزية القرار، وذلك ما كانت الحاجة ماسة إلى وجوده رغم أنه على مستوى المنطقة أصبح مستساغًا، أما فوق ذلك فلم تكن لأي أحد الشجاعة الكافية التطرق إليه، ورغم ذلك فإن الفكرة لم تبتعد عن أعين المنظمين والمحضرين ومنظريهم، ولعل مَنْ كان يفكر فيها كثيرًا كريم بلقاسم، لكنه لم يبح بذلك لكن ذكاء عبان ساعده على إدراك ذلك ودغدغ رئيسه بذلك، لكن كريم رغم قبوله الفكرة وإدراكه لوجاهتها، إلا أنه أوحى لمحدثه بأن يقدم الفكرة في أسلوب لطيف حتى لا تحدث صدمة عند الآخرين،[٢٨] وقد تمت مناقشة المشاريع التمهيدية للأرضية على مستوى لجنة موسعة بحضور عبان ويقول المحامي شنتوف عبد الرزاق (Chentouf Abderrezak) في هذا الصدد "إن اللجنة الموسعة توقفت كذلك طويلاً عند المبدأين الشهيرين اللذين حرص عبان شخصيًا على تسجيلهما وهما؛ أولوية الداخل على الخارج والعمل السياسي، وأنه لم يكن يشاطر عبان رأيه في ذلك لأن هذين المبدأين يترجمان في نظره اعتبارات سياسية واضحة، ويهدفان إلى تكريس جماعة وتحييد أخرى لا غير".[٢٩]

لكن مبدأ "أولوية الداخل على الخارج" ليس وليد مؤتمر الصومام، بل نجده قد طرح بكل قوة أثناء عملية التحضير للثورة التحريرية خلال اجتماع الستة، وقد سبق التطرق لهذا المبدأ،[٣٠] كما أن سعد دحلب (Saâd Dahlab) وضح هذه القضية بشكل جلي عندما كتب يقول: "في الحقيقة بتأكيدنا على هذه المبادئ لم نقم إلا بإعادة تأكيد الحقيقة الملموسة، وهي أننا نقيم في الداخل وفيه نقاتل، نعلم بمجريات الأمور، نعرف إذا كان في إمكاننا التقدم أو التراجع...... فالقرار لا يمكنه أن يطبق أو يرفض إلا في الداخل ومن طرف الداخل، فالجزائر هي التي أوقفت إطلاق النار وليست تونس أو الرباط أو القاهرة".[٣١]

وكما سبق الحديث عندما اكتشف عبان رمضان، أن أعضاء الوفد الخارجي وخاصةً (Ahmed Ben Bella) أحمد بن بلة يتصرفون كقادة للثورة وزعماء لها، نجده يتجاهل التفويض المخول لهم وكخطوة متقدمة منه نجده يسقط التفويض منهم، ونعيد أسباب هذا التصرف إلى محاولاتهم إيجاد قيادة موازية في الخارج، ولقد كان هذا الوفد يخطط فعلاً لتكوين قيادة موحدة في الخارج دون الرجوع إلى الداخل، وهو ما يؤكده أحمد توفيق المدني بقوله "إننا اجتمعنا في القاهرة في ٢ جوان (يونيو) ١٩٥٦ مع أهم عناصر الوفد الخارجي، وكان من جملة الاقتراحات التي عرضت علينا اقتراح تشكيل حكومة مؤقتة في أحسن الآجال، وفي ٣ جوان حاول أحد عناصر الوفد الخارجي أن يضع الجميع أمام الأمر الواقع بإعلان تشكيلة لجنة عليا للثورة، وحسب اعتقادنا أن هذه المحاولة تُعَدّ من الأسباب الأساسية التي دفعت بمؤتمر الصومام إلى ترسيخ هذا المبدأ وترسيمه".[٣٢] ويمكن لنا أن نضيف إليه سببًا آخر، ويتمثل في ما جاء في التقرير الذي عرضه العربي بن مهيدي (Larbi Ben M'hidi) على المؤتمرين عن المهمة التي قام بها إلى القاهرة في مستهل ١٩٥٦ حيث جاء فيه أنه لا يمكن الاعتماد على مصر في الحصول على الأسلحة، لأن موقفها من الثورة الجزائرية يخضع بقسط وافر إلى نشاطها الدبلوماسي، كما أن مندوبية جبهة التحرير الوطني (الوفد الخارجي) غير قادرة على أن تكون موحدة بفعل الانقسام السائد بين أفرادها الذين مازال كل واحد منهم يبحث عن الزعامة لنفسه.[٣٣]

إن إشكالية الداخل والخارج تحولت إلى عقدة حقيقية لدى قادة الثورة، فمثلاً نجد أنه كلما تعرضت قيادة الثورة إلى أي أزمة حادة في الخارج تقوم بالاستنجاد بالداخل، كما أن بن يوسف بن خدة طرح على قادة الثورة ضرورة إنشاء حكومة مؤقتة ومصغرة، وعليها أن تدخل الجزائر حتى يتم وضع حد للأزمات الخطيرة التي كانت تتعرض لها الحكومة المؤقتة، كما أن هذه العقدة سيستمر وجودها إلى غاية أزمة صيف ١٩٦٢[٣٤]، والمبدأ الثاني الذي جاء به مؤتمر الصومام (Soummam)، وأثار الكثير من النقاش والجدال مبدأ أولوية السياسي على العسكري الذي عمل على تكريسه كمبدأ أساسي في عمل الثورة، حيث يذكر مصطفى بن عودة في شهادته "أنهم تحفظوا على هذا المبدأ، لأنهم لم يكونوا جيشًا من المحترفين وكانت المهام السياسية والعسكرية متداخلة في بداية الثورة"، كما يضيف "جماعة العاصمة كانوا ينظرون إلى الاستقلال وكأنه مسألة أشهر، بينما نحن في الجبال كنا نراه بعيدًا، ومن هنا كان الاختلاف في تقدير الأمور"- وربما كان يقصد بجماعة العاصمة بن مهيدي وعبان رمضان-.[٣٥] والشيء المستنتج من هذه الشهادة هو أن التحفظ من هذا المبدأ خلال انعقاد مؤتمر الصومام كان نابعًا أساسًا من خشية المؤتمرين أن يحدث هذا شرخًا داخل قيادة الثورة بسبب تداخل العمل السياسي والعسكري وصعوبة الفصل بينهما.[٣٦]

في حين يرى علي كافي بأن الذين سعوا إلى تكريسه -مَنْ يقصد بهؤلاء ؟- كان هدفهم الأول والأخير هو القضاء على الثوريين الحقيقيين وفي طليعتهم جيش التحرير وتكريس فكرة التفاوض[٦٧] ومسالمة المعتدلين، مع العلم أن عبان رمضان هو الذي اقترح فرحات عباس المرفوض نضاليًا وثوريًا، والشيخ عباس بن الشيخ

عضوين في مجلس الثورة، كما يذكر أيضًا بأن عبان كان يقول: "إن وجود عناصر من المدن مكونة سياسيًا وذات تجربة تحت القيادة الواعية والبصيرة لجهة التحرير الوطني قد سمح ومكن من تسيير النواحي المختلفة"، ويؤكد علي كافي أن التاريخ اثبت أن قرار أولوية السياسي على العسكري تسبب في شرخ كبير في صفوف الثورة، وهو الذي لم يرد ذكره في بيان أول نوفمبر ١٩٥٤ فأصبح هناك مَنْ يقول "أنا من جيش التحرير، وآخر يقول أنا من جهة التحرير" كما يضيف بأن هذه المبادئ السابقة كرست الخلافات بين الداخل والخارج، وازداد التسابق على السلطة، وتبلورت الأطماع، وعادت الانقسامات ومخلفات ما قبل الثورة –يقصد أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية– وظهرت مراكز قوى أدت إلى تناقضات واصطدامات في صفوفها كادت تمزق جهة التحرير الوطني.[٣٨]

أما القضية الجوهرية التي طرحت في المؤتمر، قضية القيادة وفكرة ضم القيادات الحزبية التي كانت تابعة للتشكيلات السياسية السابقة إلى هذه القيادة، فقد دافع عبان رمضان على فكرة ضرورة فتح الجهة لكل التيارات السياسية التي كانت متواجدة في الجزائر،[٣٩] حيث ذكر عبان رمضان: "أنه يجب أن تصبح الجهة مرادفة للوحدة الوطنية، لذلك علينا أن نعتمد على كل التوجهات حركة فرحات عباس والمركزين والعلماء بل وحتى الشيوعيين".[٤٠] وكما سبق الذكر؛ فقد عارض الكثير من العسكريين هذه الفكرة، لكن عبان وبن مهيدي تمكنا من إقناع أغلبية المعارضين لهذه الفكرة بأهمية تجسيدها على أرض الواقع والحجة التي استعملها عبان في إقناع هؤلاء المعارضين تتمثل في أن الثورة قد توسعت وصارت تضم في صفوفها فئات اجتماعية مختلفة، وتيارات إيديولوجية متعددة، وهي مدعوة لأن تتطور أكثر، كما أن هدفهم من ذلك هو ترغيب الإطارات السامية وجعلها تسارع إلى الالتحاق بالصف، لقد انتصرت الأغلبية في ذلك الوقت وتدخل مبدأ المركزية الديمقراطية ليمنع الانقسام الفعلي ويضمن للقيادة الجديدة استمرارية وحدتها ويوفر لها شروط النجاح.[٤١]

وبمجرد انتهاء المؤتمر، بعث عبان رمضان بعض القرارات إلى السيد أحمد بن بلة مرفقة برسالة صارمة يقول فيها: "إن هذه القرارات لا رجوع عنها، وقد تم تشكيل قيادة الثورة بالاتفاق وتحدد خطها السياسي....وتحددت مسؤولية الجميع.... وكل مَنْ يقف في طريقها ستحصده...."، لكن بن بلة لم يهضم ذلك ورد على الرسالة برسالة أخرى، كانت أقل حدة كما أنها اعتبرت لفتة نظر، وهي كانت ترتكز على ثلاث نقاط:

- إن المؤتمر كان غير تمثيلي، ولم يحضره ممثل الأوراس ولا البعثة الخارجية، ولا المناطق الشرقية ولا ولاية وهران.
- إن الإسلام ليس له وجود في قراراتكم، وكذا توجهكم علماني، وهذا يتنافى مع مبادئ أول نوفمبر ١٩٥٤.
- وضعكم مسؤولي أحزاب معادية لنا داخل الهيئات القيادية، وهذا كله مناف لمبادئ أول نوفمبر.[٤٢]

لقد اعتبر بن بلة كذلك أن المؤتمر له تأثير سلبي على الثورة وعلى مسارها السياسي في قوله: "هذا المؤتمر طعنة خنجر في خاصرة الثورة التحريرية"، كما كتب لجهة التحرير الوطني داخل الجزائر وطلب منهم أن لا يعلنوا قرارات المؤتمر لأنه غير تمثيلي من طرف جميع المناطق كما قال بن بلة: "أنا أعتقد أن مؤتمر الصومام كان هدفه سحب البساط من تحت أقدامنا"، كما يقول أيضًا: "أن مؤتمر الصومام كان بداية لانحراف الثورة....".[٤٣]

لقد خرج عبان من مؤتمر الصومام منتصرًا لكن إلى حين، بعد أن فرض نفسه منسقًا على لجنة التنسيق والتنفيذ التي عادت الغلبة فيها للسياسيين، ومعنى ذلك أن المؤتمر عزل عمليًا قادة بارزين وفي مقدمتهم بن بلة، بوضياف، خيضر، آيت أحمد صاحب فكرة الإسراع إلى تشكيل حكومة مؤقتة، لقد استمر الصراع وظهر مرة أخرى من جديد في صيف ١٩٥٧، وذلك ابتداءً من اليوم الذي توجه فيه عبان رمضان إلى القاهرة عبر الولاية الخامسة والمغرب، فخلال مروره بالولاية الخامسة وتوقفه في المغرب وجه عبان رمضان انتقادات لاذعة إلى عبد الحفيظ بوصوف بوصفه قائد هذه الولاية، واتهمه بالإقطاعي وعدم احترام مقررات الصومام التي تنص على خضوع قادة الجيش إلى قادة الجهة المدنيين (السياسيين)،[٤٤] ثم انتقل عبان رمضان من مهاجمة بوصوف إلى مهاجمة كريم بلقاسم وبقية العسكريين وخاصةً عمر اوعمران الذي اتهمه عبان بأنه غير كفء عسكريًا. وبإيجاز؛ فإن عبان رمضان قد خلق جهة مدنية ضد جهة أخرى تتكون من رؤساء[٤٥] الولايات الخمسة الموجودة في شمال الجزائر، وما لبث رد الفعل المناوئ لعبان أن امتد إلى اوعمران فعميروش، وفي أعقاب معركة الجزائر إلى بن طوبال وبوصوف وبومدين، وحسب شهادة سعد دحلب رفيق عبان رمضان في رحلة الخروج أن العلاقة بين كريم بلقاسم وهذا الأخير كانت في غاية التوتر، ولما تقرر عقد مؤتمر صحفي لتقديم القيادة من داخل الجزائر، عارض كريم بشدة أن يديره عبان، وكذلك فعل عبان وهذا ما يفسر الاتفاق على دحلب لرئاسة المؤتمر.[٤٦]

وخلال هذا المؤتمر الذي انعقد في القاهرة بين (٢٠) و (٢٨) أوت ١٩٥٧ طلب إعادة النظر في المبدأين الواردين في المؤتمر "أولوية الداخل على الخارج"، و"أولوية السياسي على العسكري" من طرف كريم بلقاسم، حيث طالب بتعويضهما بمبدأ الأولوية لرجال الساعة الأولى ومفجري الثورة، وعندما قدم التعديل للتصويت لم يمتنع عن التصويت سوى فرحات عباس والصادق دهيليس (Sadik Dhills)، وعد هذا التصويت أول هزيمة يمنى بها عبان رمضان.[٤٧] وكانت نتيجة هذا الصراع بين المدنيين (السياسيين) بقيادة عبان والعسكريين برئاسة بوصوف هي تقليص نفوذ عبان في وزحزحته من قيادة لجنة التنسيق والتنفيذ،[٤٨] وإذا كان السيدان دحلب وبن خدة لم يظهرا معارضتهما للأفكار الجديدة التي جاء بها السيد كريم بلقاسم، فان عبان رمضان قد بذل كل ما في وسعه للتصدي لها،

لكن الظروف تغيرت فلم يعد هو الآمر الناهي، ولم يعد كريم هو ذلك المنبهر أمام شخصيته الفذة.(٤٩)

ويذكر سعد دحلب أن عبان رمضان بذل كل ما في وسعه للتمرد، ولكن "لم نمده بأي دعم.. عبان لم يكن يعرف الاعتدال، أما أنا وبن خدة فقد وضعنا أنفسنا وبدون تردد تحت تصرف لجنة التنسيق والتنفيذ الجديدة". ويقول أيضًا بأنه "بعد ذلك بفترة من الزمن وصفهما بكل الكلمات التي كان يعرفها (بن خدة ودحلب)، وصب علينا جام غضبه وسخطه"،(٥٠) كما اتخذ من جريدة المجاهد (El Moudjahid) منبرًا للهجوم على خصمه، ووصل قمة الهجوم في العدد (١٢) الصادر يوم ١٥ نوفمبر ١٩٥٧ وكان موجهًا ضد كريم بلقاسم بالذات، إلا أن كريم لم يتحمل ذلك ووجه له إنذار عن طريق فرحات عباس، إلا أن ذلك جعله يزيد في هجومه.(٥١)

إن عبان رمضان لم يهضم ما حصل، ولم يقدر انقلاب موازين القوى حق قدره، بل راح كذلك يحاول تغيير الأمور بالاتصال المباشر مع بعض المسؤولين العسكريين محرضًا على خصومه من الثوار خاصة، وكان العقيد دهيليس بمثابة نصيره العسكري، كما استطاع أن يكسب أحد ضباط الولاية الأولى وهو الحاج علي حمدي (Haj Ali Hamdi) وظل يواصل مساعيه في هذا الاتجاه.(٥٢) حيث يذكر "علي كافي" بأن عبان رمضان جاءه يطلب مساعدته، وبعد أن شكره حاول استمالته نحوه في خلافه مع كريم بلقاسم وبن طوبال ويضيف المتحدث أنه بقي محايدًا،(٥٣) لم يغفر العسكريون لعبان محاولته السيطرة على جبهة التحرير الوطني، فرغم انتصارهم السياسي في مؤتمر القاهرة قرروا تصفيته.(٥٤)

إن قضية موت عبان رمضان تدور حولها الكثير من الروايات المتضاربة، وقد ارتأينا أن نستعرض هذه الروايات لإعطاء القضية حقها من الرأي والرأي الآخر. فيذكر "علي كافي" في هذا الشأن بأن "عبان رمضان كان يشاع عنه أنه على مشارف خيانة. أما بالنسبة لصدور حكم الإعدام في حقه فإن كل مَنْ قابلتهم من قادة الثورة ينفون ذلك، وكل ما أكدوه لي هو وجود اتصالات بين عبان والعدو لم يكاشف بها زملائه في القيادة حتى اكتشفوها بمجهوداتهم ووسائلهم الخاصة". وفي هذا الشأن يذكر يوسف بن خدة بأن أول الاتصالات بين عبان رمضان والسلطات الفرنسية تعود إلى سنة ١٩٥٦، حيث تم لقاء بين مبعوث منديس فرانس ( Mendès France)، وعبان رمضان، وبن يوسف بن خدة في الجزائر العاصمة،(٥٥) وعندها حامت حوله الشكوك وأدت بزملائه إلى استدراجه للذهاب معهم إلى المغرب بحجة مقابلة الملك محمد الخامس (Mohammed V)، وهناك تمت محاكمته ونفذ فيه الحكم.(٥٦)

أما عمار بن عودة فيتحدث حول هذه القضية، فيقول: "عمار بن عودة يتكلم ولا يهاب ولا يخفي الحقيقة، بالنسبة لي عبان رمضان شخصية وطنية، ارتكب أخطاء ودفع ثمنها، كنت عضوًا في مجموعة (٢١) التاريخية، وكذا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، يقولون إن الرجل كان يجري اتصالات خارجية، وأحيانًا كانت الاتصالات مع العدو، ولما اكتشف أمره شكلت لجنة التنسيق والتنفيذ، التي ضمت خمس عقداء،(٥٧) محكمة عسكرية، وصدر ضده حكم بالإعدام، ولم يعارض أحد القرار وقتذاك، عدا بن طوبال، ما يدل على أن إعدامه كان بناءً على حكم، وليست قضية تصفية سياسية. لا أريد الدخول في تفاصيل أخرى، غير أنني أقول إنه كان هناك رائدان مع عبان رمضان، هما حاج علي ورابح نوار، تمت محاكمتهما معه، "حاج علي" نُفذ فيه حكم الإعدام، و"رابح نوار" هو مَنْ أخبر بأن عبان يريد الانقلاب على الثورة ما دفع الإخوة لإبعاده إلى القاهرة، وذلك إلى غاية الاستقلال".(٥٨)

كما يدلي علي هارون (Ali Haroun) بدوره في هذه القضية فيقول: "عندما نشرت صحيفة الاكسبريس (L'Express) الفرنسية سنة ١٩٥٧ على صفحتها الأولى عنوانًا كبيرًا (عبان رمضان الرجل الأول في جبهة التحرير الوطني) شعرنا يومها بالخوف على الرجل، ونحن نعلم أننا في الجبهة نعمل دون أن نبرز أي زعيم، إلا أن تحرك الآلة الإعلامية الفرنسية قد يخفي نوايا وتحركات مشبوهة...". كانت هذه أول خطوة نحو الشك في مصير الثورة". ويضيف علي هارون "نعلم أن عبان عاد من مؤتمر القاهرة منزعجًا، حيث كان وحيدًا في أطروحته... دخل أولاً تونس لكنه لم يكن مرتاحًا، بل ظل كئيبًا ينتابه شعور بضرورة العودة إلى الجزائر ومعاودة الاتصال بقادة الولايات، وافترض شخصيًا أن رغبة عبان في العودة للعمل الميداني كانت ستمنحه قوة داخلية لا تريدها القوى الخارجية، مما دفع إخوته في الكفاح إلى اغتياله".(٥٩)

أما فتحي الذيب، فيذكر في هذا الصدد "أنه وصلهم خبر مقتل عبان رمضان وهو في طريقه إلى تونس، وحاول أعضاء لجنة التنفيذ والتنسيق إخفاء الوسيلة التي تم بها اغتياله، إلا أننا عرفنا ومن بعض الإخوة الأمناء في تعاملهم معنا أن كريم بلقاسم كان وراء اغتيال عبان رمضان للتخلص منه لاعتباره انحرف عن خط الثورة وحاول تقوية نفوذ السياسيين على حساب العسكريين، وهكذا تم التخلص من عبان ليبدأ كريم بلقاسم صراعًا جديدًا من أجل سيطرته على الثورة لصالح تطلعه الشخصي".(٦٠) أما خالفة معمري، صاحب كتاب عبان رمضان، فيقول أنه لا يملك سوى شهادتين مباشرتين فمَنْ شاهدوا عبان رمضان حيًا عند توجهه إلى تونس يوم (٢٧ ديسمبر ١٩٥٧) ووصوله إلى تطوان (Tétouan) في المغرب مساء ذلك اليوم،(٦١) ويضيف في سياق أخر أن عبان رمضان مات مخنوقًا حيث يقول: "عبان الذي مات مخنوقًا ظل يسكن الضمائر ويتابع مَنْ قاموا بهذه الفعلة أو سمحوا بذلك كالكابوس المزعج، كيف يمكنهم إيجاد راحة الضمير؟" ويزيد على ذلك بالقول "أن بوصوف قد قال لأحد رفاقه القدامى أن الكل كان موافق على تصفية عبان حتى وإن تراجع الكثيرون بعد ذلك، بل ذهب إلى حد القول بأنه تم الاتصال بالولايات من أجل ذلك".

كما قال بن طوبال من جهته لقائد سابق في جيش التحرير الوطني للولاية الرابعة الذي أفاد خالفة معمري بذلك، حيث يصرح "الآن وقد تمت تصفية عبان سيظل دمه عائقًا أمام طريقنا للحكم الذي سيتولاه آخرون".(٦٢) كما يورد شهادة فرحات عباس فيقول: "في ١٩ فيفري ١٩٥٨ جاء كريم لرؤيتي (يقصد فرحات عباس) قال لي: لقد مات عبان وأتحمل مسؤولية موته، أصرح بذمتي وضمير ي أنه كان خطرًا على حركتنا، لست نادمًا على شيء"، كما يورد شهادة بن بلة، حيث يقول أن رد فعل بن بلة كان مختلفًا تمامًا لوفاة عبان، وهذا من خلال الرسالة التي كتبها أحمد بن بلة في (٢٦ أفريل ١٩٥٨) لكريم ولخضر بن طوبال (Lakhdar Ben Tobbal)، وبوصوف فيقول فيها "..... لا يسعنا إذن إلا أن نشجعكم على منهج التطهير هذا، فمن واجبنا جميعًا إذا كنا نريد إنقاذ الثورة وجزائر الغد أن نكون صارمين في موضوع التطهير هذا....... فيما يخصنا نعتبر أنه تم انجاز خطوة هامة، حيث أن الواجب يفرض عليكم بما أنكم طلقاء ألا تتوقفوا عند هذا الحد إذا كنتم منطقيين مع أنفسكم، وإذا كان هدفكم القيام بعمل فيه النجاة، لا يسعنا إلا أن ندعمكم في محاربة جراثيم التعفن التي تسللت إلينا".(٦٣)

إذن كل الشهادات المتوفرة تجمع أن هذه التصفية تمت في ضواحي مدينة تطوان في (٢٧ ديسمبر ١٩٥٧) بقرار من شركاءه الخمسة في اللجنة الدائمة للثورة، وبتزكية لاحقة مكتوبة من أحد الزعماء المسجونين.(٦٤) وخلاصة القول؛ أن عبان اغتيل على مذبح السلطة، وليس هو الأول ولا الأخير مَنْ لقي هذا المصير للسبب نفسه، وإذا صح القول بأن الثورة تأكل أبناءها، فإن الثورة الجزائرية تبدو ثورة عملاقة بهذا المقياس، لأنها أكلت إلى حد التخمة، ومهما يكن فالعبرة بالنتيجة ويظل الحكم النهائي للتاريخ وحده فهو سيد الموقف في مثل هذه القضايا الدقيقة.(٦٥)

## خاتمة

لقد كان الطموح أكبر عدو واجهه عبان رمضان خلال مسيرته النضالية خاصةً بعد خروجه من السجن إلى يوم دخوله القبر، فالرجل لم يعي مدى خطورة الخطوات التي اتخذها، فبدأ يكسب عداوة رفاقه المناضلين بداية بأعضاء الخارج وصولاً إلى أقرب زملائه الذين كانوا كذلك يخالجهم الطموح نفسه وهو الوصول إلى قيادة الثورة لكن بدون إبداء الأمر علنًا، بل بقي همسات بين ظهرانهم ينتظرون الفرصة المواتية، فعبان كان يشبه شجرة البلوط التي تنمو بسرعة وبقوة، وتترك من تحتها وورائها بقية الأشجار، حاجبة عنهم الأضواء، فعبان قد استعجل الأمر، فكان عليه دفع ضريبة ذلك الطموح الكبير، فدفع روحه في سبيل أمر لم يكن إلا ضربًا من ضروب الأنا، وبذلك قطعت شجرة البلوط لأنها تحدث وتسبب الظلال.

## الهوامِش:

(١) عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

(٢) عبان رمضان Abane Ramdane: (١٩٢٠/١٩٥٧) من مواليد ١٠ جوان ١٩٢٠ بمنطقة آيت اراثن ببلاد القبائل، تابع دراسته الثانوية بالبليدة وتحصل على شهادة البكالوريا سنة ١٩٤١، عمل في الجيش الفرنسي في صف الضباط خلال الحرب العالمية الثانية، بعدها تولى نيابة إدارة بلدية شلغوم العيد المختلطة. وفي سنة ١٩٤٣ انخرط في صفوف حزب الشعب وتولى أمور السياسة في نواحي سطيف، في ١٩٥٠ اعتقل في مدينة عنابة التي تولى المسؤولية بها خلفًا للطيب بولحروف. وفي ٠٧ مارس ١٩٥١ حكم عليه بالسجن لمدة ٦ سنوات بمحكمة الحراش، في ١٩ جانفي ١٩٥٥ أطلق صراحه، وبعد أن اتصل به العقيد اوعمران التحق بالثورة مباشرةً، وعين مسؤولاً على منطقة الجزائر، ورتب اتصالات مع البيانيين والعلماء، كما ساهم في تفعيل مؤتمر الصومام وتولى العضوية في لجنة التنسيق والتنفيذ والمجلس الوطني للثورة ما بين (١٩٥٦- ١٩٥٧). انظر:
Stora.Dictionnaire Biographique de militants nationalistes algériens, 1954/1962, EL harmaton, paris,1985, P.163

(٣) مبروك بلحسين، مصدر سابق، ص ٤١.

(٤) عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ٣٨٦.

(٥) رابح بيطاط "Rabah Bitat": ولد سنة ١٩٢٥ في عين الكرمة في ناحية قسنطينة، ناضل في حزب الشعب (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) عضو في المنظمة الخاصة. يعتبر من جناح الحياد والدعوة إلى الوحدة والعمل خلال أزمة الحزب عام (١٩٥٣-١٩٥٤)، عضو في اجتماع الـ (٢٢) ولجنة الخمسة ثم الستة، مسؤول المنطقة الرابعة في أول نوفمبر ١٩٥٤. أُلقي عليه القبض في الجزائر العاصمة في مارس ١٩٥٥، وظل في السجن إلى غاية وقف القتال، عُين كعضو في المجلس الوطني للثورة الجزائرية (١٩٥٦)، ثم وزير دولة في الحكومة المؤقتة منذ إنشائها إلى الاستقلال، خلال أزمة ١٩٦٢ وبعد تردد انضم إلى بن بلة وبومدين، عضو في المكتب السياسي الأول (١٩٦٢) نائب الرئيس في حكومة بن بلة الأولى التي استقال منها ومن المكتب السياسي (١٩٦٣)، أيد انقلاب ١٩ جوان ١٩٦٥، عُين وزير للنقل في ١٩٧٢، ثم رئيس المجلس الشعبي الوطني (١٩٧٧-١٩٩٠)، مبعوث خاص لتمثيل الرئيس بوتفليقة في حفل تنصيب خليفة الرئيس نلسن مانديلا (الرئيس تابو مبيكي ١٩٩٩)، توفي بمستشفى في باريس يوم ١٠ أبريل سنة ٢٠٠٠. صالح بلحاج، **تاريخ الثورة التحريرية (صانعوا أول نوفمبر ١٩٥٤)**، (المواجهات الصغرى في المواجهات الكبرى)، دار الكتاب الحديث، ٢٠١٠، ص ٢١٤.

(٦) مبروك بلحسين، **المراسلات بين الداخل والخارج (القاهرة – الجزائر) ١٩٥٤-١٩٥٦**، ترجمة، الصادق عماري، دار القصبة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص ٤٢.

(٧) بن يوسف بن خدة، **شهادات ومواقف**، ط١، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧، ص ٦١-٦٢.

(٨) مبروك بلحسين، مصدر سابق، ص ٤٢.

(٩) محمد عباس، **خصومات تاريخية**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص ١٣٣.

(١٠) مبروك بلحسين ، مصدر سابق، ص ٤٤.

(١١) محمد عباس، المرجع السابق، ص ١٣٤.

(١٢) محمد عباس، **ثوار عظماء (شهادات ١٧ شخصية وطنية)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ٣٦٩.

(١٣) بن يوسف بن خدة، مرجع سابق، ص ٦.

(١٤) الاتحاد العام للعمال الجزائريين (U.G.T.A): منظمة عمالية نقابية جزائرية تأسست سنة ١٩٥٨ في الجزائر بهدف الدفاع عن مصالح العمال الذين كانوا أشبه ما يكون بالعبيد في خدمة مصالح الكولون، ورغم ذلك فقد كان العمال من حين لأخر يعبرون عن رفضهم للسياسة الفرنسية ففي

سنة ١٩٠٢ تكون أول فوج نقابي لعمال الأرض بمنطقة العفرون، وفي سنة ١٩٠٤ قام عمال البناء بمسيرة شعبية في شوارع العاصمة، وفي سنة ١٩١٠ قام عمال الموانئ في سكيكدة بمظاهرة شعبية في شوارع المدينة ورفعوا العلم الجزائري، وهذا يعبر عن الكفاح النقابي المرتبط بالكفاح الوطني وتطور العمل النقابي مع تطور الثورة الجزائرية، وجاء ميلاد الاتحاد العام للعمال الجزائريين في مرحلة حرجة وهامة من تاريخ الجزائر بعد اندلاع الثورة التحريرية، ويعود الفضل في ذلك إلى جملة من العمال البسطاء وعلى رأسهم عيسات ايدير. انظر: طالب عبد الرحمان، **نشأة الحركة النقابية وتطورها في الجزائر**، منظمة العمل العربية، محاضرات، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٧، ص ٢٢٩.

(15) Gilbert Meynier, histoire intérieure du F.L.N, 1954 -1962, Alger, 2003, P. 523.

(١٦) ياسف سعدي (Yacef Saâdi): من مواليد ١٩٢٥ في الجزائر العاصمة، ابن خباز من القصبة، بدأ العمل مع والده منذ سن الرابعة عشر، انخرط في صفوف الحركة الوطنية والثورة التحريرية حتى أصبح من زعمائها في الجزائر العاصمة. انظر: شوقي عبد الكريم، **دور القائد عميروش في الثورة الجزائرية (١٩٥٤ - ١٩٦٢)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الثورة، ص ١٠٦.

(١٧) محمد عباس، **خصومات تاريخية**، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(١٨) مبروك بلحسين، مصدر سابق، ص ٤٦.

(١٩) زيغود يوسف (Youcef Zighoud): من مواليد ١٩٢١/٠٢/١٨ بدوار الصوادق (دائرة زيغود يوسف)، درس في المدرسة الفرنسية وحصل على الشهادة الابتدائية، انخرط في حزب الشعب الجزائري سنة ١٩٤٠، قاد مظاهرات (٠٨ ماي ١٩٤٥)، انتخب مستشارًا لبلدية زيغود يوسف (سمندو سابقًا) في أكتوبر ١٩٤٧، وفي الوقت نفسه عُين على رأس المنظمة الخاصة بالناحية، أُلقي عليه القبض سنة ١٩٥٠ بعد اكتشاف المنظمة وسجن في عنابة، لكنه تمكن من الفرار في أبريل ١٩٥٢ ولجأ إلى الأوراس وانضم في ربيع ١٩٥٤ إلى بوضياف ورفاقه وشارك في اجتماع الـ "٢٢" وفي تحضير الثورة بالمنطقة الثانية ، كان نائبًا أول لديدوش مراد وخلفه في جانفي ١٩٥٥ وقام بهجمات ٢٠ أوت ١٩٥٥، حضر مؤتمر الصومام الذي كلفه بمهمة في الولاية الأولى، استشهد في ١٩٥٦/١٢/٢٦. انظر: عبد المالك بوعربوة، **العلاقات بين الولايات التاريخية للثورة التحريرية (١٩٥٤-١٩٦٢)**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف د. شاوش حباسي، جامعة الجزائر، (٢٠٠٥ - ٢٠٠٦)، ص ٢٠.

(٢٠) محمد عباس، المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٢١) مبروك بلحسين، مصدر سابق، ص ١١٥.

(٢٢) مصطفى هشماوي، **جذور نوفمبر ١٩٥٤ في الجزائر**، دار هومة، الجزائر، ص ١٠٨ – ١١٠.

(٢٣) محمد عباس، **فصول من ملحمة التحرير**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ص ١٠٩-١١٠.

(٢٤) مبروك بلحسين، المصدر السابق، ص ١٧٨.

(٢٥) محمد عباس، المرجع نفسه، ص ١١٠.

(٢٦) بن يوسف بن خدة، مرجع سابق، ص ٧٠- ٧١.

(٢٧) مصطفى هشماوي، مرجع سابق، ص ١١٢ – ١١٣.

(٢٨) المرجع نفسه، ص ١١٤- ١١٦.

(٢٩) محمد عباس، **خصومات تاريخية**، مرجع سابق، ص ١٤.

(٣٠) إبراهيم لونيسي، **الصراع السياسي داخل جبهة التحرير الوطني (١٩٥٤-١٩٦٢)**، دار هومة للطباعة النشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٤٣.

(٣١) سعد دحلب، **المهمة منجزة**، من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، ص ٣١.

(٣٢) إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص ٤٦-٤٩.

(٣٣) محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر (١٩٥٤ - ١٩٦٢)**، ج٢، (من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ١٩٩٩)، ص ٥٦ - ٥٧.

(٣٤) إبراهيم لونيسي، مرجع سابق، ص ٥١-٥٢.

(٣٥) محمد عباس، **ثوار عظماء (شهادات ١٧ شخصية وطنية)**، مرجع سابق، ص ٢٢١.

(٣٦) إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص ٥٢.

(٣٧) التفاوض كان هدفًا أساسيًا من أهداف بيان أول نوفمبر ١٩٥٤.

(٣٨) علي كافي، **من المناضل السياسي إلى القائد العسكري ١٩٤٦-١٩٦٢**، مذكرات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ١٩٩٩، ص ١٠٣- ١٠٤.

(٣٩) إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص ٣٩.

(40) Yve Couriere, La guerre d'Algérie, Paris 1968, T3, p. 921.

(٤١) محمد العربي الزبيري، **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص ٥٣.

(٤٢) مصطفى هشماوي، مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٤٣) أحمد منصور، **الرئيس بن بلة يكشف عن أسرار الثورة التحريرية**، ط١، الدار العربية للعلوم، لبنان، ٢٠٠٧، ص ٧٥٣.

(٤٤) محمد عباس، **خصومات تاريخية**، مرجع سابق، ص ١٤٣-١٤٤.

(٤٥) عمار بوحوش، مرجع سابق، ص ٤٦٧.

(٤٦) عمار بوحوش، المرجع نفسه، ص ٤٦٧- ٤٦٨.

(٤٧) إبراهيم لونيسي، مرجع السابق، ص ٤٩- ٥٠.

(٤٨) عمار بوحوش، مرجع سابق، ص ٤٦٨.

(٤٩) محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر (١٩٥٤-١٩٦٢)**، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٥٠) سعد دحلب، مصدر سابق، ص ٦٧-٦٨.

(٥١) مصطفى هشماوي، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٥٢) محمد عباس، **خصومات تاريخية**، مرجع سابق، ص ١٤٥.

(٥٣) علي كافي، مصدر سابق، ص ١٢٣.

(٥٤) رياض الصيداوي، **صراعات النخب السياسية والعسكرية في الجزائر: الحزب، الجيش، الدولة**، الحوار المتمدن، العدد (١٨٥٤)، ٢٠٠٧.

(٥٥) بن يوسف بن خدة، **نهاية حرب التحرير في الجزائر (اتفاقيات ايفيان)**، تعريب، لحسن زغدار، محمد العين جبائلي، مراجعة، عبد الكريم بن الشيخ الحسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ١٥.

(٥٦) علي كافي، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٥٧) العقداء الخمسة هم: كريم بلقاسم، عمر اوعمران، لخضر بن طوبال، عبد الحفيظ بوصوف، محمود الشريف.

(٥٨) عمار بن عودة، انظر: **جريدة الخبر**، العدد (٦٦٤٦)، الثلاثاء ٠٦ مارس، ٢٠١٢، ص ١٥.

(٥٩) علي هارون، انظر: **جريدة الجزائر نيوز**، العدد (٢٧١٧)، الأحد ٢٣ ديسمبر، ٢٠١٢، ص ٣.

(٦٠) فتحي الذيب، **عبد الناصر وثورة التحرير الجزائرية**، ط١، ١٩٨٤، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص ٣٥٧.

(٦١) خالفة معمري، **عبان رمضان**، تعريب/ زينب زخروف، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٤٧٥.

(٦٢) خالفة معمري، المرجع نفسه، ص ٤٨٧.

(٦٣) المرجع نفسه، ص ٤٨٩- ٤٩٠.

(٦٤) هو أحمد بن بلة، وهذا حسب ما جاء في شهادة للعقيد اوعمران. انظر: عباس، **الاندماجيون**، ص٦٨.

(٦٥) محمد عباس، **خصومات تاريخية**، مرجع سابق، ص ١٤٦.

# مؤتمر الصومام ٢٠ أوت (أغسطس) ١٩٥٦
# واقع وآفاق في ذاكرة الجزائر




**لطفي ساعد**

أستاذ باحث في التاريخ الحديث والمعاصر
ماجستير تاريخ الثورة التحريرية
جامعة باتنة – الجمهورية الجزائرية



## مُلَخَّصْ

في كل عام يحل علينا نحن كجزائريين شهر أوت ومعه ذكريات لا تفارق أرض الجزائر، وذاكرة مفجري ثورة التحرير المباركة، وقد أخذت هذه الثورة مساحة من أقلام الكتاب والإعلاميين الجزائريين والأجانب، لكن للأسف رافق هذا الاهتمام بالثورة ومن دون قصد، تزييف لحقيقة النضال الثوري الجزائري الذي أصبح يدل على العنف الذي مارسه الجزائريون بعد ما استنفذ كل الطرق السلمية في نيل استقلاله، أو المصطلح الذي راج بين البعض (فشل النضال السياسي) في نيل الاستقلال. وسنحاول من خلال هذا المقال، تسليط الضوء على النظرة المتداولة عن الثورة التحريرية الجزائرية لدى المجتمع الجزائري والمثقف الأجنبي، والتي رسخت بأنها ثورة كفاح مسلح همجي بحت، وهذا عن طريق أخذ محطة هامة في مسيرة الثورة وفي التنظيم السياسي بها، وهو مؤتمر الصومام المنعقد في ٢٠ أوت ١٩٥٦، وسنتطرق في هذا الأخير إلى ظروف انعقاده وكيفية التحضير له، وكذا القرارات الحاسمة والهيئات التي خرج بها، كمثال عن درجة ومستوى الجانب الإداري التنظيمي الذي وصلت إليه الثورة بعدما نجحت الانطلاقة وكتب لها الاستمرار. فهل كانت ثورة التحرير ثورة عنف وهمجية وتفجير وقتل ضد فرنسيين؟ وأن هذا كله ما جعل الفرنسيون يقررون ترك الجزائر خوفًا على أرواحهم ومصالحهم من التخريب؟ وهل كان التنظيم السياسي للثورة والعمل العسكري يمشيان بالتوازي مع بعضهما البعض أم تفوق العسكري على السياسي؟ وعند التوقف في محطة مؤتمر الصومام ومواثيقه، كيف كانت ظروف انعقاده والتحضيرات له ؟ وما دور مؤتمر الصومام التنظيمي من هذا كله في مسيرة الثورة ؟ وهل كان الكفاح العسكري أشد فعالية وهو ما جعل الثورة تنتصر في الأخير؟.



**بيانات المقال:**

تاريخ استلام البحث: ٤ أغسطس ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ١١ سبتمبر ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

الثورة التحريرية، الحريات الديمقراطية، الاستعمار الفرنسي، قضية الجزائر، الشعب الجزائري

**الاستشهاد المرجعي بالمقال:**

لطفي ساعد. "مؤتمر الصمام ٢٠ أوت ١٩٥٦: واقع وآفاق في ذاكرة الجزائر".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ٩٧ – ١٠٤.


## مُقَدِّمَةُ

كانت ولازالت الثورة التحريرية الجزائرية موضوعًا يثير الكُتَّاب ويسيل أقلامهم، كما أن أحداثها وأسرارها ظلت على مر السنين تعطي للباحثين موضوعات ثرية لعدد كبير من الرسائل (الأطاريح)، والملتقيات والندوات العلمية التاريخية والسياسية والفكرية. ويبدو أن الاهتمام الذي لم ينقطع عن ثورة التحرير الجزائرية، كموضوع للبحث والإبداع الفكري، يوضح وبدون أدنى شك مدى ثراء موضوعاتها التي مازالت الكتابة فيها مفتوحة على مصراعيها أمام الباحثين من كل التخصصات والاتجاهات والجنسيات هذا من جهة، ومن جهة أخرى على ما تضمنته من قيم وأفكار عبقرية، وأبعاد إنسانية وتنظيمات فعالة، عكست الجانب الإداري المحكم لها ولقادتها السياسيين. ولقد جاءت محطة مؤتمر الصومام ٢٠ أوت ١٩٥٦ كمحطة لحل للمشاكل والعراقيل التي كانت تتخبط فيها الثورة في مرحلتها الأولى هذا من جهة، ومن جهة أخرى التخطيط الجيد والمحكم للمرحلة الثانية لها وهي مرحلة التنسيق والتسيير لمختلف فروعها وهياكلها بعد امتداد رقعة الثورة وعدم جدوى

التنظيم القديم الذي وضع لها، أيضًا لتحقيق الهدف الأول والأسمى الذي سطر في بيان أول نوفمبر ١٩٥٤ وهو الاستقلال التام عن الاستعمار الفرنسي.

وبالحديث عن التنظيم الثوري وهياكله منذ انطلاق الرصاصة الأولى إلى غاية استفتاء تقرير المصير وإعلان الاستقلال، نجد بأنه لطالما كان وبشكل قوي محور النقاشات الجادة في الملتقيات والأيام الدراسية والندوات العلمية، هذا لما جاء به من أفكار وتشريعات للثورة استوجب تحليلها وكشف ملابساتها من ظروف صياغتها وكذا صداها فيما بعد. إن أهمية الموضوع يشمل عدة قضايا مهمة ومتنوعة، منها بيان أمر جوهري وخاصية انفردت بها الثورة التحريرية عن باقي الثورات في العالم وهي القيادة الجماعية للثورة، فحسب المختصين، هذا النوع من القيادة من أصعب الأمور في أي بلاد، زد على ذلك؛ الظروف التي ولدت فيها الثورة، والتي عمل فيها الثوار والقوة الاستعمارية التي كانت يواجهونها حينها، والسياسات الخبيثة والخطيرة التي مارستها الإدارة الاستعمارية للقضاء على الثورة منذ الوهلة الأولى لانطلاقها حتى مرحلة المفاوضات واستفتاء تقرير المصير. لكن الذي وجب عليه التركيز هنا هو التنظيم السياسي الجديد لهياكل الثورة الذي جاء في قرارات مؤتمر الصومام (٢٠ أوت ١٩٥٦)، والترتيب الهرمي لمصالحها الإدارية ودوره في تنسيق العمل الثوري بين كافة ولايات الوطن الستة، وذلك بعد أن نجحت المرحلة الأولى لها، وهي مرحلة الإعداد والانطلاق والتعبئة الشعبية لها، وما يتطلبه هذا الأمر من جهود وإمكانيات لطالما كانت الشغل الشاغل للقادة.

ولقد جرت العادة في الدراسات التي تناولت هذا الموضوع أي التنظيم في الثورة التحريرية إبراز التنظيم العسكري للثورة على حساب السياسي، ومدى قوة الثورة عسكريًا وهذه الفكرة وجدت دعاية إعلامية كبيرة حتى يومنا هذا، وارتبط اسم الثورة التحريرية بالتنظيم العسكري أكثر من التنظيم السياسي وترسخت فكرة لدى الجميع بما فيهم الجزائريون، أن المجاهدين قد كسبوا معركتهم ضد الاستعمار بالعمل العسكري والعنف ضد كل ما هو فرنسي وتابع لفرنسا، وهي مراوغة إعلامية أخرى تحسب على الاستعمار في آخر أيامه في الجزائر. فهل حقًا كان المجاهدون يحاربون بهمجية وتقتيل تفتقد إلى قيادة فعلية آمرة وناهية؟ وهل خروج الفرنسيين هو انتصار عسكري أو سياسي أو هو معًا ؟ وهل من الإمكان أن نسلم بأن استقلالنا جاء عن طريق حملة البنادق فقط لا مع حملة الحقائب ؟

تنحصر الفترة التي تناولتها بالدراسة ما بين (١٩٥٤) و(١٩٥٦) وهي مرحلة الانطلاقة وجس النبض بالنسبة للمقاومة الوطنية الموحدة ضد الاستعمار، وهذا بعد ما يقارب القرن من الاحتلال الفرنسي لأرض الجزائر وعقم مختلف المقاومات الرسمية والشعبية للاستعمار، أما من حيث الأحداث فنجد فترة الدراسة غنية بعدة أحداث على النطاق الداخلي والخارجي منها ظهور المقاومة الموحدة والشاملة للتراب الوطني لأول مرة في الجزائر، هذا بالإضافة إلى تدويل القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، زد على ذلك استشهاد أبرز قادة الثورة مثل العربي بن مهيدي، ومصطفى بن بولعيد، دون أن نغفل أهم الأحداث في السنة وهي هجمات ٢٠ أوت ١٩٥٥. أما من حيث الإطار المكاني، فلقد كان منحصرًا تقريبًا في المنطقة الثالثة وما جاورها من مناطق، والتي تحولت بعد مؤتمر الصومام إلى ولايات تاريخية.

### (١) ظروف انعقاد المؤتمر

بعد أن قطعت الثورة شوطًا معتبرًا من الكفاح ضد العدو وبدأت تنتشر في كل مكان رغم قلة السلاح، حيث انتشرت في الأوراس تدريجيًا وعمت قسنطينة، كما انتشرت في منطقة القبائل ومحافظة الجزائر، هذا بالإضافة إلى تحول المواجهات من حرب العصابات إلى معارك كبرى بين الطرفين. وكدليل على ضراوة الثورة وقوتها، تم تعيين "قي مولي" رئيسًا للحكومة الفرنسية في (٠٢ جانفي ١٩٥٦) خلفًا لـ "إدقارفور" وحكومته (١٩٥٥- ١٩٥٦) الذي خلف بدوره "مانديس فرانس" الذي أطيح بحكومته التي دامت عام واحد وذلك بتاريخ (٥ فيفري ١٩٥٥).(١) كما تم أيضًا في التاسع من شهر مارس ١٩٥٦ تعيين الجنرال "روبير لاكوست" وزيرًا مقيمًا في الجزائر، يتولى الإشراف المباشر على السلطتين المدنية والعسكرية في الجزائر وربطهما برئيس الحكومة الفرنسية بصفته عضوًا في الجهاز التنفيذي للحكومة الفرنسية.(٢)

وفي هذه الأثناء كان قد بدأ بالتفكير في عقد مؤتمر وطني يجمع قادة الثورة، الغرض منه تقييم ما تم إنجازه وما آل إليه حال العمل الثوري في البلاد من جهة، ومن جهة أخرى التخطيط والتنظير للمرحلة المقبلة وإيجاد ميثاق جديد أجدى وأشمل، لكن هذا القرار لم يطبق في الوقت المحدد له وأجل، وذلك يعود إلى الصعوبات التي لم تكن متوقعة كشراء الأسلحة وإدخالها إلى الجزائر، هذا بالإضافة إلى الكثير من الأحداث الهامة على الساحة الوطنية والاهتمام الدولي الذي لاقته القضية الجزائرية شيئًا فشيئًا. ونجد عدة آراء لمجاهدين ومؤرخين حول صاحب الفكرة في عقد المؤتمر، فمنهم مَنْ قال أن الفكرة جاءت من:(٣)

- اقتراح من أعضاء اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، والذي تبناه عدد من قادة الجيش وفي طليعتهم زيغود في الشمال القسنطيني.
- القادة الأوائل من مفجري الثورة ضربوا موعدًا بينهم بعد مضي عام من انطلاق الثورة المسلحة، حتى يتسنى لهم تقييم ما تم إنجازه من أعمال والتخطيط للمرحلة المقبلة.(٤)
- التفكير في عقد المؤتمر قد بدأ بعد عملية بالغة الأهمية وهي هجمات (٢٠ أوت ١٩٥٥) في الشمال القسنطيني.(٥)

كما أن بعضهم ذهب إلى أنه وفي ربيع ١٩٥٦، بدأ عبان وبعض القياديين في العاصمة في التفكير لحل المشاكل العالقة، وخلق مناخ

خصب للثورة وفي الوقت نفسه محاولة إرساء مبادئ وهيئات إدارية للثورة ليكون الكفاح أكثر تنظيمًا وفعالية.(٦)

ومن بين العوامل التي سببت صعوبة في عقد المؤتمر داخل الوطن وفي ناحية الشرق بصفة خاصة، عامل استشهاد عدد كبير من القادة أهمهم مصطفى بن بولعيد في ميدان المعارك، وتوجه آخرين إلى الخارج، زد على ذلك اعتقال البعض منهم في شتى المناطق ومنهم رابح بيطاط،(٧) هذا بالإضافة إلى الحصار التي ضربته القوات الفرنسية على منطقة الأوراس، الشيء الذي خلق صعوبات كبيرة في عملية الاتصال بين قادة الولاية الأولى وبقية الولايات، خصوصًا بعد استشهاد "شيحاني بشير" نائب مصطفى بن بولعيد، أثناء وجود هذا الأخير في سجن الكدية في قسنطينة، علاوة على ذلك استشهاد "ديدوش مراد" قائد المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني)، ورد فعل السلطات الاستعمارية على هجمات (٢٠ أوت ١٩٥٥).(٨) أما من ناحية الغرب، أي في المنطقة الخامسة (منطقة وهران)، فقد حصل الجيش الفرنسي على معلومات سرية مكنته من معرفة وتفكيك الخلايا الثورية الأولى في المنطقة، الشيء الذي أوجب على قادتها بذل جهد كبير في إعادة تكوين وتنظيم خلايا جديدة لتنهض بالعمل الثوري من جديد في المنطقة.(٩)

وبعد أن هدأت الأوضاع نوعًا ما وتمكن الثوار من تسوية بعض العقبات السابقة، أصبح الطريق ممهدًا لعقد مؤتمر شامل لجميع قادة الثورة، ومما سبق تناوله من عوامل، يمكن حصر الأسباب الرئيسة لعقد مؤتمر الصومام في النقاط التالية:

١- تقييم المرحلة السابقة من عمر الثورة بكل إيجابياتها وسلبياتها والاستفادة من الأخطاء.
٢- إصدار وثيقة سياسية عملية للثورة.
٣- توحيد المواقف بالنسبة للقضايا المطروحة على الساحة الوطنية آنذاك.
٤- وضع استراتيجية تنظيمية موحدة وشاملة ودائمة للعمل الثوري، وتنسيقه على الصعيد الداخلي والخارجي.
٥- إيصال صدى الثورة الجزائرية إلى الرأي العام العالمي.

وبعد تقديم الاقتراح لعقد اجتماع لقادة الثورة من طرف عبان رمضان إلى العربي بن مهيدي، الذي ذهب في مهمة في القاهرة والتقى أحمد بن بلة الذي وافق على الفكرة، وقرر الجميع أن يكون الاجتماع على أرض الوطن، واختيرت المنطقة الثالثة (منطقة القبائل) كمكان لعقده.(١٠) ولا ريب في أن اختيار هذه المنطقة مكانًا للاجتماع، قد جعل اتخاذ الترتيبات الضرورية لعقده، والاتصالات مع الزعماء في الخارج من الأمور الصعبة والشاقة، وبين المستوى الذي وصل إليه الجزائريون في التنظيم والتخطيط بالرغم من الصعوبات الكبيرة التي كانوا يعيشونها، وأصبحت الثورة تأخذ منحنى تصاعدي وتسير في خطى ثابتة إلى الأمام. ولحماية المؤتمر قام عميروش آيت حمودة بجمع قوات من جيش التحرير في منطقة مجاورة للفت انتباه القوات الفرنسية إلى منطقة أخرى قدر الإمكان.(١١)

وفي هذه الأثناء، كان أحمد بن بلة وزملاؤه قد توجهوا من القاهرة إلى سان ريمو الإيطالية في انتظار باخرة تقلهم سريًا إلى الجزائر، ومكثوا مدة ثلاث أسابيع بالساحل الإيطالي يتلقون رسائل عبان رمضان الذي يطلب منهم كل مرة تأجيل القدوم، لأن العمليات الفرنسية والتمشيطات في الجبال في أوجها حينذاك.(١٢) وبعدئذ طلب منهم التوجه إلى من إيطاليا طرابلس، على أساس أن تتم مرافقتهم إلى أرض الوطن من البر ليلتحقوا بالمؤتمر، وحين وصولهم تفاجئوا بأن الاجتماع كان قد تم بدون حضورهم، هذا لأن الظروف لم تكن تسمح بتأخيره أكثر وقتها، بالإضافة إلى بعض الخلافات بين القيادة في العاصمة والوفد الخارجي، ولهذا اتخذ القرار من قبل عبان بعقد المؤتمر في أسرع وقت وبدون الوفد الخارجي.(١٣)

ولقد اختلفت الآراء حول الكيفية التي تم بها اختيار المكان الملائم لعقد المؤتمر ويمكن إجمال هذه الآراء فيما يلي:(١٤)

- رأي يرى بأن المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) قد اقترحت عقد المؤتمر فوق ترابها، وبالذات في جبال بني صالح بسوق أهراس أو في منطقة الزعرور قرب القل غرب مدينة سكيكدة.
- رأي ثان يرى أن أمر عقد المؤتمر قد عرض على مختلف مناطق البلاد، لكي تدرس كل منطقة إمكانية عقده فوق ترابها بسبب عدم توفر الأمن اللازم لحماية المؤتمرين والسير الحسن لأشغال المؤتمر، ووقع الاختيار على المنطقة الثالثة بسبب إعراب مسئوليها الكبير عن مقدرتهم على تنظيم المؤتمر فوق تراب منطقتهم وتوفير الأمن اللازم لذلك.
- أما الرأي الثالث فيرى أن قادة الثورة قد اتفقوا على أن يكون مكان المؤتمر في وسط البلاد، حتى يتسنى للمسئولين من مختلف المناطق التنقل إليه، لأن مسألة الأمن كانت تعاني منها كل المناطق تقريبًا، وعلى هذا الأساس تم اختيار المنطقة الثالثة.(١٥)

وبعد أن تم الاتفاق على منطقة المؤتمر وهي الثالثة، بدأت التحضيرات لتحديد أنسب الأماكن في المنطقة، وقد اقترحت عدة أماكن لعقده مثل دائرة عزازقة، وبني وقان في ناحية البيبان، كما اقترحت أيضًا قلعة بني عباس بدائرة آقبو بسبب موقعها الاستراتيجي، ولكن سببًا هامًا حال دون ذلك لأن القلعة تقع في مكان مكشوف للطيران، ويستطيع العدو بسهولة أن يكتشف تحركات المجاهدين.(١٦) وبعد تنقيب دقيق أُختير منزل بسيط بالغابة في المنطقة الغابية المسماة "أكفادو" في محيط جرجرة في الحدود بين القبائل الصغرى والكبرى، وحدد الاجتماع يوم ٢٠ أوت، كما تم الاتفاق على أن يكون مكان عقد المؤتمر في عدة قرى متقاربة من دوار "إفري أوزلاقن"، وذلك لعدة اعتبارات مهمة منها:(١٧)

- استراتيجية المكان من حيث موقعه الحصين ومحاذاته لغابة أكفادو الكثيفة التي تتصل بدورها بغابة جرجرة وجبالها.
- كان منطقة دوار "أوزلاقن" في تلك الفترة منطقة هادئة لم تحدث فيها أي عملية حربية لمدة تسعة أشهر، لاعتقاد العدو بأنها منطقة آمنة ومسالمة ولا علاقة لها بالثورة.
- تغلغل نظام الثورة بين أفراد قرى الدوار، حيث أن القيادة كانت مطمئنة إلى استعداد الجميع في التعاون لإخفاء المجاهدين إذا ما هاجم العدو الدوار فجأة، بالإضافة إلى خلو الدوار من الخونة والعملاء.
- إعلان العدو بعد حملة الجنرال ديفور الواسعة أنه قد سيطر على المنطقة، وأنها أصبحت تحت سلطته، وأن الثورة لا وجود لها في هذه المنطقة.

وبدأت تحضيرات مكثفة كانت تتم بسرية تامة على مستوى القرى التي ستجرى بها أشغال المؤتمر، لتوفير جميع الشروط اللازمة لعقد المؤتمر، وتم وضع خطة محكمة لحراسة موقع المؤتمر وما جاوره، زد على ذلك شروع المناطق المختلفة من الوطن في إعداد تقاريرها للمؤتمر، وفي العاصمة فقد بدأ المكلفون بإعداد وثائق المؤتمر وهم بن يوسف بن خدة، عبان رمضان ودمام عبد المالك.[١٨] وفي شهر مايو ١٩٥٦ أصبحت مسودات المؤتمر جاهزة وموجودة في مكان آمن بجبال جرجرة تنتظر نقلها إلى مكان الاجتماع، وحين القيام بعملية نقل هذه المسودات، تعرضوا لكمين نصبه العدو في قرية "تازمالت"، ووقع اشتباك عنيف بين الطرفين أدى إلى هروب البغلة المحملة بالوثائق مهمة للمؤتمر، ولحسن الحظ فإن تاريخ ومكان المؤتمر لم يكن مكتوبًا فيها، وهذا ما جعل الفرنسيين يعتقدون بأن المؤتمر سيعقد في منطقة تازمالت أو ما جاورها.[١٩] وتبعًا لذلك الاعتقاد الخاطئ، شن العدو يوم (٢٩ مايو) حملة واسعة النطاق على المنطقة تحت قيادة الجنرال "ديفور" على أمل العثور على مكان المؤتمر في إحدى تلك النواحي والقبض على المؤتمرين، وتخلل ذلك حملة اعتقالات واسعة في صفوف السكان وإخضاعهم لعمليات استنطاق مميتة، علاوة على تفجير القرى والمداشر وحرق العديد من الغابات والمحاصيل الزراعية، والاستيلاء على ممتلكات أهالي المنطقة من مؤونة وماشية.[٢٠]

ومن الجانب الآخر، وبحلول شهر جوان حافظ جيش التحرير على تصعيده المعهود في العمليات العسكرية إذ بدأ حرب المدن واستعمال القنابل في العاصمة، وكل هذا بفضل جماعة من الفدائيين المعدين خصيصًا لمثل هذه العمليات.[٢١] وفي ٢٦ جوان أعلنت السلطات الفرنسية عن اكتشاف البترول في حاسي مسعود في الصحراء الجزائرية،[٢٢] وكان لإعلان هذا الخبر دور كبير في التشبث الفرنسي بالجزائر وبفكرة الجزائر فرنسية. وفي الشهر نفسه حاولت حكومة غي مولي الوقوف في وجه التلاحم الشعبي مع الثورة، وذلك بالتركيز على الإدارة المحلية والتقرب من المواطنين أكثر لمراقبتهم ومحاولة كسب ثقتهم، فبعد أن قامت بحل المجلس الجزائري في أبريل ١٩٥٦، أصدرت مرسوم (٢٨ جوان ١٩٥٦)،[٢٣] الذي تضمن إصلاح بلدي كضرورة ملحة لجعل البلدية خلية لمكافحة الإرهاب، إضافة إلى الأهداف الاقتصادية والاجتماعية، وذلك للتقرب من المواطنين خاصةً في الأرياف، ولهذا الغرض وسعت من صلاحيات (S.A.S) مصالح الإدارة الخاصة التي أنشأت في سبتمبر١٩٥٥.[٢٤]

وفي تلك الأثناء، كانت الوفود المشاركة في المؤتمر قد بدأت بالقدوم، وقد تمكن بصعوبة فوج من الأوراس في الوصول بحر الأسبوع الأول من شهر جوان، وأدى ذلك إلى استشهاد ثلاثة منهم على إثر حملة "ديفور". أما على مستوى سوق اهراس التي كانت على وشك الانفصال، تحت قيادة صالح الباي وعمارة بوقلاز، بعثت هي الأخرى وفدها وعاد من الطريق بعد أن سلم الرسالة إلى الطاهر بودربالة.[٢٥] وتواصلت الاستعدادات لاحتضان المؤتمر، وسخرت كل السبل لإنجاحه، حيث لم يكن يعلم بأمر هذا المؤتمر سوى عدد قليل من قيادات المنطقة الثالثة، وقبيل شهر أوت ١٩٥٦، بدأت وحدات الحراسة في أخذ المواقع المحددة لها وهذا من أجل:[٢٦]

- رصد كل تحركات العدو وتبليغ المعلومات فورًا للمسؤولين، وتكفل بهذه المهمة مئات من المسبلين الذين تم تجنيدهم خصيصًا لهذا الغرض.
- حراسة منطقة وادي الصومام والمناطق المجاورة، وتكوين حزام بشري للأمن حول منطقة "أوزلاقن"، وقد أوكلت هذه المهمة لجنود المنطقة لأنهم أدرى من غيرهم بتفاصيل مداخلها ومخارجها، وقد أوكلت قيادة الحراسة للمجاهد أحمد فاضل المعروف بالرائد "حميمي" والمجاهد عبد الرحمن ميرة.

وقد كانت التعليمات واضحة للجميع، وتفيد بأنه إذا اشتبكت نقطة من نقاط الحراسة مع جنود العدو، فعلى الجميع شن هجوم شامل حتى يتم تشتيت قوات العدو، وإعطاء فرصة للمؤتمرين لتغيير المكان فورًا، وقد كان معظم المشاركين في الحراسة يجهلون سبب هذه الإجراءات، ولا يعرفون شيئًا عن المؤتمر الوشيك الانعقاد، وذلك إمعانًا في السرية والحيطة والحذر. وتقرر إجراء جلسات المؤتمر في المراكز التالية:[٢٧] (قرية إيفاد: مركز مخلوف آن طاهر/ قرية بتمليود: المركز الرئيسي أوراخ محند/ قرية إيفاد: مركز أعراب أوزيلغ/ قرية تيزي: مركز إيديري لونيس/ قرية إيفري: مركز بهلوس أمزيان).

ومن الممكن أن يتصور المتبع بأن إجراءات الحيطة هذه كلها مبالغ فيها وزادت عن المطلوب في ذلك الظرف الزمني، وأن القادة قد أعطوه أكثر من قيمته لأن مسيرة الثورة كانت إلى الأمام، ولكن عندما ينعقد المؤتمر ويخرج بقراراته، يدرك القارئ لماذا أعطيت كل هذه الأهمية والحيطة لأنه وفي العمق كانت الثورة تعاني من عدة مشاكل قاتلة ومدمرة لها، أي أنها كانت تسير على خط رفيع، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أعطى مؤتمر الصومام الهياكل الكبرى

التي ارتكز عليها العمل الثوري في التنظيم والعمل المسلح، وغير مفهوم الكفاح وأصبح أرقى وأقوى وهذا ما سنراه فيما بعد.

### (٢) انعقاد المؤتمر

بعد أن أنهت قيادة المنطقة الثالثة كافة الترتيبات الأمنية والاستعدادات المطلوبة لعقد المؤتمر، أرسلت وفودًا إلى كافة المشاركين لإخبارهم بتاريخ ومكان انعقاده، وحين قدومهم وجدوا في استقبالهم دوريات مخصصة لمرافقتهم عبر دروب ومسالك المنطقة، وبحلول (١٠ أوت ١٩٥٦)،[٢٨] اكتمل وصول الوفود المشاركة في المؤتمر والتي تمثل المناطق التالية:[٢٩]

- المنطقة الثانية: زيغود يوسف، علي كافي، لخضر بن طوبال، إبراهيم مزهودي، حسين رويبح، مصطفى بن عودة.
- المنطقة الثالثة: كريم بلقاسم، عميروش، محمدي السعيد.
- المنطقة الرابعة: سي محمد بوقرة، عمر أوعمران، سي الصادق.
- المنطقة الخامسة: العربي بن مهيدي.
- منطقة الجزائر المنطقة المستقلة: عبان رمضان، سي الشريف (علي ملاح).

وقد تغيب عن حضور المؤتمر ممثلو الولاية "الأوراس" بسبب استشهاد القائد مصطفى بن بولعيد،[٣٠] لكن حسب التقرير الجهوي للولاية الأولى المقدم للمؤتمر الثالث لتسجيل أحداث الثورة في الفترة ما بين (٢٠ أوت ١٩٥٦) إلى (٣١ ديسمبر ١٩٥٨)، أن هناك وفدين من ولاية الأوراس تنقلوا للولاية الثالثة بقصد المشاركة في أعمال المؤتمر، لكنهم وصلوا بعد انتهاء أشغاله.[٣١]

وكان الوفد الأول بقيادة عمر بن بولعيد، وكان يرافقه كل من رعايلي مصطفى، وأحمد قادة، والسعيد بورادي، وعلي مشيش، ومجموعة من المجاهدين.[٣٢] أما الوفد الثاني كذلك لم يلتحق، وكان بقيادة حيحي المكي، وأحمد نواورة، ومحمد العمودي، والحاج الأخضر، وعمار بلعقون، وإبراهيم كبوية، ومجموعة من المجاهدين، بالإضافة إلى ممثلي الجنوب (الولاية السادسة فيما بعد)، غير أنهم بعثوا بتقريرهم إلى المؤتمر.[٣٣] وتقابل أعضاء الوفدين مع مجموعة من قيادات المنطقة الثالثة من بينهم محمدي السعيد، وعمر أوعمران، وتناقشوا في كيفية تطبيق قرارات مؤتمر الصومام الذي فاتهم حضوره، وكان التشاور بخصوص توحيد النهج وتحديد الرؤيا قائمًا بين الداخل والخارج، حيث كانت المصلحة العليا للثورة والوطن تفرض نفسها على الجميع، رغم وجود بعض الاختلافات في الرؤى الشخصية في ذلك اللقاء.[٣٤] وعلى إثر ذلك تقرر الانطلاق في أشغال المؤتمر اعتبارًا من يوم (١٣ أوت)، وأسندت رئاسة المؤتمر للشهيد بن مهيدي، وأسندت الأمانة العامة للشهيد عبان رمضان، وكان ذلك في قرية إفري، ثم أخذ المؤتمرون يتنقلون بين القرى الخمسة التي سبق ذكرها طيلة الأيام الأخرى والتي دامت عشرة أيام بكاملها.[٣٥]

أما بالنسبة لقرارات المؤتمر، فقد درس المؤتمرون في جلساتهم جميع المسائل المتعلقة بسير العمل الثوري في جميع الفروع والميادين، وقاموا بتقييم ونقد الكثير من الأعمال التي أنجزها كل مسؤول في منطقته، خاصةً في إطار العروض التي تقدم بها كل مسؤول في دائرة اختصاصه، وذلك بقصد استخلاص النتائج والعبر وتصحيح مسيرة الثورة.[٣٦] ولقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات هامة في جميع الميادين السياسية والعسكرية والإدارية ونذكر أهمها:[٣٧]

١- العمل على تحرير الوطن، وتحقيق الاستقلال التام، وإقامة دولة ديمقراطية اجتماعية تقوم سياستها الخارجية على عدم التدخل في شؤون الغير، والتعامل في إطار المصالح المتبادلة.

٢- إقرار أولوية الداخل على الخارج، مع إقرار أولوية العمل السياسي على العسكري.[٣٨]

٣- نبذ السلطة الفردية وإحلال القيادة الجماعية.

٤- العمل على تدويل القضية الجزائرية وطرحها أمام الهيئات الدولية.

٥- تنظيم الشعب للالتفاف حول جبهة التحرير الوطني، واستغلال كل الطاقات والوسائل المتاحة لدى الفئات الشعبية ووضعها في خدمة القضية الوطنية المتمثلة في الحرية والاستقلال.

٦- تبنى المؤتمر فكرة تعيين زيغود يوسف، ومزهودي إبراهيم لحل مشاكل سوق أهراس والنمامشة، وأوعمران وسي الشريف وعميروش لحل مشاكل الأوراس والجنوب.[٣٩]

٧- إعادة التسمية للمناطق الجغرافية التي كانت قائمة قبل مؤتمر الصومام وإعادة تحديدها جغرافيًا، وذلك بإنشاء (٦) ولايات حربية بدل (٥)، وأصبحت المنطقة تسمى ولاية، والناحية منطقة، والقسم ناحية وهي: ولاية الأوراس- ولاية الشمال القسنطيني- ولاية القبائل- ولاية العاصمة وضواحيها- ولاية وهران- ولاية الجنوب (تم استحداثها).[٤٠]

٨- إنشاء هيئات اجتماعية ملتفة تعمل للتوعية والتوجيه من أجل بناء الجزائر وتمثلت في:[٤١] **الاتحاد النسائي**: الذي لعب دورًا كبيرًا في توعية المرأة التي شاركت في معركة التحرير، إذ ورد في مؤتمر الصومام قول عن الحركة النسائية: "توجد في الحركة النسائية إمكانيات واسعة تزداد وتكثر، ولا يخفى أن الجزائريات قد ساهمت مساهمة إيجابية فعالة في الثورات الكثيرة التي توالت وتجددت في بلاد الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ ضد الاحتلال الفرنسي".[٤٢] **إنشاء جريدة المجاهد**: الناطقة بلسان الثورة الجزائرية، وتطورت النشرات المحلية فعرفت بالقضية الجزائرية لدى الهيئات والمحافل الدولية.[٤٣]

٩- إنشاء منظمات مسيرة وهي:[٤٤] **المجلس الوطني للثورة**: يتكون من (٣٤) عضوًا منهم (١٧) دائمون و(١٧) مساعدون، واعتباره كأعلى جهاز للثورة ويجتمع مرة في السنة وله الحق في اتخاذ القرار السياسي والعسكري، وإدراج القضية الجزائرية في جدول

أعمال منظمة الأمم المتحدة، مع مراعاة الإطار الذي عينته القاعدة الأساسية له. **لجنة التنسيق والتنفيذ**: وتتكون من (٥) أعضاء لها سلطة مراقبة المنظمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، وهي مكلفة بإنشاء ومراقبة اللجان المختلفة، ولها الحق أيضا في تشكيل الحكومة المؤقتة بالتنسيق مع المندوبين.

١٠-إعطاء الصلاحيات للمجلس الوطني للثورة الجزائرية لاتخاذ أي موقف تتطلبه ظروف معينة للتفاوض حول وقف القتال.

١١-تركت الصلاحيات للجنة التنسيق والتنفيذ فيما يخص إنشاء الحكومة المؤقتة، والبت فيها يكون بالتنسيق مع وفد جهة التحرير الوطني الذي يعمل أعضاؤه في الخارج.

وفي اليوم الأخير صادق أعضاء المؤتمر في قرية إفري على الوثيقة السياسية للمؤتمر، ثم عقدوا اجتماعًا مع كبار ضباط الولاية الثالثة حيث قدموا لهم عرضًا عن سير المؤتمر والنتائج التي خرج بها، كما تم شكر هؤلاء الضباط على حسن التنظيم، وتم ترقية هؤلاء الضباط وتقليدهم الرتب الجديدة، وقد أقيم على شرف الضيوف استعراض عسكري شارك فيه جنود الولاية الثالثة بالإضافة إلى أطفال قرى أوزلاقن، وتخللته الأناشيد الوطنية.[٤٥] وبعد انتهاء الاحتفالات، بدأت وفود المناطق المشاركة في المؤتمر بمغادرة أوزلاقن للعودة إلى أماكنها السابقة، حيث صاحبتهم مجموعة من مجاهدي الولاية الثالثة حتى حدود ولايتهم، وفي (٢٣ سبتمبر) جاء خبر استشهاد العقيد زيغود يوسف،[٤٦] لتكون وفاته مسألة أخرى نوقشت فيما بعد.

### (٣) المواقف وردود الأفعال حول المؤتمر

لقد كان موقف الوفد الخارجي الذي فاته عقد المؤتمر واضحًا وصارمًا، فقد عارض الوفد بشدة مؤتمر الصومام الذي لم يشارك في إعداد قراراته على غرار بقية قيادات الخارج، وأرسل أحمد مهساس مندوب الثورة في القاهرة للاتصال بإطارات الولاية الأولى ومنطقة سوق أهراس في مدينة غارمادو التونسية، وضمت هذه اللقاءات عمارة بوقلاز، الطاهر غروطة، مسعود عيسي، لزهر شرايطي، محمود قنز، الحاج علي حمدي، والطاهر زبيري وشقيقه بلقاسم الزبيري.[٤٧] وقد ناقش المجتمعون قرارات مؤتمر الصومام ومدى شرعيته أصلاً، وأثاروا قضية عدم الاعتراف بمؤتمر الصومام بسوق أهراس كولاية جديدة.

ومن جانبهما احتج كل من مسعود عيسي، ولزهر شرايطي على قرار المؤتمر بأولوية السياسي على العسكري، ورفضوا فكرة أن يخضع جيش التحرير لجبهة التحرير الوطني، وهو ما أكد عليه مهساس وأضاف أنه لا يمكن تسمية أولوية الداخل على الخارج بل هي ثورة واحدة في الداخل والخارج والقادة الذين هم في الخارج يواجهون الصعوبات والمشاكل نفسها التي يواجهها رفاقهم في الداخل.[٤٨] كما رفض كل من لزهر شرايطي، ومسعود عيسي، وعلي مشيش، والحاج علي وهم قادة محليون في الأوراس الاعتراف بسلطة عجول على الولاية الأولى، فضلاً على أن القادة المحليين أثاروا قضية عدم مشاركة الولاية الأولى في مؤتمر الصومام، ورفضوا الاعتراف ببعض قراراته خاصةً ما تعلق بأولوية الجبهة على جيش التحرير، ونتيجة لهذه الخلافات دخلت الولاية الأولى في انقسامات حادة، ولم يتفق قادتها على رجل واحد ليمسك بدفة القيادة.[٤٩]

### خاتمة

وفي الأخير؛ وعلى ضوء ما سبق سرده من معطيات ومعلومات، وما قمنا به من تحليلات وتفسيرات، يمكنا الجزم كدارسين وبدون أي شك بأن التنظيم السياسي لثورة التحرير الجزائرية يعتبر معجزة بحد ذاتها عرفتها الجزائر، وهرمًا كبيرًا يستوقف كل المهتمين بتاريخ الجزائر المعاصر وحركات التحرر في شمال أفريقيا، كما كان التنظيم الثوري حتى في نظر القادة كان عملاً شاقًا ومحفوفًا بالمخاطر والصعوبات الجمة التي أرهقتهم ونالت منهم، خاصةً مع الظروف التي عاشوها وسياسات الإدارة الاستعمارية ضد أي تصرف يبدر منهم منذ الانطلاقة الأولى للثورة، إلى غاية المفاوضات ونهاية الوجود الفرنسي في الجزائر. وكما ذكرت سابقًا، أن العمل السياسي في الثورة كان جنبًا إلى جنب مع العمل العسكري، وأن التركيز في هذا المقال جاء على التنظيم السياسي أكثر من العسكري وجاء فيه ثاني مواثيق الثورة التنظيمية وهو مؤتمر الصومام، الذي كان عقده بغرض التقييم للمرحلة السابقة والتخطيط للمرحلة المقبلة للثورة، والتي كما ذكرنا ظهر التنظيم والتدبير كقوة كبيرة كانت لدى الجزائريين وأصبحت جهة التحرير الوطني لا يستهان بها من طرف الشعب وزادت حظوظها في تحقيق ما كان منتظرًا منها إلى حد كبير.

ومن المعطيات السابقة، وعلى ضوء ما سرد من حيثيات عن في مؤتمر الصومام وبداية مهام هيئاته في سبتمبر ١٩٥٦، والقرارات التي خرج بها والمستوى الحقيقي للقادة ومنظري الثورة، يمكننا تقييم دور مؤتمر الصومام في مسيرة الثورة في النقاط التالية:

- **أولاً**: إن الأحداث التي وقعت قبيل المؤتمر وبصفة خاصة أحداث سنة ١٩٥٦ ببعديها الاجتماعي والسياسي داخل الجزائر وخارجها، ما هي إلا عوامل وظروف ساهمت بشكل أو بآخر في التأكيد على شرعية ونطاقية الثورة التحريرية، كما أنها ساهمت في التعجيل بعقد مؤتمر وطني، بالرغم من أن التخطيط له كان منذ التفجير الأول للثورة، لكن الأحداث الواقعة أكدت على ضرورته.
- **ثانيًا**: لقد تحققت إحدى أمنيات القادة المفجرين وهو وصول صوت الثورة إلى المجتمع الدولي، هذا الذي أعطى دفعة قوية للثورة في الداخل، ومن الجانب الآخر شوهت صورة فرنسا بين أعضاء هيئة الأمم وفضحت أعمالها الوحشية ضد الثوار وضد الشعب الأعزل، بالرغم من محاولاتها اليائسة في تحسين صورتها أمام الرأي العام العالمي.

- **ثالثًا:** تأكد ضعف فرنسا أمام الثورة وتمسكها بالجزائر، وذلك تجلى في الحكومات المتساقطة بسبب قضية الجزائر، بالإضافة إلى القوانين والمراسيم الصادرة في شأن الجزائر والإنزال العسكري المتواصل بموانئها، دون أن ننس منح استقلال كل من المغرب وتونس في ظرف شهر واحد مارس ١٩٥٦ وبطريقة لم تكن متوقعة من الدول المستعمرة ذاتها.
- **رابعًا:** لم يكن عقد مؤتمر الصومام سهلاً، لا من حيث التنظيم ولا من حيث القدوم إليه من طرف وفود المناطق، ونجاح المؤتمر في تلك الظروف ما هو إلا دليل على كفاءة المنظمين وما مدى تحكمهم في تنظيم العمل الثوري، ودليل على درجة الوعي التي صارت لدى الشعب، وبينت أيضًا مدى صبره وإدراكه لفكرة التضحية من أجل الاستقلال.
- **خامسًا:** لقد أثبت انعقاد المؤتمر على مدى ضرورة عقد لقاء وطني لكافة ممثلي المناطق التاريخية في تلك الفترة، وبين مدى فاعليته في تسوية مختلف المشاكل التي كانت تعاني منها الثورة خاصةً مشكل التسليح وإعادة هيكلة المناطق، بالإضافة إلى الخلافات بين القادة وظهور التعصب بالرأي، هذا ما جعل المؤتمر يخرج بقرار القيادة الجماعية وأولوية السياسي على العسكري، هذا الذي خلق جدلاً كبيرًا فيما بعد، والذي كان حسب القادة أمرًا لا مفر منه وحتمية تقتضيها الظروف.
- **سادسًا:** لقد قفز المؤتمر بالثورة قفزة نوعية وجنبها فراغ قيادي ومؤسساتي، إذ خرج المؤتمر بقيادة بمثابة البرلمان للثورة وهو المجلس الوطني للثورة، وكان يرمز للسيادة الوطنية للثورة، بالإضافة إلى الجهاز التنفيذي له، وهو لجنة التنسيق والتنفيذ، والتي كانت بمثابة ديوان له صلاحيات إدارية وسياسية وعسكرية ودبلوماسية.

## الهوامِش:

(١) صالح فركوس: **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)**، دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥. ص٢٣٩.

(٢) بشير كاشة الفرجي: **مختصر وقائع وأحداث ليل الاستعمار الفرنسي** للجزائر(١٨٣٠- ١٩٦٢)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، الروبية، ٢٠٠٧، ص١٥٨.

(٣) عمار قليل: **ملحمة الجزائر الثائرة**، ج١، دار البعث، ط١، قسنطينة،١٩٩١، ص ٣٨٧

(٤) بسام العسيلي: **جبهة التحرير الوطني الجزائري**، دار النفائس، ط١، بيروت ١٩٨٤. ص ٢٤.

(٥) بسام العسيلي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(6) Alistair horne: histoire de la guerre d'algerie, edition dahleb, 2007. P.149.

(7) Mohamed teguia: l'algerie en guerre, office des publications universitaires, 2009. p.162.

(٨) الطاهر جبالي: **"مؤتمر الصومام والقاعدة الشرقية"**، مجلة المصادر، العدد (٩)، المركز الوطني للدراسات، ٢٠٠٤.

(٩) محفوظ قداش: **وتحررت الجزائر**، ترجمة/ العربي بودينون، دار الأمة للطباعة والتوزيع، ٢٠١١، ص٦٣.

(10) Alistair horne: op.cit. p149.

(11) Ibid.

(12) Ibid.

(13) Ibid.

(١٤) عمار قليل: **ملحمة الجزائر الثائرة**، ج١، دار البعث، ط١، قسنطينة، ١٩٩١، ص ٣٨٦.

(١٥) المرجع السابق، ص ٣٨٧.

(١٦) المرجع نفسه.

(١٧) نفسه.

(١٨) نفسه.

(١٩) المرجع نفسه، ص ٣٨٨.

(٢٠) نفسه.

(21) El moudjahid n° 02.

(٢٢) بشير كاشة الفرجي: **مختصر وقائع وأحداث ليل الاستعمار الفرنسي للجزائر (١٨٣٠- ١٩٦٢)**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، الروبية، ٢٠٠٧، ص١٦٥.

(٢٣) جمال يحياوي: **"الظروف المحلية والدولية لانعقاد مؤتمر الصومام"**، مجلة المصادر، العدد (٥)، المركز الوطني للدراسات، صيف ٢٠٠١.

(٢٤) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٢٥) عمار قليل، المرجع السابق، ص ٣٨٨.

(٢٦) بسام العسيلي، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٢٧) عمار قليل، المرجع السابق، ص ٣٨٩.

(٢٨) انظر: الملحق رقم (١).

(٢٩) ازغيدي محمد لحسن: **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية (١٩٥٦- ١٩٦٢)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤. ص١١٣.

(٣٠) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣١) **التقرير الجهوي للولاية الأولى**، المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من ٢٠ أوت ١٩٥٦ إلى ٣١ ديسمبر ١٩٥٨، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر.

(٣٢) التقرير نفسه.

(٣٣) أحسن بومالي: **استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى( ١٩٥٤-١٩٥٦)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر ١٩٩٤، ص ٨٤.

(٣٤) الطاهر الزبيري: **مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين (١٩٢٩-١٩٦٢)**، ٢٠٠٨، ص١٦٤.

(٣٥) علي كافي: **مذكرات علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (١٩٤٦-١٩٦٢)**، ط٢ ، دار القصبة للنشر ٢٠١١، ص ١٣٠.

(٣٦) المرجع السابق، ص ١٣١.

(٣٧) ازغيدي محمد لحسن، المرجع السابق، ص١١٤.

(٣٨) انظر: الملحق رقم: (٢).

(٣٩) عمر بوداود: **من حزب الشعب الجزائري إلى جهة التحرير الوطني (مذكرات مناضل)**، ترجمة أحمد بن محمد بكلي، دار القصبة للنشر، ٢٠٠٧، ص ٢١٦.

(٤٠) ازغيدي محمد لحسن، المرجع السابق، ص١١٥.

(41) Mohamed teguia: l'algerie en guerre, office des publications universitaires, 2009. P.160.

(42) El moudjiahid n° 04.

(43) Ibid.

(44) Ibid.

(٤٥) عمار قليل، المرجع السابق، ص ٣٨٩.

(٤٦) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤٧) الطاهر زبيري، المرجع السابق، ١٦٥.

(٤٨) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٤٩) المرجع نفسه.

## الملاحق:

CONGRES DE LA SOUMMAM
(20 août 1956)

FRONT DE LIBERATION NATIONALE

PROCES-VERBAL
de la réunion du 20 août 1956, des responsables de l'Oranie, Algérois et Constantinois
(Extraits)

MEMBRES PRESENTS
- Ben M'hidi, représentant de l'Oranie, président de séance.
- Abbane, représentant le F.L.N, secrétaire de séance.
- Aouamrane, représentant de l'Algérois.
- Krim, représentant la Kabylie.
- Zirout, représentant le Nord-Constantinois.
- Ben Tobbal, adjoint de Zirout.

Membres absents:
- Ben Boulaid Mostefa, représentant des Aurès-Nemenchas[1]
- Si Chérif, représentant le Sud (excusé) après avoir adressé son rapport à la réunion[2].

Les organismes de direction
a) Le Conseil National de la Révolution Algérienne (C.N.R.A.) est composé de 34 membres (17 titulaires, 17 suppléants).

| Les titulaires | Les Suppléants |
|---|---|
| Ben Boulaid Mustapha | Adjoint de Ben Boulaid |
| Ziroud Youcef | Ben Tobbal Lakhdar |
| Krim Belkacem | Mohammedi Said |
| Ouamrane Amar | Dhilès Slimane |
| Ben M'hidi Mohammed-Larbi | Boussouf Abdelhafidh |
| Bitat Rabah détenu | Mellah Ali |
| Abbane Ramdane | Benyahia Mohammed |
| Ben Khedda Benyoucef. | Lebdjaoui Mohammed |
| Aissat Idir | Temmam Abdelmalek |
| Boudiaf Mohammed | Dahlab Saad |
| Aït Ahmed Hocine | U.G.T.A |
| Khider Mohammed | U.G.T.A |
| Ben Bella Ahmed | Louanchi Mohammed Salah |
| Debbaghine Mohammed-Lamine | Thaâlibi Tayeb |
| Abbas Ferhat | Mehri Abdelhamid |
| El-Madani Ahmed Tewfik | Francis Ahmed |
| Yazid M'hammed | Mezhoudi Brahim[1] |

A dater de ce jour le terme zone est remplacé par « wilaya ». Alger et les communes limitrophes constituent une zone autonome.
(...)
b) Le Comité de coordination et d'exécution (CCE).
Il est composé de : Ben Khedda, Abbane, Ben M'hidi, Krim, Dahlab (Si ce dernier est encore en prison, il sera remplacé par Malek [Temmam]).

**رقم (١)**

محضر اجتماع مؤتمر الصومام ٢٠ أوت ١٩٥٦

FRONT DE LIBERATION
NATIONALE
-:-:-

Algérie, le 20 Août 1956

Aux responsables de la Fédération du F.L.N. de France:

Les principaux responsables de l'Oranie, Algérois et Constantinois réunis quelque part en Algérie, après avoir pris connaissance de votre rapport général non daté, vous renouvellent leur confiance et vous assurent d'un appui total dans votre travail de clarification, de consolidation du F.L.N. en France et de liquidation des Berbéristes, Messalistes et autres contre-révolutionnaires qui continuent leur travail de sape et de division au sein de l'émigration algérienne.

Nous tenons à vous informer qu'une entente parfaite règne au sein des dirigeants de la Révolution. Cette entente sera, nous en sommes convaincus, plus forte que jamais maintenant que l'uniformisation et la centralisation sont complètement réalisées.

Les problèmes de doctrine et d'"autorité" ont été étudiés et résolus. Les solutions seront rendues publiques dès que nous aurons obtenu l'approbation des frères intéréssés qui sont à l'extérieur.

Des instructions seront données aux responsables des villages et des douars qui adressent des lettres à des éléments du F.L.N. en France afin que cet état de choses cesse. Nous vous communiquerons les adresses des collecteurs de fonds en France que vous contacterez avec le mot d'ordre suivante "Je viens d'Alger". A l'avenir l'argent vous sera ainsi directement versé et nous espérons qu'il n'y aura plus de malentendus.

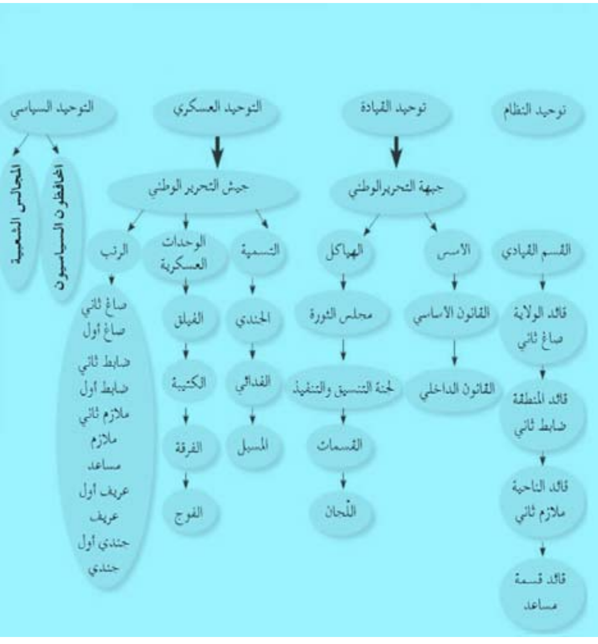
Nous recevons continuellement des plaintes émanant d'Algériens terrorisés par les bandes armées à la solde du M.N.A. Nous voudrions arriver à détruire ces bandes par n'importe quel moyen. Vous nous avez parlé d'une organisation spéciale; Est-elle en mesure de s'attaquer et de détruire ces bandes? Sinon, nous sommes en mesure de vous envoyer des hommes qui ont fait leurs preuves dans ce genre de travail et nous pourrons vous garantir qu'ils liquideront très vite le M.N.A. ses sbires et autres.

Dans l'espoir qu'à l'avenir nos rapports seront plus étroits et plus fructueux, recevez chers frères nos salutations patriotiques.

Signé: Benmehidi - Krim, Abbane, Ouamrane — Zirout, Bentobal, Si Chérif

**رقم (٢)**

رسالة موجهة من أعضاء مؤتمر الصومام إلى فدرالية جبهة التحرير إلى فرنسا




**رقم (٣)**

مخطط عام يمثل الأسس الوحدوية والتنظيمات والهياكل الجديدة التي جاء بها مؤتمر الصومام ١٩٥٦

# استراتيجية الجيش الفرنسي في تطويق الحدود الشرقية الجزائرية ١٩٥٧ – ١٩٦١

سامية خامس
كاتبة وباحثة في التاريخ الحديث والمعاصر
المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية
الجزائر العاصمة – الجمهورية الجزائرية

## مُلَخّصْ

تعالج هذه الدراسة، المخططات العسكرية الفرنسية خلال فترة عصيبة من عمر الثورة الجزائرية (١٩٥٧- ١٩٦١)، لتطويق الحدود الشرقية الجزائرية المشتركة مع تونس، بسبب ضراوة معارك واشتباكات جيش التحرير الوطني الجزائري المرابط بقاعدته الخلفية (تونس)، المستهدفة لمراكز الجيش الفرنسي المتمركزة هناك. وبهدف منع تسلّل الثوار الجزائريين، وتسرّب الذخيرة الحربية عبر الحدود، طُبقت إجراءات ردعية، منها تطبيق حق ملاحقة الثوار الجزائريين بالتراب التونسي، وإقامة الأسلاك الشائكة والمكهربة، وإنشاء المناطق المحرّمة. زيادة على تشكيل قوة تونسية فرنسية، وقوة أممية لحراسة الحدود، وأخطر من ذلك قطع الإعانات المادية عن تونس والتهديد بإعادة احتلالها، إذا ما استمرت في تقديم دعمها للثورة الجزائرية.

**بيانات الدراسة:**
تاريخ استلام البحث: ١٩ ديسمبر ٢٠١٣
تاريخ قبـول النشـر: ٤ فبراير ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**
جيش التحرير الوطني، الثورة الجزائرية، الحدود الدولية، الأراضي التونسية، الاستعمار الفرنسي

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**
سامية خامس. "استراتيجية الجيش الفرنسي في تطويق الحدود الشرقية الجزائرية ١٩٥٧ – ١٩٦١".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ١٠٥ – ١١١.

## مُقَدِّمَةٌ

أدركت السلطات الاستعمارية الأهمية الاستراتيجية للحدود الشرقية بالنسبة للثورة الجزائرية، لكونها منافذ رئيسية وهامة تتسرّب منها الأسلحة والذخيرة الحربية بأنواعها المختلفة القادمة من البلدان الشقيقة والصديقة.[١] وازدادت الأهمية أكثر بعد النجاح الذي حقّقه قادة الثورة في تحويل تونس إلى قاعدة خلفية للثورة الجزائرية، فأصبحت أراضيها من شمالها إلى جنوبها وبخاصة الشريط الحدودي المشترك، الامتداد الطبيعي والبشري الذي وجدت فيه الثورة منذ انطلاقها السند القوي والملجأ الآمن لوحدات جيش التحرير الوطني عند الانسحاب والراحة،[٢] وكانت مصدرًا من مصادر التمويل والتموين. واتخذت أراضيها تدريجيا منطلقًا للعمليات العسكرية ضد الوحدات العسكرية الفرنسية المحاصرة والمراقبة للحدود الشرقية، لمنع تسرب السلاح والثوار نحو الجزائر.[٣] ونظرًا لقوة المعارك على الحدود والانتصارات العسكرية المتتالية على قوات الاحتلال، تبنّت السلطات الاستعمارية عدة مخططات عسكرية لمحاصرة الثورة وخنقها قبل امتداد لهيبها، فكانت أكثر قوة وبطشًا منذ سنة ١٩٥٧، تمثّلت في ما يلي:

### أولاً: تطبيق "حق ملاحقة" الثوار بالتراب التونسي

بعدما اتخذت قوات جيش التحرير الوطني من البلاد التونسية وخاصةً من الشريط الحدودي، منطلقا لشنّ هجوماتهم المتكرّرة على مواقع الجيش الفرنسي ومراكزه العسكرية بالتراب الجزائري واضطرارها إلى التراجع والانسحاب إلى مواقعها الدفاعية الحصينة بالبلاد التونسية، اضطرت السلطات الفرنسية تحت تأثير ضغط القيادات العسكرية الفرنسية بالجزائر اعتماد أسلوب جديد للقضاء على معاقل الثوار الجزائريين، باعتماد "حق الملاحقة" (Droit de poursuite) ابتداءً من ١٠ جانفي١٩٥٧، الذي يخوّل لقواتها العسكرية مطاردة الثوار الجزائريين، لتضع حدًا لهجوماتهم المتكرّرة طبقا لتعليمة أصدرتها قيادة الجيش الفرنسي لقطاع

قسنطينة.[٤] وحتى تعطي السلطات الفرنسية شرعية لتطبيق هذا الإجراء العسكري الجديد، ولا تثير الرأي العام من خلال موجة سخط وانتقاد في المحافل الدولية، سنّت تعليمات واضحة تتعلق بالحالتين التي يُسمح فيها اعتماد حق الملاحقة وهي كالآتي:

١- الردّ على أي هجوم من قبل "العناصر المتمردة" يتم شنّه انطلاقًا من الأراضي التونسية ضد القوات المسلّحة الفرنسية بالتراب الجزائري.

٢- إنهاء العمليات العسكرية التي شُرع فيها بالجزائر ضد عناصر "متمردّة" التي تلجأ إلى البلاد التونسية[٥].

وتحت غطاء "حق الملاحقة" وقع الاعتداء الجوي مستهدفا ساقية سيدي يوسف الآمنة، ولم يكن هذا الهجوم أول خرق للتراب التونسي، ولا أول صدام مع الجيش الفرنسي، بل كان حسب المصادر التونسية الاعتداء الرابع والثمانين على السيادة التونسية منذ استقلالها سنة ١٩٥٦. ففي حدود الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق من يوم السبت ٨ فيفري ١٩٥٨، وهو يوم السوق الأسبوعية، أقدمت طائرة استكشافية من نوع (M.D) وإحدى عشرة طائرة مقنبلة من نوع (B. 26) وست طائرات من نوع (Corsaire)، وثماني طائرات من نوع (Mistral) من اختراق المجال الجوي التونسي، وهاجمت طوال ساعة وعشرين دقيقة قرية سيدي يوسف التونسية، والمنجم المحاذي لها، مخلّفة تحت الأنقاض مائة وثلاثين قتيلا وأربعمائة جريح حسب بيان سفارة فرنسا بتونس يوم ٢٦ فيفري، وكان من بين هؤلاء: نساء وأطفال أغلبهم من التلاميذ، كما أصيبت ثلاث سيارات شحن تابعة للصليب الأحمر الدولي كانت بصدد توزيع المواد الغذائية، والملابس على السكان، وعلى اللاجئين الجزائريين، إلى جانب تهديم جزء كبير من بنايات القرية، منها مائة وثلاثون مسكنا، وخمسة وثمانون متجرا، ومدرستان، إلى جانب تهديم بنايات مدنية.[٦]

اعترف الجنرال راوول صالان بحقيقة هذا الهجوم العدواني، وعدّد الخسائر التي ألحقت بجيش التحرير الوطني في أول برقية بعث بها إلى وزير الدفاع الفرنسي جاء فيها: "لقد هاجمت ثلاث مجموعات تتألف كل واحدة منها من طائرتين من نوع (Corsaire) مواقع العدو الثلاثة الخاصة بالدفاع الجوي، وإن الأهداف التي قصفت بالقنابل ذات (٢٥٠) كلغ، قد هُدّمت بنسبة (٨٠٪)، كما أن المواقع الأربعة لمنجم الرصاص القديم بالساقية: معسكر جيش التحرير الوطني والتي هاجمتها إحدى عشرة طائرة من نوع (B. 26) وثماني طائرات من نوع (Mistral)، قد هدّمت بنسبة (٥٠٪). والصور الملتقطة جوًا التي ستصلكم هذا المساء توضح جليًا الأهداف العسكرية التي تمّ قصفها..."، وأوضح أيضًا بأنه "محق في القرار الذي اتخذه بخصوص هذا القصف الجوي لأنه في حالة الدفاع المشروع...".[٧]

## ثانيًا: العزل الحدودي بالسدود الشائكة والمكهربة

استاء القادة العسكريون كثيرًا من انتصارات جيش التحرير الوطني الذائعة الصيت التي واكبت الثورة التحريرية في سنواتها الأولى لاسيما على الحدود الشرقية، واعترفوا بالدور الخطير الذي تلعبه تونس بعد تحوّل أراضيها إلى قواعد لوجستيكية لتموين العمل المسلّح داخل الجزائر، زيادة على استفحال ظاهرة تهريب الأسلحة، والدعم الذي يتلقاه الثوار الجزائريون من خلال الراحة والتدريب والتسليح، والإقدام على تحويل مركز القيادة العسكرية إلى ما وراء الحدود الجزائرية، مما شكّل خطورة على الأوضاع الأمنية بكامل التراب الجزائري.[٨] ولوضع حد أو على الأقل التقليل من ظاهرة تهريب الأسلحة على طول الحدود لصالح الثوار الجزائريين، شرعت السلطات الاستعمارية في البحث عن أنجع المخططات والوسائل لقطع كل أشكال اتصالات الثوار بالخارج، فاهتدت إلى فكرة تطويق الحدود بواسطة السدود الشائكة والمكهربة وحراستها، وهي المهام الإضافية التي كُلّفت بها القوات العسكرية،[٩] فكان خط موريس الذي تدعّم لاحقًا بخط ثان مماثل هو خط شال هو الحل الأمثل حسب ما ادعته السلطات العسكرية بالجزائر.

**١/٢- خط موريس:**

شرعت السلطات العسكرية في إقامة الحاجز الحدودي الشائك والمكهرب والملغم طبقًا لتعليمات وزير الدفاع الفرنسي أندري موريس الذي برع في إنجاز هذا المخطّط الجهنمي الذي حمل اسمه وخصّه باهتمام بالغ وخاص[١٠] منذ إصداره تعليمات بتاريخ ٢٦ جوان ١٩٥٧ للشروع في العملية.[١١] وعن هذا الانجاز الجديد ذكر أنه: "مباشرة عند استلامي مهامي كوزير للدفاع الوطني أصدرت إلى القادة العسكريين تعليمات لبناء حاجز على امتداد الحدود الجزائرية- التونسية يتماشى من الجهتين وخط السكة الحديدية والطريق الذي يربط تبسة بعنابة من جهة سوق أهراس..."،[١٢] اقتداء بالخط الدفاعي الذي سبق إنشاؤه قبل هذا التاريخ على الحدود الجزائرية المغربية.[١٣]

حظيت الخطوط الشائكة والمكهربة بعناية خاصة من قبل مسؤولين في أعلى هرم السلطة العسكرية ونالت إعجابهم، وعلى رأسهم راوول صالان الذي أشاد به على حد قوله: "... يشهد شهر أكتوبر١٩٥٧ نشاطا كبيرا على مستوى جهتي الحدود التي تحسّنت تهيئتها بشكل ملحوظ. ويبدو أن تعليمات ٢٦ جوان لأندري موريس وزير الدفاع الوطني القاضية بإنجاز حاجز من عنابة إلى تبسة وتعزيز الدفاع بالغرب، على وشك نيل رضى الجميع".[١٤] كما سبق له في شهر ديسمبر ١٩٥٦ أن قام بزيارة ميدانية تفقدية رفقة ماكس لوجون كاتب الدولة لدى وزارة الدفاع للوقوف على أشغال إقامة الأسلاك الشائكة بالحدود الغربية، لاستلهام الفكرة من هذا الإنجاز للشروع في إقامة حاجز آخر مشابه على مستوى الحدود

الجزائرية التونسية، إلا أن طبيعة الأرض جعلت بناء سد شائك جد قريب من الحدود التونسية بالشمال وبسرعة أمرًا صعبًا.(١٥)

وما تجدر الإشارة إليه؛ أن هذا الخط المكهرب الذي أقيم خلال فترة وزارة أندري موريس، امتد فقط على مسافة ثلاثمائة وعشرين كيلومترًا طولاً، انطلاقًا من البحر شمالاً إلى غاية مرسط، وقد أتّم خلفاؤه توسيعه وتعزيزه بمختلف أجهزة المراقبة، حيث وصل إلى غاية شط الغرسة، جنوب نقرين.(١٦) وفي سنة ١٩٥٨ قرّرت الحكومة الفرنسية وباقتراح من وزير الحربية شابان دلماس، تهجير عنوة كل سكان المنطقة الواقعة ما بين خط موريس والحدود التونسية".(١٧) ولم يكتف القادة العسكريون باستعمال الأسلاك الشائكة المزوّدة بالتيار الكهربائي البالغ طاقته بين (٥٠٠٠) و(٧٠٠٠) فولت، بل قامت بتعزيز حراسته عن طريق زرع مساحات شاسعة من الألغام المضادة للأشخاص (– Mines anti personnels) والألغام الوثابة المتفجرة (Mines bondissantes)،(١٨) وكثّفت مراقبتها أيضًا على طول الخطوط بتسخير تعزيزات عسكرية ووسائل مراقبة جد متطورة، منها المراكز الكبيرة وأبراج المراقبة، مع توظيف الرقابة التقنية وتنصيب أجهزة الردار وتكوين فرق المدفعية الرادارية، مهمتها التدخل السريع عند تلقيها معلومات بشأن اكتشاف هدف مشبوه فتقوم بالتمشيط السريع للأماكن المعنية وحصدها بقذائف المدفعية.(١٩) وبعد الانتهاء من عملية بناء السد الشائك والمكهرب، قرّر الجنرال صالان القضاء على الثوار وقطع الطريق أمامهم إلى تونس لجلب الأسلحة والذخيرة، فأسند مهمة قيادة الجيوش الفرنسية المتمركزة على الحدود الشرقية ومراقبة السد الشائك المكهرب إلى الجنرال بول فانوكسم، قائد منطقة الشرق القسنطيني الذي عُرف بصرامته وحنكته العسكرية، ووضعت تحت تصرفه خمس مجموعات من المظليين مهمتها مطاردة المجاهدين المتسلّلين عبر الحدود، وتمشيط المناطق الواقعة بين منطقة جبل مجردة شمالاً ومنطقة مسكانة.(٢٠)

**٢/٢- خط شال:**

ضمانًا لأمن ومناعة الخطوط الدفاعية الداخلية والحدودية خاصة، وبهدف منع الثوار من التسلّل عبر منافذ وممرات حدودية خاصة شمال سوق أهراس وجبال إيدوغ شرق عنابة ومنطقة جنوب تبسة وجبال النمامشة والأوراس، وهي مسالك تسمح بتسرب الثوار غربا عن طريق السلاسل الجبلية، للدخول إلى التراب الجزائري في أي اتجاه يرغبون الوصول إليه،(٢١) استوجب على السلطات الاستعمارية إقامة خط دفاعي ثاني جديد متقدم على مقربة من المناطق الحدودية ويوازيها تقريبًا، حمل اسم شال تعزيزًا وتدعيمًا لخط موريس البعيد نسبيًا عن هذه المناطق، بكيفية أكثر تطورًا على صعيد الوسائل المسخّرة والتقنيات المستعملة. وبمجرد تسلّم شال مهامه بثلاث أيام، أصدر أولى تعليماته إلى المسؤولين العسكريين في الجزائر جاء فيها :"إن الهدف من التعليمات والإجراءات التي سيأمر باتخاذها هو "إعادة كافة السكان إلى رقابتنا... وأن الوسائل التي سوف تستخدم لذلك هي مواصلة العمل على انسداد الحدود وفعالية الحواجز".(٢٢)

شرعت السلطات الاستعمارية في إنجاز خط شال باتجاه الحدود في الفترة الممتدة ما بين خريف ١٩٥٨ واستكمل بناؤه سنة ١٩٥٩، "وقد امتد هو الآخر من الشمال إلى الجنوب على غرار خط موريس، حيث يقترب منه حينا، ويبتعد عنه حينا آخر، تبعًا لأهمية المواقع والمناطق، حيث تمتد المسافة بين الخطين من ٥ كلم إلى ٤٠ كلم، وعليه فإن خط شال قد انطلقت أشغاله شرق وغرب القالة ليمر برمل السوق، عين العسل، الطارف، توستان، بوحجار وسوق أهراس، ولكن قبل سوق أهراس بحوالي ٢ كلم وعند وادي الجدرة ينطلق باتجاه حمام تاسة، ثم يتجه شرق الطريق الرابط بين تاورة وسوق أهراس، وعند الكيلومتر الثامن والعشرين يتحوّل الخط باتجاه جبل سيدو أحمد، إلى غاية وادي سوف جنوب مدينة تبسة.(٢٣)

شكّل خط شال جهازًا دفاعيًا متكاملاً، يضم شبكة من التحصينات على امتداد الخط، محاطة بالأسلاك الشائكة والأسلاك المكهربة بضغط عال جدًا، وبحقول للألغام عرضها خمسون مترًا(٢٤) أطلق عليها الثوار اسم "حدائق جهنم".(٢٥) ودُعّمت الأسلاك الشائكة بخنادق محصّنة بالإسمنت وحولها المراكز العسكرية لضمان الأمن والحماية للقائمين على حراستها.(٢٦) وتستفيد كل هذه الموانع بحراسة أرضية مشدّدة بواسطة المصفحات الخفيفة والثقيلة، ومراقبة جوّية مستمرة، فضلاً عن شبكة الرادارات المتطورة يقول عنها أحد المجاهدين "أن رادارًا واحدًا أجدى من ألف حارس".(٢٧) وكلّف المكتب الخامس الذي عيّن شال على رأسه العقيد جون قارد بإتمام وظيفة هذه الخطوط الدفاعية المنيعة، كسند لإحداث قطيعة بين الداخل والخارج والقضاء على الوحدات القتالية لجيش التحرير الوطني.(٢٨)

## ثالثا: إنشاء المناطق المحرَمة على طول الحدود الشرقية

اتضح جليًا خلال سنوات الكفاح التحرري، أنّه كلما ازدادت الثورة عنفًا واتساعًا ازدادت السلطات الاستعمارية تفننا في ابتكار طرق العزل والحرمان والتضييق على الثوار والمواطنين العزّل، ومن بين الإجراءات القمعية التي اعتمدت عليها الاستراتيجية الفرنسية للقضاء على الثورة وأخطرها على الإطلاق، موافقة المجلس الوزاري الفرنسي بتاريخ ١٩ فيفري ١٩٥٨ على إيجاد مناطق محرّمة جديدة بالجزائر،(٢٩) إذ قرّر تحويل كل الأماكن الاستراتيجية التي تتمركز فيها وحدات جيش التحرير الوطني إلى مناطق محرّمة(٤٣) أطلقت عليها اسم "المناطق المتعفنة".(٣٠) ولم تكتف سلطات الاحتلال باستحداث هذه المناطق، بل قرّرت طبقًا لأوامر وتعليمات شابان دلماس وزير الدفاع تطبيق سياسة الأرض المحروقة بعد إجلاء السكان حتى لا يجد الجيش الاستعماري صعوبة في مراقبتها، ولا يستطيع جيش التحرير أن يستغلها للإقامة فيها أو اتخاذها مصدرًا للتموين.(٣١)

وعن أسباب ودواعي تطبيق هذا الإجراء الردعي أوضح المؤرخ يحي بوعزيز: "بأنه نظرًا لفشل الاستعمار في تحقيق مبتغاه بوضع قوات دولية بمنطقة الحدود بين الجزائر وتونس، وفشل خط موريس المكهرب في القضاء على الثورة، عمدت السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى ارتكاب جريمة أخرى أكثر بشاعة تتمثل في إخلاء السكان من كل المناطق القريبة من الحدود التونسية وراء خط موريس من البحر إلى مشارف الصحراء، وجعل تلك المناطق كلها منطقة محرّمة من حيث السكن أو العبور، إلا على الجيش الاستعماري، في محاولة لغلق الحدود كلها غلقا نهائيا... وشرعت قوات الاحتلال في تنفيذ الخطة في أواخر نفس الشهر".[٣٢]

وبعد الانتهاء من عملية إنجاز خط موريس على طول الحدود الجزائرية الشرقية، شرعت السلطات الاستعمارية في تهيئة منطقة مهجورة كإجراء إضافي ووقائي للحاجز الحدودي الشائك والمكهرب، فقامت منذ ١٩ فيفري ١٩٥٨ في إخلاء الشريط الحدودي بإجلاء سكان المناطق القريبة من الحدود التونسية، وراء خط موريس، من البحر شمالاً إلى مشارف الصحراء جنوبًا بعمق يصل أحيانًا إلى خمسين كيلومترا. وقد جعلت المنطقة كلها محرّمة على الشعب الجزائري ومنعتهم من الإقامة فيها بعد تشريدهم وإحراق بيوتهم ومصادرة أموالهم. واقتصر العبور فقط على القوات الفرنسية التي شدّدت رقابتها على هذا الشريط بتكثيف قواتها العسكرية المختلفة وزرع الألغام المضادة للأفراد على طول الشريط مما أدى إلى تسميته بـ (خط الموت) لكونه خطًا واسعًا ملغّمًا تحت الحراسة المشدّدة العسكرية والتقنية.[٣٣]

تكمن خطورة المناطق المحرّمة في إجلاء السكان بالقوة وترحيلهم من مداشرهم، بمجرد أن تعلم سلطات الاحتلال بتواجد أفراد جيش التحرير هناك، لتشرع بعدها في تطبيق سياسة الأرض المحروقة والإبادة الجماعية،[٣٤] ليصبح الإذن بإطلاق النار مرخصًا بصفة دائمة،[٣٥] فدمرت العديد من القرى المستهدفة باستخدام سلاح المدفعية والطائرات المقنبلة بشكل عشوائي، "وكل ما يتحرك أو يعيش يعتبر هدفًا معاديًا يجب محوه".[٣٦] وقد ترتّب عن هذه العملية تشريد آلاف السكان نحو وجهات مجهولة، ومن بقي منهم يتم جمعهم في محتشدات،[٣٧] تفتقر إلى أبسط شروط الصحة، مما يعرّضهم لكل أنواع الحرمان مثل الجوع، والفقر والأمراض المزمنة والجهل زيادة على التنكيل والتعذيب.[٣٨] لقد كانت غاية القيادة الفرنسية من هذا الأسلوب الردعي، إخضاع السكان للمراقبة المباشرة، ومحاولة الحصول بمختلف الوسائل على المعلومات الضرورية عن جيش التحرير الوطني، وتحركاته، ومراكزه على أمل التوصل إلى عزل الشعب عن قيادته. ومن ناحية أخرى تمكين الإدارة الفرنسية – عندما يكون السكان في متناول العسكريين- استغلالهم من الناحية الدعائية وتقديمهم كنتيجة من نتائج التهدئة الناجحة.[٣٩]

## رابعًا: خوض معارك الحدود التونسية

راهن القادة العسكريون الفرنسيون على كسب معارك الحدود الشرقية أمام الحركة النشيطة لعناصر جيش التحرير الوطني على مستوى الحدود التونسية الجزائرية، بعدما تكثّف نشاطهم الثوري بشكل ملحوظ منذ صائفة سنة ١٩٥٧، إذ تمكّنوا من تمرير ألف قطعة سلاح شهريًا من تونس إلى الجزائر، واستطاع خلالها ألفان مجاهد مسلّح من التسلل إلى التراب الجزائري.[٤٠] وعلى الرغم من توفير جملة من التدابير لتأمين الحدود البرية والحدود الجوية، زيادة على المراقبة المستمرة للقوات البحرية، إلا أن المجهودات المبذولة للقضاء عليهم ظلّت محدودة الفعالية، بعدما تبيّن بأن صلابة الحواجز بالأسلاك الشائكة ظلّت تستدعي المزيد من الوسائل، خاصة أمام النجاح الذي حقّقه المقاتلون الجزائريون في إيجاد حيل وحلول لتجاوز هذين الخطين المكهربين، لذلك بقي الجنرالات الفرنسيون غير راضين كلية بتدابير الأمن المطبّقة، وعليه استوجب تسخير كل الوسائل الضرورية لمنع هجومات قوات جيش التحرير الوطني في تلك المناطق أين تزداد حركتهم أكثر فأكثر بالقرب من تلك الحواجز، بل ويتلقون عبرها الأسلحة بمختلف أنواعها،[٤١] وإزاء هذا الوضع قرّرت القيادة العسكرية وضع حد لها بخوض معركة الحدود الجزائرية التونسية.[٤٢]

تطلّبت معارك الحدود التونسية تكثيفًا في تعداد الجنود وتنظيم القوات العسكرية بمختلف أنواعها، ثم توزيعها توزيعا تكتيكيا يسمح لها بالتدخل السريع للسيطرة على الوضع، وتمثلت هاته القوات في: اللواء التاسع للمظليين بالمشروحة، واللواء الرابع عشر للقناصة المظليين بسدراتة واللواء الأول للمظليين الأجانب بقالمة، واللواء الثالث للمشاة بالسبت واللواء الرابع للمشاة الأجانب بتبسة.[٤٣] وفي إطار تدعيم قوات الاحتلال بقوات إضافية لإنجاح معركة الحدود قام الجنرال شال بسحب الفيلق السابع من عمق منطقة متيجة وتحويله إلى الحدود التونسية، وهو الأمر الذي اعترضه جاك ماسو، لأنّ ما أقدم على فعله أحداث فراغًا كبيرًا وكانت له عواقب خطيرة على الأحداث الأمنية لاحقًا".[٤٤]

كانت معارك الحدود الشرقية طويلة الأمد وعنيفة، انطلقت في ٢١ جانفي١٩٥٨ واستمرت إلى غاية ٢٨ ماي من السنة نفسها،[٤٥]، تحت قيادة الجنرال بول فانوكسوم الذي تولى قيادة القسم العسكري القسنطيني، وتمكّن من تحقيق عدة انتصارات، إلا أنها خلّفت خسائر معتبرة في صفوف جيش الاحتلال وجيش التحرير الوطني أيضًا، وحسب هنري لومير قدّرت خسائر الثوار مايقرب (٤٠٠٠) قتيل من الفلاقة، واعتقال (٥٨٨) جندي، واستسلام (٨٤) عنصرًا،[٤٦] بينما حصرها إيف كوربير في: (٣٢٣٤) قتيل، و(٥٨٨) أسير من بينهم (٣٩٠٦) خارجون عن القانون، والتحاق (٨٤) عنصرًا بالجيش الفرنسي.[٤٧] وحسب هيئة الأركان الفرنسية، فإنه خلال أربع أشهر التي استغرقتها معركة الحدود الجزائرية التونسية، فإن نسبة (٤٠%) من العناصر الثائرة خرجت من معسكراتها بتونس

وتم تدميرها، وتمكّن عدد معتبر من الجنود تراوح عددهم ما بين (٢٧٠٠) و(٢٨٠٠) محمّلين بـ (٢٠٠) قطعة سلاح أوتوماتيكية من التسلل داخل الجزائر، أغلبهم بجنوب منطقة الماء الأبيض نتيجة انعدام السد المكهرب.(٤٨)

تواصلت معارك الحدود وازدادت حدّة سنة ١٩٦٠، وهذا ما أكدته تصريحات قيادة الأركان الفرنسية التي اعترفت بوقوع عشرون مناوشة بالسلاح ضد مراكز عسكرية على طول الحدود في شهر أفريل١٩٦٠، الأمر الذي دفع السلطات العسكرية لتنفيذ العملية العسكرية حملت اسم (Marathon) التي شنّت في منطقة معزولة على مستوى الحدود الجزائرية التونسية من ٢٤ إلى ٣٠ ماي ١٩٦٠(٤٩)، اشتبك فيها فيلق لجيش التحرير الوطني وفرق كومندوس واللفيف الأجنبي والمظليين بجبل امزي، وشاركت فيها ثمانون طائرة حربية من نوع (B26) والـ (B29) و(T6) والمروحيات، كما استخدم فيها سلاح النابالم بكثرة الذي أحرق بنيرانه عددًا معتبرًا من عناصر جيش التحرير الوطني.(٥٠) ورغم التعزيزات العسكرية والرقابة المشدّدة على الحدود الشرقية، سجّل مع بداية سنة ١٩٦١ اشتباك قوي ببئر العاتر بجنوب الحاجز الشرقي، خلّف في صفوف القوات الفرنسية ٢٥ قتيلا، بينما تمكّنت كتيبة لجيش التحرير الوطني من تخريب الحاجز الشائك بشمال وجنوب مدينة تبسة، إلا أن هذه العملية خلّفت أيضا مقتل ٣٤ جنديًا في صفوف المقاتلين الجزائريين، وتمكّن خلالها جيش التحرير الوطني من إسقاط طائرة استطلاعية، ولم تتوقف المناوشات طيلة شهر فيفري ١٩٦١ على مستوى الحواجز، بل وازدادت حدّتها في الأسبوع الأخير من ذات الشهر ضد مواقع القوات الفرنسية بالحاجز الشرقي وتحديدا بمنطقة لامي- القالة.(٥١)

## خامسًا: الضغوطات الفرنسية على تونس لمراقبة الحدود

على الرغم ما أعلنت عنه الحكومة الفرنسية في العديد من المناسبات أن خط موريس أغلق الحدود تمامًا بين تونس والجزائر، وعرقل النشاط الثوري لجيش التحرير الوطني، إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك، لذلك لم تتوقف السلطات الاستعمارية عن حبك مناوراتها الدنيئة بعدما تبيّن لها بأن العزل الحدودي بواسطة الأسلاك الشائكة لم يؤت بالنتائج المنتظرة، خاصةً بعد الإخفاق السحيق لقواتها العسكرية أمام اشتداد المعارك، وفداحة الخسائر التي مُنيت بها. وقد تزامن مع تلك الفترة أن حكومة فيليكس غايار كانت مهدّدة بالسقوط، لذلك راحت تبحث عن قضية تشغل بها المجلس الوطني الفرنسي، وعن مسؤول تلقي عليه مسؤولية الهزائم الفرنسية،(٥٢) بتبني جملة من تدابير وقائية وردعية نحصرها في ما يلي:

**١/٥- السعي لتشكيل قوة تونسية- فرنسية مشتركة لحراسة الحدود:**

لم ترتكز الدعاية الفرنسية على محاولة تعليل قوة الثورة الجزائرية بالإعانة التونسية فحسب، بل حاولت إلقاء مسؤولية جميع الهزائم العسكرية الفرنسية في جميع نواحي الجزائر على السلطات التونسية، باعتبارها مصدر الدعم المادي والمعنوي الذي يعبر المناطق الحدودية، لذلك اعتبرت قضية الحدود مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بقضية العلاقات التونسية الفرنسية، وأنّه لا يمكن فصل هذه عن تلك، لذلك أعلنت في اجتماعها الوزاري يوم ٢٢ جانفي١٩٥٨ أن اقتراح موريس شومان لتشكيل قوة تونسية فرنسية مشتركة لحراسة الحدود يستحق الدراسة. غير أن هذا الاقتراح لقي معارضة شديدة من قبل السلطات التونسية التي رفضته جملة وتفصيلاً وكذّبت ما تدعيه الحكومة الفرنسية الساعية للحصول على ثقة المجلس الوطني الفرنسي للبقاء في الحكم مدة أطول، وفي هذا الصدد صرّح الرئيس التونسي إلى مراسل "فرانس لوبسرفاتور" برفضه لهذا العرض بقوله: "... هذا شيء طبيعي بعدما أبلاه الشعب التونسي من اعتداءات الجيش الفرنسي على السيادة التونسية في عهد الاستقلال، فضلا عما تبعثه رؤية البذلة العسكرية الفرنسية من ذكريات الاحتلال المرّة وعهد الحماية البغيض... ثم أن السماح لوجود قوات فرنسية بتونس مهمتها حراسة الحدود معناه في نفس الوقت السماح لها بأن تعبث بسيادة الدولة التونسية، وبأن تهدد استقلالها".(٥٣)

ومن جهتها، فضحت قيادة الثورة الجزائرية خطورة ما تسعى إلى تحقيقه الحكومة الفرنسية، التي تحاول إرجاع قوتها العسكرية إلى تونس بعنوان حراسة الحدود الجزائرية، وأن هذا الإجراء سيسفر عمليا عن وضع قوات فرنسية ضخمة وعتاد فرنسي هائل على طول الحدود. وسيترتب عليه أيضًا رجوع القوات الفرنسية من جديد إلى الأراضي التونسية، لتمكين السلطات الفرنسية من أن تكوّن لهم قوة حرب إضافية في التراب التونسي، لاستكمال عمل الوحدات الفرنسية الموجودة بالجزائر، ومن ناحية تريد فرنسا بعد أن فشلت محاولاتها لعزل الجزائر سياسيًا عن بقية الشمال الإفريقي، أن تعزلها استراتيجيا بهذه الوسائل العسكرية.(٥٤)

**٢/٥- محاولة إيفاد قوة أممية لحراسة الحدود:**

وزيادة على الاقتراح المذكور أعلاه، طرحت سلطات الاحتلال اقتراحًا آخر يرمي إلى إيفاد قوة أممية تقوم على حراسة الحدود، إما عن طريق تأليف وحدات تونسية فرنسية، وهي الطريقة التي اقترحها النائب الفرنسي موريس شومان، أو عن طريق وضع قوات دولية، كالقوات التي تحرس الحدود العربية الإسرائيلية. ثم جاء العدوان الجوي على ساقية سيدي يوسف لتبعث من جديد هذه المشكلة، وحسب الأنباء المتداولة فقد أبدى الأمريكان حرصًا على تكليف ملاحظين من دول الحلف الأطلسي، أو من الأمم المتحدة بمراقبة الحدود التونسية الجزائرية.(٥٥) عارضت قيادة الثورة الجزائرية بشدة، استعمال القوات الأممية والبوليس الدولي في حراسة الحدود التونسية الجزائرية "لأنه يناقض ما تقتضيه طبيعة القوات الأممية نفسها، التي لا يمكن إلا أن تسهر على السلم، وأن تراقب تنفيذ توصيات الأمم ومبادئ هيئة الأمم المتحدة، ولهذا ترى

جبهة التحرير الوطني أن هيئة الأمم المتحدة التي ناقشت القضية الجزائرية مرتين، والتي وافقت على توصيات ترمي إلى إنهاء الحرب، والتي سجلت عرض الوساطة التونسية المغربية، لا يمكن أن تضع سلطاتها وقواتها في خدمة السلم في الجزائر. ثم أن وضع قوات أممية من أجل حراسة الحدود معناه أن هيئة الأمم قد غفلت عن أصل الداء وهو حرب الجزائر، وأرادت أن تعالج نتيجة من نتائجه الحتمية. وذكّرت أيضًا أن البوليس الأممي الذي من مهمته السهر على القيم الأممية، لا يمكن أن يتحوّل إلى فرع عن مصالح "لاكوست" الجمركية، ولا يمكن أن يخدم قضية الحرب الفرنسية بالجزائر".(٥٦)

**٣/٥- قطع الإعانات المادية عن تونس:**

اتجهت الاستراتيجية العسكرية الفرنسية، بعد أن استنفذت كل محاولاتها لوقف الدعم التونسي للثورة الجزائرية، لتنفيذ تهديداتها التي تعدّدت وتنوعت بتنوع الإجراءات الردعية. فبعد الاعتداءات المتكرّرة على الأهالي التونسيين والجزائريين القاطنين بالمناطق الحدودية، وملاحقة الثوار الجزائريين والاعتداء عليهم في أراضيها، زيادة على المطالبة بإقامة منطقة حدودية محايدة تحت مراقبة القوات الأممية، باشرت في لغة التهديد بقطع الإعانات الفرنسية المادية على تونس، إذ شدّد رئيس الحكومة لهجته أمام المجلس الوطني الفرنسي مهددًا ومتوعدًا تونس بالتصريح التالي: "ستستعمل الحكومة الفرنسية جميع الوسائل اللازمة لإنهاء الإعانة التي تمنحها تونس (للجزائريين). يجب أن يفهم السيد بورقيبة بأنه يعرّض الصداقة التونسية الفرنسية إلى الخطر، ويعرّض أيضًا للخطر إمكانية خروج بلاده من صعوباتها الحالية...".(٥٧)

أقدمت السلطات الفرنسية على تنفيذ تهديداتها "بإلغاء المساعدات المالية لتونس سنة ١٩٥٧ فيما يخص القرض المالي ذا الاثني عشر مليارًا من الفرنكات، كإجراء عقابي على موقف تونس العدائي نحو فرنسا بسبب مؤازرتها للمجاهدين الجزائريين. وقدّم السفير الفرنسي بتونس جورج غورس تبريرات بشأن قرار بلاده لوقف منح القرض لتونس، كما قام الفرنسيون بتحويل مبالغ مالية طائلة إلى فرنسا في عملية تهريب واسعة النطاق الأمر الذي نجم عنه التهديد بإلحاق أضرار جسيمة ومعتبرة بالاقتصاد التونسي، كما أقدمت الحكومة الفرنسة على التخفيض من قيمة الفرنك في مناسبتين، أولاهما كانت في أوت ١٩٥٧ والثانية في ديسمبر ١٩٥٨ دون أن تكلف نفسها عناء إعلام السلطات التونسية رغم انتماء العملة المتداولة في تونس لمنطقة الفرنك.(٥٨)

**٤/٥- التهديد بإعادة احتلال تونس:**

تمادت السلطات الفرنسية في تهديداتها أيضًا بالإعراب عن نيتها لإعادة غزو تونس واجتياحها من جديد، في حالة إصرارها واستمرارها في تقديم الإعانات للثورة الجزائرية، من خلال مخطّط وضعه الجنرال صالان في سبتمبر ١٩٥٧ "بافتعال حوادث خطيرة بتونس تستوجب التدخل العاجل للقوات الفرنسية البرية والجوية والبحرية. حيث تقوم القوات الجوية بغارة على تونس العاصمة، بينما تقوم القوات البرية من خلال الكتيبة الحادية عشر بالزحف البري من سوق الأربعاء على تونس، وتدعم العملية بإنزال بحري على سوسة. كما أعرب صالان أيضًا في تصريح له لجريدة "لكسبرس" الفرنسية: "بأن الحل الوحيد للقضية الجزائرية يكمن في اعتقال بورقيبة واحتلال تونس من جديد"،(٥٩) غير أن الوضع الدولي والخلافات بين السلطة المدنية والعسكرية جمّدت المشروع.(٦٠)

تواصلت ضغوطات المُغالين من قيادة الجيش الفرنسي في الجزائر في إعداد مخطّط آخر لإعادة احتلال البلاد التونسية، واتضح ذلك جليًا من خلال خطة "المشذب والمعول" Serpe et pioche الذي كان مقرّرًا تنفيذها في ٢٥ ماي ١٩٥٨ والتي أحبطت في آخر لحظة،(٦١) وقد حذر السفير الفرنسي من العواقب الوخيمة لخيار القوة، لأنه لا يضمن -حسب تقديره- تغييرًا في السياسة التونسية إزاء فرنسا. فبورقيبة، وحسب رأيه بالرغم من المواصفات والعيوب التي يتصف بها من خبث وغرور وادعاء، فهو الأقرب إلى فرنسا بحكم ثقافته الفرنسية وبإمكانه أن يلعب دورًا محوريًا في جعل المغرب العربي مقطوعًا نسبيًا عن المشرق العربي بحكم ارتباطه الوثيق بالثقافة الغربية.(٦٢) ولم يكن هذا المخطّط الوحيد الذي كان يستهدف إعادة احتلال تونس من جديد، إذ تمّ إعداد مخطّط ثان سنة ١٩٥٩ اعتمادًا على المخطّط الأول أُطلق عليه اسم "عملية المشاط" (Opération Râteau) تعتمد على عنصر المباغتة وتجنب إلحاق الأضرار بالسكان المدنيين وعناصر الجيش التونسي. وكان الهدف من هذه العملية تحطيم قواعد جيش التحرير الوطني المتمركزة خاصة بغار الدماء، إلا أن الحكومة الفرنسية رفضت تطبيقها لأن الأجواء السياسية غير مناسبة، والظرف الدولي لا يسمح بذلك خاصة بعد تطور الموقف الأمريكي تجاه القضية الجزائرية.(٦٣)

## خاتمة

أفرزت سياسة التطويق التي اعتمدتها سلطات الاحتلال على الحدود الجزائرية الشرقية من أقصى الشمال إلى الجنوب أضرارًا جسيمة وانعكاسات سلبية شملت جوانب عدة، أخطرها على الميدان العسكري، إذ ضُيّق الخناق على قوات جيش التحرير الوطني بحواجز عازلة، مما أعاق عملية تمرير الأسلحة من تونس باتجاه الجزائر، إلى جانب تضرّر سكان المناطق الحدودية من اعتداءات الجيش الفرنسي، زيادة على تدابير ردعية ارتكزت على محاولات يائسة من أجل إيفاد قوات أممية لإعانتها في حراسة الحدود الجزائرية، وتمادت في سياستها العدوانية بقطع الإعانات المادية عن تونس والتهديد بإعادة احتلالها إذا لم تكف عن مساعدة الثورة الجزائرية. وإزاء هذه الأوضاع كان لزامًا على قيادة الثورة الجزائرية إيجاد حلول استعجالية لمواجهة استراتيجية جيش الاحتلال على طول الحدود الشرقية للخروج من هذا المأزق، باستحداث تنظيمات ثورية وهياكل عسكرية استعانت بها لتجاوز تلك الظروف المأساوية.

## الهوامش:

(١) للمزيد من التفاصيل حول مصادر الأسلحة وعملية نقلها ونوعية الذخيرة التي تم تمريرها داخل الجزائر عبر الحدود الشرقية والغربية أيضًا برًا وبحرًا وجوًا، انظر: عبد المجيد بوزبيد، **الإمداد خلال حرب التحرير الوطني شهادتي**...، ط ٢، مطبعة الديوان، الجزائر،٢٠٠٧، ص ٨٦- ١١٢.

(٢) م. و. د. ب. ح. و. ث. ن 1954، **القواعد الخلفية للثورة الجزائرية - الجهة الشرقية- ١٩٥٤- ١٩٦٢**، منشورات وزارة المجاهدين، (د. م. ط)، ٢٠٠٧، ص ١١٣- ١٤٠.

(٣) م. و. د. ب.ح. و. ث. ن 1954، **الأسلاك الشائكة وحقول الألغام**، مطبعة الديوان، ٢٠٠٧، ص ٢٢.

(4) ISHMN, S.H.A.T, Bobine S437, carton 2H 237 , dossier 1, Note de service : Droit de poursuite en territoire tunisien, émanant de la division militaire de constantine du 10 JANVIER 1957, non folioté.

(5) Ibid.

(6) Hédi BACCOUCHE, **L'Agression française contre Sakiet Sidi- Youssef les faits et les Suites,**Université de la Manouba, Publications de l'institut supérieur d'histoire du mouvement national, Tunis, 2008, pp 8 -9.

(7) Raoul Salan, **Mémoires fin d'un empire «Algérie Française» 1 er Novembre 1954 – 6 juin 1958** ,Editions Presse de la cité , Paris, 1970 , p 258.

(8) Général Massu, **la vraie bataille d'Alger**, Editions du Rocher, 1971, France, P. 75.

(9) Ibidem.

(١٠) خصّ أندري موريس هذا الخط الشائك والمكهرب باهتمام بالغ وعناية خاصة، باعتباره مقاولاً في الأشغال العامة وصاحب مؤسسة الأسلاك الشائكة، وقد حقق من وراء هذا الانجاز الجهني منفعتين، أولاهما تتمثل في الحصول على صفقة مالية لحسابه الخاص لأن مؤسسته هي التي كانت تقوم بتوفير الأسلاك الشائكة لإنجاز الحواجز المكهربة، كما سبق توفيرها من قبل أثناء الحرب العالمية الثانية حيث باعها للألمان، كما زوّد الجيش الفرنسي بهذه الوسيلة الجهنمية للقضاء على الثورة. وقد استدعي إلى المجلس الوطني لمسائلته من قبل الشيوعيين بشأن هذه الصفقة المالية. للاستزادة أكثر انظر: محمد الميلي، **مواقف جزائرية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص ٤٥. وأيضًا: Mohamed Teguia, **L'Algérie en guerre**, OPU, 2007, p 265

(١١) للمزيد من التفاصيل حول نص القرار الذي أصدره وزير الدفاع أندري موريس بتاريخ ٢٦ جوان ١٩٥٧ والقاضي بإنشاء الخط المكهرب على الحدود الجزائرية التونسية مع توفير الإمكانيات البشرية والعسكرية لإنجازه، المؤرخ في ٢٨ جوان ١٩٥٨. انظر: جمال قندل، **خطا موريس وشال على الحدود الجزائرية التونسية والمغربية وتأثيراتهما على الثورة الجزائرية ١٩٥٧- ١٩٦٢**، ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٦، ص ١٤٩- ١٥٠.

(12) Mohamed Teguia, Op.cit, P. 265.
(13) Raoul Salan, op.cit, P. 221.
(14) Mohamed Teguia, op.cit, P. 265.

(١٥) جمال قندل، مرجع سابق، ص ٤٧.

(16) Mohamed Teguia, op.cit, P. 266.

(١٧) للمزيد من التفاصيل حول عدد الألغام ونوعيتها وحقولها ووظائفها وخطورتها وكيفية زرعها انظر: م. و. ب.ح. و. ث. ن ٥٤، **الأسلاك الشائكة**....، مرجع سابق، ص ١١٧- ١٢٠.

(١٨) المرجع نفسه، ص ١٠٤.

(١٩) المرجع نفسه، ص ٧٥- ٧٦.

(20) Charles Ailleret, **Général du contingent en Algérie 1960- 1962**, Editions Grasset, Fasquelle, Paris, 1998, p 23.

(21) Claude Paillat, **Vingt ans qui déchirèrent la France - la liquidation 1954- 1962**, T 2, Editions Robert Laffont, Paris, 1972, p 506.

(٢٢) جمال قندل، **مرجع سابق**، ص ٩٠.

(٢٣) المرجع نفسه، ص ٩١.

(24) Amar Boudjellal, **les barrages de la mort 1957- 1959 le front oublié**, Editions C.N.E.R.H.M.N.R 54, 2010. pp 58- 59.

(25) جمال قندل، مرجع سابق، ص ٩١.

(26) Amar Boudjellal, **op.cit**, p 59 .

(27) Claude Paillat, **Dossier secret de l'Algérie**, le livre contemporain, Paris, 1961, P. 162.

(28) Henri LE MIRE , **Histoire militaire de la guerre d'Algérie**, Editions Albert Michel, Paris, 1982, P. 200.

(29) Ibidem.

(٣٠) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج٢، ط ٢ منقحة ومزيدة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ١٩٩٦، ص ٢٢٦.

(٣١) الغالي غربي، فرنسا والثورة الجزائرية ١٩٥٤- ١٩٥٨، غرناطة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ص ٢٧٢.

(٣٢) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية (١٩٥٤- ١٩٦٢)**،ج ٣، القسم الأول، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ٢٠٠٥، ص ١٧٥.

(٣٣) يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج ٢، مرجع سابق، ص٢٢٥- ٢٢٦.

(34) Amar Boudjellal, Op.cit, p 61.
(35) Ibid, P. 259.

(٣٦) ميشال فورجي، **الحرب الباردة وحرب الجزائر ١٩٥٤- ١٩٦٤**، ترجمة مختار عالم، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٩١.

(٣٧) خالد نزار، **الجزائر يوميات الحرب ١٩٥٤- ١٩٦٢**، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٩٦.

(٣٨) م. و. د. ب.ح. و. ث. ن ٥٤، **الأسلاك الشائكة**.... مرجع سابق، ص ٣١.

(٣٩) **المجاهد**، عدد ١٨، ١٥ فيفري ١٩٥٨، ص ٨.

(40) Yves courrière, **la guerre d'Algérie, T V, Dictionnaire et Documents,** Editions SGED, Paris, 2005, P.2436.

(41) Mohamed Teguia, op.cit, p p٢٦8 -269.

(42) Yves Courrière, **La guerre d'Algérie ...** T V, op.cit, P. 2436.

(٤٣) جمال قندل، **مرجع سابق**، ص ١٠٥.

(44) Général Massu, op .cit, p 75.
(45) Henri Lemire, op.cit, p 217.
(46) Ibidem.
(47) Yves Courrière, **La guerre d'Algérie...., T V**, op.cit, p 2436.
(48) Ibidem.
(49) Mohamed Teguia, Op.Cit, P.307.
(50) Ibid, Pp. 328 - 329.
(51) Ibid, Pp. 329 - 330.

(٥٢) **المجاهد**، عدد ١٧، ١ فيفري ١٩٥٨. ص ٢.

(٥٣) المرجع نفسه.

(٥٤) المرجع نفسه.

(٥٥) **المجاهد**، عدد ١٨، ١٥ فيفري ١٩٥٨، ص ٢.

(٥٦) نفسه.

(٥٧) **المجاهد**، عدد ١٧، مصدر سابق، ص ٢.

(٥٨) محمود فروة، **"حكومة الاستقلال والاستقلال الاقتصادي"**، أعمال الندوة الدولية الثالثة عشرة حول **استقلال تونس ومسيرة التحرّر من الاستعمار**، المنعقدة بتونس أيام ٤ و ٥ و ٦ ماي ٢٠٠٦، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، عدد ١٣، جامعة منوبة، ٢٠١٠، ص ١٢٩- ١٣٠.

(٥٩) **جريدة العمل**، عدد ٧٣٢، ٢٨ فيفري ١٩٥٨، ص ١.

(60) Annie Goldzeigher Rey, la frontière algéro-tunisienne pendant la guerre d'Algérie dans les archives militaires de Vincennes, in ***actes du 7 é colloque internationale sur la résistance armée en Tunisie aux 19 et 20 siècle***, organisé par l'ISHMN le 18 et 19 et 20 novembre 1993, publications de ISHMN, Tunis, 1995, Pp. 72- 73.

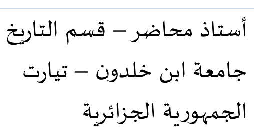
(٦١) مجموعة باحثين، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (مقاربة)** ١٨٨١- ١٩٦٤، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، ٢٠٠٨، ص ١٧٦.

(62) Samya El Machat, **Les relations Franco-Tunisiens: Histoire d'une souveraineté arrachée 1954 - 1964**, L'Harmattan, Paris, 2005, P. 97.

(63) Annie Goldzeigher, Op.cit, Pp. 85 - 87.

# النشاط الصحفي لعبد الحميد بن باديس في الجزائر
# ١٩٢٥ – ١٩٤٠






**د. محمد بليل**

أستاذ محاضر – قسم التاريخ

جامعة ابن خلدون – تيارت

الجمهورية الجزائرية



## مُلَخّصْ

عرفت الجزائر في بداية القرن العشرين نهضة أدبية وثقافية وحركة إصلاحية ذات مرجعية إسلامية متأثرة بالنهضة الإسلامية في المشرق، ساعدتها في ذلك عوامل عدة، من أبرزها النشاط الصحفي الذي أثّر على نخب عديدة في الجزائر، ومن بينها النخب الدينية السلفية التي ينتمي إليها عبد الحميد بن باديس، رائد النهضة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، الذي أتخذ من منابر المساجد الحرة وسيلة لإبلاغ رسالته الدعوية والحضارية للشعب الجزائري، ونظرًا للمضايقات الاستعمارية له في هذه المنابر، لجأ إلى وسيلة أخرى؛ تمثلت في العمل الصحفي وكتابة المقالات الأدبية والدينية والفكرية والسياسية من أجل إيقاظ الهمم، وبعث روح التعليم لدى الجزائريين المسلمين وإبعادهم عن خطر الجهل، داعيًا لرسالة الإسلام التي تدعو للعلم والتحرر من التخلف والخرافات التي أضحت سمة عهده، وراح يساهم في الصحف القريبة من أفكاره ويؤسس أخرى، حسب ما تسمح به القوانين الاستعمارية.



**بيانات الدراسة:**

تاريخ استلام البحث: ١٨ أكتوبر ٢٠١٣

تاريخ قبـول النشـر: ٩ يناير ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

الصحافة العربية، الطرقيين، الحكومة الفرنسية، الحركة الإصلاحية، الصحافة الجزائرية

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

محمد بليل. "النشاط الصحفي لعبد الحميد بن باديس في الجزائر ١٩٢٥ – ١٩٤٠".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ١١٢ – ١٢٤.


## مُقَدِّمَةٌ

عَرفت الساحة الثقافية والإصلاحية، ظهور شخصية بارزة في الجزائر تدعو الجزائريين بالعودة لدينهم الصحيح وتاريخهم المجيد؛ محاولاً إحياء تراث الأجداد ورافضًا سيطرة الثقافة الفرنسية والمتأثرون بها، خاصةً دعاة الإدماج ودخل في صراع مع الطرقيين وواجه سياسة فرنسا الاستعمارية. ولهذه الغاية سوف نعالج في هذه الدراسة المتواضعة، إشكالية النشاط الصحفي عند العلامة ابن باديس وأهميته في تلك الفترة، ونحاول أن نحلل أرائه مذهبه في الصحافة، ونعالج المواضيع التي تناولها في بعض الصحف التي أصدرها وأشرف على تسييرها، وأيضًا الأساليب والتقنيات التي اتبعها في ذلك، بهدف إيصال خطابه إلى النخب الجزائرية وعامة الشعب الجزائري.

## (١) نظرة عامة عن الصحافة في الجزائر خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

تعتبر الصحافة همزة وصل بين المثقف والمفكر والناشط السياسي وغيرهم من كتاب الصحف وبالتالي "فالصحافة تتفاعل مع الجمهور العريض من مثقفين وقُرَّاء عاديين، وبذلك فالصحافة كوسيلة تمارس التغيير والتأثير بأشكال متعددة في حياة الناس كانوا حكامًا أو محكومين"، وأصحاب هذه الصحف يحملون قناعات وأيديولوجيات مختلفة.[١] وتطورت الصحافة في أوربا منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر مع إنشاء مطبعة "غوتونبارغ" وارتقت خلال القرن التاسع عشر ليصل صداها للبلاد العربية والإسلامية وتصل إلى الجزائر مع وصول طلائع جنود الاحتلال الفرنسي للجزائر بصدور أول جريدة موجهة لجنود الاحتلال

"الإسطافات"، ثم نشأت جرائد رسمية كالمونيتار، والمبشر، والأخبار فيما بعد.[٢]

وفي تحليلنا لتطور الصحافة في الجزائر، فإنه يصعب علينا تعيين تاريخ محدّد لظهور الصحافة، إلا أن المؤكد أنها رافقت دخول الاستعمار، فقد استعملها الفرنسيون المعتدون لتبليغ القوانين والتشريعات والأوامر الإدارية إلى الشعب الجزائري، كما عنيت تلك الصحافة بإظهار سمعة فرنسا وما لها من الفضل على العرب والمسلمين من جهة، وادعاء التفوق الحضاري الأوربي على المسلمين،[٣] وظلّت الصحافة الاستعمارية على هذا الخط فترة طويلة، وحرصت فرنسا الاستعمارية منذ أن وطأت أقدامها أرض الجزائر على العمل بمختلف الوسائل للقضاء على خصوصيات وتقييد الشعب الجزائري العربي المسلم بهدف إدماجه وإخضاعه لثقافتها، "ولما كان الإعلام يمثل الأداة المناسبة لتنفيذ هذه المهمة الخطيرة، سخرت السلطات الفرنسية مختلف وسائل إعلامها إلى جانب وسائل أخرى لتنفيذ هذه السياسة الرامية للقضاء على مقومات الشخصية الجزائرية".[٤]

ولهذا الغرض قامت فرنسا أيضًا منذ البداية بتأسيس بعض الجرائد الرسمية وأخرى بالعربية موجهة للجزائريين والأوربيين بهدف طمس المعالم الحضارية للجزائريين والسماح بمجموعة من النخب الفرنسة ذات الاتجاهين اليميني واليساري بنشر أفكار معادية لثقافة الجزائريين وثقافتهم العربية الإسلامية أمثال جرائد "المبشر" سنة ١٨٤٧، التي كانت تصدر الأوامر الرسمية، وأيضًا جريدة "الأخبار" وهي صحيفة أسبوعية تأسست سنة ١٨٣٩، وفي سنة ١٩٠٩ أصبحت تصدر باللسانين، وقد استمرت إلى غاية ١٩٣٤ وهما جريدتان كانتا ذات طابع حكومي أكثر منها تثقيفي،[٥] وجرائد موجهة "للأهالي" الجزائريين مثل جرائد المنتخب التي صدرت سنة ١٨٨٢ بهدف دفع الأهالي للدفاع عن أنفسهم من قبل مديرها السيد "بول إتيان" بمشاركة من مجموعة من أعيان قسنطينة.

وكانت هذه الصحف تعبر عن الوجهة الرسمية للإدارة الفرنسية وطموحات بعض الأوربيين الساعيين إلى إبراز مكانة فرنسا في الجزائر، إلى غاية ظهور بعض صحف الأهالي المعبرة عن قناعة القبول بهذا المستعمر، محاولة منها الدخول معه في سباق نحو إدماج الجزائريين في المنظومة الثقافية الفرنسية، حيث ظهرت صحيفة "الحق" في مدينة (عنّابة) سنة ١٨٩٣م بالفرنسية، ثم في سنة ١٨٩٤م بالعربية، ثم جريدة المغرب" سنة ١٩٠٣م، وكانت تسعى إلى التأليف بين الأهالي وبين الأمة الفرنسية، وكان جُل الكتّاب في هذه الصحيفة جزائرين، منهم الشيخ عبد القادر المجاوي، والشيخ عبد الحليم بن سماية، وغيرهم من المثقفين الذين عُرفوا باتجاههم الإصلاحي.

وأيضًا جريدة "النصيح" التي صدرت سنة ١٩٠٧ وفي سنة ١٩٢٢ أسس مجموعة من اليساريين جريدة "لا فوا دي زامبل" (Vois de humbles)، وبذلك نعتقد أن الصحفيين الجزائريين الأوائل حاولوا الدفاع عن الأهالي الجزائريين من خلال القوانين الفرنسية بواسطة جملة من المطالب الإصلاحية، حيث نجد الأستاذ زهير إحدادن يحلل لنا هذه الصحافة في بدايتها موضحًا خصوصياتها والظروف التي نشأت فيها.[٦] ومن جهتها حللت دراسات أخرى هذا المنعطف الصحفي منذ بدايته مركزة على الاتجاه الإصلاحي الأول المزيج ما بين الثقافتين العربية والفرنسية قبل أن ينقسم على نفسه في أعقاب الحرب العالمية الأولى بين تيار الشباب المثقف ثقافة فرنسية وتيار التقليديين والمحافظين،[٧] أو كما يسميهم المؤرخ الفرنسي "أجرون" بأصحاب العمائم.[٨]

ومن جهتهم أصدر المعمرون مجموعة من الجرائد تعبر عن هويتهم العنصرية وأفكارهم الاستيطانية، أمثال إيكو دالجي، وإيكو دوران، وبوتيت تلمسانيان، وديباش كنوستونتينوا، ورفاي ماسكارا، وعين الصفراء المستغانمية، وأسسوا أيضًا جرائد محلية في القرى والمدن ليدافعوا عن مصالحهم. وأيضًا قام بعض الفرنسيون المتحمسون لإدماج الجزائريين في الثقافة الفرنسية والدفاع عنهم بتأسيس عدة جرائد فرنسية مزدوجة اللغة أمثال، الإسلام سنة ١٩٠٩ وكوكب إفريقيا سنة ١٩٠٧ المعربة، والفاروق سنة ١٩١٣، الراشدي سنة ١٩١٩، إضافةً لجرائد أخرى ذو الفقار والبريد، وهي كلها نماذج لصحافة الأهالي التي حاولت أن تعبر عن انشغالات النخب المثقفة ثقافة فرنسية، وحاولت أن تبرز مطالب الجزائريين ضمن الثقافة الفرنسية، ولكن معظمها فشل بسبب الأوضاع المتدهورة لتلك النخب التي لم تستطع مواصلة المشوار، بسبب عراقيل الإدارة الاستعمارية.[٩]

ويرى الأستاذ إحدادن أيضًا في تحليله لهذه الصحافة، بأنها "قد لعبت دورًا بارزًا في يقظة الجزائريين واعتمدت على عدة ركائز منها:[١٠]

- التنظيم السياسي والاقتصادي والعسكري في تكوين المناضلين، وإنشاء الجمعيات والأحزاب.
- المساهمة في العملية التعليمية – إنشاء المزيد من الصحف رغم الصعوبات والعراقيل.

ووضح كذلك إحدادن في فصل له في مؤلفه صحافة الأهالي منذ ١٨٣٠ إلى ١٩٣٠ أهم صحف الأهالي الأولى كالحق والإكلار (البرق) التي جاءت محل الحق الممنوعة، والمصباح للعربي فخار،[١١] وعرفت نشاطًا صحفيًا قويًا لتأثر في مختلف النخب بمختلف اتجاهاتها، بما في ذلك صحافة الاتجاه العربي الإسلامي التي واصلت المسيرة والدفاع الحقيقي عن هوية الجزائريين ووجدت صحفهم صدى في أوساط المسلمين الجزائريين.[١٢] وبعد هذا التمهيد عن تطور الصحافة في الجزائر، منذ قدوم فرنسا الاستعمارية إلى الجزائر وقيامها بالقضاء على مختلف مقوماته، سيحاول الجزائريون المتشبعون بالثقافة العربية والإسلامية، تجريب الأسلوب الصحفي كطريق واضح المعالم لمواجهة فرنسا الاستعمارية بنفس أسلحتها.

## (٢) واقع الصحافة العربية الإسلامية في بداية القرن العشرين

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، سمحت الإدارة الاستعمارية بإنشاء الجرائد والصحف بمختلف اتجاهاتها وفق قانون١٨٨١، لذي سمح بحرية التعبير وفرض شروطًا قاسية على صحافة الجزائريين باللغة العربية واعتبرها أجنبية، في حين تغاضى الطرف قليلاً على صحافة الجزائريين باللغة الفرنسية، راميًا من ذلك تشجيع سياسة الإدماج، لكنه اعتبر كلا النوعين خطرًا على وجوده، مما يجعلنا نحاول تتبع تطور الصحافة العربية الإسلامية في الجزائر بشكل موجز لارتباطها بالنشاط الصحفي لعبد الحميد أبن باديس وأهم العراقيل التي واجهتها، ثم نعرج فيما بعد لنشاط ابن باديس وتجربته الإعلامية من سنة ١٩٢٥ إلى غاية وفاته، حيث تناولت دراسات عديدة النشاط الصحفي لابن باديس منها: مراد علي، وعمار هلال، ومحمد الميلي، وسعد الله وقداش، وزهير إحدادن، وغيرها من المقالات التي وردت في جرائد ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كالشهاب والبصائر الأولى.

ومن هذا المنطلق نستخلص بأنه "كانت المناشير أهم وسيلة إعلامية في تلك الفترة، حيث اختار ابن باديس وجمعية العلماء الكلمة الصائبة، والدعوة المركزة، والخطاب الديني الصحيح والصريح، وكان الإعلام في هذه الفترة أداة لنشر اللغة العربية والإسلام ودفاعًا عن هوية الأمة،"[١٣] فحسب تصريحات ابن باديس نفسه في مقالاته المتعددة، التي سنرجع لنماذج منها في تحليلنا لهذه الوسيلة الهامة التي اعتمد عليه العلامة ابن باديس في هذه المرحلة، التي عرفت تطورًا ونضجًا لدى النخب الجزائرية وباتت تستخدمها للتعريف بأفكارها ومبادئها ومخاطبة ضمير الأمة الجزائرية، وتنبيه الإدارة الاستعمارية بوجود الأمة الجزائرية. وتشير العديد من الدراسات لميلاد الصحافة العربية بشكل قوي، رغم المشاكل المالية ورقابة السلطة الاستعمارية، حيث ظهرت مثلاً في بدية القرن العشرين، جريدة كوكب إفريقيا المعربة لصاحبها محمود كحول، وعرفت مقروئية ملحوظة، مما يفسر لنا تزايد القُرَّاء بالعربية رغم القيود الاستعمارية التي فرضت على التعليم العربي، ثم تبعتها الإقدام المزدوجة اللغة، حيث حاول الأمير خالد الرجوع لتراث أجداده، ثم ظهر صحافيون كبار لا يخشون القوانين الفرنسية أمثال عمر بن قدور، وعمر راسم، وفيما بعد شيوخ التيار الإصلاحي، وعلى رأسهم ابن باديس، وفي السياق نفسه قامت بعض الطرق الصوفية بتحديث أساليبها؛ فأنشأت المطابع وأصدرت الصحف أمثال الطريق العلوية في مستغانم.[١٤]

وقد ارتبطت هذه النهضة الصحفية التي اعتمدت على اللغة العربية وصحافيين معربين أو يحسنون اللسانين بالنهضة الإسلامية في المشرق، وبروز تيار ديني قوي لازم الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر؛ التي تأثرت بالفكر السلفي لمحمد بن عبد الوهاب الحجازي وتيار الجامعة الإسلامية في المشرق بزعامة الأفغاني وعبده وبمباركة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وبالتالي بروز صحافة ذات توجه إسلامي قوية تخاطب الجماهير المسلمة التي حرمت من ثقافتها لعقود عديدة. إذن فقد ظهرت هذه الصحافة المعروفة بالصحافة الإسلامية في نهاية القرن التاسع عشر، وازدهرت في بداية القرن العشرين، مستغلة الظروف الداخلية المهيأة في ظل الحاكم العام "جونار"، ثم "فيولات" الذين حاولا مساعدة الأهالي بالاندماج في الثقافة الفرنسية والسماح لهم بإنشاء الجرائد، إضافة للعوامل الخارجية المتمثلة في دعاية الجامعة الإسلامية والنهضة الفكرية والصحفية في المشرق الإسلامي، إضافةً لظهور حركة إصلاحية بالعالم الإسلامي وزيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة ١٩٠٣، وكذلك الدعاية الألمانية، واندلاع الحرب العالمية الأولى ونتائجها التي أتت بإصلاحات فيفري ١٩١٩ من قبل جونار الحاكم العام، وكليمنصو رئيس وزراء فرنسا.[١٥]

ولهذه الغاية ظهرت أعداد من جريدتي الصديق والفاروق لعمر بن قدور، ثمّ صحافة التيار الإسلامي، وكذلك صحافة الزوايا وبعض المستقلين، حيث تمكن هذا النوع من الصحافة أن يكون ثقافيًا ولا يدخل مع الإدارة الاستعمارية في نزاعات مباشرة، وإنما يطالبها باحترام الخصوصيات الإسلامية للشعب الجزائري. وبذلك فقد تأثرت النخب الجزائرية ذات المرجعية الدينية بالنهضة الإسلامية في المشرق، خاصةً عبد الحميد ابن باديس، وعمر بن قدور، وعُمر راسم، والأمير خالد، وعمار مهري، وابن الموهوب، وقد كانوا في طليعة النخب الإصلاحية، وحاولوا تأسيس جمعية ثقافية إسلامية علمية، "وقد كان هذا الاتجاه سياسيًا أكثر منه دينيًا أو إصلاحيًا، وكانت حركة متطورة استعملت الصحافة في الداخل والخارج والعرائض وإرسال الوفود للمطالبة بالحقوق، حسب شهادة الأستاذ "بن العقون".[١٦]

وفي اعتقادنا إن الصحافة الإسلامية في الجزائر، تأثرت بعدة منظرين أمثال الشيوخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وتمّ نشر هذه الأفكار الشيخين محمد بن مصطفى بن الخوجة، والشيخ عبد الحليم بن سماية، الذين تأثرا بمجلة المنار، وأيضًا بأفكار الجامعة الإسلامية، وفي هذه الظروف ظهرت شخصية ابن باديس، منطلقة من "النشاط الدعوي بالمساجد كمرحلة أولية، ثم الانشغال بالعمل الصحافي لإيصال صوت الجزائر المسلمة إلى أصحاب القرار في الإدارة الاستعمارية بالجزائر".[١٧]

## (٣) ابن باديس الصحفي (١٩٢٥ـ ١٩٤٠)

يعتبر الشيخ عبد الحميد ابن باديس من الشخصيات الإصلاحية الهامة في الجزائر والعالم العربي الإسلامي، نظرًا لمستواه العلمي الرفيع وحنكته السياسية المعتدلة، ومساهماته الصحفية في العديد من الجرائد والصحف الصادرة ما بين الحربين العالميتين، وقوّة حجته في مخاطبة معارضيه وصراحته المدوية اتجاه الإدارة الاستعمارية، وتمكن بواسطة أسلوبه الصحفي أن يؤثر في العديد من الأحزاب الجزائرية الناشئة آنذاك، ويلعب دور الوسيط بين

الجمعيات السياسية الجزائرية بتصوراته وأفكاره الوحدوية، وفق منهج مدروس دون أن يكلّ أو يفشل في إيصال أفكاره للآخرين؛ مما جعل استعلامات الإدارة الفرنسية تلاحقه وتكتب عنه التقارير المختلفة وتحلل مقالاته وترسلها إلى أعلى مسؤوليها.[18] ولذلك سوف نتعرف على هذه الشخصية الجزائرية ومدى مساهمتها الصحفية خلال الفترة الاستعمارية، وأساليب الكتابة عندها، ومدى انضباط ابن باديس في الحركية الإعلامية خلال هذه الفترة.

**١/٣- التعريف بابن باديس**

عبد الحميد بن باديس هو رائد النهضة الجزائرية من منطقة قسنطينة، وقد وهب حياته في خدمة الجزائر وكرّس حياته في العلم والمعرفة وباتصالاته بكبار العلماء، وقد ولد في نهاية القرن التاسع عشر من أسرة قسنطينية أمازيغية معروفة بالعلم والثراء، تلقى تعليمه الأولي بمسقط رأسه في الكتاب، ثمّ تتلمذ عل يد حمدان لونيسي ما بين سنتي (١٩٠٣) و(١٩٠٨)، وأكمل تعليمه في جامع الزيتونة في تونس ما بين (١٩٠٨)، و(١٩١١)، وأحرز على الشهادة العالمية (التطويع) سنة ١٩١٣.[19] وفي الزيتونة تفتحت أفاقه ونهب من العلم ما تيسر له منه، والتقى بالعلماء الذين كان لهم تأثير كبير في شخصيته وتوجهاته، مثل الشيخ محمد النخلي الذي غرس في عقل ابن باديس غرسة الإصلاح وعدم تقليد الشيوخ، وأبان له عن المنهج الصحيح في فهم القرآن. كما أثار فيه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور حب العربية وتذوّق جمالها، ويرجع الفضل للشيخ البشير صفر في دفع الإمام ابن باديس بالاهتمام بالتاريخ ومشكلات المسلمين المعاصرة وكيفية التخلص من الاستعمار الغربي وآثاره.

وخلال رحلته المشرقية قام بأداء فريضة الحج ومكث في المدينة المنورة ثلاث أشهر، ألقى خلالها دروسًا في المسجد النبوي، والتقى بشيخه السابق حمدان لونيسي وتعرف على رفيق دربه ونضاله فيما بعد الشيخ البشير الإبراهيمي. وكان هذا التعارف من أنعم اللقاءات، فقد تحادثا طويلاً عن طرق الإصلاح في الجزائر واتفقا على خطة واضحة في ذلك. وفي المدينة اقترح عليه شيخه لونيسي الإقامة والهجرة الدائمة، ولكن الشيخ حسين أحمد الهندي المقيم في المدينة أشار عليه بالرجوع للجزائر لحاجتها إليه. وزار ابن باديس بعد مغادرته الحجاز بلاد الشام ومصر واجتمع برجال العلم والأدب وأعلام الدعوة السلفية، وزار الأزهر ثم رجع إلى الجزائر سنة ١٩١٣، واستقر في مدينة قسنطينة، وشرع في العمل التربوي الذي صمم عليه، وكرّس طاقته ووجهها لإصلاح الممارسات الدينية السائدة في البلاد.[20]

وقد تطورت الحركة الإصلاحية في الجزائر ما بين الحربين العالميتين، بفضل ما بذله ابن باديس ومجموعة من أتباعه الأوفياء، من قدامى تلاميذه ومن رفاق له تلقوا في معظمهم تكوينهم بتونس أو في الشرق الإسلامي. وقد استرشدت هذه الحركة بفكر ونشاط محمد عبده ورشيد رضا، وبأفكار الحركة الوهابية المتشددة في أحيان كثيرة، حيث أخذت عنهم عديد الأفكار والممارسات.[21] قام الأستاذ "مراد" بتحليل شخصية ابن باديس وتأكيد ما سبق لنا ذكره، حول أسباب ميله للاتجاه الإصلاحي ودعوته لهذه المبادئ، ويذكر أنه استخلص العديد من خصوصيات شخصيته من كتاباته الصحفية في جريدة الشهاب،[22] حيث تناول ابن باديس جزئيات من ماضيه الدراسي وذهابه إلى الحج ولقائه بشيخه حمدان لونيسي، وكان تأثيره عليه شديدًا، خاصةً أفكاره التحررية من كل القيود، ماعدا تعاليم الإسلام الصحيحة والشخصية الثانية التي التقى بها قرب حلوان بمصر أثناء عودته من الحجاز، كانت شخصية الشيخ والعالم "بخيت" صديق شيخة حمدان والذي قدم له إجازة على شكل شهادة علمية، عندئذ رجع إلى قسنطينة وأسس فريقًا صحفيًا لأول جريدة له تمثلت في المنتقد.

وقد تمثلت المحاور الكبرى للدعوة الباديسية في التربية والإصلاح بواسطة التعليم، وتبليغ أفكاره الجديدة ومبادئه الإصلاحية بواسطة الصحافة، حيث لم يتبع الطرق التقليدية للصحافيين المسلمين بذكر الأحداث وأعمال الإدارة الاستعمارية، وإنما وجّه خطابًا واقعيًا دينيًا وسياسيًا لجماهير المسلمين مقتنعًا بأفكاره ومبادئه الإسلامية، وطرح في نظرنا إشكالية الهوية العربية الإسلامية وإرساء هذه الثقافة وإعادة إحيائها في مواجهة خطر فرنسة المجتمع الجزائري، فهي إذن حسب "مراد" نظرة واقعية معتدلة ووطنية تنتمي للطريقة المحمدية، حيث أثر بواسطة هذه الدعاية الصحفية على الجماهير المسلمة.[23]

**٢/٣- نشاطه الإعلامي وأنشطته الصحفية (١٩٢٥ – ١٩٤٠)**

كان ابن باديس شغوفًا بقراءة الصحف والمجلاّت العربية كالمنار للإمام رشيد رضا، ومجلة الفتح لمحب الدين الخطيب، وجريدة المؤيد واللواء، والجرائد الفرنسية لاديبيش دوكونستونتين ولوتو. وعن هذه الصحف الأخيرة يذكر ابن باديس بأنه لا ينكر إعجابه بالصحافة الفرنسية الكبرى، ومالها من بديع نظام، ومهرة أقلام وجرأة وإقدام، وكان على يقين بالدور الفعّال الذي تمارسه الصحافة في توعية الجماهير والتأثير في أصحاب القرار، وهذا ما جعله يؤسس مطبعة ويصدر جرائد لتحقيق هذه الأهداف ودعم نشاطه التربوي خارج المسجد.[24] فالشيخ عبد الحميد بن باديس كان صحفيًا، وكل السجلات الفرنسية التي تتحدث عن الشيخ تسميه صحفيًا، ولم يكن رجل دين فقط، بل شحذ قلمه وفكره لنشر مبادئه الإصلاحية من خلال الصحافة، وكان له الفضل في تطوير الصحافة العربية الإسلامية والمساهمات الأولى في جرائد النهضة الإصلاحية في الجزائر.

وقد كانت تجربته الأولى مع "جريدة النجاح"، بعد ما استلهم أفكاره الأولى من النهضة الإسلامية بالمشرق واطلع على الجرائد العربية الأولى كجريدة "الجزائر" لعمر راسم، وجريدة الفاروق لعمر بن قدور، وبالتالي فجريدة النجاح التي عرفت رواجًا وكانت بداية عهدها إصلاحية بامتياز قبل أن تنقلب على عقبها في مرحلة لاحقة

وتصبح تسير في ركب الإدارة الاستعمارية.[٢٥] ولذلك كانت أنشطة ابن باديس الصحفية الأولى في جريدة النجاح العربية، التي صدرت في سنة ١٩١٩ رفقة مطبعة ومكتبة في مدينة قسنطينة، وقد ساهم ابن باديس فيها نظرًا لطبيعة خطها الأول المبني على الوطنية والإصلاح، وكان مؤسسها عبد الحفيظ بن الهاشمي من منطقة "طولقا"، وعاد تحريرها للصحفي السيد "إسماعيل مامي" من الكوادر الصحفية الأولى الجزائرية التي عملت في جريدة المبشر الحكومية؛ وقد استبشر العلماء والأدباء والمفكرون خيرًا بها وشاركوا في تحريرها، وعلى رأسهم شيخنا ابن باديس الذي كان يكتب باسمه الصريح والمستعار "القسنطيني"، و"العبسي".[٢٦]

ومن هذا المنطلق؛ فإن ابن باديس كانت علاقته الصحفية مع فريق النجاح متينة في بداية عهدها، ما لبث أن انقطع حبل المودّة بينهما نظرًا لبعض الخلافات حول خطها التحريري الذي أصبح يميل للمهادنة مع الإدارة الاستعمارية، رغم أنه كان من أوائل الصحفيين المتحمسين للكتابة فيها، حيث فكّر بالاستقلال في المجال الإعلامي، دفاعًا عن مبادئه الإصلاحية الثورية في مرحلة ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى متأثرًا على ما يبدو مما كانت تكتبه الإقدام للأمير خالد، والنهضة الثقافية المتصاعدة لدى النخب الجزائرية، وأضحى مرشد الحركة الإصلاحية في الجزائر يتمتع بثقة بعض أنصاره الشيوخ وتلامذته الأوفياء أمثال البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، وتوفيق المدني، وآخرون،[٢٧] مما دفعه إلى التفكير في إنشاء المطبعة الإسلامية وتأسيس أولى صحفه التي تنطلق من خطه الإصلاحي والوطني.

قام بتأسيس الصحف وإدارتها، حيث اكتسب ابن باديس مهارات صحفية، إضافة لقناعته القوية بالعمل الإعلامي الصريح الذي يبحث عن الحقائق ويحاول إيصال أفكاره ومبادئه للشعب الجزائري، رافضًا السيطرة الاستعمارية التي حرمته من حقوقه التاريخية وضيقت عليه ممارساته الدينية وحاولت إدماجه في حضارة المستعمر مخالفة سنن الكون والمواثيق الدولية. لذلك سعى جاهدًا مع مجموعة من المحررين الأكفاء لدخول عالم الصحافة التي أعجب بها في بداية مشواره الإعلامي، وأسس مجموعة من الصحف وأشرف على إدارتها بمساعدة شخصيات بارزة، حيث كان له الشرف في إنشاء جرائد تعبر عن نهجه الإصلاحي وتعبر عن مبادئه ومواقفه من الإدارة الاستعمارية، وساهم في جرائد أخرى كانت تصدر عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وسنحاول أن نلمّ ببعض هذه الجرائد والصحف التي شكلت في نظرنا قوّة نشاطه الصحافي.

فكانت البداية الفعلية في الإشراف على الصحف، عند تأسيسه لجريدة "المنتقد" التي هدفت إلى تسليط الضوء على أخطاء المستعمر، حيث صدر العدد الأول في (٢ يوليو سنة ١٩٢٥م الموافق ١١ ذي الحجة سنة ١٣٤٣هـ) وذلك في مدينة قسنطينة، وكان شعارها "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"، وتولى الشيخ ابن باديس رئاسة تحريرها وأسند إدارتها للشهيد أحمد بوشمال، وكان من كتابها الشيخ مبارك الميلي، والشيخ الطيب العقبي، رحمهما الله. وكانت تصدر صبيحة كل خميس وحظيت بمقروئية معتبرة، نظرًا لأنها كانت تهتم بمواضيع الساعة والقضايا ذات التوجه الإصلاحي ودفاعها المستميت عن العروبة والإسلام،[٢٨] وحسب "سعد الله" فإن هذه الجريدة كانت متحررة وداعية للنهضة الوطنية بأسلوب واضح وحماس، وكانت أيضًا شديدة اللهجة وقاسية الأسلوب في مواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية،[٢٩] وأصبحت هذه الصحيفة منبرًا لتوجيه وتوعية الجزائريين، وقناة لنقد الوضع الاستعماري المفروض على الجزائريين، وصوتًا لمناصرة القضايا الكبرى للمسلمين في فترة العشرينيات، كثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي، ومساندة الشعب الليبي، مما جعل الإدارة الاستعمارية ترفض خطها التحريري وتوجهاتها السياسية المعارضة، فقامت بتعطيلها في العدد الثامن عشر من السنة نفسها.[٣٠]

وهكذا؛ كان لصحيفة المنتقد دورًا كبيرًا في عرض آراء ومقترحات عبد الحميد بن باديس، ولكنه لم ييأس ولم تكلّ عزيمته، وواصل طريقه من خلال الصحافة، فأصدر الإمام عبد الحميد بن باديس جريدة أخرى أسبوعية سمَّاها "الشهاب" في (١٩٢٥/١١/١٢)، ثم حوّلها إلى مجلة شهرية، وكانت تحتوي على موضوعات عديدة منها الافتتاحية ومقالات، وفتاوى وقصصًا، وأخبارًا وطرائف وتراجم، وعرضًا للكتب وللصحف العربي والأجنبية، وتنشر مقالات للكتاب والشعراء العرب من مصر ولبنان وتونس والمغرب، وفي السنوات الأولى، كتب ابن باديس معظم المقالات وقام بتصميمها وكان يوزعها بنفسه. وكانت لهذه المجلة شهرة واسعة في العالم الإسلامي وشهد بفضلها كبار العلماء والمصلحين. وكتب فيها الإمام حسن البنا (١٩٠٦- ١٩٤٩) في افتتاحية العدد الأول من مجلة الشهاب التي أسسها في القاهرة في نهاية الأربعينيات كلمة تقدير وجهها للإمام عبد الحميد بن باديس قائلاً: "قامت مجلة الشهاب الجزائرية التي كان يصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله في الجزائر بقسط كبير من هذا الجهاد، مستمدة من هدي القرآن الكريم وسنة النبي العظيم سيدنا محمد (ﷺ)..."، وكتب أيضًا في السياق نفسه المفكر السوري الدكتور محمد المبارك في مجلة المجمع العلمي الدمشقية أنه "كان يطالع في شبابه في الثلاثينيات مجلة الشهاب الجزائرية التي تصل إلى دمشق مع مجموعة من أصدقائه الطلبة بلهفة شديدة...". وعن تأثيرها في المغرب، يقول الشيخ محمد غازي أحد علماء فاس "مجلة الشهاب الغراء، خدمت الإسلام والمسلمين عمومًا والإصلاح والمصلحين خصوصًا".[٣١]

وصار ابن باديس رائدًا من رواد الصحافة العربية الحديثة في ما بين الحربين، وأرسى دعائمها على أسس متينة من الإيمان والوطنية من خلال الصحافة الأصيلة المجاهدة والمدافعة عن

المسلمين الجزائريين. وبذلك لعبت مدرسة الشهاب دورًا بارزًا في تحريك النهضة السياسية في الجزائر حسب ما يذكر "مراد" وآخرون[٣٢] عن هذه التجربة الإعلامية لابن باديس، وهو ما أقلق الإدارة الاستعمارية، ولكن الشهاب كانت هذه المرّة أكثر دبلوماسية، ولم تدخل في صراع مع الإدارة الاستعمارية، وهو ما يفسر لنا حنكة هذه الشخصية الإصلاحية وتمرسها في العمل الإصلاحي وتدريبها لصحافيين من جمعية العلماء التي تأسست في (٠٥ مايو ١٩٣١) من قبل نخبة من العلماء الجزائريين الذين سيكملون مسيرة ابن باديس ويتربون على يديه في فترة الثلاثينيات من القرن العشرين، باعتبارها فترة نمو الصحافة العربية الإسلامية.[٣٣] وقد عطلّ ابن باديس بنفسه هذه الصحيفة بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية، لكي لا يقف موقفًا محرجًا من السياسة الاستعمارية ويقوم بنشر موقف ابن باديس من الحرب، حيث رفضت جمعية العلماء بأغلبية أعضائها الوقوف إلى جانب فرنسا، ولذلك نستخلص بأن الشهاب كانت تعبر عن المدرسة الإصلاحية لابن باديس ولم تكن تعبر عن مواقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

شارك ابن باديس عبر مساره الإعلامي في تحرير الصحف التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث أصدرت أربع جرائد: هي "السنة النبوية المحمدية" التي صدر عددها الأول في (٣ أبريل ١٩٣٣م)، و"الشريعة المحمدية" صدرت بعد توقيف جريدة السنة في أعدادها السبعة سنة ١٩٣٣ وتوقفت (٢٨ أوت ١٩٣٣م)، و"الصراط السوي" صدرت في سبعة عشر عدد ما بين (١١ سبتمبر ١٩٣٣م) إلى غاية (٠٨ جانفي ١٩٣٤م)، وكل هذه الجرائد لم تعمر طويلاً؛ فقد أوقفتها الإدارة الفرنسية.[٣٤]

وتذكر جريدة البصائر الأولى، تعسف الإدارة الاستعمارية في غلق جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الثلاثة وتواصل نشاطها الصحفي بمعية رائد النهضة الإصلاحية في الجزائر بإنشاء جريدة جديدة تتحدث باسمه وبمشاركة ابن باديس القوية، الذي سيعمل على تجنيب هذه المجلة تعسف فرنسا اتجاهها.[٣٥] وبالتالي ف "البصائر" في سلسلتها الأولى (١٩٣٥-١٩٣٩م) وهي الجريدة الوحيدة الهامة التي كانت تنطق باسم الجمعية خلال حياة ابن باديس وبعد وفاته في (١٦ أبريل من سنة ١٩٤٠) ظلّت بعد وفاة الشيخ ابن باديس، تعبر عن النهج الإصلاحي وتدافع عن موقفها الصريح الذي عبرت عنه في العدد الافتتاحي لمجلة البصائر في سنة ١٩٣٥ موضحة، إن خطتنا التي نسير عليها فهي الخطة الأزمة والمبينة في جرائد جمعية العلماء السابقة، وتوضح القارئ الكلمة القيّمة للشيخ ابن باديس في جريدة الشريعة المعطلة التي قال فيها: "فما ينقم علينا الناقمون؟ أينقمون علينا من جمعية دينية إسلامية تهذيبية تعين فرنسا على تهذيب الشعب وترقيته ورفع مستواه إلى الدرجة اللائقة بسمعة فرنسا ومدنيتها وتربيتها للشعوب وتثقيفها للشعوب...".[٣٦]

وقد واصلت مسيرتها في هدوء حذر من تصرفات الإدارة الاستعمارية، إلى غاية ١٩٣٩، ثمّ استمرت في الصدور من سنة ١٩٤٧ إلى غاية ١٩٥٦ خلال تزايد قوّة الثورة التحريرية فتم توقيفها من طرف المشرفين عليها حسب ما أعلن عليه المرحوم الشيخ علي مغربي وليس من طرف إدارة الاحتلال، إضافة لجرائد أخرى كانت تعبر عن المنهج الإصلاحي أنشأها مصلحون آخرون أمثال العقبي في "صدى الصحراء"، وجرائد أبو اليقظان المتعددة التي تعرضت للمنع والتعطيل، منها "وادي ميواب"، و"ميزاب"، و"الأمة"، و"النور"، و"البستان"، و"الفرقان"،[٣٧] وغيرها من الصحف الإصلاحية الأخرى التي ظهرت في هذه الفترة وكتب بعضها باللسان الفرنسي مثل جريدة "لاديفانس" أي الدفاع" للأمين العمودي العضو البارز في جمعية العلماء المسلمين والذي كان يقوم بنشر الأفكار الإصلاحية متنقلاً من مدينة إلى أخرى كصحفي مثل زيارته لمدن الغرب الجزائري منها مستغانم وغليزان حسب تقارير شرطة الاستعلامات الفرنسية.[٣٨]

هذه الجرائد الأخيرة، كانت لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس باعتباره رئيسًا للجمعية يكتب فيها كلها، وهو غالبًا ما يكتب الافتتاحية التي تتولى الدفاع عن الشخصية الجزائرية، أو الدفاع عن التعليم العربي الإسلامي، أو الرد على بعض المعارضين لتوجهاتها. وبذلك نخلص إلى أهمية الصحافة في منظور المصلح ابن باديس ووعيه لهذه الرسالة الإعلامية التي وظفها لخدمة الشخصية الجزائرية ومقومات الأمة الجزائرية التي حاولت بعض النخب الجزائرية إلغاءها.

**٣/٣- أنشطة ابن باديس الصحفية**

ساهم ابن باديس في قضايا مختلفة كانت تخص الشأن الجزائري الداخلي، وحاول من خلالها التطرق بقلمه في إبداء الرأي والمواقف المختلفة التي شغلت الساحة السياسية الجزائرية ما بين الحربين العالميتين (١٩١٨ - ١٩٣٩). لذلك بدأ الإمام ابن باديس يتجه للصحافة كمجال ينفذ منه، بفكره إلى مساحة عريضة من الناس، تكون أقوى وأوسع انتشارًا من محاضراته في المسجد الأخضر، وقد يجد صوته صدى من خلال الصحيفة إلى نطاق أوسع من الجزائر، وفي نفس الوقت لا تتعرّض إلى طائلة المستعمر الفرنسي وبطشه، فعمل على استغلال أداة الصحافة لتبليغ رسائله المختلفة إلى الرأي العام وللإدارة الفرنسية وإلى معارضيه. وساهم بقلمه في الدفاع عن العديد من المسائل التي كانت من حق الشعب الجزائري المسلم وواقف ضد بعض الأيديولوجيات الهدامة لوجود الأمة الجزائرية، وساهم في الأنشطة السياسية إلى جانب التيارات الوطنية بمختلف اتجاهاتها من خلال تطرق صحافته لهذه القضايا، التي سنحاول أن نسلط الضوء على نماذج منها لنستطيع أن نصل لقوة النشاط الصحفي لابن باديس في هذه المرحلة كالآتي:

- **الدفاع عن الهوية العربية الاسلامية**

لقد قام ابن باديس منذ رجوعه إلى أرض الوطن بمحاولات إحياء التراث الإسلامي معتمدًا على تعليم اللغة العربية للجزائريين الذين حرموا منها مدة طويلة من خلال دروسه في المسجد الأخضر وتشجيع العلماء وعلى فتح مدارس عصرية ونوادي ثقافية تهتم بالثقافة الإسلامية، ولذلك ركز على التعليم المسجدي حسب ما جاء في تقارير سجل جمعية العلماء المسلمين ونشر في جرائد الشهاب والبصائر وغيرها موجها كلمة النصح بالاهتمام بتدريس العلوم الدينية الصحيحة في مواجهة الطرقيين الذين انكمشوا على أنفسهم، متكلين على الإدارة الاستعمارية التي باتت تسيطر على الشأن الإسلامي وهو ما رفضته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذلك ما ذكره ابن باديس نفسه في سياق كلمته أمام مؤتمر الجمعية قائلاً: "لابد للجزائر من كلية دينية يتخرج منها رجال فقهاء بالدين يعلمون الأمة أمر دينها. وأستطيع أن أقول أن نواة هذه الكلية هم الطلاب الذين يردون على الجامع الأخضر في قسنطينة من العمالات الثلاثة...".[٣٩]

ولذلك فابن باديس دافع عن تدريس اللغة العربية والإسلام بشكل جدي وحاول إصلاح ما فسد عند الناس من خلال صحافته بتحرير المقالات للدفاع عن الإسلام ضد الصليبية، وأكد على مكانة تعليم اللغة العربية، باعتبارها حصنا منيعًا في وجه الثقافة الإدماجية التي باتت بعض النخب المتفرنسة الجزائرية تلح عليها بضرورة تعلمها حتى بداخل المساجد، وهو الأمر الذي دافع عنه ابن باديس وطالب بضرورة احترام الخصوصيات الثقافية للشعب الجزائري واحتوت أعداد الشهاب مقالات عديدة لابن باديس تدافع عن اللغة العربية والإسلام لأنهما في اعتقاده ضمان حقيقي للهوية الجزائرية.[٤٠] ومن هذا المنطلق نعتقد أن الشيخ ابن باديس ركّز في مقالاته المختلفة المنشورة في جريدته الشهاب وجرائد الجمعية، على أسلوبًا تربويًا تعليميًا يربط المسلمين بكتاب الله وسنة رسوله(ﷺ)، ويوثّق صِلاتهم بها؛ فقام بتفسير القرآن الكريم، وشرح السنة النبوية شرحًا علميًا منهجيًا في سلسلة اسمها "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، تناول فيها أيضًا الكثير من القضايا المعاصرة التي طُرحت في الساحة الفكرية بالعالم الإسلامي وأصدر الفتاوى حولها واستشار في ذلك علماء عصره.

وفي جريدة الشهاب تناول الباحث الجزائري تركي رابح، تحليل ما ورد فيها من موضوعات حول تمسك ابن باديس بالنهج الإصلاحي والدفاع المستميت عن العروبة و الإسلام،[٤١] موضحًا موقف ابن باديس الصريح اتجاه هذه المسألة معتبرًا الإسلام في الجزائر، جزء لا يتجزأ من الكيان الجزائري ويعتبره دين وقومية في وقت واحد، واعتبر ابن باديس أيضًا دفاعه عن هاتين المقومتين عملاً هامًا في وجه سياسة التحطيم الممنهج للسياسة الفرنسية للشخصية الجزائرية، فركّز على مفهوم الأمة الجزائرية مقابل الأمة الفرنسية التي بات بعض الجزائريين يتغنى بها. أما الأستاذ محمد الميلي،[٤٢] فقد أورد في مؤلفه مجموعة من المقالات التي وردت في أعداد كثيرة للشهاب والبصائر تتناول موقفي ابن باديس وجمعية العلماء من مسألة تركيز التيار الإصلاحي في الجزائر على هذين العنصرين الهمين في حياة الجزائريين من خلال ترسخهما في صفوف المجتمع الجزائري المسلم.

- **الرد على بعض الطرقيين**

تناولت صحافة ابن باديس موضوعًا حساسًا، كان أساس الخلاف ما بين العلماء الإصلاحيين ومشايخ الطرق الصوفية، التي تواجدت في بلادنا منذ الوجود العثماني وازدادت نفوذًا خلال المقاومات الشعبية في القرن التاسع عشر، ولكن أتباعها استكانوا للأمر الواقع وهادنوا الإدارة الاستعمارية وانكبوا على أنفسهم، وادخلوا بدعًا وسلوكيات بعيدة عن الإسلام، وبالتالي حاولوا التأثير بفلسفتهم تنويم الفئات الشعبية وإبعادها عن كل عمل سياسي يناهض الإدارة الاستعمارية وقاموا بانتقاد منهج العلماء المصلحين وأفهموهم بنقل أفكار الوهابيين إلى الجزائر وأنهم لا يخدمون قضية الشعب الجزائري، وبدون قصد قدموا أعمالاً جليلة للسياسة الفرنسية التي كانت تسعى منذ احتلالها للجزائر إلى جعل الجزائريين ينحرفون عن مبادئ دينهم الحقيقية وإبعادهم عن النهضة الإسلامية الجارية في المشرق الإسلامي.

وقامت الأجهزة الاستعمارية بتأسيس النشرات الإسلامية بتتبع الحركة الدينية في الجزائر وإصدار قراراتها الموجهة للعمل الإسلامي باعتبارها مسئولة عنه، وراحت تحلل تصورات ومواقف تلك الطرق والزوايا، وفي الوقت نفسه قدمت لنا تلك التقارير ما يرد في صحافة الطرفين المتصارعين من خلال ما ورد في جرائد البلاغ الجزائري ولسان الدين، وأيضًا ما يرد في الشهاب والبصائر، وتقوم هذه الأجهزة بتحليل دقيق لمضمون هذه المقالات وإصدار التعليمات القاضية بمناصرة الطرقيين على جمعية العلماء.[٤٣] ولذلك وجّه ابن باديس حملة كبيرة ضد بعض الطرقيين من خلال جرائده وأيضًا جرائد جمعية العلماء المسلمين، ذلك ما ورد بشكل صريح في الكلمة التي ألقاها البشير الإبراهيمي خلال انعقاد مؤتمر الجمعية سنة ١٩٣٥: "مبدأ جمعية العلماء المسلمين هو الإصلاح الديني بأوسع معانيه... وقد كان حال المصلحون مع الطرق ما علمه القارئ من الفصول السابقة، فلما تأسست جمعية العلماء لم يزيدوا على تلك الحال ولم ينفضوا منها لأن هؤلاء المصلحين لا يعملون مسالمين ومحاربين إلا عن إيمان وعقيدة، وعقيدتهم في الطرق هي أنها علة في الإفساد ومنبع الشرور، وإن كل ما هو متفش في الأمة من ابتداع في الدين وضلال في العقيدة وجهل بكل شيء وغفلة عن الحياة وإلحاد في الناشئة، فمنشئوه من الطرق...".[٤٤]

يتضح لنا من هذا السجال المتبادل بين جمعية العلماء وخطب ابن باديس مع رجال الطرق، أنها كانت حربًا قد فرضت على الطرفين بسبب الصراع الفكري الموجود بينهما من خلال ما كان يرد في صحافة الطرقيين كالبلاغ الجزائري ولسان الدين ومجلة المرشد

وغيرها من صحف جماعة الطرقيين، التي برعت في الدفاع عن توجهها وانتقاد المصلحين الذين جاؤوا بدين جديد حسب وجهة نظرهم، وتنكشف أمامنا عمق الخلاف من خلال هذه الصحافة والتي ازدادت احتدامًا بصدور صحف مناوئة لبعضها البعض مثل المعيار للطرقيين والجحيم للعلماء وبات الشتم والانتقاد الفادح هو شكل المواجهة بين الطرفين.[٤٥] ولكن كانت هناك محاولات من قبل ابن باديس، لتقريب وجهات النظر ما بين بعض مشايخ الطرقية والعلماء الإصلاحيين في أكثر من مناسبة، عند زيارته لها مثل ما حدث مع الزاويتين العلوية والسنوسية في مستغانم، رغم رفض العديد من بعض العلماء المصلحين لهذا التوجه الذي نعتبره في نظرنا أنه لم يكن يخدم قضية الإسلام أمام غطرسة فرنسا الاستعمارية، وكذلك أن كلا الطرفين حاولا الدفاع عن العربية والإسلام وهوية الشعب الجزائري من خلال قناعتهما الفكرية والعوامل التي أثرت فيهما.[٤٦]

**- مواقفه السياسية المختلفة من السياسة الفرنسية المطبقة في الجزائر**

إن المتتبع لمواقف ابن باديس السياسية المنشورة في الصحافة خلال الحقبة المدروسة، سيجد كمًا هائلاً منها، يتعلق بمواقفه المختلفة منذ إنشائه لجريدة المنتقد التي باتت تنتقد السياسة الاستعمارية وتدافع عن القضايا السياسية التي باتت تشغل النخب الجزائرية بمختلف اتجاهاتها، بتأثير من انعكاسات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨). ولهذا سوف نتناول بإيجاز مختلف هذه المواضيع، التي تناولها ابن باديس في خطبه العامة والخاصة وقام بالكتابة عنها في مختلف جرائده وصحفه، وقامت جرائد جمعية العلماء بتحليلها والتركيز على محتوياتها، لما تضمنته من مواقف صريحة لرائد النهضة الإصلاحية في الجزائر فيما بين (١٩٢٥-١٩٤٠).

وهدفنا من ذلك محاولة الإلمام بمساهمات ابن باديس السياسية في مختلف القضايا السياسية التي شغلت الرأي العام الجزائري المسلم، والتعرف على المواقف الجريئة لهذه الشخصية الدينية الصحفية في الوقت نفسه؛ فقبل أن يكون مصلحًا ومرشدًا دينيًا فهو أضحى رجلاً صحفيًا[٤٧] ينقل الأخبار والأحداث في عصره، ثم يورد مواقفه الشخصية ومواقف جمعية العلماء التي يعتبر رسميًا رئيسًا لها، ولهذا الشأن دخل في صراع مع الإدارة الاستعمارية في أكثر من موقف، وتمكن في نظرنا من الوصول بخطابه السياسي إلى الجماهير المسلمة وأثّر عليها أيمّا تأثير بحكم مكانته الدينية، موازيًا في ذلك نشاط حزب النجم،[٤٨] رغم بعض الاختلافات الطفيفة بينهما.

- تصدى ابن باديس لسياسة الاستعلاء على الشعب الجزائري وتحقيره من خلال الاحتفالات القرنية التي سخرت لها الإدارة الاستعمارية أموالاً طائلة من أجل الاحتفال بفرنسة الجزائر واستعباد الجزائريين، وهو الأمر الذي انبرت له صحافة العلماء الإصلاحيين وجريدة الشهاب، التي قادت حملة شعواء ضد هذا الاحتفال واعتبرته جريمة في حق السكان المسلمين الذين حرموا من خيرات بلدهم وحطمت مؤسساتها القضائية والسياسية، واعتبروا مجرد أهالي يخضعون للسيطرة الفرنسية. لذلك قاوم ابن باديس المخططات الاستعمارية ميدانيًا وفكريًا، ففي سنة ١٩٣٠م ندد بالحفلات الصاخبة التي قامت بها السلطة الفرنسية في العاصمة الجزائرية بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، واعتبر ذلك إهانة للجزائريين وأعاد تجديد النداء للعلماء والأئمة الجزائريين لتأسيس جمعية قوية لمقاومة الاستعمار والرد على أعوانه من الطرقيين والعلماء الرسميين، "لأن هذه الاحتفالات اصطبغت بحقد متواصل ضد الأمة الجزائرية وكرامة الجزائريين وشرفهم الوطني، وحاولت استفزازهم بإظهارها للحقد والكراهية والبغضاء ضد عروبة الجزائر وإسلامها، وهو ما عجّل بالعلماء الإصلاحيين من خلال مبادرة ابن باديس ومجهوداته ومقالاته الحماسية الرافضة لتحويل الجزائريين إلى فرنسيين مسحيين، بتأسيس جمعية إصلاحية شاملة وجمع شتات أنصار التجديد السلفي[٤٨] وتوحيد صفوفهم في جمعية العلماء المسلمين التي نشأت رسميًا في مايو ١٩٣١ برئاسة ابن باديس نفسه، الذي تمكن من إيصال أفكاره إلى جموع العلماء للنضال من أجل احترام هوية الشعب الجزائري.

- رفض سياسة التجنيس والاندماج، فلقد شنّ ابن باديس ومشايخ التيار الإصلاحي حربًا ضد المروجين لهذه السياسة، التي حاول أنصارها من الجزائريين وبمباركة الإدارة الاستعمارية إلى محاولة إدماج الجزائريين في الثقافة الفرنسية وإبقاء معظم فئات الشعب الجزائري خاضعة لسياسة الاستبداد التي شرعها المشرع الفرنسي من خلال القوانين الزجرية، خاصةً قانون الأنديجانا (الأهالي) وغيره من القوانين المعرقلة لنشاط العلماء الإصلاحيين أمثال قرار ميشال سنة ١٩٣٣ الذي يراقب نشاط العلماء، وقرار آخر لوزير الداخلية سنة ١٩٣٨ الذي يضيق على التعليم العربي الإسلامي الحر وغلق مدارس الجمعية.

- وردّ على بعض الاندماجيين الجزائريين الذين بحثوا عن الجزائر في كل شيء وأنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر – فلم يعثر لها على خبر وأخيرًا أشرقت عليه أنوار التجلي، فإذا به يصيح: فرنسا هي أنا.[٤٩] بمعنى أنه لم يجد سوى فرنسا، فكان رد ابن باديس قائلاً: "... إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ – وفتشنا في الحالة الحاضرة – فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة – متكونة وموجودة – كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا– ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها

الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمة في الدنيا... ثمّ إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا بل هي بعيدة كل البعد عن فرنسا في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها، لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين، هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة..."(٥٠)

- موقفة من الفتنة بين المسلمين واليهود في فاجعة قسنطينة، التي حدثت بين اليهود والمسلمين بسبب قيام أحد اليهود بسبّ المسلمين وإحداث الفوضى داخل جاليته ليمكرون بالمسلمين ومقدساتهم واستخدام الأسلحة لضرب السكان المسلمين ابتداءً من الخامس أوت ١٩٣٤، وهو الأمر الذي أثار حفيظة المسلمين وراحوا يدافعون عن أنفسهم بما توفر لهم من أسلحة بيضاء، بهذا الملخص كتب ابن باديس مقالاً هامًا في جريدة الشهاب يوضح لنا فيه ملابسات هذه الأحداث ويتحرى الحقيقة الصحفية والأدوار التي قام بها بمشاركة بعض النواب الممثلين للمسلمين بالمجلسين البلدي والعام لقسنطينة، وأيضًا ممثلي المجلس المالي محمد المصطفى ابن باديس.(٥١) حاولنا من خلال سرد هذه الأحداث توضيح قوّة التحليل الصحفي عند ابن باديس، في سرده لهذه الأحداث والتعمق فيه والاستشهاد بالأدلة الثابتة وليس الظنية، وهو ما التزم به الصحفي ابن باديس في جميع مقالاته المنشورة بالشهاب، والتي احتوت على مواضيع هامة تؤرخ لهذه الفترة التاريخية للجزائر، وتعتبر مقالاته مصدرًا موثوقًا بسبب أخلاقه الصحفية العالية في مواجهة صحافة المعمرين التي كانت تحاول الانتقاص من المسلمين.

- الدعوة للمشاركة في المؤتمر الإسلامي، كان ابن باديس صاحب فكرة انعقاد هذا المؤتمر، وصمّم على جمع شمل جميع النخب والتيارات الجزائرية في صف واحد من أجل مناقشة قضايا الجزائريين، ومطالبة الجبهة الشعبية ذات الاتجاه اليساري بضرورة الوفاء بعهودها للشعب الجزائري، وكان لزامًا على الجزائريين التحرك للحصول على هذه الحقوق، ولهذه الغاية كانت مساهمة ابن باديس وعلماء جمعية العلماء المسلمين بارزة وواضحة،(٥٢) حيث انعقد هذا المؤتمر بالعاصمة بقاعة الماجستيك (الأطلسي حاليًا) بتاريخ (١٩٣٦/٠٦/٠٧)، وكانت نظرة ابن باديس ذات بعد استراتيجي بترك الحكومة الفرنسية تعترف بهذا التجمع السياسي.

و جاء في دعوة ابن باديس للنخب والشخصيات وكل مَنْ يهمه الأمر بالمسألة الجزائرية، التي نشرتها الصحف الإصلاحية ومعظم جرائد النخب الجزائرية بمختلف اتجاهاتها ما يلي: "أن على رجال السياسة الجزائريين والعلماء والنواب والقضاة والمدرسين الإدلاء برأيهم في تجديد النظام السياسي للمسلمين الجزائريين، وذلك بانعقاد مؤتمر ضروري وعاجل سواء في العاصمة أو في أي مكان آخر يجري فيه النقاش الواسع يستهدف من وجهة النظر السياسية البحث في مصير ستة ملايين خلق يعتبرون فرنسيين حينا، لكن دون أن يتمتعوا بالحقوق اللازمة لهذه الصفة ويعاملون أحيانًا أخر كأجانب في وطنهم".(٥٣) وعبرت الشهاب من جهتها باعتزازها بهذا اليوم التاريخي الذي اجتمع فيه الشعب الجزائري العظيم متضامنًا ومتحدًا وأيّدت عقد هذا المؤتمر لمناقشة قضايا الجزائريين والتركيز على مطالب هوية الجزائريين من دين ولغة ووجود أمة جزائرية ذات خصوصيات، والمطالبة بالمساواة الحقيقية دون التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية.(٥٤)

ورغم الانتقادات التي وجهت لابن باديس في هذا الشأن، ورأوا فيها انحرافًا لرسالة المنتقد والشهاب، إنما كانت أهداف ابن باديس تحقيق جملة من المطالب، أولها توحيد النخب الجزائرية وثانيها الضغط على الإدارة الفرنسية لتستجيب لمطالب الجزائريين، وعندما فشل المؤتمر في تحقيق أهدافه بسبب غطرسة الحكومة الفرنسية، غير ابن باديس من مواقفه، وأصبح يكتب مقالات متشددة ينقد فيه تصرفات الإدارة الاستعمارية جهرًا في صحفه وخطبه.(٥٥) وبالتالي تغير أسلوبه الصحفي وبدأ يتشدد في لوم فرنسا ويرفض مؤازرته لها، ومن ذلك إصداره بيانات للشعب الجزائري برفض الاحتفال بمرور قرن على احتلال قسنطينة سنة ١٩٣٧ وأيضًا رفضه إصدار بيان مساندة فرنسا في الحرب العالمية الثانية؛ حيث عطل صحيفة الشهاب لكي لا يقع في الحرج، وأيضًا خسر أحد العلماء الإصلاحيين، الشيخ العقبي لتأييده لبرقية التأييد لفرنسا، ويعبر ذلك في نظرنا قوّة تمسك ابن باديس بمبادئه وقرارات جمعية العلماء المسلمين التي صوتت لصالح رفض التأييد.(٥٦)

**٤/٣- الصعوبات التي واجهت نشاط ابن باديس الصحفي**

لقد واجه ابن باديس منذ بدية نشاطه الصحافي عراقيل قانونية جمة من قبل الإدارة الاستعمارية، حينما حاولت هذه الإدارة الاستناد على مختلف تشريعاته المستبدة في حق الجزائريين من خلال قانون الأنديجانا الذي يمارس ضغوطًا على النشاط السياسي ومنع التجمعات وفرض عقوبات غير موجودة في القانون الجنائي الفرنسي؛ خاصةً في مجال مراقبة الديانة الإسلامية بصدور عدّة قوانين زجرية، منها التضييق على التعليم الحر من خلال مرسوم (٢٧ سبتمبر ١٩٠٧) المنبثق عن قانون (٠١ جويلية ١٩٠١) الخاص بتنظيم الجمعيات والتي حددت بإخضاع الشؤون الدينية للحكومة العامة، والتي أنشأت هيئة استشارية للديانة الإسلامية وفق قرار ١٩٣٣، مما جعل ابن باديس والتيار الإصلاحي عمومًا ينتقد هذا التصرف القانوني الاستبدادي،(٥٧) وواصل المشرع الفرنسي أيضًا بفرض المزيد من الرقابة والضغوط على النشاط الصحفي لابن باديس ووضع العراقيل أمام نشاط جمعية العلماء

المسلمين من خلال المواجهة المباشرة للإدارة الفرنسية من خلال ممثليها في الجزائر.

حيث سلطت هذه الإدارة عدّة إجراءات على نشاط التيار الإصلاحي عمومًا من خلال منشور ميشال الصادر عام ١٩٣٣ المعارض لحرية التعليم العربي والوعظ بالمساجد، وأيضًا قرار "رنييه" سنة ١٩٣٥ الذي يضيق على نشاط العلماء وكذلك قرار وزير الداخلية "شاطون" سنة ١٩٣٨ الذي يضيق على التعليم العربي الحر، وهو ما جعل صحافة ابن باديس تدخل في صراع مع الإدارة الاستعمارية.[٥٨] وحتى يتجنب الإجراءات العقابية للحكم الاستعماري التي كان يجسدها المنع المتكرر لصدور الجرائد ومنع تعليم اللغة العربية، فإن ابن باديس، حاول مراوغة الإدارة الاستعمارية، من خلال نشاطه المؤيد للجهة الشعبية ومسايرة بعض ما كانت تدعو إليه بشكل حذر من أجل مصلحة هوية الجزائريين بدعوة الحكومة الفرنسية إلى احترام الانتماء العربي الإسلامي للشعب الجزائري. والدفاع عن الوطن بواسطة التعليم ونشر الثقافة العربية الإسلامية.

وفي إطار مواجهة ابن باديس للسياسة الاستعمارية، واجهته مشاكل داخلية أخرى، من خلال الحملات الصحفية لجمعية أهل السنة والجماعة التي انشقت عن جمعية العلماء وتحالفت مع شيوخ الطرقية الذين تحالف بعضهم مع الإدارة الاستعمارية من أجل إرباك صحافته وإفشال خطبه لدى العامة من السكان المسلمين.[٥٩] وحاول بعض الطرقيين إسكات صوت الشهاب التي كانت تكتب مقالات بأسماء مستعارة، من خلال تكليف أحد العملاء بمحاولة اغتيال الشيخ ابن باديس بقسنطينة، ورغم اكتشاف الحقيقة بادعاء الجاني أنه كان مدفوعًا من قبل بعض مشايخ الطرق، ولكن الموضوع في نظرنا ظل غامضًا ولم تنشر الاستعلامات الفرنسية أخبارًا دقيقة عن الموضوع، وإنما جل المعلومات استقيت من بعض الصحف الإصلاحية، والذي يُهمنا في الموضوع أن جهاز الاستعلامات الفرنسي كان يعرف الكثير عن هذه الحادثة، وقد يكون وراء محاولة تعكير الجو بين السكان المسلمين المنقسمين بين الطرق الصوفية والتيار الإصلاحي، ويبقى هذا التحليل من خلال القراءات المتباينة للمعاصرين لهذا الحدث.

فإن ابن باديس لم يقطع صلته النهائية بهذه الطرق، وإنما حمّل الإدارة الاستعمارية مسؤولية هذه الفتن بسبب تشجيع بعض المنتسبين الجهال لبعض الطرق الضالة، وقد يتصرف بعضهم بجهالة وحماقة في تعكير جو الأخوّة الإسلامية، بمحاربة الفكر الإصلاحي الذي يمارسه ابن باديس من خلال مقالاته الصحفية المناوئة للفكر الحلولي والتصوف البعيد عن الإسلام السلفي، وتعاون بعضهم مع الاستعمار الفرنسي ولكثرة البدع والخرافات التي ألصقوها بالدين الإسلامي.[٦٠] وأن ابن باديس لم يحارب التصوف ومشايخ التصوف في نظرنا، وإنما المشاحنات السياسية والأنانية هي التي حرّكت بعض الأحقاد بين جمعية العلماء وبعض الطرق الصوفية.

ولهذا الغرض كانت تلجأ الإدارة الاستعمارية، "بإيعاز من بعض متطرفي المعمرين والشخصيات السياسية المعادية لهوية الشعب الجزائري، إلى حل وغلق هذه الجرائد وفرض الغرامات عليها"،[٦١] من أجل إسكات صوت ابن باديس الصحفي الذي بات يضيق الخناق عليها ويكشف بعض أساليبها والمتعاملين معها. وكانت تعرقل إنشاء الصحف العربية الإسلامية بحجة أنها لا تخضع للقانون الفرنسي، خاصةً قانون ١٨٨١ الذي يعتبرها أجنبية، وبالتالي فانعكاسات السياسة الاستعمارية المطبقة على التيار الوطني الذي كان يقوده النجم ثمّ حزب الشعب والتيار الإصلاحي الذي قاده ابن باديس وجمعية العلماء، كانت مخيبة للنشاط الصحفي في الجزائر.

وشكلت أيضًا سنة ١٩٣٣ أزمة حقيقية للنخب الجزائرية العاملة في الميدان الصحافي، انعكاسات اقتصادية واجتماعية خانقة على الجزائريين، وبالتالي تأثرت الحركة الإصلاحية بهذه الأزمة المادية التي جعلت ابن باديس يحوّل جريدته من الأسبوعية إلى الشهرية، ويجد صعوبة في تحمل مصاريف الطبع والتوزيع،[٦٢] مما جعل الحركة الإصلاحية نفسها تتأثر بهذه الإجراءات الاستعمارية والصعوبات الاقتصادية. مما يجعلنا نستخلص: بأن هذه الصعوبات قد أثرت على مسيرة العمل الصحافي لابن باديس، وأيضًا صحافة جمعية العلماء التي تعرضت هي الأخرى لمشاكل عويصة، كانت نتيجتها تعطيل العديد من صحفها والضغط على بعض المشايخ، مثل محاولة الإدارة استفزاز الشيخ الطيب العقبي باغتيال الشيخ كحول، ومحاولة تلفيق التهم له من أجل تخويف التيار الإصلاحي ومنعه من مواصلة مسيرته الإصلاحية في الجزائر.

## ٤) تقييم التجربة الإعلامية لابن باديس وصحافة التيار الإصلاحي في الجزائر

إنّ تتبعنا للنشاط الصحفي لابن باديس منذ العشرينيات من القرن العشرين ومساهماته الكثيفة في الصحف التي أنشأها مثل المنتقد والشهاب، وأيضًا مقالاته العديدة في صحف ومجلاّت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تثبت لنا جدارة هذه الشخصية الإصلاحية في الحقل الصحفي، رغم المسؤوليات الملقاة على عاتقه، وتتضح قوّة نشاط هذا الرجل بالتتبع الكثيف لأجهزة الاستعلامات الفرنسية لمقالاته وتحليلها ضمن التقارير السرية التي كانت تبعث بها هذه الأجهزة إلى مسؤوليها.[٦٣]

وفي إطار محاولتنا المتواضعة بتقييم تجربة العمل الصحفي لهذه الشخصية الوطنية، تبرز أمامنا عبقرية ابن باديس الإعلامية، بحيث لم يكن الشيخ بن باديس صحفيًا تقليديًا، وإنما كان قلمه هو سلاحه، ولأن جريدة الشهاب، غطّت الكثير من القضايا الصحفية التي شغلت بال الرأي المسلم، وسبق لنا أن تطرقنا لبعضها، والذي يُهمنا من ذلك، هو قدرة ابن باديس على معرفة تفاصيل الأحداث قبل الكتابة عنها بحيث كان يتحرى الصدق وعدم

نسب التهم للآخرين، رغم قوّة الحجج، فمثلاً تغطيته للعديد من الأحداث المباشرة بالصراع بين الجمعية والطرقيين، كانت تبدو في كتاباته عدم الانجراف في النقد الجارح أو السب المتبادل، حيث كانت تظهر في كتاباته معاني الإصلاح وتوجهه الأخلاقي نحو إصلاح المجتمع.(٦٤)

واهتمت صحافة ابن باديس أيضًا بالعديد من القضايا الوطنية والدولية التي شغلت الجزائريين، فقد ركز ابن باديس على قضايا التعليم، حيث ساهمت الصحافة الإصلاحية في نشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، وتبصير العقول، وقد ورد في العديد من مقالات ابن باديس التي نشرت بالشهاب والبصائر، موضوعات خاصة بتفسير آيات قرآنية تدعو للتعليم وتمقت الجهل، وطالب في مقالاته أيضًا فرنسا بفتح مجال التعليم أمام الجزائريين والسماح لهم بتعلم دينهم ولغتهم العربية، ذلك ما ورد في تحليلات الأجهزة الاستعلاماتية الفرنسية لمقالاته في هذا الموضوع.(٦٥)

أما على المستوى الدولي، فكانت كتابات ابن باديس واقعية اتجاه القضايا العربية والإسلامية، حيث كانت له وجهات مغايرة من نظام الخلافة وكان يحبذ اعتماد الأقطار الإسلامية على نفسها والتخلص من الاستعمار وبناء أوطان قوية، مثل مقالاته التي تتحدث عن الجنسية والوطنية ومعاداة الإدماج، وبالتالي فصّل في هذه الموضوعات تفصيلاً، واعتبر أن الجزائر جزءًا من العالم العربي الإسلامي ولكنها أقرب لمحيطها المغاربي للتاريخ المشترك والمصير الواحد، مما يجعلنا ندرك أهمية الكتابات الصحفية عند هذا الرجل الذي لم يترك موضوعًا من الموضوعات التي شغلت الرأي العام الجزائري والإسلامي.(٦٦)

أما في مجال مواجهته للسياسة الاستعمارية، فكانت مقالاته ذات شأن آخر في الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية للجزائر وحدود التراب الجزائري، وباتت صحف ابن باديس وجرائد جمعية العلماء منابر حرة في مواجهة السياسة الفرنسية، مما جعل هذه الأخير تلجأ لغلق هذه الجرائد وتعطيلها ووضع العراقيل المختلفة أمامها، حيث يقول سعد الله في هذا الموضوع: "إن هدف العلماء البعيد كان سياسيًا، سواء أرادوا ذلك صراحة أو لم يريدوه، حيث خضع العلماء خلال الثلاثينيات والأربعينيات إلى نفس المعاملة التي خضع لها الشيوعيون من جانب الإدارة الاستعمارية..".(٦٧)

ويدل ذلك في نظرنا إلى قوّة الحراك السياسي الذي جعل صحافة التيار الإصلاحي تنجرف نحو القضايا السياسية وتدخل في صراع قوي مع الإدارة الاستعمارية، باعتبارها تمثل عمق المجتمع الجزائري المسلم الذي أصبح يُنظر إليها، بأنها تعبر عن أفكاره ومبادئه وحظيت بمقروئية معتبرة، حيث كانت مجلة الشهاب وحدها تسحب ما يزيد عن (٢٠٠٠) نسخة وجريدة الإصلاح أكثر من (٣٠٠٠) نسخة، وهو ما يمثل أيضًا قوّة الصحافة الإصلاحية على وجه الخصوص والعربية عمومًا، وهي حسب الباحث "تركي" بأن الصحافة العربية الوطنية في هذه الفترة، كان لها تاريخًا مشرفًا تفتخر به لروح المقاومة ضد مختلف المصاعب التي واجهتها.(٦٨)

وبالتالي كانت تجربة ابن باديس فريدة من نوعها بتبنيه للعمل الصحافي منذ إنشاء جريدة الشهاب التي كانت تمثل أفكار ابن باديس وقناعاته الإصلاحية قبل أن تمثل التيار الإصلاحي برمته، ثم قامت جمعية العلماء المسلمين بتأسيس جرائد عدة أمثال السنة والشريعة والصراط، والبصائر ولم تفشل رغم تعرضها للغلق من قبل الإدارة الاستعمارية.(٦٩) ولذلك نستخلص العبر من هذه الشخصية الإصلاحية التي مارست العمل الصحافي كوسيلة نبيلة للدفاع عن الشخصية الوطنية وهوية الجزائريين الضاربة في أعماق التاريخ، بحيث ظل ابن باديس يجاهد بفكره ولسانه وقلمه في جهات عديدة، في مجال التعليم والصحافة والسياسة والإصلاح الديني والاجتماعي والدعوة إلى الإيمان الصحيح، ومقاومة البدع والخرافات والأوهام، ومحاربة الظلم والفساد، وأشكال الاضطهاد، والوقوف في وجه القوانين الجائرة.

## خاتمة

توفّي الشيخ عبد الحميد أبن باديس في سنة ١٩٤٠، بعد حياة حافلة بالعطاء والجهاد والدعوة مخلّفًا وراءه إرثًا صحافيًا معتبرًا من خلال الجرائد والمجلات التي تركها لنا، ننبع منها ونستفيد من تجربته الإعلامية الحكيمة والسديدة والمعبرة عن نضج الصحفي ابن باديس ومهاراته والتقنيات البسيطة المستعملة في إيضاح الحقائق التاريخية والجغرافية للقطر الجزائري ومواقفه المختلفة من القضايا التي طرحت في وقته. وفرض نفسه على عالم الصحافة في فترة العشرينيات والثلاثينيات، وصار رائدًا من رواد الصحافة العربية الحديثة وأبرز معالمها على أسس متينة من الإيمان بالمبادئ الإصلاحية والوطنية وتقاليد الصحافية العالية.

## الهَوامِشُ:

(١) إسماعيل معراف، **الإعلام حقائق وأبعاد**، ط٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ٢٠٠٧، ص ١١- ١٣.

(٢) راجع: زهير إحدادن، **مدخل لوسائل الإعلام والاتصال**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط٤، ٢٠٠٧، ص ٤٠- ٤٦ وأيضًا:

Zahir Ihadeden, *Histoire de la Presse Indigène En Algérie*, des Origines jusqu'en1930, Enal, Alger 1983, pp. 35- 43.

وضح إحدادن في جدول رقم (٣) تطور الصحافة الاستعمارية في الجزائر ما بين ١٨٨٣ و ١٩٢٠ ومحاولة الإدارة الاستعمارية توجيه الرأي العام الجزائري نحو مسألة فرنسة الجزائر.

(٣) محمد بليل، **تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين**، ما بين ١٨٨١ و ١٩١٤، القطاع الوهراني أنموذجًا، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، ٢٠٠٦، ص ٣-١٤.

(٤) عباسة الجيلالي، **سلطة الصحافة في الجزائر**، الحرية، الرقابة، التعتيم، مؤسسة الجزائر، تلمسان ودار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ٢٠٠٢، ص ٧٣.

(٥) سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ١٩٠٠-١٩٣٠، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط٤، ١٩٩٢، ص١٣٣-١٣٤.

(٦) **راجع: تحليل الأستاذ إحدادن لواقع الصحافة الجزائرية الأهلية وتطورها:**

Zahir Ihadeden, op cit, pp.195 – 200.

(7) Mahfoud Kaddache, *Histoire du Nationalisme Algérien*, Question Nationale et Politique Algérienne 1919- 1951, TI, ed société nationale d'édition et de diffusion, Alger, 1980. Pp. 73 -74.

(8) AGERON (CH .R): *Histoire de L'Algérie contemporaine* "que, sais je", PUF; PARIS, p.72.

(9) Ihdaden (Z); presse indigene ,op.cit pp. 195 – 200.

(١٠)انظر زهير إحدادن، **مدخل لعلوم الإعلام والاتصال**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط٤، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٩١– ٩٤.

(11) Zahir Ihdaden, presse indigène, op.cit pp. 169 – 158.

(١٢) عباسة الجيلالي، مرجع سابق، ص ٧٥- ٧٦.

(١٣) إسماعيل معراف، مرجع سابق، ص ٣٨- ٣٩.

(١٤) الجيلالي عباسة، مرجع سابق، ص ٨٠-٨١.

(15) Amar hellal, *le Mouvement réformiste Algérien*, les hommes et L'Histoire (1831- 1957), OPU, Alger 2002, «chapitre II les Influences culturelles et politique», pp. 57- 90

(١٦)عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر**، الفترة الأولى ١٩٢٠-١٩٣٦، ج١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٤، ص١٥٦ -١٥٧.

(١٧) المرجع نفسه، ص١٥٨- ١٥٩.

(١٨)انظر في هذا الصدد، تحاليل جهاز الاستعلامات الفرنسي لأنشطة التيار الإصلاحي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في علب عديدة لأرشيف فيما وراء البحر:

Centre d'archives d'Outre mer, B N° 8314/68, Constantine série continuée, Activité des Oulémas Et BN° 8 cab /23 gouvernement Général de l'Algérie, Rapports sur les Oulémas.

(١٩)عمار طالبي، **عبد الحميد ابن باديس**، دار اليقظة، مج١، ج٤، دمشق ١٩٦٨، ص٧٢. وانظر أيضًا: محمد الميلي، **ابن باديس وعروبة الجزائر**، ط٢، ساوات الجزائر، ١٩٨٠، ص٩ – ١٢.

(٢٠)مولود عويمر، **ابن باديس وأنشطته**، موقع إليكتروني، الدخول يوم (٢٠١٣/٠٣/٠٨).

(٢١) انظر: جهاز الاستعلامات الفرنسي حول نشاط ابن باديس والعلماء:

Archive Nationale de France B, N° 4AG Question Musulmane.

(٢٢) الشهاب لشهري جوان وجويلية ١٩٣٨، ص٢٨٩.

(23) Ali Mered, *le réformisme Musulman En Algérie* de 1925à 1940, essai d'histoire religieuse et sociale, les Editions El-Hikma; Alger 1999, pp. 75 -77.

(٢٤)سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٥، ١٨٣٠-١٩٥٤، دار الغرب الإسلامي، ط١ ١٩٩٨، ص ٣١١- ٣١٢.

(٢٥) جريدة الشرق اليومي، **ابن باديس أشهر صحفي**، (٣٠-٠٥ – ٢٠١٠).

(٢٦)تليلاني أحسن، **جريدة النجاح**، حقيقتها، دورها (دراسة تحليلية في أول جريدة في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية والمغاربية، قسنطينة سنوات ١٩١٩-١٩٥٦، إصدارات وزارة الثقافة الجزائرية، ٢٠٠٧، ص٢٧ ، ص ٣٢- ٣٣.

(٢٧)المرجع نفسه، ص٣٧، وأيضًا انظر: محفوظ قداش وآخرون، **المقاومة السياسية**، ١٩٠٠- ١٩٥٤، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٧، الجزائر، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٢٨)**محمد البشير الإبراهيمي**، (١٩٥٤- ١٩٥٦) تقديم طالب الإبراهيمي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ج٥، ١٩٩٧، ص ١٦٦-١٦٧. وانظر أيضًا: تليلاني أحسن، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٢٩) سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٥، مرجع سابق، ص٢٥٣.

(٣٠)مصلحة الأرشيف لولاية وهران، قيام أجهزة الاستعلامات الفرنسية بتحليل الصحافة الإسلامية والوطنية وتبليغ المسؤولين الفرنسيين ببعض تجاوزات هذه الصحف وتلفيق التهم الواهية، بهدف تعطيلها ومنعها من الصدور انظر:

D.A.W.O,B N°2261 Analyse de la Presse Musulmane

(٣١)نقلاً عن: موقع ابن باديس نات (www.Benbadis.net)، بها حاج سليمان: "**ابن باديس والعمل الإعلامي**، (٢٠٠٦/٠٩/٢٤): تاريخ الدخول(٢٠١٣/٠٣/٨)

(32) Ali Mered, op cit, pp. 79- 98 et Aussi Zahir Ihdaden, presse indigène, op.cit, pp. 362 -378.

(٣٣)سيف الإسلام الزبير، **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج٦، الصحافة العربية في الجزائر بين الحربين، ١٩٢٠-١٩٤٠، طبعة المنستر، د.ت، ص ٤-٥.

(٣٤) نقلاً عن: موقع ابن باديس نات، بها حاج سليمان، مرجع سابق.

(٣٥)البصائر، العدد(١)، بتاريخ ١ شوال المبارك ١٣٥٤هـ، الموافق ١٢/٢٧/ ١٩٣٥، ص١.

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧)سيف الإسلام الزبير، **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج٦، مرجع سابق، ص ٩، وص ١٨٩-١٩٤.

(38) CAOM, 5I/88 département d'Oran.

(٣٩) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "تقرير التعليم المسجدي ألقاه الأستاذ ابن باديس في مؤتمر الجمعية سنة ١٩٣٥، دار المعرفة ٢٠٠٩، ص٨١-٨٣.

(٤٠)تركي رابح عمامرة، **الشيخ عبد الحميد ابن باديس**، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط٥،٢٠٠١، ص٢٧٧، نقلاً عن: الشهاب، ج١، م ١٤، عدد مارس ١٩٣٩، ص١، منشورات أناب (ANEP).

(٤١)المرجع نفسه، ص٢٧٥ -٢٧٧. نقلاً عن: الشهاب، ج١، م١٤، عدد فبراير١٩٣٩، ص١ وعدد مارس ١٩٣٩، ص١.

(٤٢) محمد الميلي، مرجع سابق، ص ١٥٠- ١٥٣.

(٤٣)انظر: تقارير أجهزة الاستعلامات الفرنسية حول نشاط مشايخ الطرق بالجزائر ومستغانم بمصلحة الأرشيف لولاية (Série F N° 24)، وأيضًا علبة رقم (Série Serie I) الخاصة بالشخصيات الدينية وهران، رقم العلبة ٤٤٧٤. وأيضًا مركز الأرشيف في ما وراء البحر بإكس بروفانس، السلسلة المتواصلة بعمالة وهران الخاصة بتتبع مشايخ الطرقيين بمنطقة مستغانم (5I/152, département d'Oran).

(٤٤)جمعية العلماء، سجل مؤتمر، "**موقف جمعية العلماء المسلمين من الطرق**"، مصدر سابق، ص٤٧- ٤٩.

(٤٥)انظر: العديد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بشكل تفصيلي منها:- الشيخ سيدي الحاج عدة بن تونس، **تنبيه لقراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء**، ج١، جمع وطبع وتحقيق رشيد محمد الهادي، ويحي بنقة، "فصل عن دعاية المصلحين"، المطبعة العلاوية بمستغانمى، ١٩٨٣، ص ١٦٧ - ١٧٧.- الشيخ بوشيخي: "**صحافة التيارين الإصلاحي والتقليدي، البصائر والبلاغ نموذجًا**" مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد (١٦)، بتاريخ جوان – ديسمبر ٢٠١٠، ص ٦٧- ٩١. - أحمد حمدي: "جريدة الجحيم" موقع ابن باديس نات، الدخول يوم (٢٠١٣/٠٣/٠٩).- بن إبراهيم ابن العقون، "**حركة ذات حدين متناقضتين**"، مصدر سابق، ص٢٨٣ - ٢٩٩.

(٤٦)محمد بليل: "**التيارات الثقافية في مستغانم خلال الفترة الاستعمارية ما بين ١٩٠٠ و١٩٥٤**"، مجلة دراسات، دورية تصدر عن كلية الآداب واللغات بجامعة ابن خلدون– تيارت، ص ١٢٢- ١٣٠.

(٤٧)محمد الميلي، فصل عن "**ابن باديس صحفيًا، فاجعة قسنطينة**"، مرجع سابق، ص ١٠٦– ١٢٦.

(٤٨)إبراهيم مهديد، **نجم الشمال الإفريقي وحزب الشعب الجزائري (١٩٢٦-١٩٣٩)**، الاستراتيجية الوطنية وتأصيل الفكر الاستقلالي، منشورات دار الأديب، وهران، ٢٠٠٧، ص١٥- ٤٣.

(٤٩)تركي رابح، مرجع سابق، ص٢٢٨، وانظر أيضًا:

Ferhat Abbas, le jeune Algérien (1930) suivie de Rapport Au Maréchal Pétain (avril, 1941), ed Alger livres Editions, 2011, pp. 98 – 104.

(٥٠)تركي رابح، مرجع سابق، ص٢٢٨، نقلاً عن: الشهاب، ج٩، عدد نوفمبر١٩٣٧، ص٤٤٥.

(٥١)محمد الميلي: "**ابن باديس صحفيًا، فاجعة قسنطينة**"، مرجع سابق، ص ١٠٦-١٢٦.

(٥٢)عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، **إمام الجزائر، عبد الحميد ابن باديس**، دار الأمة، ٢٠٠٧، ص ١٢٣ – ١٢٤.

(53) Journal (LA) défense N°17 Année, janvier 1936.

(٥٤)الشهاب، ج٤، م١٢ جوان ١٩٣٦، ص ٢١٧، وأيضًا محفوظات ولاية مستغانم، ووثائق الحركة الوطنية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ١٩٣١-١٩٤٤، ط٢، مطبوعات مديرية الوثائق لولاية قسنطينة، ١٩٨٢، ص٤.

(٥٥) عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، مرجع سابق ١٢٦-١٣٥.

(٥٦) المرجع نفسه، ص ١٣٦.

(57) C.A.O.M,B, N° 8 cab/23, gouvernement de l'Algérie, Renseignements sur les Oulémas.

(٥٨)سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ١٩٠٠-١٩٣٠، ج٢، مرجع سابق، ص ٩٥- ٩٦.

(٥٩) المرجع نفسه، ص ٩٦.

(٦٠) رابح تركي عمامرة، مرجع سابق، ص ٣٣٧.

(٦١) الجيلالي عباسة، المرجع نفسه، ص ٨٤ – ٨٨.

(٦٢) الشروق ١٥ ديسمبر ٢٠١٢.

(63) CAOM, serie H B° 1, Analyse de la Presse Indigène, ach chihab, mars 1938.

(٦٤) رابح تركي، مرجع سابق، ص ٢٣٦.

(65) CAOM,serie H B° 13, Analyse de la Presse, Bulletin Mensuel de Presse indigène d'Algérie.

(66) Ibid, ach chihab ,décembre 1938, Panarabisme.

وأيضًا، محمد بليل: "**تصورات وأفكار ابن باديس حول وحدة الشمال الإفريقي**"، مجلة عصور الجديدة، تصدر عن مختبر تاريخ الجزائر بجمعة وهران ربيع ٢٠١٢، العدد الخامس، ص ٢٤٤-٢٢٢.

(٦٧) سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، مرجع سابق، ص٨٧.

(٦٨) تركي رابح، مرجع سابق، ص ١٤٥.

(69) Ali Mered, op. cit, pp. ١٣٣ - ١٣٢.

# مجازر ٨ مايو ١٩٤٥
# من مسيرة سلمية إلى مجزرة دامية




**كريم مقنوش**

ملحق بالبحث في المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر
الجمهورية الجزائرية



## مُلَخصْ

مهما كُتب عن مجازر (٨ مايو ١٩٤٥) فلا يمكن إعطاء هذا الموضوع حقه، ولا يمكن وصف هذه المجازر إلا بالجريمة ضد الإنسانية، وما جرى في هذا اليوم سيبقى صفحة سوداء تضاف إلى تلك الصفحات من تاريخ فرنسا الأسود في الجزائر. إذ خرج الشعب الجزائري بدون استثناء إلى الشوارع في مظاهرات عارمة عبر أنحاء الوطن، معبرين عن فرحتهم بانتصار الحلفاء على دول المحور في الحرب العالمية الثانية ولتذكير الحلفاء بالعهود التي قطعوها على أنفسهم في حق الشعوب في تقرير المصير والمنصوص عليها في الميثاق الأطلسي، فكانت النية مبيّتة من طرف فرنسا، إذ واجهت المتظاهرين السلميين بالعنف والقوة مستعملة في ذلك القوات البرية والجوية والبحرية، بحيث سقط من الشهداء في ذلك اليوم أكثر من ٤٥ ألف شهيد.



**بيانات المقال:**

تاريخ استلام البحث: ٣ ديسمبر ٢٠١٣

تاريخ قبـول النشـر: ٢٥ فبراير ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

ثورات الجزائر، الاحتلال الفرنسي، جرائم الحرب، التعذيب والجريمة، الشهداء الجزائريون

**الاستشهاد المرجعي بالمقال:**

كريم مقنوش. "مجازر ٨ مايو ١٩٤٥: من مسيرة سلمية إلى مجزرة دامية".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ١٢٥ – ١٣١.


## مُقَدِّمَةُ

بقدر ما كان الثامن من مايو تعبيرًا عن فرحة عمت المعمورة لانتصار الحلفاء على دول المحور، بقدر ما كان مأساة لكل جزائري عاش في تلك الفترة وشارك في مظاهراتها ورأى ما رأى من صور وأساليب الاستعمار الفرنسي التعذيبية والتي تبقى راسخة في ذاكرة التاريخ إلى الأبد. وعندما نمعن النظر في السياق التاريخي الذي سبق هذه المجازر والذي نسجته تفاعلات الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها المحلية، يتضح أن العوامل التي فجرتها ظهرت في ربيع ١٩٤٤ وأهمها عاملان؛ **أولاً:** صدور مرسوم عن الحكومة المؤقتة الفرنسية برئاسة ديغول في (٧ مارس ١٩٤٤) والقاضي بإدخال بعض الإصلاحات على النظام الاستعماري في الجزائر، والتي تصب في اتجاه مشروع بلوم فيوليت الاندماجي. **ثانيًا:** تأسيس حركة "أحباب البيان والحرية" في سطيف في (١٤ مارس ١٩٤٤)، التي عقدت مؤتمرها التأسيسي في مطلع شهر أبريل من السنة نفسها.

وبتأسيس هذه الحركة وتحالف كل التشكيلات السياسية الجزائرية أعطى لأحباب البيان والحرية قاعدة شعبية واسعة، وفي وقت قصير انضم إليها عدد كبير حتى بلغ (٥٠٠) ألف منخرط.[١] وللإشارة في هذا السياق؛ أن السلطات الاستعمارية كانت تراهن دائمًا على استحالة تحقيق اتحاد بين الحركات السياسية الجزائرية اعتمادًا على الخلاف التقليدي بين الإصلاحيين الممثلين في جماعة فرحات عباس وجمعية العلماء المسلمين من جهة، والوطنيين الممثلين في حزب الشعب الجزائري من جهة أخرى، فشرعت في تدبير المؤامرات ضدها، تمثلت في مضايقة العناصر الوطنية بحيث أقدمت على إعادة مصالي الحاج إلى السجن في بوغار في (١٨ أبريل ١٩٤٥)، كتعبير عن عجزها في مواجهة هذه الحركة الجديدة.[٢] وقد اعتبر كثير من الجزائريين أن مجازر (٨ مايو ١٩٤٥) كانت مؤامرة استعمارية، الغاية منها ضرب حركة أحباب البيان والحرية التي أزعجت الإدارة الفرنسية، فقررت هذه الأخيرة توجيه ضربة قاضية لها.

## أولاً: الظروف السائدة في الجزائر أثناء الحرب العالمية الثانية

كانت الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) وفي عهد فيشي خاصةً تعيش بؤسًا في الحياة الاقتصادية، وفراغًا في الحياة السياسية، واضطهادًا من جانب الإدارة الفرنسية. كما كانت الحركة الوطنية خلال (١٩٤٠- ١٩٤٢) تفتقر إلى قيادة، فقد توفي ابن باديس الذي كان محل تقدير الجميع، ودخل مصالي الحاج السجن، وفقد الناس الثقة في ابن جلول بسبب تذبذبه في المواقف، وتطوع فرحات عباس في الجيش، وهو لم يكن قد صعد إلى منصة المسؤولية، ولم يكن معروفًا بعد.[٣] وبالتالي وجد الجزائريون أنفسهم في دوامة ساد فيها الفراغ السياسي. ومع تطور الأحداث والمتغيرات الجديدة، تمكن فرحات عباس من استيعاب التطورات الحاصلة حوله والناجمة عن اندلاع الحرب العالمية الثانية، وراح يطرح القضية الجزائرية برؤية جديدة، ففي (١٠ أبريل ١٩٤١) أرسل فرحات عباس رسالة إلى المارشال بيتان، مقترحًا فيها مجموعة من الإصلاحات التي رآها ضرورية في الجزائر،[٤] فكان رد المارشال سلبيًا مخيبًا للآمال، لهذا أصبح ينادي بمطالب قربته من التيار الاستقلالي في الحركة الوطنية،[٥] وقد وصف السيد محساس هذا التغير الحاصل في سياسة عباس بقوله: "كان أهم تغيير يطرأ على الحركة السياسية الجزائرية هو ما قام به فرحات عباس، وقد اعتبرته بعض الأوساط السياسية الفرنسية ردّة (تكاد تكون خيانة)".[٦]

وفي غمرة الحرب العالمية الثانية سنحت عدة ظروف – احتلال ألمانيا لفرنسا ونزول جيوش الحلفاء في الجزائر- للوطنيين الجزائريين بالاتصال السري والعلني بالفرنسيين والأمريكيين لطرح القضية الجزائرية، وذّكروا بتصريح ويلسون في الحرب العالمية الأولى وموقف روزفيلت في الحرب العالمية الثانية وما قاله تشرشل رئيس الحكومة البريطانية في شهر أوت ١٩٤١: "لا يمكن لنا أن نكافح ضد الفاشية ولا نحرر الشعوب التي ترزح تحت نير الاستعمار".[٧] تقدم فرحات عباس في يوم (٢٢ ديسمبر ١٩٤٢) بمذكرة وقّعها ممثلون عن الولايات الثلاث (الجزائر، وهران، قسنطينة) باسم "ممثلي الجزائريين المسلمين" إلى الحلفاء بما فيهم الفرنسيون، وتتضمن المطالبة بأن تكون الجزائر معنية بتطبيق حق تقرير المصير المنادى به من طرف الحلفاء. لكن السلطات رفضت استقبال المذكرة، فقد رفضها الأمريكان والإنجليز بدعوى أنها تخص الفرنسيين.[٨] وكرد فعل على اللامبالاة لتلك الرسالة، عمد الجزائريون إلى خطة جديدة للضغط على الفرنسيين، فاجتمعوا في مكتب الأستاذ بومنجل في الجزائر العاصمة، وتم الاتفاق على نشر بيان جديد يتضمن مطالب الشعب الجزائري وكلّفوا فرحات عباس بتحريره.

وفي هذا السياق، يذكر فرحات عباس أنه رجع إلى مدينة سطيف وقام بتحرير بيان الشعب الجزائري، والذي تضمن حاصلة (١١٢) سنة من الاحتلال، وعبّر فيه عن مطامح الشعب الجزائري.[٩] ففي (١٠ فيفري/ فبراير ١٩٤٣) تمت المصادقة عليه، وتشكّل وفدًا من الموقعين على البيان وقاموا بتسليمه يوم ٣١ مارس من نفس السنة إلى الحاكم العام بروتون Beroton، وتم قبوله على اعتباره قاعدة للإصلاحات، وفي اليوم الموالي قدّموا نسخًا منها إلى الحلفاء في الجزائر،[١٠] الجامعة العربية، ديغول، ولندن. وتألّفت لجنة خاصة في (٣ أبريل ١٩٤٢) التي اجتمعت مرتين، ووضعت ملحقًا للبيان، ولكن الجنرال كاترو (Catroux) الذي خلف بروتون رفض البيان والملحق معًا، بدعوى أن ظروف الحرب لا تسمح بذلك فزج بالكثير من الزعماء في السجون، تسبب ذلك في هيجان الجزائريين وفي خلق الاضطرابات، فتدخل ديغول لمعالجة الموقف، فخطب يوم ١٢ ديسمبر وأعلن جملة من الإجراءات، وشكّل لجنة سمّاها "لجنة الإصلاحات الإسلامية" التي أعدّت مشروعًا إصلاحيًا استوحت أفكاره من خطاب ديغول في قسنطينة، وصدر مرسوم (٧ مارس ١٩٤٤) الذي يمنح الجنسية الفرنسية لبعض الجزائريين وفق شروط وحيثيات خاصة.[١١]

لم يرض معظم النواب بهذا المرسوم باعتباره منافيًا لما كان ينتظرونه من إصلاحات لصالح الجزائريين، فما هو إلا ذر الرماد في العيون، بعده بأسبوع تحرّك الجزائريون من جديد وأسّسوا في (١٤ مارس ١٩٤٤) حركة "أحباب البيان والحرية" في سطيف،[١٢] وضم حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين وحزب فرحات عباس، ماعدا الحزب الشيوعي الذي رفض المشاركة واكتفى بتأسيس "أصدقاء الديمقراطية" في سبتمبر ١٩٤٤.[١٣] أصبحت كل التشكيلات الجزائرية مقتنعة بفكرة الاستقلال، لذلك نجحت هذه الحركة في تجنيد حوالي (٥٠٠) ألف منخرط، وفي ذلك يذكر فرحات عباس "بينما كانت حركتنا تتقوى وتنتشر كان المعمّرون يحيكون لها المؤامرات في الخفاء..."،[١٤] لأن الاوروبيين رفضوا فكرة الاندماج في المجتمع الجزائري بسخطهم على سياسة مرسوم (٧ مارس ٤٤)، وأكنّوا سخطًا وعداءً لأحباب البيان والحرية. ففي الفترة الممتدة من تأسيس أحباب البيان في (١٤ مارس١٩٤٤) إلى غاية مارس ١٩٤٥ بثّ حزب الشعب -وكان وقتها محظورًا- نشاطًا كثيفًا في المدن والأرياف، وشارك في إنشاء فروع حركة أحباب البيان، وأنشأ بعضها هو بنفسه.[١٥]

وفي الوقت الذي كان فيه هذا التيار ينشط سريعًا تحت غطاء حركة أحباب البيان، أخذت الأفكار التحررية تنمو في الأوساط الشعبية، فأقدمت إدارة الاحتلال على مضايقة عناصره والعناصر الوطنية، حيث دبر والي ولاية الجزائر عملية استفزازية باسم "عملية بريلي" (Perillier) ضد قبائل البدو العشابة، مما أدى إلى قيام مظاهرات وانتهت باعتقال زعماء أحباب البيان في منطقة العشابة، فقررت السلطات الاستعمارية تحميل مصالي مسؤولية ما وقع، فنفته إلى القليعة (المنيعة) في (١٩ أبريل ١٩٤٥)،[١٦] وكان في بوغار قبلها في ١٨ أبريل. في هذه الفترة العصيبة، كثر الكلام عن

وقوع حوادث واضطرابات تكون سببًا في حل حزب سياسي كبير في الجزائر، وفي تعطيل إصلاحات مرسوم (٧ مارس ١٩٤٤)، ويستند فرحات عباس في ذلك على ما قاله والي قسنطينة " ليستراد كاربونال " في المجلس العام يوم (٢٦ أفريل ١٩٤٥) نقلاً عن الدكتور سعدان، أنه سيحدث هيجان وسيحل حزب عتيد، ومن جهة أخرى ما صرح به المعمر أبو"Abbot" عضو رابطة شيوخ البلديات أن الجزائر ستكون مسرحًا للشغب[١٧]، وأن السفير الأمريكي "مورفي" حذر في اتصال بمكتب أحباب البيان- غداة مظاهرات فاتح مايو ٤٥ في العاصمة وبعض المدن الجزائرية الأخرى- من "خطورة التظاهر بالعلم الوطني وترديد مطلب الاستقلال" لأن الفرنسيين- حسب قوله- عازمون أن يقابلوا هذا الموقف بكل شدة وعنف".[١٨]

في (١ مايو ١٩٤٥) بمناسبة اليوم العالمي للعمال، بادر حزب الشعب الجزائري بتنظيم مظاهرات عبر التراب الوطني، وكانت معظمها سلمية، فأعد العلم الجزائري وحضرت الشعارات مثل "تحرير مصالي، استقلال الجزائر" وغيرها. شارك فيها عشرات الآلاف من الجزائريين في مختلف أنحاء الوطن وهي: الجزائر، وهران، بجاية، تلمسان، قسنطينة، مستغانم، قالمة، غليزان، سطيف، باتنة، بسكرة، عين البيضاء، خنشلة، سيدي بلعباس، سوق أهراس، شرشال، مليانة، سكيكدة، واد زناتي، سعيدة، عنابة، تبسة، سور الغزلان،[١٩] وكانت السلطات الاستعمارية تحاول استفزاز المتظاهرين، ففي الجزائر أطلقت الشرطة النار على المتظاهرين وقتلت مناضلين اثنين وأصابت حاملي العلم (بلحفاف وزيار) وعددًا كبيرًا من الجرحى،[٢٠] ويضيف محمد مرزوقي (أحد أعضاء مجموعة ٢٢) أنه قتل أيضًا بوعلام الله والي محفوظ،[٢١] أما في سطيف خرج بين أربعة آلاف وخمسة آلاف شخص،[٢٢] وفي وهران قتل متظاهر وعدد من الجرحى، بعد ذلك تمركزت الشرطة في الأماكن الاستراتيجية للمدينة.[٢٣]

وفي الحقيقة؛ إن المظاهرات لم تتوقف، ففي عنابة تظاهر حوالي (٥٠٠) شخص يوم ٣ مايو وكانت مظاهرة خاصة لأنها تزامنت مع سقوط مدينة برلين على أيدي الحلفاء، وفي قالمة يوم ٤ مايو، وفي سطيف مرة أخرى يوم ٧ مايو.[٢٤] وهكذا؛ كان الجو عاصفًا منذ الفاتح من شهر مايو، إذ كانت كل المعطيات والمؤشرات توحي بوقوع أحداث واضطرابات حسب التقارير التي قدمت من طرف الحكام المدنيين من ناحية سطيف وقالمة، وأن خيوط مؤامرة جديدة تنسج في الخفاء،[٢٥] أدت إلى الثلاثاء الأسود يوم ٨ مايو ١٩٤٥، وذلك لأمرين: الأمر **الأول** عزم الجزائريين على مواجهة فرنسا، والأمر **الثاني** خوف الإدارة الفرنسية والمستوطنين من تنامي أفكار حركة أحباب البيان ومن خلاله التيار الاستقلالي المتمثل في حزب الشعب الجزائري.

## ثانيًا: النتيجة الحاسمة لمظاهرات ٨ مايو ١٩٤٥

يرى بعض المهتمين بالتاريخ الوطني عامة ومجازر ٨ مايو ١٩٤٥ على الخصوص أن هذه الأخيرة كانت نتيجة حاسمة لالتقاء تيارين متعارضين، التيار الوطني من جهة، والتيار الاستعماري من جهة أخرى، وخروج فرنسا وحلفاؤها منتصرين على النازية جعلت أمل الجزائريين كبيرًا في تحقيق الاستقلال، لذلك خرج الشعب الجزائري إلى الشوارع في مظاهرات عارمة عبر أنحاء الوطن بدون استثناء، معبرين عن فرحتهم لتذكير الحلفاء بالعهود التي قطعوها على أنفسهم والمنصوص عليها في الميثاق الأطلسي، فكانت النية مبيتة من طرف فرنسا، إذ واجهت المتظاهرين بالعنف والقوة، وما مجازر ٨ مايو إلا دليل على ذلك.

**- سطيف:**

كان هذا اليوم (٨ مايو) يوم الثلاثاء، يصادف السوق الأسبوعي الذي يتوافد عليه حوالي عشرة آلاف من الجزائريين للالتقاء والمتاجرة، وكانت السلطات الفرنسية أعطت رخصة للقيام بمظاهرات لوضع إكليل من الزهور على نصب الأموات.[٢٦] انطلقت المسيرة من المحطة الواقعة قرب الجامع الجديد، تقدم المتظاهرون وعددهم نحو (١٥) ألف منهم (٢٠٠) كشاف، رافعين العلم الوطني، ولما اقتربوا من مقهى فرنسا تقدم محافظ الشرطة أوليفري (Olivieri) فجأة لانتزاع العلم من يدي حامله وهو شاب كشاف يدعى بوزيد سعال، تصدى له هذا الأخير، فإذا بالمفتش لافون (Lafon) يطلق الرصاص عليه فيرديه قتيلاً مع إصابة آخرين بجروح فكانت هذه بداية الاضطرابات.[٢٧] ثارت ثائرة المتظاهرين وتفجر الوضع وتحولت المسيرة إلى مجزرة رهيبة تعالى فيها صوت الرصاص وعجزت الشرطة عن السيطرة على الموقف واستنجدت بقوات الجيش والدرك التي فتكت بالسكان دون تمييز، فسقط مئات الشهداء وأغلقت المحلات، وقاموا باعتقالات واسعة النطاق في صفوف مناضلي حركة أحباب البيان وحزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء ونقابات العمال، فمنهم مَنْ وضع في المحتشدات، ومنهم مَنْ أحيل على المحاكم، وفي نفس اليوم ألقي القبض على فرحات عباس والدكتور سعدان في قاعة الانتظار في الولاية العامة في الجزائر.[٢٨]

**- خراطة:**

عاشت مدينة خراطة الأحداث نفسها، ففي مساء اليوم نفسه وصلت الحافلة التي تنقل الركاب بين سطيف وبجاية، وزجاجها مكسر وبها دركي مصاب في عينه، ونقل الركاب أخبار أحداث ما وقع في سطيف من مظاهرات،[٢٩] وفي الحين شرعت سلطات خراطة في طرد مَنْ لا يقطن بها، وانتشرت الأخبار بسرعة في القرى المجاورة، فاتفق السكان على تكوين مجموعات للقيام بأعمال هجومية، وفي صباح يوم ٩ مايو على الساعة الخامسة صباحًا سمعت طلقات نارية متفرقة ونداءات تدعو إلى المقاومة، فأخذ رجال الدرك من ثكنتهم يطلقون النار، وبدأ العنف يدب في المدينة، فقتل الجزائريون خلالها (٨) أوروبيين، وأسروا (٣) نساء، وأحرقوا قصر العدالة ودار البريد. وبعد هذه الأحداث وصلت فرقة من اللفيف الأجنبي إلى خراطة، وحلقت طائرات في السماء وقنبلت القرية،

واقتحمها جنود اللفيف واعدموا كل مَنْ عثروا عليه من العجزة، الرجال، النساء، والأطفال، ومن جملة شهداء خراطة عائلة "قربون" بكل أفرادها وهم ثمانية، ومن جهة أخرى قامت الشاحنات العسكرية برمي الجثث في وادي شعبة الآخرة، وما تزال حتى اليوم نقوش جنود اللفيف الأجنبي على الصخور في الوادي تثبت فظاعة هذه المجازر.(٣٠)

**- قالمة:**

بينما كانت السلطات الفرنسية تقيم اجتماعًا في ساحة "سانت اوغستان"، وصل الخبر من عنابة وما وقع فيها من أحداث، فتجمع المواطنون في مسيرة في تمام الخامسة مساء متوجهين إلى نصب الأموات، وأثناء مرورهم بشارع مجاز عمار أخرج نائب المحافظ أشياري (Achiary) مسدسه وأطلق النار على المتظاهرين فسقط العديد منهم شهداء،(٣١) قام أشياري بتسليح المعمرين وحثهم على قتل الجزائريين قائلاً: "أيها المعمرون انتقموا لأنفسكم."(٣٢) ومن منا لا يتذكر "فرن هيليوبوليس" (Héliopolis) الذي كانت القوات الفرنسية تعيد انتشال أجساد الضحايا من الأماكن التي قتلوا فيها وتنقلهم إلى الفرن التابع لأحد المعمرين ليتم حرقهم حتى تتخلص من جرائمها البشعة.(٣٣)

**- منطقة الجزائر:**

إن المظاهرات التي جرت في كل أنحاء الجزائر تأتي في الدرجة الثانية لأنها كانت أقل عنفًا والتي كانت نتيجة للتوتر والأعمال القمعية. ففي مدينة البليدة تجمع حوالي (٨٠٠٠) شخص استعدادًا لانطلاق المسيرة التي كانت متوجهة نحو الساحة من باب الرحبة حتى دار البلدية، حيث استقبل المتظاهرون بالرشاشات قُتل الشاب بن مراح مسؤول الكشافة على يد الشرطي ريمو (Raymond)، وأطلق عساكر الاستعمار النار على المتظاهرين فسقط منهم الشهداء والجرحى. والمسيرة نفسها شهدتها مدن أخرى مثل البرواقية.(٣٤)

**- منطقة وهران:**

تجمع حوالي (٤) آلاف شخص، و(٦٠٠) مغربي شاركوا في المظاهرة في الشوارع الرئيسة لمدينة سيدي بلعباس رافعين رايات الحلفاء والعلم الوطني دون تسجيل أي مشادات مع قوات الاحتلال. والشيء نفسه شهدته مدن مستغانم وتلمسان وغيرهما.(٣٥) في الواقع؛ ذكرنا هذه المناطق التي جرت فيها الأحداث لهول ما وقع بها من مجازر، فالمظاهرات شملت جميع مدن الجزائر مثل: جيجل، بوسعادة، تيزي وزو، بسكرة، خنشلة، العلمة، باتنة، سعيدة، بجاية، سكيكدة، القل، عنابة، سوق أهراس، واد زناتي، قسنطينة وغيرها.

## ثالثًا: حصيلة مجازرة ٨ مايو ١٩٤٥

مَنْ منا ينسى الجنرال دوفال (Duval) مجرم درجة أولى في مجازر (٨ مايو ٤٥) في كل من سطيف قالمة خراطة، ثم يليه رئيس الدائرة أشياري والوالي ليستراد كاربونال وغيرهم كثيرون، فكم كان عدد ضحاياهم في هذه الجريمة؟ يذكر الدكتور سعد الله نقلاً عن آرون: "وقد اختلفت التقارير والمقادير عن عدد القتلى والجرحى نتيجة أحداث الثامن من مايو، فوزير الداخلية الفرنسي تيكسيه، ذكر في تقريره أن عدد الجزائريين الذين شاركوا في الحوادث قد بلغ (٥٠) ألف شخص، ونتج عن ذلك مقتل (٨٨) فرنسيًا و(١٥٠) جريحًا. أما من الجانب الجزائري فمن (١٢٠٠) إلى (١٥٠٠) قتيل (ولم يذكر الجرحى). أما التقديرات الجزائرية بين (٤٥) ألف إلى (١٠٠) ألف قتيل، أما التقديرات الأجنبية فتختلف أيضًا، فبعضها يقترب من إحصاء الفرنسيين وبعضها يقترب من إحصاء الجزائريين، وهي في الغالب من (٥٠) ألف إلى (٧٠) ألف"،(٣٦) تضاف إلى حوالي (٢٠٠) ألف بين قتيل ومعطوب الجسم أو العقل من المجندين أثناء الحرب العالمية الثانية لإنقاذ فرنسا.(٣٧)

أما جريدة " البصائر " لسان حال جمعية العلماء المسلمين فقد قدرت عدد القتلى ب(٨٥) ألف،(٣٨) ويذكر الأستاذ سعدي بزيان نقلاً عن الكاتبة فرانسيس ديساني في كتابها ( La Paix Pour Dix Ans): أن السفير الأمريكي بانكني توك (Pinkney Tuck) في القاهرة أخبر الأمين العام للجامعة العربية عزام باشا بأن هناك (٤٥) ألف جزائري قتلهم الفرنسيون في مظاهرة (٨ مايو ٤٥)، مما أغضب الجنرال ديغول من هذا التصريح باعتبارها قضية داخلية.(٣٩) وذكر محمد خيضر يوم ٨ مايو ١٩٥٥ في صوت العرب: "اليوم، تاريخ المجازر أكثر من ٤٥ ألف جزائري قتلوا من طرف القوات الاستعمارية الفرنسية."(٤٠) ومهما يكن من أمر؛ فإن عدد ضحايا مجازر الثامن من مايو أكثر أو أقل من (٤٥) ألف شخص، فإن الشعب الجزائري احتفظ بالعدد المذكور ليكون راسخًا في الأذهان ويعيد إلى الذاكرة سنة ١٩٤٥.

## رابعًا: القوة الفرنسية المستعملة لإبادة الجزائريين

كان حجم القوة الفرنسية المستعملة لإبادة الشعب الجزائري الأعزل أكثر مما كنا نتصور، ناهيك عن قاذفات القنابل الثقيلة والمتوسطة، التي استعملت أيضًا في القصف الجوي والبحري. وحسب وزير الطيران فايز (Weiss) الشيوعي، فإنه وضع تحت تصرف قواته الجوية ما يلي:

- ١٢ طائرة مقنبلة من نوع (A24) بقنابل تزن ما بين (٤٠-٩٠) كلغ.
- ١٢ طائرة مقنبلة متوسطة من نوع (B26).
- ١٦ طائرة من نوع (JU ٥٢) ذات رشاشة طاقتها (٤٠٠) خرطوشة.
- ٦١ طائرة من نوع (B26).
- ٤ طائرات من نوع داكوتا البريطانية لمهمات استطلاعية.
- ٦ طائرات من نوع (P39) انطلاقًا من قاعدة الرغاية.

المدة التي استغرقها القصف الفرنسي على المدن والمداشر (١٥) يومًا، ومعدل الغارات في اليوم (٣٠٠) غارة، فقد قامت ١٨ طائرة يوم (١٤ مايو) بقنبلة قالمة، سوق أهراس بـ (١٥٠) قنبلة تزن كل واحدة ما بين (٥٠- ١٠٠) كلغ حسب تصريح الجنرال جوان (JUIN).

بالإضافة إلى الطائرات الفرنسية استعملت الطائرات الأجنبية، فكان مجموع الطائرات المشاركة في قمع المظاهرات (١٥٠) طائرة، وهذا نقلاً عن المجلة الأمريكية (The Stars And Stripes) الصادرة في ٣١ مايو ١٩٤٥. أما القوات البحرية فقد شاركت بالقصف من موانئ سكيكدة والقل وبجاية، فهذه الأخيرة شاركت على سبيل المثال بالسفن التالية:

- Duguay- Trouin من ٩ إلى ١٥ مايو.
- CH 94 من ٩ إلى ٢٢ مايو.
- V.P.7 من ٩ إلى ٢٩ مايو.
- Petit Pierre من ٩ إلى ١٢ مايو.
- Trionphant ١١ مايو.
- Tigre من ١٢ إلى ٢٢ مايو.
- Vigilant من ١٣ إلى ٢٢ مايو.
- Javelot من ١٥ إلى ١٦ مايو.
- Bory ١٦ مايو.[٤١]

## خامسًا: عمليات القمع الأخرى

زيادة على المجازر التي ارتكبت في حق الشعب الجزائري الأعزل والتي ذهب ضحيتها (٤٥) ألف شهيد، سلطت الإدارة الفرنسية أنواع شتى من عمليات القمع السياسي والقضائي منذ ١٩ مايو بموجب نظام القانون العرفي:

**١/٥- الاعتقالات:**

إن سياسة الاعتقال بدأت منذ بداية المظاهرات يوم ٨ مايو، بحيث يذكر فرحات عباس "أن حركة أحباب البيان والحرية حلت، وأعلنت الأحكام العرفية، وأجرت الحكومة الفرنسية اعتقالات واسعة النطاق، وألقي علّي القبض مع الدكتور سعدان في قاعة الانتظار في الولاية العامة بالجزائر في ٨ مايو ٤٥ على الساعة العاشرة ونصف، وأن قاضي التحقيق العسكري قد اتهمني بالمساس بالسيادة الفرنسية طبقًا لمرسوم ريني"،[٤٢] ومن المساعدين الرئيسيين لعباس أحمد فرانسيس، أحمد بومنجل، الأستاذ قدور ساطور، الأستاذ مصطفى الحاج (نقيب المحامين بسطيف)، الدكتور بن خليل، وعزيز كسوس (مدير أسبوعية المساواة)،[٤٣] كما ألقي القبض على الشيخ الإبراهيمي وعلى عشرات الآلاف من رجال جمعية العلماء وأنصارها وأتباع الحركات الوطنية الأخرى، وقد وصف الإبراهيمي ما حدث في هذه الأثناء فقال أنه واقتيد إلى السجن العسكري بالعاصمة ليلاً يوم ٢٧ مايو وظل في زنزانة ضيقة نحو سبعين يومًا،[٤٤] وكذا زعماء حزب الشعب مثل محمد خيضر، عبد الله فيلالي، العربي بن مهيدي، سويح هواري، أحمد بوقرة، وبن يوسف بن خدة، وكانوا مسؤولين محليين في كل من وهران ومليانة والبليدة.[٤٥] بالإضافة إلى ذلك زج بـ (٥٠٠٠) شخص حسب الأرقام الرسمية و(١٠٠٠٠) حسب الأعيان الجزائريين، في معتقلات الجنوب، مشرية، وسو الغزلان، وفي سجون الحراش، وهران، تازولت، والكدية في قسنطينة.[٤٦]

**٢/٥- الإعدام:**

أخذ القمع القضائي مكان القمع العسكري، يقول عمار وزقان حسب تصريح تكسيي (Texier) وزير الداخلية الفرنسي أمام المجلس الوطني أنه مثل أمام المحاكم الفرنسية (٤٥٦٠) سجين، من أصل (٣٦٩٦) في عمالة قسنطينة، و (٥٠٥) في عمالة وهران، و(٣٥٩) في عمالة الجزائر، أصدر في حقهم (٩٩) حكمًا بالإعدام تم تنفيذ (٢٢) منها، و(٤) أشغال شاقة مدى الحياة، و(٣٢٩) أشغال شاقة لفترة زمنية.[٤٧] ورغم صدور قانون العفو الشامل في مارس ١٩٤٦، إلا أن البعض لم يطلق سراحهم إلا بعد الاستقلال سنة ١٩٦٢، فهذا المجاهد فغرور أحمد من منطقة فج مزالة[٤٨] كان أحد مناضلي حزب البيان، ألقي عليه القبض يوم ١٣ مايو ٤٥ وحكم عليه بالإعدام، وبعد المداولة حكم عليه (٢٠) سنة سجنًا مع الأعمال الشاقة، ليقضي حياته في سجون الكدية، الحراش، والبرواقية حتى الاستقلال. والمجاهد فوزار الطيب الذي ألقي عليه القبض وتردد على عدة سجون منها سطيف، جيجل، قسنطينة، باتنة، وفرنسا، وهو إن حكم عليه بالمؤبد غير أنه تم إطلاق سراحه في فيفري/ فبراير ١٩٦٢ ليقضي بذلك (١٨) سنة كاملة في ظلام السجون، وغيرهما كثيرون.[٤٩]

**٣/٥- التعذيب:**

لم تكتف الإدارة الفرنسية بالإبادة الجماعية وتسليط أقصى العقوبات على الجزائريين من محاكمة وإعدام، بل قامت بتعذيب المعتقلين في أقسام الشرطة ومكاتب التحقيق للعدالة، وهذا استنادًا إلى شهادات المناضلين. وقبل التطرق إلى هذه الشهادات يذهب فرحات عباس في وصف تعذيب شباب حركة أحباب البيان بوسائل جهنمية وتقتيله بواسطة صيد العربي ( la chasse à l'arabe) وإطلاق يد الكولون للحكم على شباب الحركة وإعدامهم بالآلاف بعد تعذيبهم العذاب الأليم، ويسترسل في قوله: "وذلك مما أعاد إلى الأذهان أفعال روفيقو(Rovigo)"،[٥٠] يروي لنا المناضل سويح الهواري الذي أوقف يوم ٣ مايو في وهران أنه أوقتيك إلى السجن المدني، ثم إلى شاطوناف أين ذاق أصنافًا من التعذيب بالكهرباء والضرب في الأماكن الحساسة، بالإضافة إلى تعليقه عاريًا مربوط اليدين والرجلين. لقد أثبت المحامي توفيني (Thuveny) حالة التعذيب الذي تعرض له، رغم ذلك حكمت عليه المحكمة بعقوبتين بالسجن نافذة.

وهذا مناضل أخر يدعى ديب لحوسين الذي كان في معتقل بسطيف لم ينس قاعة التعذيب التي كانت مقابل المعتقل يذكر: "كنا نسمع طيلة ساعات صراخ المعتقلين لا يستطيع أحد نسيانه، كان يحدث أن نستيقظ في الليل على صراخ المعتقلين وبكاءهم بسبب موت أحدهم من جراء التعذيب".[٥١] أما المناضل قدور المعسكري أعتقل يوم ١٤ مايو وأخذ إلى المصالح الخاصة لـ (D.S.T و P.R.G) وقدم إلى محافظي الشرطة لوفريدو (Loffrédo)، وتورون (Touron). وذكر عيناد ثابت نقلاً عن محمد يوسفي في خمس

صفحات عن أنواع التعذيب عن هذا المناضل الذي بعد أن صمد أيامًا وليالي للتعذيب الجسمي والنفسي تعرض إلى تعذيب لا إنساني يندى له الجبين. وهذا مناضل أخر يدعى فرتوني محمد يروي قصته من التعذيب فيقول: "بقيت ٥٤ يومًا معتقلاً عند الشرطة في تيزي وزو وتيقزرت أين ذقت مرارة التعذيب وأصنافه."[٥٢] ومن المناضلين الذين عذبوا نذكر عمر بوداود الذي أعتقل يوم ٣١ مايو بتيزي وزو ثم سلم إلى أعوان الشرطة بقلعة الترك ببرج الكيفان أين عذب بوحشية مدة ٣٠ يومًا قبل أن يسلم إلى قاضي التحقيق الذي حوله إلى سجن بربروس.[٥٣]

حتى النساء لم تسلم من التعذيب، هذه الشهيدة "فاطمة الزهراء رقي" تعتبر أول امرأة تستشهد في مجازر ٨ مايو بوادي المغير قرب مدينة قالمة مع أخويها الاثنين محمد وعبد الحفيظ. إثر اعتقال القوات الفرنسية أخوي فاطمة الزهراء، ذهبت إلى الجندرمة تطالب بإطلاق سراح أخويها محمد وعبد الحفيظ، ولما شعرت بالإهانة والاحتقار من طرف رجال الدرك، شتمتهم جميعًا وسبت فرنسا، فاعتقلوها وذهبوا بها إلى منطقة وادي المغير ليقتلوها مع أخويها بعد تعذيبهم، ويقال حسب الشهادات أنهم بتروا أعضاءها ودفنوا كل عضو في مكان بعيد عن الأخر.[٥٤]

## سادسًا: البعد السياسي لمجازر ٨ مايو ١٩٤٥

يتضح أن شهر مايو ٤٥ كان شهرًا داميًا وشهرًا للوعي السياسي في أوساط الجزائريين التواقين إلى الحرية والاستقلال، فلقد كانت نتائج هذه المجازر مباشرة كحل حركة أحباب البيان وتعطيل الإصلاحات التي ناد بها ديغول من خلال مرسوم (٧ مارس ١٩٤٤)، لكن هذه المكاسب الظاهرية المؤقتة لفائدة إدارة الاحتلال ولفائدة المعمرين لم تكن لتغطي الآثار العميقة لتلك المجازر الدامية، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

(١) تكريس القطيعة مع النظام الاستعماري، ويعبر المناضل الشاذلي المكي ذلك بقوله: "لقد كان لحوادث ٨ مايو الأثر الفعال في الميدان السياسي، فقد ازدادت شقة النزاع بين الوطنيين والفرنسيين اتساعًا وعمقًا، وراح المرء يلمس موجة الكراهية والبغضاء في كل مظهر من مظاهر الحياة اليومية".[٥٥]

(٢) ترسيخ قناعة مناضلي حزب الشعب الجزائري بحتمية الاختيار الثوري، ويصف المناضل محمد بوضياف هذه الحالة بقوله: "كانت هذه الأحداث منطلقًا لإدراك جديد وبداية قطيعة في نفس الوقت"، ويضيف أيضًا: "قد اتضح أنه من الضروري البحث عن وسائل فعالة لتحقيق الاستقلال وأخذه أخذا بدل الاكتفاء بالمطالبة به".[٥٦]

(٣) فتح الطريق من جديد أمام نظرية الحاج مصالي في الثورة، أي التفكير بجد في إنشاء طليعة مسلحة تتولى تعبئة الشعب لخوض ثورة مسلحة. وبعد أقل من سنتين من مجازر ٨ مايو ٤٥، قرر المؤتمر الأول لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية المنعقد في الجزائر يومي (١٥/ ١٦) فيفري/ فبراير ١٩٤٧ إنشاء المنظمة الخاصة (O.S).[٥٧]

## سابعًا: قراءة قانونية لمجازر ٨ مايو ١٩٤٥

بعد استسلام ألمانيا في ٨ مايو ١٩٤٥ تم عقد مؤتمر ضم قادة الحلفاء في مدينة بوتسدام (إحدى ضواحي برلين) في شهر أوت ١٩٤٥، انتهى هذا المؤتمر بوجوب تشكيل محكمة عسكرية دولية خاصة بمحاكمة ومعاقبة كبار ضباط النازية الذين ارتكبوا جرائم ضد قوانين وأعراف الحرب ومبادئ الإنسانية خاصةً وأن هذه الجرائم غير مرتبطة بنطاق جغرافي أو زمني محدد. ولوضع تصريح بوتسدام موضع التنفيذ تم عقد مؤتمر لحكومات الحلفاء (الولايات المتحدة الأمريكية، الإتحاد السوفيتي، بريطانيا، فرنسا) في لندن في ٨ مايو ١٩٤٥، انتهى هذا المؤتمر إلى توقيع اتفاق لندن (Déclaration de Londre) لوضع نظام المحكمة العسكرية الدولية والتي عُرفت باسم "محكمة نورمبرغ". وفي هذا الشأن ميز اتفاق لندن بين نوعين من الجرائم: **أولاً**، الجرائم التي ارتكبها جنود أو ضباط ألمان في نطاق محدود جغرافيا ويعود النظر فيها إلى البلد صاحب الاختصاص أي الذي وقعت الجريمة على ترابه. **وثانيًا**، جرائم الحرب الكبرى التي تقع على عاتق المسؤولين الكبار في الحكومة الألمانية والحزب النازي بدون أن ترتبط بنطاق جغرافي معين.[٥٨]

وعليه، فما قامت به فرنسا من مجازر يوم ٨ مايو ١٩٤٥ يدمج في إطار ما يسمى بـ "الجرائم ضد الإنسانية" وتشمل جرائم القتل، الإبادة، التعذيب، التهجير، الإبعاد، الاستبعاد، الإرهاب، والاعتقال غير الشرعي، والاضطهاد... وغيرها، ويلحق بهذا النوع من الجرائم الأعمال الشبيهة بها التي ترتكب ضد المدنيين قبل أو أثناء الحرب، وهذا ما نصت عليه المادة الثانية من اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية التي اعتمدت بقرار جماعي (Consensus) من الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثالثة بتاريخ (٩ ديسمبر ١٩٤٨) تحت رقم ٢٦٠ (د ٣) تنص هذه المادة على أن الإبادة الجماعية تعني جميع الأفعال المرتكبة بقصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية، أو عنصرية، أو دينية، أو اثنية.[٥٩]

## خاتمة

إن الحديث عن مجازر الثامن من مايو ٤٥ حديث عن تاريخ أليم، إذ لا نستطيع في هذه العجالة الإلمام بكل الموضوع، ولهذا نقتصر فقط على قولين من مصدرين مختلفين واحد جزائري والثاني فرنسي اتفقا على أن مجازر ٨ مايو كانت فظيعة ومخزية. وقد كتب البشير الإبراهيمي عن حادثة ٨ مايو ١٩٤٥ ما يلي: "لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور... ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقالمة وخراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله". وفي سنة ١٩٥٧ اعترف الجنرال توبير (Tubert) الذي قاد سنة ١٩٤٥ لجنة التحقيق في حوادث ٨ مايو ٤٥ بأن "القمع الدموي للاضطرابات كان غلطة كبيرة فالنزاع المحلي (يعني ثورة نوفمبر ٥٤) قد ولد جزئيًا من هذا القمع الأعمى".[٦٠] وفي الختام اعتبرت ثورة أول نوفمبر١٩٥٤ تتويجًا لمجازر ٨ مايو ١٩٤٥، لأنها وفرت الشروط النفسية والمادية لاندلاعها.

## الهوامِشُ:

(١) أبـو القاسم سـعد الله، **الحركـة الوطنيـة الجزائريـة (١٩٣٠- ١٩٤٥)**، ج٣، ط٤، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص ٢٢٨.

(٢) عـامر رخيلة، **٨ مـايو ١٩٤٥ المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥، ص ٥٤.

(٣) سعد الله، المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٤) سعد الله، المرجع نفسه، ص ١٨٤.

(٥) عامر رخيلة، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٦) أحمـد محسـاس، **الحركـة الوطنيـة الثوريـة في الجزائـر**، ترجمـة، الحـاج مسعود مسعود، محمد عباس، دار القصبة للنشر، ٢٠٠٣، ص ١٩١.

(٧) عثمـان سـعدي، **الجزائـر في التـاريخ**، ط١، دار الأمـة، الجزائـر، ٢٠١١، ص٧١٢.

(٨) سعد الله، المرجع السابق، ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٩) فرحـات عبـاس، **ليـل الاسـتعمار**، ترجمـة أبـو بكـر رحـال، مطبعـة فضالـة، المحمدية، المغرب، بدون تاريخ، ص 167.

(١٠)أحمد محساس، المرجع السابق، ص ١٩٥.

(١١)يحي بـوعزيز، **ثـورات الجزائر في القرنين ١٩ و٢٠م**، ج١، ط٢، منشـورات المتحف الوطني للمجاهد، ١٩٩٦، ص١٠.

(١٢)فرحات عباس، المصدر السابق، ص ١٨١.

(١٣)عمار بوحوش، **التـاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغايـة ١٩٦٢**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨، ص ٣٠٨.

(١٤)فرحات عباس، المصدر السابق، ص ١٨٥.

(١٥)محساس، المرجع السابق، ص ٢١٧.

(١٦)محساس، نفسه، ص ٢٣٤.

(١٧)فرحات عباس، نفس المصدر السابق، ص ١٨٥.

(١٨)عبد الرحمان بن العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصـر ١٩٣٦-١٩٤٥**، ج٢، المؤسسـة الوطنيـة للكتـاب، الجزائـر، ١٩٨٤، ص٣٣٥.

(19) Redouane Ainad Tabet, 8 Mai 1945 en Algérie, Office des Publications Universitaires, Alger, 1987, p 37.

(٢٠)محساس، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(٢١)**شهادة تاريخية سجلها المركز مع المجاهد محمد مرزوقي**، يوم ١٥ أفريل ٢٠٠٢ ببلكور.

(٢٢)سعد الله، المرجع السابق، ص ٢٣٤.

(٢٣)عامر رخيلة، المرجع السابق، ص ٥٦.

(٢٤)للمزيد من التفصيل، انظر: (Ainad Tabet, Op.cit, P.43)

(٢٥)محمد قنانش، **المسيرة الوطنية وأحداث ٨ مايو ١٩٤٥**، منشورات دحلب، الجزائر، ١٩٩١، ص ٧٧.

(٢٦)فرحات عباس، المصدر السابق، ص ١٨٦.

(27) Ainad Tabet, Op.cit, P.52.

(٢٨)فرحات عباس، المصدر السابق، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٢٩)**شهادة تاريخيـة للمجاهـد لحسـن بخـوش**، جريـدة صـوت الأحـرار، العـدد (٦٦٦)، ٢٠٠٠/٥/٨.

(٣٠)يحي بـوعزيز، **ثـورات الجزائـر**، ج٢، ط٢، منشـورات المتحـف الـوطني للمجاهد، ١٩٩٦، ص ٩٠ - ٩٢.

(31) Ainad Tabet, Op.cit, P. 63, 64.

(٣٢)يوسف مناصرية، **"القمع الدموي في ٨ من مايو ١٩٤٥ ونتائجه السياسية والاجتماعية"**، مجلة الذاكرة، العدد٢، ١٩٩٥، ص ٤٨.

(٣٣)**جريدة المساء**، العدد ٣٣٧، ١٠ مايو ١٩٩٨، ص٥.

(34) Ainad Tabet, Op.cit, P.66, 67.

(35) Ainad Tabet, Op.cit, P. 68.

(٣٦)سعد الله، المرجع السابق، ص ٢٣٩.

(٣٧)محمـد العربي ولـد خليفـة، **"فرنسـا تعـذب في الجزائـر: فظـائع سياسـة التعـذيب والجريمـة المنظمـة"**، مجلـة المصـادر، العـدد الخـامس، ٢٠٠١، ص١٧٤.

(38) Ainad Tabet, Op.cit, P.96.

(٣٩)سـعدي بزيـان، **جـرائم فرنسـا في الجزائـر**، دار هومـه، الجزائـر، ٢٠٠٢، ص٢٩.

(40) Charles Robert Ageron, Le 8 Mai 1945, Textes Et Documents, Fondation Du 8 Mai 1945, P.15.

(٤١)علي تابليـت، **"مـن جـرائم الاحـتلال الفرنسي في الجزائـر: مـذابح ٨ مـايو ١٩٤٥"**، الذاكرة، العدد الثاني، ١٩٩٥، ص ٦٦- ٦٨.

(٤٢)فرحات عباس، المصدر السابق، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٤٣)علي تابليت، المرجع السابق، ص ٧٣.

(٤٤)سعد الله، المرجع السابق، ص ٢٣٩، ٢٤٠.

(٤٥)علي تابليت، نفس المرجع السابق، ص ٧٣.

(٤٦)علي تابليت، نفسه، ص ٧٤.

(47) Ainad Tabet, Op.cit, P.78, et Mahfoud Kaddache, Histoire du Nationalisme Algérien, T2, 2éme Edition, ENAL, P. 718.

(٤٨)في عهد الاستعمار كانت بلدية مختلطة تابعة لعمالة قسنطينة، وحاليًا فهي تابعة لولاية ميلة.

(٤٩)محمد الصادق مقراني، **٨ مايو ٤٥ بفج مزالة وضواحيها**، ط١، دار شريفة، ٢٠٠٠، ص ٥٦-٥٩.

(٥٠)عبد الرحمان بن العقون، المرجع السابق، ص ٣٢٢.

(51) Ainad Tabet, Op.cit, P.79.

(52) Ainad Tabet, Op.cit, P. 80.

(53) Ali Haroun, La 7é Wilaya La Guerre du FLN En France 1954-1962, Editions Harma, 1992, P.33, 34.

(٥٤)**المساء**، العدد (٣٣٧)، ١٩٩٨/٠٥/١٠، ص ٥.

(٥٥)عبد الرحمان بن عقون، المرجع السابق، ص ٣٤٥.

(56) Mahfoud Kaddache, Op.cit, P.734.

(٥٧)محمـد عبـاس، **"ذكـرى مجـازر ٨ مـاي ٤٥"**، جريـدة اليـوم، العـدد (٣٨٥)، ٨مايو ٢٠٠٠، ص٤.

(٥٨)العايب علاوة، **الجوانب القانونية لجرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية في القـانون الـدولي المعاصـر**، ومدى تطابقها على الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (١٨٣٠-١٩٦٢)، نصوص ووثائق، جمعية ٨ ماي ١٩٤٥، ص٤.

(٥٩)العايب علاوة، المرجع نفسه، ص٥.

(٦٠)سعد الله، المرجع السابق، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

# دور الحركة الطلابية في الحياة العامة في مصر
## ١٩٠٨ – ١٩٤٥

**نسمة سيف الإسلام سعد**

باحثة دكتوراه في التاريخ الحديث
قسم التاريخ – كلية الآداب
جامعة القاهرة – جمهورية مصر العربية

**مُلَخَّصْ**

تُعَدّ دراسة الفئات العمرية الأكثر فعالية من أهم وسائل معرفة وتحليل نشاط أي مجتمع، وعند تطبيق هذه النظرية على المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين نجد أن المجتمع كان في حالة من الحراك الدائم على كافة المستويات اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا، فعلى المستوى الاقتصادي نجد على سبيل المثال مشروع بنك مصر الذي حاول طلعت باشا حرب من خلاله وبمساعدة الشعب المصري الخروج من دائرة سيطرة الاحتلال البريطاني على الاقتصاد المصري، وعلى المستوى السياسي لم يهدأ كفاح الشعب المصري يومًا عن مقاومة الاحتلال سواء المقاومة بالعمليات الفدائية أو عن طريق الصحافة أو بأي وسيلة ممكنة، ونجد أن أهم الفئات العمرية التي كانت داعم لهذا الحراك هي فئة الشباب الممثلة في الحركة الطلابية التي كان لها دورًا فعال في الحياة العامة، فالحركة الطلابية سواء كانت من طلاب المدارس أو الأزهر أو عند تأسيس الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ كانت تمثل غالبية شرائح المجتمع المصري سواء الطبقات الفقيرة التي تطمح في تحسين مستواها بتعليم أبنائها أو الطبقة الوسطي التي تعرف مدى أهمية التعليم للمحافظة على مستواها، فكان للطلاب بصفة عامة كبري في حياة من حولهم مما جعل لهم دورًا في نشر التعليم لغير التعليم و كذلك نشر الوعي السياسي، ويناقش البحث مدي أهمية دور الحركة الطلابية في الحياة العامة في مصر منذ تأسيس الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ حيث أن الجامعة كانت بوتقة العمل الطلابي وحتى سنة ١٩٤٥ فهذه الفترة كانت من أنشط فترات العمل الطلابي.

**بيانات الدراسة:**

تاريخ استلام البحث: ١٧ يونيو ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ١٨ أكتوبر ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**

الجامعة المصرية, الحركة الوطنية, مشروع القرش, الاحتلال البريطاني, الطلاب والسياسة

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

نسمة سيف الإسلام سعد. "دور الحركة الطلابية في الحياة العامة في مصر ١٩٠٨ – ١٩٤٥".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ١٣٢ – ١٤٣.

## مُقَدِّمَةٌ

تشهد الدراسات التاريخية بصفة مستمرة تطورات كبيرة، ومن أهمها التنوع الكبير في مجالات الدراسة وإعادة قراءة الأحداث التاريخية من زوايا مختلفة بهدف إعطاء صورة شاملة من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن هذا المنطلق تبرز أهمية التوسع في دراسة كافة جوانب الحياة في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين.

تُعَدّ مرحلة التعليم الجامعي من أكثر مراحل التعليم فاعلية في المجتمع، حيث يتشارك ويتفاعل الطلاب في تلك المرحلة مع أوضاع ومشاكل المجتمع الذي يعيشون فيه نظرًا لبلوغهم سن الإدراك والوعي، ويرجع تاريخ المشاركة الطلابية في الحياة العامة إلى ما قبل تأسيس الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ وحتى قبل نشأة نظام التعليم الحديث في عهد محمد علي (١٨٠٥ - ١٨٤٨) والتي تجسدت في الاحتجاجات التي كان يقوم بها طلاب الأزهر حيث كان المؤسسة التعليمية في ذلك العصر، وكان بداية هذه الاحتجاجات كما يذكر الجبرتي في الاعتراض على بعض القرارات الاقتصادية الجائرة

لبعض الولاة، أو الانتهاكات التي كان يقوم بها بعض عسكر المماليك للأحياء والبيوت، وكان يقود هذه الاحتجاجات أحيانًا بعض مشايخ الأزهر الثوريين، وفي بعض الأوقات كانت هذه المظاهرات والاحتجاجات تصعد إلى القلعة مقر الحكم في محاولة لتوصيل صوت الشعب إلى الوالي وحاشيته.

وأثناء الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ – ١٨٠١) شهدت القاهرة العديد من مظاهر إضراب طلاب الأزهر، والخروج في وجه العسكر الفرنسيين، ولا يمكن إغفال دورهم أثناء ثورتي القاهرة الأولى والثانية، ومع مجيء محمد علي إلى السلطة سنة ١٨٠٥ وقيامه بوضع مشروعه الإصلاحي كان نظام التعليم من أهم الأمور التي شملها الإصلاح فانتقلت بالتالي ريادة الحركة الطلابية من الأزهر إلى طلاب المدارس العليا.[١] والجدير بالذكر؛ أنه لم يقتصر دور الحركة الطلابية في القرن التاسع عشر على العمل السياسي فحسب، وإنما نجد أنهم على سبيل المثال أثناء انتشار وباء الكوليرا سنة ١٨٦٥ تمت الاستعانة بطلاب مدرسة الطب لمكافحة الوباء، وتطوع عدد منهم للمشاركة في أعمال توعية الأهالي.[٢]

وأثناء الثورة العرابية (١٨٨١ – ١٨٨٢) كان طلاب المدارس العليا: "الأفندية المطربشين"، وطلاب الأزهر "المجاورين المعممين"* من أهم العناصر التي شاركت فيها،[٣] وقد شهد المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين مشاركة فعالة للحركة الطلابية بصفة عامة وطلاب الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليًا) بصفة خاصة في كافة شئون الحياة العامة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وذلك على الرغم من التدهور الذي شهدته أحوال البلاد عقب الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢ وكان من مظاهر هذا التدهور ما حدث للعملية التعليمية بجميع مراحلها، فعلى سبيل المثال نجد أنه قد انخفضت ميزانية التعليم من (٧٨ ألف جنيه) في عهد الخديوي إسماعيل – في ظل مشاكل الديون – إلى (٧٠ ألف جنيه) سنة ١٨٨٨، فقد كان من أهم أهداف العملية التعليمية في عهد الاحتلال البريطاني كما أعلن اللورد كرومر "إعداد طبقة متعلمة تعليمًا راقيًا تفي بطالب الخدمة في الحكومة لكي يتقلدوا وظائفها"،[٤] ولم يزد أعلى نصيب للجامعة في الميزانية العامة للدولة عن (١%).[٥]

ولكن على الرغم من ذلك؛ كانت هناك مدارس عُليا استطاعت أن تساهم في تشكيل الوعي الوطني لدى الطلاب بمشاكل الوطن على الرغم من الأحوال المتدهورة للعملية التعليمية مثل مدرسة الحقوق، والمهندسخانة بعيدًا عن المدارس التبشيرية التي كانت تهدف إلى إعداد طلاب غير منسجمين مع البيئة المصرية، والمدارس الأجنبية التي تبني تفكير الطالب على أساس أوروبي لا يستطيع فهم متطلبات وطنه،[٦] إلا أن هذا لم يمنع وجود الشعور الوطني لدى غالبية الطلاب في مختلف المراحل التعليمية وإدراكهم لمشاكل وطنهم ورغبتهم في المشاركة في إصلاحها، وأن على رأس هذه المشاكل الاحتلال البريطاني لمصر منذ سنة ١٨٨٢. فنجد على سبيل المثال؛ عندما حدث الخلاف بين الخديوي عباس حلمي الثاني واللورد كرومر على أثر قيام الخديوي بإقالة حكومة مصطفى فهمي باشا، قام طلاب مدرسة الحقوق وعلى رأسهم مصطفى كامل (١٨٧٤ - ١٩٠٨) -الذي كان أحد طلابها في ذلك الوقت- بالخروج في مظاهرة لتأييد الخديوي ضد الإنجليز والاحتلال أمام قصر عابدين، وترجع أهمية هذه المظاهرة التي نظمها مصطفى كامل إلى أنها تُعَدّ بداية اشتراك الطلبة بصفة فعالة ضد الاحتلال البريطاني.[٧]

وسوف يناقش هذا البحث نماذج لمشاركة الطلاب بصفة عامة وطلاب الجامعة المصرية في الحياة العامة في مصر خلال الفترة (١٩٠٨ - ١٩٤٥) فهذه الفترة منذ تأسيس الجامعة سنة ١٩٠٨ وحتى سنة ١٩٤٥ كانت من أنشط فترات الحركة الطلابية، وكانت الجامعة محور التحرك الطلابي للمشاركة في الحياة العامة سواء في المشاركة في دعم الاقتصاد أو مكافحة مشكلة صحية أو تحرك وطني ضد الاحتلال البريطاني، فضلاً عن الأنشطة الثقافية التي كان لها الفضل في إعداد أهم المفكرين والأدباء ورجال الثقافة والسياسة بصفة العامة في المجتمع في النصف الأول من القرن العشرين.

لقد تناولت بعض الدراسات دور الحركة الطلابية منها على سبيل المثال: أحمد عبد الله: **الطلبة والسياسة في مصر**/ ترجمة: إكرام يوسف، وعاصم محروس عبد المطلب: **الطلبة والحركة الوطنية في مصر**، وغيرها من الدراسات التي تحدثت عن التطور السياسي للمجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين، ولكن هذه الدراسات على الرغم من أهميتها إلا أنها لم تناقش سوى دور الطلاب في الحياة السياسية في مصر، فدراسة الحركة الطلابية من هذا الجانب فقط لا تسلط الضوء الكافي على الدور الذي لعبته الحركة الطلابية في كل مراحلها التعليمية وعلى رأسها الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) خلال فترة الدراسة وما بعدها على مدار القرن العشرين.

## أولاً: مشاركة الحركة الطلابية في المجال الاجتماعي

في البداية وقبل الحديث عن دور الحركة الطلابية في المجال الاجتماعي يجب أن نحدد مفهوم العمل الخيري الجماعي، فيقصد بهذا المفهوم الخدمات المادية أو المساعدات التي يقوم بها أفراد لفئات تحتاج إلى رعاية مثل الأسر الفقيرة والأطفال بلا مأوى والمسنين، ومن أهم هذه الفئات المرضى بالأمراض المتوطنة أو ضحايا الأوبئة.[٨]

وتُعَدّ مشكلة تدهور الصحة العامة وانتشار الأوبئة والأمراض وارتفاع نسب الأمية من أخطر المشاكل التي واجهت المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين، وقد تضافرت جهود كافة فئات الشعب المصري للتخفيف من آثارها، فلم تقتصر مكافحة الأوبئة والأمراض وتحسين الصحة العامة على الحكومة أو الجمعيات الأهلية فحسب، بل كانت بمثابة مشروع متكامل شاركت فيه جميع طوائف المجتمع المصري بقدر ما استطاعت.[٩] وكان من

أهم الفئات التي كان لها دور فعال في المشاركة والتخفيف من حدة المشكلة الصحية ومشكلة انتشار الأمية، فئة الطلاب، فلم يقتصر دورهم على المشاركة التطوعية في أعمال التوعية وجمع التبرعات، فنجد أنه في مجال المساهمة في تحسين الصحة العامة، أن الدولة كانت تستعين بهم في أعمال التخفيف من حدة الأوبئة مثلما حدث سنة ١٩٠٢ عندما تمت الاستعانة بطلاب كلية الطب للمشاركة في مكافحة وباء الكوليرا نظرًا لعدم وجود عدد كاف من الأطباء،[١٠] وكذلك كان يتم الاستعانة بطلاب الأقاليم من الريف والصعيد الذين يدرسوا في العاصمة و تلقوا دروس في التوعية من الأمراض الطفيلية في نشر التوعية الصحية عند عودتهم إلى بلادهم،[١١] وأيضًا كان يتم الاستعانة بالطلاب نظرًا لأنهم مصدر ثقة لدى سكان قراهم في سيارات التوعية الصحية التي كانت تجوب المناطق التي ينتشر بها الأمراض المتوطنة لتوعية الأهالي بالنصائح الصحية وأماكن المستشفيات القريبة منهم.[١٢]

والجدير بالذكر؛ أنه قد تنوعت مجالات مشاركة الطلاب في التخفيف من حدة المشكلة الصحية، فنجد على سبيل المثال، أنه كان لهم دورًا فعال في أنشطة الجمعيات الأهلية التي كان لها دور في التخفيف من حدة المشاكل الصحية، ومن ذلك أنه عندما تمت الدعوة لتأسيس جمعية الهلال الأحمر المصري كان طلاب المدارس الثانوية والمدارس العُليا من أوائل الفئات مساهمة في التبرع لتأسيس الجمعية، ومنها على سبيل المثال، قيام تلاميذ مدرسة الناصرية في القاهرة بتأليف لجنة لمساعدة جمعية الهلال الأحمر برئاسة التلميذ عبد العزيز فهمي وجمعوا (٦٥٠ قرشًا)، وزملاؤهم طلبة كفر المصيلحة في شبين الكوم لم يكونوا أقل منهم فتبرعوا بمبلغ خمس جنيهات، كما تبرع نادي المدارس العُليا بـ (٨٦٠) لفة من القماش.[١٣]

وشارك طلاب الجامعة والمدارس بدورهم في مكافحة الأوبئة والأمراض ومحاولة تخفيف آثارها، فعند انتشار وباء الملاريا (١٩٤٢ - ١٩٤٥) في الوجه القبلي، شكلوا وفدًا منهم وقابلوا الأميرة شيوه كار، وأبدوا استعدادهم للمشاركة في جمع التبرعات لمنكوبي قنا وأسوان، وبالفعل قاموا بحملة لبيع شارات جمعية مبرة محمد علي، وجمع التبرعات في شوارع القاهرة والأقاليم.[١٤] وعندما نظمت الجمعية النسائية لتحسين الصحة لأسبوع مكافحة السل، كان للطلاب أيضًا دورهم ففي اليوم الأول قام (١٤٠٠) طالب من مدرسة الإبراهيمية الثانوية بالانتشار في الشوارع لبيع الشارات والطوابع الخاصة بالمشروع، واشترك معهم (٤٠٠) متطوعة من طالبات الجامعة والمدارس العُليا، وتبرع أيضًا لصالح أسبوع مكافحة السل طلبة وطالبات السنة الأولي قسم التاريخ في كلية الآداب - جامعة القاهرة بمبلغ (٢٤٠ قرشًا).[١٥] وكذلك وعلى مستوى المشاركة الفردية قامت إحدى الطالبات في كلية الأمريكان في مصر بمناسبة عيد ميلادها بالتبرع بمبلغ خمس جنيهات لتوزع على المبرات الإنسانية لإعانة منكوبي الوباء،[١٦] وتبرعت التلميذة صبرية صابر بجنيه لمنكوبي الوباء في جرجا، وتبرع طالب بمدرسة العباسية الثانوية بـ (٥٠٠ مليم) لمنكوبي الوباء عن طريق مبرة محمد علي.[١٧]

واستمر الحال أثناء وباء الكوليرا سنة ١٩٤٧ فكان للطلاب أيضًا دور في تخفيف آثاره، فقام طلبة كلية الطب بالتطوع لمكافحة الكوليرا منذ ظهورها ولكن الوزارة رفضت ذلك، ولما اشتدت حدة الوباء قبلت اشتراكهم فتطوع (١٧٠) طالبًا لهذا الغرض فضلاً عن معاونتهم رجال الوزارة أثناء حملات التطعيم في القرى ١٩٤٧،[١٨] وقامت رابطة الطلبة المصريين بحملة دعاية ضد الوباء عن طريق النشرات ومكبرات الصوت وبتوزيع المواد المطهرة على الأهالي في المناطق المختلفة،[١٩] وكان للطلاب دور كبير في تحسن الحالة الصحية لقرى (الكفر الجديد والصالحات) أثناء انتشار وباء الكوليرا سنة ١٩٤٧ نتيجة جهودهم في نشر التوعية وتبليغ المسؤولين بما ينقص القرية من وسائل الوقاية.[٢٠]

وأما عن مشاركة الطلاب في مكافحة انتشار الأمية، فنجد أنها كانت من أبرز المجالات التي اهتمت الحركة الطلابية بالمشاركة فيها نظرًا لشدة خطورتها، فمن أهم جمعيات الخدمة العامة التي شكلها طلاب الجامعة المصرية "جمعية الطلبة لنشر الثقافة" التي شكلها الطلاب للعمل على محو الأمية بين صفوف الفلاحين في الريف وفي الأحياء الشعبية في المدن، بإقامة لجان تضم الطلبة المتطوعين الذين يقوموا بتعليم القراءة والكتابة للمواطنين كما يقوموا كذلك بإلقاء دروس في الصحة وكيفية الوقاية من الأمراض وإرشادهم إلى وسائل الزراعة الحديثة، وطرق تنظيم منازلهم، وذلك أثناء الإجازة الصيفية للطلاب، وكان شعار الجمعية "مَنْ هدم ركنًا من أركان الجهالة فقد شيد ركنًا متنًا من أركان الوطن"، ووضعت الجمعية لنفسها قانونًا أساسيًا نصت فيه على أنها لا تتعرض للمسائل السياسية أو الدينية وأن غرضها علمي بحت، وقد وضعت الجمعية لنفسها إطارًا تنظيميًا في شكل لجنة تنفيذية تكونت من طلبة الجامعة وبعض المدارس العُليا بحيث يمثل كل كلية أو مدرسة عُليا عضوان وأسندت الرئاسة الشرفية إلى الدكتور علي باشا إبراهيم (مدير الجامعة بالنيابة آنذاك).

وبداية من صيف سنة ١٩٣٣ بدأت الجمعية عملها في "مشروع القُري" في حوالي (٤٠٠) قرية عن طريق المتعلمين من الشباب – الطلبة وغيرهم – كلا في قريته، فكانوا يقومون بجمع الفلاحين ويختص كل متطوع بتعليم ١٠ من الفلاحين، وفي العام التالي ١٩٣٤ تحول المشروع إلى جمعية باسم "جمعية نهضة القري" وتكون لها مجلس إدارة من بعض الشخصيات التي أبدت تأييدها للمشروع، وتولى الدكتور علي باشا إبراهيم* رئاسة الجمعية مع بقاء رئاسة اللجنة التنفيذية لأحمد كامل (طالب من كلية الحقوق)، وتعاونت الحكومة مع الجمعية فرخصت لها باستخدام المدارس الحكومية في مختلف أنحاء البلاد وخصصت لها إعانة سنوية، ووضع العمد والأعيان لجان القرى تحت رعايتهم، وتولوا رئاستها، وتبرعوا لها

بالمال، وخصصوا لها مقرات، ورحب شيخ الأزهر مصطفي المراغي بالدعوة لنشاط الجمعية بين طلاب الأزهر.

وشهدت سنة ١٩٣٧ تأسيس "جماعة النهضة الاجتماعية" التي أسسها طلبة وأساتذة كلية العلوم، وكانت تهدف إلى جمع التبرعات من الأغنياء وتقديم الإعانات للفقراء، وأقامت سوقًا خيرية في الجامعة مرتين عرضت فيها الطالبات أشغالاً من صُنعهن، كما أقامت حفلا ساهرًا، وخصص ما جمعته الجماعة لإقامة مؤسسة لرعاية الأطفال المشردين، ونظرًا لأن الأموال التي جمعت لا تكفي لهذا الغرض، فقد تبرعت بها الجماعة لمشروع الطفولة المشردة التي كانت ترعاه محافظة الجيزة. وفي سنة ١٩٣٨ تأسست بجهود طلاب وأساتذة الجامعة "جماعة إنقاذ الطفولة المشردة"، وقد قامت بجمع التبرعات وإقامة الحفلات الخيرية، بهدف إنشاء مدرسة صناعية تضم الأطفال اليتامى وأبناء الفقراء لتعليمهم الحرف حتى لا يصبحوا عالة على المجتمع. وفي سنة ١٩٣٩ تم إنشاء جمعية خيرية أخري باسم "جماعة إنقاذ الأسر الفقيرة" بجهود طلاب وأساتذة الجامعة تهدف إلى الأخذ بيد الأسر الفقيرة، ومساعدتها حتى تستطيع النهوض بنفسها حتى يرتفع مستواها الاجتماعي.

والجدير بالذكر؛ أنه تشكلت داخل الجامعة جماعات علمية و ثقافية كان لها دور هام في إعداد كوادر علمية وثقافية هامة في النصف الأول من القرن العشرين، ومنها على سبيل المثال اتحاد الجمعيات العلمية الذي شكله طلبة كلية العلوم سنة ١٩٢٧، وأيضًا نجد جمعية الخطابة والمناظرة التي شكلها طلبة كلية الآداب سنة ١٩٢٨، وترجع أهميتها إلى أنها كانت تقيم محاضرات باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية والمناظرات بين مختلف طلبة كليات الجامعة، واشترك بالجمعية عددًا من الأساتذة بالجامعة بها مما كان يسهم في إثراء أنشطتها، ومن أهم أعلام هذه الجمعية الدكتور زكي نجيب محمود ولويس عوض.[٢١] والجدير بالذكر؛ أن الجامعة كانت تزخر بجمعيات أخرى كان لها اهتمامات نوعية متعددة (دينية وفنية ورياضية) كما كان هناك أيضًا عدد من الجمعيات الإقليمية مثل جمعيات الطلبة أبناء الصعيد، وأبناء المنوفية، وكانت لها أنشطة مختلفة داخل الجامعة وفي البلاد التي ينتمي إليها الطلاب.[٢٢]

## ثانيًا: مشاركة الحركة الطلابية في المجال الاقتصادي

يلاحظ أن الحركة الطلابية على مدار تاريخها لم تكن حركة ذات هدف واحد فقط أو أن الهدف من نشأتها كان سياسيًا فحسب، فالحركة الطلابية كان لها أنشطة متعددة سواء في المجال الاقتصادي أو الاجتماعي، فقد كان هدفها إصلاح كافة أحوال البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان للحركة الطلابية دورًا بارزًا في المجال الاقتصادي في محورين الأول دعوات دعم الاقتصاد الوطني والثاني مشروع القرش.

### ١/٢- دعوات دعم الاقتصاد الوطني:

يُعَدّ المجال الاقتصادي أبرز المجالات التي تأثرت وحدث بها تدهور كبير عقب الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢، وتأثرت نتيجة لذلك الطبقات المتوسطة والفقيرة من الشعب المصري، وكان من الطبيعي نتيجة لذلك أن تظهر دعوات لمقاطعة البضائع الإنجليزية وتشجيع المنتجات المصرية لدعم الاقتصاد الوطني، وكان لهذه الدعوات دور كبير في إثارة الرأي العام حول قضية دعم الاقتصاد الوطني، وكان من أهم فئات المجتمع التي استجابت لهذه الدعوات فئة الطلاب استكمالاً للأفكار التي نشأت أثناء ثورة ١٩١٩ والتي كانت تدعو إلى إنشاء ركائز وطنية للاقتصاد المصري حتى تستطيع أن تحل محل الأجنبية مع مرور الوقت بصفة عامة،[٢٣] وكانت بداية هذه الدعوات في أعقاب ثورة ١٩١٩ عندما قامت جمعية المدارس العُليا بإعداد كشف بأسماء التجار الإنجليز وتوزيعه على بقدر ما يمكن لإحداث أكبر قدر من الخسائر للاحتلال،[٢٤] وازداد نشاط هذه النداءات مع تولى إسماعيل باشا صدقي الحكومة عندما نادى طلاب الجامعة بمقاطعة البضائع الإنجليزية وتشجيع الصناعة المصرية، فقاموا بحرق متعلقاتهم الإنجليزية في مكان -النصب التذكاري أمام الجامعة حاليًا- ولقد بلغ الحماس عند بعضهم أن خلعوا ما يرتدونه من جاكتات، وألقوا بها وسط النيران، وكان لذلك صداه وسط الجماهير.

وقد ظهر خلال فترة الثلاثينيات من القرن العشرين عدة دعوات حول هذا الشأن كانت بديتها مع جمعية "المصري للمصري" التي أسسها سلامة موسى عندما كان طالبًا بكلية الحقوق سنة ١٩٣٠ وكانت تدعوا إلى عدم شراء السلع الأجنبية في حالة وجود ما يقابلها من السلع المصرية، وألا يتعامل التجار المصريين مع التجار الأجانب حتى يتحقق الاستقلال وتصبح مصر ملتقى المصرين جميعًا، وقد لقيت الفكرة رواجًاً كبيرًا بين مختلف فئات الشعب المصري، وتألفت للجمعية لجان في مختلف كليات الجامعة وقامت بتنظيم حملة بالصحف لنشر الوعي بالاقتصاد بين أفراد الشعب، ولكن تحت وطأة الضغط الذي كانت تقوم به حكومة إسماعيل صدقي لإسكات أصوات المعارضة تم إغلاق أكثر من عشر مجلات من التي كانت تدعم نشاط الجمعية توقف نشاط الجمعية.

وكان من بين دعوات تشجيع الاقتصاد الوطني كذلك دعوة "عيد الوطن الاقتصادي" سنة ١٩٣٣، وتكونت لهذا المشروع لجنة تنفيذية من الطلبة للدعوة وبرنامج هذا المشروع يتضمن: الدعوة للبضائع الوطنية والمساهمة في بيعها للجمهور عن طريق عمل دليل يحوي أسماء المتاجر والمصانع المصرية مع تنظيم مهرجان تعرض فيه البضائع الوطنية، وتتجول هذه المهرجانات في أنحاء القاهرة بعد أن تنتظم في مكان خاص حيث يقام المهرجان، ثم اتسع نطاق المشروع فتم تخصيص برنامج إذاعي للدعوة لنشر الصناعات الوطنية التي سيقوم المتطوعون ببيعها أثناء أيام العيد الثلاثة، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهت المشروع وكان منها على

سبيل المثال اعتراض الأمن العام والقلم السياسي على إقامة المشروع في يناير ١٩٣٤، ومنع سير المواكب في الشوارع وأيضًا أصدرت وزارة المعارف منشور إلى نظار المدارس بوجوب استدعاء أولياء أمور الطلاب لاستكتابهم تعهدات بمنع الأبناء من الاشتراك في فعاليات المشروع بحجة أنه يحض على كراهية الأجانب، وتم بالفعل "مهرجان عيد الوطن الاقتصادي"، بإدارة المعارض خلال خمس أيام من ٨ إلي ١٢ يناير ١٩٣٥.

وكان من بين الدعوات التي قام بها الطلاب كذلك "بيت الطلبة للمنتجات المصرية" الذي كان قائم على تبرعات الطلاب من أجل توفير المكان اللازم لقيام التجار المصرين منتجاتهم المصرية، وقام الطلاب بدعوة التجار والمنتجين الوطنين وأصحاب المصانع المصرية لاستئجار أماكن لهم ببيت الطلبة لعرض منتجاتهم المصرية لتباع لحسابهم، وقام أيضًا طلاب كلية الحقوق بتشكيل لجنة للترويج للمنتجات المصرية والدعوة لها بين طبقات الأمة. ومما يبرز أهمية دعوات تشجيع الصناعة الوطنية والاقتصاد بين العامة في هذه الفترة إنها لم تلقي أي نوع من الدعم الحكومي، بل كان يتم محاربتها أثناء حكومة إسماعيل صدقي باشا فكانت تتعرض للتضييق من جهة، ومن جهة أخرى كان يتم التقليل من شأنها والسخرية منها على صفحات جريدة الشعب الموالية لرئيس الحكومة، ومن هذا ما نشرته الجريدة بتاريخ ٦ مارس ١٩٣٣ "هل يمكن لمصر أن تقاوم عناد الإنجليز... وأن تصمد في ميدان هذا المضمار أم تكون مقاطعة البضائع الإنجليزية في الظاهر فحسب".[٢٥]

### ٢/٢- مشروع القرش:

يُعَدّ مشروع القرش النموذج لمشاركة الحركة الطلابية في الحياة العامة في مصر، فالفكرة بدأت على يد مجموعة من الطلاب لتصبح مشروعًا قوميًا يستفيد منه كافة فئات الشعب المصري، وقد بدأت الفكرة على يد ثلاثة من طلاب كلية الحقوق هم (أحمد حسين – فتحي رضوان – كمال الدين صلاح) وبالتجديد كانت البداية عندما شاهد أحمد حسين أثناء رحلته إلي فرنسا سنة ١٩٣٠ وشاهد في حدائق "التوليري" تمثال ضخم لأحد رجال التربية كتب على قاعدته "بُني هذا التمثال باكتتاب اشترك فيه أكثر من مليوني طفل "دفع كلاً منهم "سو" وهي عملة تقرب من المليم... وأعجب أحمد حسين بالفكرة، وعقد النية على أن ينادي بتطبيق الفكرة في مصر عند عودته لتكون نواه لمشروع قومي يشارك فيه جميع أفراد الشعب، ووضع الحد الأدنى للمساهمة قرشًا واحدًا، ومن هنا سمي مشروعة بـ "مشروع القرش"، وعندما عاد إلى مصر عرض الفكرة على أصدقائه (فتحي رضوان – كمال الدين صلاح) فشجعاه وقرروا القيام بالدعاية اللازمة للمشروع، وكانت أولى الصحف التي قامت بالدعوة للمشروع "الأهرام" ثم حذت حذوها باقي الصحف غير الوفدية الأخرى في القيام بحملات دعائية للمشروع،[٢٦] فضلاً عن المؤتمرات الطلابية التي كان يخطب فيها أحمد حسين لتحميس الطلاب المواطنين للتبرع للمشروع.[٢٧]

ولم يقتصر العمل في المشروع على شباب الجامعة والحركة الطلابية بصفة عامة، بل اشترك فيه عدد من أساتذة الجامعة وكان على رأسهم الدكتور علي باشا إبراهيم -عميد كلية الطب في ذلك الوقت- الذي قام بتخصيص طابقًا من عيادته ليكون مقرًا للمشروع إلى أن تمكنت الجمعية من تدبير مقر دائم لها،[٢٨] ثم تم بعد ذلك تشكيل اللجنة التنفيذية للمشروع برئاسة الدكتور علي باشا إبراهيم، وضمت اللجنة من أساتذة الجامعة كلاً من الأستاذ عبد الله العربي الأستاذ بكلية الحقوق، والأستاذ علي حسن الأستاذ بكلية الطب (وكيلين)، والدكاترة مصطفى مشرفة، وعبد الرازق السنهوري، وعلي بدوي، وزكي عبد المتعال، والأستاذ أمين الخولي (مراقبين)، وعدد من الطلاب كان من بينهم على سبيل المثال: (نعيمة الأيوبي، وكمال الدين صلاح، وفتحي رضوان، وأحمد حسين) عن كلية الحقوق، وإبراهيم عبدة، ومحمد زكي عن (كلية الآداب)، وصالح عوضين، وحسين حافظ عن (كلية التجارة)، ومدحت عاصم عن (كلية الزراعة)، وقد تولى داوود بك راتب أمانة الصندوق، وأسندت أعمال السكرتارية إلى كلاً من أحمد حسين، وسيد فتحي رضوان، ومدحت عاصم، واتخذت الجمعية من نادي الجامعة في ميدان الأوبرا مقرًا لها، وقد كان من أهم البنود التي تضمنتها لائحة المتطوعين "ألا يترك مصريًا واحدًا دون أن يدفع ما عليه من القروش وعليه أن يقنع الذين يأبون الدفع".[٢٩]

وبعد الانتهاء من التنظيم الإداري للجمعية، اتسع نشاط الدعاية للمشروع في الصحف فضلاً عما كان يقوم أحمد حسين به من إلقاء الخطب في الأماكن العامة ومنها على سبيل المثال دور السينما في فترات الاستراحة، ثم رأى أحمد حسين أنه لضمان نجاح المشروع لابد من استشارة رجال الاقتصاد. وفي نفس الوقت للحصول على تأييدهم لفكرته فسعي لمقابلة طلعت باشا حرب وعرض عليه الفكرة، ولكن لم يؤيد الفكرة، ولكن عندما تولى علي باشا إبراهيم رئاسة اللجنة التنفيذية للمشروع تبدل موقف طلعت باشا حرب، وأبدى استعداد بنك مصر لتقديم أية تسهيلات ممكنة، و بذلك شملت كافة فئات المجتمع الدعاية للمشروع واتخذت اللجنة التنفيذية شعار الدعية للمشروع هو "تعاون وتضامن في سبيل الاستقلال الاقتصادي"، وقد تحدد اليوم الأول من شهر فبراير سنة ١٩٣٢ موعدًا لبدأ الاكتتاب للمشروع وبلغت حصيلة التبرعات للمشروع في العام الأول (٣٣٢,١٧ جنيه)، وقد كان هذا المبلغ مخيبًا لطموحات أحمد حسين الكبرى- على الرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التي كان يمر بها الاقتصاد المصري سنة ١٩٣١ بسبب انخفاض أسعار القطن-، فتم التفكير في الخطوة التالية وهي أن يتحول مشروع القرش إلى جمعية وفقًا لقانون الجمعيات، فتولى رئاستها علي باشا إبراهيم وضمت عضويتها كلاً من: فؤاد باشا أباظة مدير الجمعية الزراعية الملكية، ومصطفي بك الصادق مدير مصلحة الصناعة والتجارة، وتولى أحمد حسين أعمال السكرتارية للجمعية.

وبعد أن أكتسب الجمعية الصبغة القانونية وأصبح لها مجلس إدارة يضم عددًا من الفنيين، بدأ التفكير في نوع المنشأة التي ستقوم الجمعية بإنشائها وأستقر الرأي على إنشاء مصنع للطرابيش، حيث أن إسماعيل باشا عاصم قد أنشأ في السابق مصنعًا للطرابيش، ولكنه تعرض للمحاربة من شركة نمساوية خفضت الأسعار إلى أقصى درجة ممكنة، مما أدى إلى قيامه بإغلاق المصنع، فبالتالي العمال اللازمين لتشغيل المصنع موجودون بالفعل، ثم تم إجراء دراسات مبدئية حول إمكانية إقامة المصنع بالمبلغ الذي تم جمعه من الاكتتابات في العام الأول، فقدمت حكومة إسماعيل صدقي قطعة الأرض اللازمة للمشروع دون مقابل، كذلك كلفت الحكومة مهندسي مصلحة المباني وخبراء مصلحة الصناعة والتجارة، ومصلحة الكهرباء بتقديم كافة المساعدات الممكنة لإتمام عملية البناء طبقًا للرسومات الموضوعة للمشروع، وكذلك قامت مصلحة السكك الحديدية بتقديم خصم قدرة (٥٠%) لمتطوعي المشروع، فقامت الجمعية بالاتصال بمحمد حسن العبد بك المقاول لتنفيذ المشروع، فتنازل عن مبلغ ألف من قيمة المباني تبرعًا من جانبه للمشروع، وأقيم المهرجان الثاني للقرش سنة ١٩٣٣ في حديقة الأزبكية. وفي نهاية سنة ١٩٣٣ تم الانتهاء من بناء المصنع وبدأ الطربوش المصري يطرح في الأسواق ابتداءً من ١٥ ديسمبر ١٩٣٣، وقد ضم المصنع فيما بعد إلى جانب إنتاج الطربوش غزل الصوف، وشارك في توريد غزل الصوف إلى وزارة الحربية والطرابيش لجنود حرس الحدود،[٣٠] وكانت البلاد قبل تأسيس المصنع تستورد الطرابيش الأجنبية بما قيمته (٧٩٠٠٠) جنيه سنويًا، فأخذ هذا المبلغ يقل حتى وصل في سنة ١٩٣٩ إلى ٦٠٠ جنيه فقط.[٣١]

والجدير بالذكر؛ أن دور الحركة الطلابية في المجال الاقتصادي لم يقتصر على دعوات دعم الاقتصاد فحسب، بل كان للحركة الطلابية دورًا في تحسين أحوال الفئات التي سوف ينتموا إليها بعد تخرجهم من الجامعة، ومن ذلك ما قام الإضراب الذي قام به طلاب كلية التجارة سنة ١٩٣٥ عندما أعلنت مصلحة الصحة العمومية عن تخفيض مرتبات خريجي التجارة. وفي سنة ١٩٣٦ قامت مظاهرات طلاب مدرسة الفنون والصنائع وطلاب مختلف المدارس الفنية، وقاموا بتشكيل لجنة منهم لعرض مطالبهم حول المستقبل الوظيفي والتعليم العالي على البرلمان،[٣٢] وما قام به طلبة قسم التاريخ في كلية الآداب و(٨٠ طالبًا) آخر من كلية الآداب من الإضراب سنة ١٩٤١ بسبب إعلان وزارة المعارف عن عدم تعيين غير الثلاثة الأوائل من الخريجين وما عداهم فعليهم العمل بالمدارس الحرة لمدة سنتين، ثم يدخلون مسابقة لاختيار الأوائل بقدر الأماكن الخالية، ويضرب طلبة كلية الزراعة سنة ١٩٤٢ ويقدمون مذكرة تتضمن مطالبهم بمساواتهم بخريجي الكليات الأخرى وتعيين الفنيين منهم بالدرجة السادسة.[٣٣]

## ثالثًا: مشاركة الحركة الطلابية في المجال السياسي

ترجع جذور الحركة الطلابية في مصر إلي القرن الثامن عشر -كما سبق أن ذكرنا- ، فالطلبة المصريون يمثلوا شريحة كبيرة من المجتمع المصري وتعود أهميتهم إلى أن الحركة الطلابية كانت بمثابة الهيئة المنظمة الوحيدة في ظل عدم تمثيل الأحزاب لكافة الشعب المصري بصورة حقيقية. بالإضافة إلى أن الوضع الاجتماعي للطلاب كان يدفعهم إلى العمل السياسي أملاً في تحسين أوضاعهم بالمقارنة مع من أبناء الأغنياء الذين تتاح لهم فرصة الدراسة في جامعات لندن وباريس، فتتاح لهم فرصة الوصول إلى المناصب العُليا في البلاد على عكس هؤلاء الذين يدرسوا في بلادهم الذين كان غالبيتهم من الطبقة الوسطى، والبعض من عائلات فقيرة للغاية تعاني الصعوبات في سبيل إكمال دراستها، وعندما ينتهوا منها لم يكن ضمان بأنهم سوف يلتحقون بعمل مناسب بسبب مزاحمة الأجانب لهم، وحتى إذا حصلوا على الوظيفة لم يكن هناك سبيل للترقي في ظل الاحتلال وأبناء الطبقات العليا مما جعل هذا القطاع بمثابة تربة خصبة لزراعة جذور الوطنية وكراهية الاحتلال،[٣٤] الأمر الذي أدى إلى ارتباط أعداد المشاركين في أي احتجاج ضد الاحتلال أو سياسات حكومية مرتبط بأعداد المشاركين من طلبة الجامعة المصرية -جامعة القاهرة- وطلبة الأزهر.[٣٥]

وأما عن الدور السياسي للحركة الطلابية بعد الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢، فنجد أن بدايته المنظمة كانت مع إصدار مصطفي كامل لجريدة (المدرسة) سنة ١٨٩٣ والتي كان أهم أهدافها رفع الروح الوطنية عند الشباب بصفة عامة والطلاب بصفة خاصة، ثم نادي المدارس العُليا سنة ١٩٠٦ فكان ذلك خطوة أولى لتوحيد الحركة الطلابية،[٣٦] ففي العام نفسه في شهر فبراير عندما قامت وزارة العارف العمومية وضع نظام دراسي يهدف إلى إبعاد الطلاب في مدرسة الحقوق عن المشاركة في الحركة الطلابية قرر طلاب جميع المدارس العليا الاعتصام بعد أن قام الطلاب بعقد اجتماع ضم (٢٧٥) طالبًا من مختلف المدارس العُليا في حديقة الأزبكية وقرروا الاعتصام والامتناع عن دخول المدارس حتى تتحقق مطالبهم التي قدموها للمسؤولين عن المدارس العُليا، وتم انتخاب لجنة من الطلاب للتفاوض مع مدرسة الحقوق أسموها "اللجنة العامة للمدارس العُليا"، الأمر الذي أدى إلى تراجع الوزارة عن إجراءاتها، ثم في سنة ١٩٠٨ تظاهر طلبة كلية الحقوق بسبب عرض جيش الاحتلال في ميدان عابدين، وشهد سنة ١٩٠٨ بالإضافة إلى ذلك زيارة وفد من الطلبة الرومانيين وفي فعاليات الزيارة التي نظمها لهم الطلبة المصريون أصطف الرومانيون لينشدوا نشيدهم الوطني فتوقف الطلاب المصريون عند حقيقة أن ليس لهم نشيدًا وطنيًا، ولجئوا إلى الشيخ علي الغاياتي فصاغ نشيدًا مصريًا، ولكن الاحتلال البريطاني منع ترديد النشيد وتم القبض على الشيخ الغاياتي بسببه.[٣٧]

ونظم الطلاب موكب الذكرى الأولى لوفاة مصطفى كامل في فبراير ١٩٠٩، وفي شهر مارس من العام نفسه قامت مظاهرات طلابية للاحتجاج على تقييد الصحافة وإعادة قانون المطبوعات. وفي سنة ١٩١٠ اشترك الطلاب أيضًا في المظاهرات المعارضة لمشروع مد امتياز قناة السويس، وشهر مارس من العام نفسه قام الطلاب بمظاهرات للاحتجاج على خطبة الرئيس الأمريكي المناصرة للاحتلال البريطاني لمصر، وشهدت سنة ١٩١٠ و١٩١١ مظاهرات طلابية مطالبة بالدستور.[٣٨] وبعد قيام الحرب العالمية الأولى، ثم فرض الأحكام العرفية، وتأجيل انعقاد الجمعية التشريعية، وإعلان الحماية، تحولت المدارس العُليا إلى ساحة اجتماعات سياسية ومناظرات تدور حول مدى الضعف الذي وصل إليه الحكم في مصر، وكان من نتائج ذلك أنه عندما قرر السلطان حسين كامل القيام بزيارة اتفق غالبية الطلاب على الامتناع عن الحضور في اليوم المحدد للزيارة (١٨ فبراير ١٩١٥) وتغيبوا بالفعل عن الحضور يوم الزيارة، فكان هذا الإضراب بمثابة مظاهرة احتجاج على الحماية والاحتلال.[٣٩]

وقد بحثت الوزارة في أمر تغيب الطلاب، وقامت بإجراء تحقيقًا لمعرفة المسئول عن ذلك، وقررت توقيع العقوبات على مَنْ تثبت إدانتهم، وبالفعل تم فصل (٥٤) طالبًا كان منهم مَنْ شغل منهم فيما بعد مراكز مرموقة في عالم القانون أو السياسة، ومنهم على سبيل المثال نذكر: (محمد صبري أبو علم، محمد فكري أباظة)، وحرمان (١٣) طالبًا من امتحان آخر سنة ١٩١٥، وحرمان (١٨) طالبًا آخر من امتحان آخر السنة مع إيقاف التنفيذ، وقد صدر في مارس عفو سلطاني عن الطلبة المفصولين والمحرومين من الامتحان عدا (١٧) طالبًا الذين أثبتت التحقيقات أنهم كانوا المحرضين لزملائهم، وفي السنة الدراسية التالية تم العفو عنهم.[٤٠] ونجد أنه أيضًا قد شارك طلبة المدارس الثانوية في حملة الحزب الوطني لإقامة برلمان في مصر، وعندما تم إعلان الحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤ كانت كل مدرسة في مصر مركزًا للدعاية ضد الاحتلال والحماية على مصر،[٤١] وعلى هذا النحو نجد أنه عندما اندلعت ثورة ١٩١٩ كان الطلبة مهيئين للمشاركة في دعم الثورة والمشاركة الفعالة في أحداثها.

**١/٣- دور الحركة الطلابية في ثورة ١٩١٩:**

يبدأ دور الحركة الطلابية في دعم ثورة ١٩١٩ منذ البداية، فالطلبة هم مَنْ تولوا الجزء الأكبر في عملية جمع التوكيلات للوفد المصري، وقبل تلك العملية كان الوفد مجرد تجمع لقادة سياسيين ليس لهم صلة بالشعب، ومن ثَمَّ فقد جاءت مشاركة الطلبة لتمنح الثورة طابعًا شعبيًا مميزًا،[٤٢] كان طلاب مدرسة الحقوق أول مَنْ بادر برد الفعل الشعبي عقب اعتقال سعد زغلول ورفاقه، حيث امتنعوا عن حضور دروسهم واجتمعوا في فناء المدرسة، وأعلنوا إضرابهم على الرغم من نصائح مستر والتون ناظر المدرسة لهم بالعودة لاستكمال دراستهم، ثم استعانته بنائب المستشار القضائي البريطاني لوزارة الحقانية الذي طلب من الطلاب الالتفات لدروسهم، وترك السياسة لآبائهم، إلا أن الطلاب لم يستجيبوا لتلك النصائح وكان ردهم "إن آبائنا سُجنوا لذا ندرس القانون في بلد يداس فيها القانون".[٤٣] وبدأت المظاهرات السلمية لطلبة مدرسة الحقوق في يوم الأحد الموافق ٩ مارس ١٩١٩ ثم توجهوا إلى مدرسة المهندسخانة، وبعدها إلى مدرسة الزراعة، ثم وصل المضربون إلى مدرسة الطب في شارع قصر العيني، فخرج طلبتها معهم، ثم إلى مدرسة التجارة، وفي الطريق انضم إليهم طلبة مدرسة التجارة المتوسطة ودار العلوم، ومدرسة القضاء الشرعي والإلهامية الثانوية.

وفي يوم ١٠ مارس أضربت كل المدارس، وبدأت المظاهرات الطلابية التي انضم إليها أفراد الشعب،[٤٤] وأوضح دليل على ضخامة مشاركة الحركة الطلابية في الثورة هو أنه قد بلغ عدد المعتقلين من الطلاب بعد أحداثها في اليوم الأول قد بلغ (٣٠٠) طالب تم سجنهم في سجن القلعة.[٤٥] ولم تقتصر مشاركة الطلاب في الثورة على طلاب المدارس الثانوية والعُليا بل امتدت إلى الأزهر سواء الطلاب أو المشايخ، فقد أنشأ طلاب الأزهر جهازًا بوليسيًا لحفظ المظاهرات التي كانت تجوب القاهرة، وعندما أراد الإنجليز ضرب الأزهر بالمدافع تصدى لهم الطلاب، فسقط منهم الكثير من الشهداء، وقد شملت المظاهرات كذلك طلاب مدرسة البوليس الذين خرجوا في مظاهرات لمشاركة زملائهم الطلاب وإظهار مشاعرهم تجاه وطنهم،[٤٦] ثم شملت الإضرابات جميع أنحاء البلاد، فأضرب المحامون في (١١ مارس)، وعمال عنابر السكك الحديدية والترام في (١٥ مارس)، ثم أضرب موظفو الدولة عن العمل، وبذلك توقف الحياة في البلاد.[٤٧]

وفي أثناء ثورة ١٩١٩، كانت الساحة الصحفية تخلو أو تكاد من الصحف الوطنية نتيجة لتعسف وبطش سلطات الاحتلال، مما دفع الثوار إلى وسيلة صحفية جديدة لنشر آرائهم وهي إصدار صحف مقاومة تتخذ شكل النشرات والكتيبات، وكلما كانت تنتبه السلطات إلى إحدى هذه الصحف وتصادرها سرعان ما كان يصدر غيرها، وأشهر تلك الصحف (الطلبة - الرعد- البلابل).[٤٨] وأما عن موقف الصحافة من دور الطلاب في ثورة ١٩١٩، فنجد أن صحف الاحتلال على رأسها (المقطم، والوطن)[*] قد أدانت المظاهرات التي تصدرها الطلبة، ونفت عنها أي بواعث وطنية وحاولت قدر المستطاع تهميش دور الحركة الطلابية، أما صحف (الأهرام- المحروسة- الأفكار- المنبر-الأهالي- وادي النيل- مصر)، فقد فرقت بين التظاهر السلمي وأعمال العنف، ونصحت الجميع بالهدوء، وعندما صدر بلاغ السلطة العسكرية يوم (١١ مارس) في محاولة لاستمالة الطلبة بتبرئتهم من أعمال العنف ونسبتها إلى "الرعاع" قامت (المقطم، والوطن)، والصحف الأجنبية الصادرة في مصر بتعديل موقفها ليتماشى مع رأي سلطات الاحتلال، وقامت بتبرئة الطلبة من أعمال العنف، ويذكر أن الطلبة كانوا يلجئون إلى

الصحف لتوضيح موقف أو تكذيب نبأ، وكانت الصحف تقوم بدورها كامل في هذا المجال.(٤٨)

والجدير بالذكر؛ أن سلطات الاحتلال لم تنس مدى فعالية الحركة الطلابية في إشعال الثورة، وكانت الامتحانات الدراسية هي الفرصة الوحيدة التي كان ينتهزها الإنجليز للانتقام، ومن ذلك على سبيل المثال ما تعرض له فكري أباظة أثناء دراسته في كلية الحقوق، ولم يقتصر الاضطهاد على الطلبة في مصر، بل شمل أيضًا زملاءهم الذين كانوا يدرسوا في إنجلترا، فقد تعرضوا للتضييق الشديد، بل وطالب أحد أعضاء البرلمان الإنجليزي بطرد الطلبة المصريين من الجزر البريطانية، وقد تعرض فكري أباظة لهذا الموضوع في عدة مقالات من بينها مقال بعنوان "يوم الحساب".(٤٩)

ويذكر أن دور الحركة الطلابية الفعال في الثورة قد لفت انتباه قيادة الوفد، وبصفة خاصة سعد زغلول، فقد قام بتوجيه معاونيه لأهمية الاعتماد على الطلبة، وتم السماح لهم بالاجتماع في بدروم بيت الأمة لتكون القيادة الطلابية قريبة من قيادة الوفد، ومن أبرز مظاهر إدراك الوفد في هذه المرحلة لدور الحركة الطلابية ما جاء في إحدى النشرات التي وزعت لمقاطعة لجنة ملنر التي جاء فيها: "عليكم أنتم أيها الطلبة تعتمد أمتكم والوفد..."،(٥٠) وعندما جاءت لجنة ملنر وجدت مجموعات من الطلاب الذين نظمهم عبد الرحمن فهمي تقوم بمقاطعة ومحاصرة شاملة لأعمال اللجنة، وهذه المقاطعة التي كانت الحركة الطلابية الداعم الأساسي لها كانت بمثابة استفتاء على زعامة سعد زغلول ومنحته القدرة على مواصلة مواقف أكثر صلابة أثناء المفاوضات في باريس،(٥١) ولهذا خصص لهم مقعدًا في مجلس النواب الأول سنة ١٩٢٤ يكون وقفًا عليهم، ورشح له الأستاذ حسن يس زعيم الطلبة، وظل الوفد على ذلك رمزًا لتلك الفكرة.(٥٢)

ولم يتوقف دور الحركة الطلابية في العمل السياسي عند المشاركة في الثورة فحسب، فعندما صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ لم يفوت الطلاب أي فرصة ممكنة لإعلان الاحتجاج عليه، فقد أضرب طلاب بعض المدارس في القاهرة، كما أضرب طلاب الأزهر في ١٣ مارس ١٩٢٢ وقاموا بإخراج مَنْ رفض الإضراب في جامع محمد بك أبو الدهب المجاور للأزهر، ولم تقتصر الاحتجاجات على القاهرة فحسب، بل تظاهر طلاب الأقاليم أيضًا. وفي احتفالات عيد الجهاد لسنة ١٩٢٢ أعلن الطلاب عدم اعترافهم بتصريح ٢٨ فبراير، وأن وزارة عبد الخالق ثروت لا تمثل البلاد، وفي ذكرى إعلان الحماية البريطانية على مصر أضرب الطلاب في جميع المراحل التعليمية بما فيهم الأزهريون. وعندما تم نفي سعد زغلول للمرة الثانية لم تتوقف الاحتجاجات الطلابية على هذا الأمر، وكانت العلاقة بين الطلبة وسعد زغلول مستمرة دائمًا بالبرقيات المتبادلة، فقد كان يؤكد الطلاب فيها على أنهم على العهد، وكانوا يحيون فيه روح التضحية ومبادئه العالية، وشاركت الطالبات إلى جانب الطلبة والأزهر والمدارس الدينية والأميرية بجميع مراحلها، ومنها على سبيل المثال: طالبات مدرسة مصر الفتاة الابتدائية في الإسكندرية، وتلميذات مدارس محلة مرحوم والقرشية، وبالتأكيد نتيجة لهذا الموقف تعرض الطلاب لوسائل العنف والضغط والقهر من قبل السلطات الحاكمة، ولكن هذا لم يثني عزيمة الطلاب التي كان نتاجها الإفراج عن سعد زغلول في ٢٧ مارس ١٩٢٣.(٥٣)

ويستمر الاحتجاج الطلابي على سياسات الحكومات المتوالية التي كانت تهدف إلى قمع الحريات وتتخذ مواقف سلبية ضد الاحتلال، فعندما قامت حكومة محمد محمود باشا في سنة ١٩٢٨ بتعطيل الحياة البرلمانية كان الطلبة في طليعة القوى المعارضة لها؛ لذلك أصدر محمد محمود باشا قانون "حفظ النظام" في معاهد التعليم والذي ينص على العقوبة بالحبس مدة لا تتجاوز ٦ أشهر أو بغرامة من (٢٠ إلى ٥٠ جنيهًا) لكل مَنْ استعمل القوة أو العنف أو الإرهاب أو التهديد أو المناورات أو الأعطية لدعوة تلاميذ وطلبة المدارس والكليات، أو غيرها من معاهد التعليم إلى القيام بمظاهرات أو الامتناع عن الدروس أو مغادرة معاهد التعليم، أو الانقطاع عنها، أو إلى تأليف لجان أو جماعات سياسية للطلبة،(٥٤) حتى يصل الأمر لذروته في عهد حكومة إسماعيل صدقي الأولى، فمنذ ١٩ يونيو ١٩٣٠ عندما قام بإلغاء الدستور ثم إلغاء البرلمان ذو الأغلبية الوفدية قام الطلاب بالتظاهر في المدارس والجامعة، وقُتل وجرح الكثير منهم لاسيما في القاهرة والإسكندرية وغيرهما من المدن. وتعرض الطلاب بسبب موقفهم من حكومة صدقي لكثير من التعسف، فعلى سبيل المثال: تم فصل ثلاثة من طلبة مدرسة وقف المنشاوي لاتهامهم بقيادة مظاهرة بعد انصرافهم من المدرسة، كما تم القبض على إحدى تلميذات مدرسة غيط العنب في الإسكندرية لهتافها للنحاس، كما تم منع ما اعتزم الطلاب به من مظاهرات صامته احتفالاً بذكرى وفاة مصطفى كامل.(٥٥)

وعندما تولى إسماعيل صدقي باشا الحكومة، استمرت السياسات القمعية التي كان من أبرز ملامحها تعطيل البرلمان، وإلغاء دستور ١٩٢٣، وكان من ضمن الإجراءات المصاحبة تبني الحكومة وتوجيه إدارة الجامعة إلى تبني سياسة دعم النشاط الاجتماعي في الجامعة وتشجيعه لتوجيه اهتمام الطلاب بعيدًا عن العمل السياسي،(٥٦) وعندما تم تقرير إلغاء دستور ١٩٢٣ تم اختيار الوقت الذي كان الطلاب فيه في إجازة الصيف متفرقين في القرى والمدن حتى يتم تفادي المظاهرات والاحتجاجات الطلابية، وعند عودة العام الدراسي تكون الحكومة قد اتخذت كل احتياطاتها وأعدت الوسائل الكفيلة بمواجهة الطلاب.(٥٧) وعندما تم تشكيل حكومة توفيق نسيم باشا في ١٥ نوفمبر ١٩٣٤ كانت الدلائل تشير إلى أن أهم أهداف الحكومة القضاء على النظام الذي أقامه صدقي باشا ١٩٣٠، وبالفعل تم إلغاء الشق الأول منه وهو البرلمان الذي تم انتخابه عقب دستور ١٩٣٠ وفقًا للأمر الملكي الذي صدر في ٣٠ نوفمبر ١٩٣٤ بحل البرلمان، ولكن بقي النصف الثاني وهو إعادة دستور ١٩٢٣، وبعد مرور خمس أشهر من الترقب

والانتظار الشعبي والحزبي لقرار نسيم باشا بشأن عودة دستور ١٩٢٣، وبالتحديد في ١٧ أبريل تقدم نسيم باشا بمذكرة إلى الملك يقترح فيها إعادة العمل بدستور ١٩٢٣ بعد إجراء تعديلات عليه، أو وضع دستور جديد، ولكن كان رد الملك في ٢٠ أبريل هو رفض عودة دستور ١٩٢٣ فذهب توفيق نسيم باشا إلى المندوب السامي البريطاني ليطلعه على الوضع، فأمر بكتمان الأمر وسأل نسيم باشا عن مدى مقدرته على إقناع الملك بعدم التعنت منعًا لانفجار الموقف مما يضر بالمصالح البريطانية، بل وذهب تفكير الحكومة البريطانية في حال تأزم الوضع لأن يتم فرض الوصاية على الملك في حياته.

واستمر الوضع كما هو في الشهور التالية من حيث الغضب الشعبي والسياسي من تجاهل عودة دستور ١٩٢٣، وتحولت الجامعة والمدارس العُليا إلى ساحات للنقاش حول الأمر، وكان من نتائج ذلك أيضًا تهديد النحاس باشا في ١٩ أكتوبر بسحب الثقة من حكومة توفيق نسيم باشا وإعلان التحدي لها إذا لم تقوم بإعادة دستور ١٩٢٣ والشروع في البدء بمفاوضات مع الإنجليز لعقد معاهدة، ولكن جاءت تصريحات وزير الخارجية البريطاني (صمويل هور) في ٩ نوفمبر التي ذكر فيها أن حكومة نسيم باشا استشارته في موضوع الدستور، فقال بعدم إعلان دستور للبلاد، وقال أن دستور ١٩٢٣ غير صالح للعمل، وأن دستور ١٩٣٠ لا ينطبق على رغبات البلاد، والحكومة ما كان ينبغي لها أن تستشير إنجلترا في أمر داخلي كعودة العمل بدستور ١٩٢٣، كما ذكر أن الحكومة تركت لبريطانيا استغلال موانئ ومطارات مصر لإنهاء أي أمل في دور وطني لحكومة توفيق نسيم باشا، وقام النحاس باشا في ١١ نوفمبر بإلقاء خطبة تناول فيها مواقف ضعف الحكومة وطالب بإقالتها،[٥٨] وأعلن مقاطعة التعامل مع الإنجليز،[٥٩] وكذلك وصف محمد محمود باشا حكومة توفيق نسيم باشا بأنها "مكتب موظفين ملحق بدار المندوب السامي البريطاني".

**٢/٣- دور الحركة الطلابية في الانتفاضة الوطنية سنة ١٩٣٥:**

يبدأ دور الحركة الطلابية لمواجهة تصريح هور ومواقف حكومة توفيق نسيم باشا في ١٣ نوفمبر، حيث توافد الطلبة على الساحة الجامعية وأقاموا منبرًا للخطابة، وانضم إليهم ممثلين عن جميع الكليات والمدارس العُليا والثانوية، وكان من بينهم طالبات كلية الآداب وألقت إحداهن كلمة حماسية،[٦٠] وأعلنوا رفضهم لتصريح هور وقرروا الخروج إلي بيت الأمة وضريح سعد زغلول، وانضم إليهم في الطريق طلبة كلية الطب البيطري، وكلية الزراعة، ومدرسة السعدية، وعند بداية كوبري الخديوي إسماعيل– الجلاء حاليًا- اعترضهم قوة البوليس وأخذوا يضربوهم بالعصى والهراوات، فتفرق الطلبة ولكنهم ما لبثوا أن أنضم إليهم عدد آخر، وانتشرت المظاهرات في أنحاء البلاد ففي القاهرة نجد على سبيل المثال: مظاهرات مدرسة التجارة العُليا، والمدارس العُليا والتي نتج عنها إصابات عدد كبير من الطلاب، والقبض على (١٨) طالب من طلبة الطب والتجارة،[٦١] بالإضافة إلي وفاة الكثير من الطلاب. وكانت قوات الاحتلال ترفض خروج جثث الضحايا، مما دفع طلاب كلية طب قصر العيني إلى تهريب الجثث لأهلها من المشرحة ليشيعوا جنازاتهم، مما كان يلهب حماس زملائهم لمواصلة التظاهر،[٦٢] فكانت جنازات الشهداء بمثابة دافعًا للطلاب لاستكمال التظاهر ومن أبرزها جنازة الطالب محمد عبد الحكم الجراحي الذي توفي في ١٩ نوفمبر، وقام طلبة كلية الطب بمنع خروج الجنازة حتى حصلوا على تصريح بخروج جنازة شعبية، واشترك فيها أعداد غفيرة وشارك في الجنازة كذلك زعماء سياسيين كان من بينهم النحاس باشا، ومحمد محمود باشا، وغيرهم من الزعماء السياسيين.[٦٣]

وتصدر حكومة نسيم في ١٧ نوفمبر بيانًا رسميًا جاء فيه: "تلفت الحكومة نظر الجمهور إلي أن المظاهرات بجميع أشكالها ممنوعة، وأن البوليس سيعمل على تفريق كل مظاهرة وكل اجتماع غير مصرح بإقامته" مما أدى إلى تصعيد الموقف.[٦٤] أما في الأقاليم فقد قام طلاب المدارس الثانوية بالإضراب، وخرجت المظاهرات، وكان أشدها في طنطا حيث خرج طلبة كافة المدارس وتم مواجهة المظاهرات بالعنف فكان نتيجة ذلك مقتل طالبان وإصابة (٨٠) آخرين، وأرسل طلاب مدرستي الزقازيق الثانوية وفؤاد الأول الثانوية في الشرقية تلغرافات احتجاج إلى رئيس الوزراء يحتجون فيها على تصرفات رجال البوليس ضد زملائهم،[٦٥] ثم في اليوم الثاني للمظاهرات (١٤ نوفمبر) يصدر مدير الجامعة أحمد لطفي السيد قرارًا بتعطيل الدراسة في الجامعة وإغلاق نادي الجامعة، ثم يصدر شيخ الأزهر قرار بتعطيل الدراسة في الأزهر بعدما قرر طلبة الأزهر الاشتراك في المظاهرات وذلك عقب إضراب الطلاب ومغادرتهم معاهدهم إلى ميدان عابدين لمشاركة طلاب الجامعة في الاحتجاجات.

وأصدرت الحكومة قانونًا يمنع الصحف من نشر أخبار المظاهرات، ولكن على الرغم من ذلك نشرت الصحف حوادث عن المظاهرات والاضطرابات في الأقاليم على سبيل المثال: في شبين الكوم، والزقازيق، والمنصورة، والإسكندرية، وبورسعيد، وغيرها من المدن. وأرسل طلبة الجامعة المصرية برقية باللغة الفرنسية لعصبة الأمم شرحوا فيها أن سبب الإضراب الذي يقوموا به هو الاحتجاج على تصريح هور الذي أضاع استقلال مصر الذي اعترفت به بريطانيا في تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، على الرغم من أن هور نفسه في إحدى خطبة في عصبة الأمم قال بحق كافة الأمم في الاستقلال وإقرار نظام الحكم الموافق لظروفها.[٦٦] وعندما وصلت أخبار ما يحدث في مصر إلى الطلبة المصريين في أوربا انتفضوا بدورهم، فقاموا من جهة بإرسال برقيات للطلبة في مصر يواسوهم ويعلنوا مشاركتهم معهم في الجهاد، ومن جهة أخرى بعثوا ببرقيات احتجاج إلى عصبة الأمم على عدوان قوات الاحتلال على الطلاب في مصر، وأيضًا شارك طلبة كلية الطب المنتمين لجماعة مصر الفتاه في إعداد كُتيب من خمسين صفحة يضم صورًا فوتوغرافية للقتلى

والجرحى، وأرسلت نسخة منه للصحف البريطانية للتشهير بسياسات الاحتلال في مصر.[٦٧]

وقد كان لهذه التضحيات التي قدمها الطلاب أكبر الأثر في نفوس الشعب، فقامت جميع طوائف الشعب لتشارك في الحركة الوطنية، ففي ٢١ نوفمبر قررت الطوائف المختلفة الإضراب فعلى سبيل المثال احتجبت الصحف عن الصدور، وأضرب التجار الوطنيون في سائر القطر المصري، كما أضرب المحامون عن الحضور إلى المحاكم، فضلاً عن احتجاج الأطباء، وأساتذة الجامعة، ومنها الاحتجاج الذي قدمه أساتذة كلية الآداب إلى الملك ورئيس الوزراء، وقد وقع على البيان جميع الأساتذة، وتمت كتابة عدة صور منه سلمت إحداها إلى مدير الجامعة الذي أرسلها بدوره إلى وزير المعارف، ثم تم اختيار وفد من أساتذة الكلية برئاسة عميد الكلية لتقديم صورة من البيان إلى رئيس الديوان الملكي لرفعة للملك، مما كان دافعًا لباقي كليات الجامعة لإرسال احتجاجات مماثلة.[٦٨] وقد سبق تقديم هذه الاحتجاجات اجتماع مجلس اتحاد الجامعة المصرية في ١٦ من نوفمبر ١٩٣٥، واتخاذه عدة قرارات كان من بينها مطالبة مدير الجامعة بإجراء التحقيقات اللازمة حول الاعتداءات التي تعرض لها طلاب الجامعة، ونتج عنها وفاة خمسة طلاب، والمطالبة كذلك بتفسير مقبول لإغلاق أبواب الجامعة وحظر اجتماعات الطلاب بنادي الجامعة.

والجدير بالذكر أيضًا؛ أن من أهم الجهات التي ساندت الحركة الطلابية الاتحاد النسائي المصري الذي قام بجمع التبرعات للطلاب الفقراء وأرسل خطابًا إلى رئيس الوزراء بشأن الطلبة المقبوض عليهم يطالب فيه بمحاكمات لمَنْ أطلق النار على الطلاب الأبرياء مثلما تتم محاكمات للطلاب،[٦٩] وكان للقضاء المصري كذلك موقف مساند للانتفاضة وطلاب الجامعة، حيث شهدت محكمة عابدين في ٢٧ نوفمبر ١٩٣٥ قيام القاضي حسين إدريس بإصدار أحكامًا على طلبة الجامعة المقبوض عليهم بالغرامة تتراوح بين عشرين قرشًا وجنيهًا واحدًا، وقد أثارت هذه الأحكام غضب المندوب السامي البريطاني، فقام بالضغط على الحكومة لتجبر القضاة على توقيع أقصى العقوبات على الطلاب.[٧٠]

وعقد الطلاب اجتماعهم التالي في ٢٧ نوفمبر في أحد مدرجات كلية الطب، ونصت قرارات هذا المؤتمر على إقامة حفل تأبين للشهداء ومقاطعة البضائع الإنجليزية، وترجمة الاحتجاجات التي أصدرتها الهيئات المختلفة إلى اللغات الأجنبية وتوزيعها على المفوضيات الأجنبية وإرسالها إلى الصحف البريطانية، وناشدوا الأحزاب والهيئات المختلفة بالتوحد في جهة واحدة ضد الاحتلال للمطالبة بالاستقلال وعودة دستور ١٩٢٣، وكذلك قرروا الاجتماع في الجامعة عند افتتاحها في ٣٠ نوفمبر ١٩٣٥.[٧١] ولكن في اليوم التالي لهذا المؤتمر أصدر مدير الجامعة قرارًا بوقف الدراسة في الجامعة للمرة الثالثة أسبوعًا آخر، وكان هذا القرار مثل القرارات السابقة بناء على طلب الحكومة وصاحب هذا القرار اتخاذ تدابير عسكرية عند الجامعة والمدارس الثانوية والمتوسطة تحسبًا لأي مظاهرات يقوم بها الطلاب،[٧٢] فكان لهذا المؤتمر أكبر الأثر في استشعار القوى السياسية لمدى أهمية دور الحركة الطلابية من ناحية، ومن ناحية أخرى اتضح لها أنه يمكن الاستفادة منه في تحقيق مكاسب سياسية مما أدى إلى حدوث انشقاق في الحركة الطلابية، ولكن سرعان ما تم القضاء عليه بالاتفاق على إقامة حفل إقامة النصب التذكاري لشهداء الجامعة في ٧ ديسمبر، مما جعل مجلس الوزراء يصدر في ٨ ديسمبر القرار الرابع بوقف الدراسة في الجامعة، ولكن هذه المرة لأجل غير مسمى.

وكانت أحداث الانتفاضة الدافع ليلقي صمويل هور خطابًا عن الحالة في مصر في البرلمان الإنجليزي خفف فيه من تصريحاته السابقة، وقال فيه أن بريطانيا لا تعارض وجود حياه نيابية في مصر، وأن بريطانيا تفضل وجود لجنة من مختلف الأحزاب لوضع الدستور، وأن بريطانيا ترحب بعقد معاهدة مع مصر، ولكن هذا الخطاب لم يحدث أمر جديد في مصر، فاستمرت المظاهرات مما كان دافعًا للأحزاب أن تنسى صراعاتها، وتقوم بتشكيل ما عُرف باسم الجبهة الوطنية في ١١ ديسمبر، فضمت جميع الأحزاب الموجودة حينذاك وبعض الزعماء المستقلين، وفي اليوم التالي لتأسيسها أرسلت للملك خطابًا للمطالبة بإعادة العمل بدستور ١٩٢٣، ورسالة أخرى للمندوب السامي البريطاني تبلغه بأن يخبر الحكومة البريطانية بأن تصرح بقبول معاهدة مع مصر على أساس ما انتهت إليه مفاوضات (النحاس – هندرسون). واستجاب الملك إلى مطلب الجبهة الوطنية، وأصدر في ١٢ ديسمبر أمرًا ملكيًا بإعادة العمل بدستور ١٩٢٣ مما كان بمثابة تتويجًا للعمل الطلابي بصفة خاصة والشعبي بصفة عامة، وفي ١٩ ديسمبر أصدر وزير المعارف قرار بإعادة فتح المدارس واستئناف الدراسة بالجامعة.[٧٣]

ولم يتوقف التحرك الطلابي عند هذا الحد، ففي ٣١ ديسمبر خرجت مظاهرات الطلبة للاعتراض على حكومة توفيق نسيم واستنكار تدخل إنجلترا لمنع صدور قانون العفو العام، وأمام استمرار الضغط الشعبي، قام الملك باستدعاء توفيق نسيم باشا في ٢٠ يناير ١٩٣٦، وأمره بتقديم الاستقالة، وبالفعل قدمت الوزارة استقالتها في ٢٢ يناير ١٩٣٦.[٧٤] والجدير بالذكر؛ أن انتهاء المظاهرات بصورة فعلية لم يتم إلا عندما قام الملك بتشكيل الحكومة في ٣٠ يناير ١٩٣٦، وأعقب ذلك قيام وفود من الطلاب بالتوجه إلى مجلس الوزراء للمطالبة بالعفو عن زملائهم وعن أساتذة الجامعة الذين تم نقلهم أو فصلهم بسبب مشاركتهم في المظاهرات،[٧٥] فبذلك نجد أن مطالب الحركة الطلابية تم تحقيقها بصورة كاملة من إعادة العمل بدستور ١٩٢٣ وإسقاط الحكومة الرافضة لتنفيذ المطالب الوطنية.

وتجدر الإشارة هنا إلى؛ أن الصحافة تلعب دورًا هامًا في إبراز المطالب الوطنية لأي تحرك وطني، وهذا ما حدث بالفعل في انتفاضة ١٩٣٥ على الرغم من صدور التعليمات بمنع نشر أخبار

المظاهرات، وكان على رأس الصحف التي قامت بتغطية الأخبار صحيفة الجهاد[*] لصاحبها توفيق دياب، فقد نشرت الصحيفة أخبار المظاهرات وعنف سلطات الاحتلال البريطاني في مواجهتها، واعتقال أعداد كبيرة منهم مدعمة ما تنشره بالصور، وكذلك رصدت مشاركة الزعماء الوطنيين في تشييع جنازات الشهداء، وبالإضافة إلى ذلك شاركت الجهاد في الإضراب العام الذي شمل أنحاء البلاد يوم ٢١ نوفمبر ١٩٣٥.[٧٦] وقد أمتد الاهتمام بالأحداث إلى الصحف العربية ومنها صحيفة الدفاع الفلسطيني ومختلف الصحف السورية واللبنانية التي اهتمت بتغطية الأحداث في مصر.[٧٧]

## خاتمة

ولم ينتهي دور الحركة الطلابية بانتهاء انتفاضة ١٩٣٥، حيث لم تتوقف مشاركة طلاب الجامعات المصرية -بعد التوسع في إنشائها- في مختلف نواحي الحياة في المجتمع المصري، ومن بينها الجانب السياسي فعلي سبيل المثال: نجد مظاهرات طلاب الأزهر عقب أحداث (٤ فبراير ١٩٤٢)، ومظاهرات ١٩٤٦، وأيضًا كان للحركة الطلابية داخل المدارس الثانوية أهمية كبرى في توسيع مدى الحركة الطلابية، حيث أنه في تلك الفترة تركزت الجامعات داخل القاهرة على عكس المدارس الثانوية التي انتشرت في مختلف أنحاء البلاد،[٧٨] وغيرها من المشاركات الطلابية الفعالة في الأحداث الوطنية.

ويتضح من العرض السابق: أهمية الدور الذي لعبته الحركة الطلابية في الحياة العامة في مصر، فهي كانت حركة عامة وشاملة لم تقتصر على مجال محدد، وكذلك لم تقتصر على فئة أو حزب، وذلك على الرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد في ذلك الوقت من الاحتلال والأزمات الاقتصادية المتعاقبة، فكان هدف الحركة الطلابية تحسين جميع أحوال البلاد وليس تحسين أحوال الطلاب فحسب، بالإضافة إلى أن الحركة الطلابية كان لها دورًا في إعداد رجال الفكر والثقافة مثل فكري أباظة، وصبري أبو علم، والدكتور زكي نجيب محمود، والمفكر لويس عوض، والرئيس جمال عبد الناصر، الذي شارك في مظاهرات سنة ١٩٣٥ عندما كان طالبًا في المدرسة الثانوية، وغيرهم الكثير مما كان لهم دور في تحسين أحوال البلاد بصفة عامة.

## الهوامِشُ:

(١) محمد عفيفي: مقال بعنوان "**الحركة الطلابية والوطنية المصرية**"، موقع المركز العربي للبحوث والدراسات بتاريخ ٨ أبريل ٢٠١٤.

(٢) نيرمين عبد الغفار صابر: **المجلات العلمية المتخصصة في مصر: دراسة تاريخية في الفترة من (١٨٦٥ –١٩١٤)**، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ٢٠١٠، ص ١٩٨.

(*) كان يُطلق على طلاب الأزهر "المجاورين" نسبة إلي معيشتهم جوار الأزهر.

(3) محمد عفيفي: مصدر سابق.

(4) ماجدة محمد حمود: **المندوبون الساميون ودورهم في نشر التعليم والثقافة الإنجليزية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١، ص ٢٣.

(٥) وزارة المالية المصرية، الميزانية العامة للدولة لعام ١٩٤٦.

(٦) سليمان عبد العزيز نوار: **تاريخ مصر الاجتماعي**، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٨، ص ٣٦٢.

(٧) عبد العظيم رمضان: **مصطفي كامل في محكمة التاريخ**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧، ص ٢٦.

(٨) محمد عبد الفتاح محمد: **الجمعيات الأهلية النسائية وتنمية المجتمع**، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة ٢٠٠٦، ص ٤٠.

(٩) نسمة سيف الإسلام سعد: **الأوبئة والأمراض في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين**، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، القاهرة ٢٠١٤، ص ١٨٣.

(١٠) نجيب محفوظ: **حياة طبيب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٣، ص ٦٥.

(١١) **التقرير السنوي العام لوزارة الصحة العمومية** لعام ١٩٤٤، ص ٨٢.

(١٢) **مضابط مجلس النواب**، الجلسة (٣٧)، ٢٠ مارس ١٩٣٨، ص ٦٤٠.

(١٣) **سلسلة أيام مصرية**، العدد (٣١) لعام ٢٠٠٨، ص ٢٧.

(١٤) **الأهرام**: العدد ٢١٢٧٩، ١٠ مارس ١٩٤٤، ص ٢.

(١٥) **الأهرام**: العدد ٢١٥٩٤، ٢٠ مارس ١٩٤٥، ص ٣.

(١٦) **المقطم**: العدد ١٨١٩٦، ٢٩ سبتمبر ١٩٤٥، ص ٣.

(١٧) **الأهرام**: العدد ٢٢٤١، ١٩ نوفمبر ١٩٤٥، ص ٢.

(١٨) **الأهرام**: العدد ٢٢٤٠٥، ٣٠ أكتوبر ١٩٤٧، ص ٣.

(١٩) **الأهرام**: ٢٢٣٩٠، ١٢ أكتوبر ١٩٤٧، ص ٣.

(٢٠) **الأهرام**: ٢ ديسمبر ١٩٤٧، ص ٦.

(*) **الدكتور علي باشا إبراهيم**: ولد سنة ١٨٨٠ في مدينة الإسكندرية، وأنهى دراسته في كلية الطب سنة ١٨٩٧، ويُنسب إليه بعد تخرجه اكتشاف وباء الكوليرا سنة ١٩٠٢، وقيامة بأول عملية استئصال طحال متضخم سنة ١٩٠٧، وكان أول مصري يتولى منصب عميد كلية الطب، وكان له إنجازات كبيرة فضلاً عن مشاركته في عدد من الجمعيات الخيرية.

(٢١) رؤوف عباس حامد: **جامعة القاهرة ماضيها وحاضرها**، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، القاهرة ١٩٨٩، ص ١٣٥.

(٢٢) أحمد عبد الله: **الطلبة والسياسة في مصر**، ترجمة إكرام يوسف، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠٠٧، ص ١٠٣.

(٢٣) طارق البشري: **الحركة السياسية في مصر (١٩٤٥-١٩٥٢)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢، ص ١٠.

(٢٤) عبد العظيم رمضان: **تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨- ١٩٣٦)**، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨، ص ١٧٠.

(٢٥) عاصم محروس عبد المطلب: **الطلبة والحركة الوطنية في مصر (١٩٢٢-١٩٥٢)**، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٧، ص ١٠٦-١٠٨.

(٢٦) علي شلبي: **مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠، ص ٧٥.
(٢٧) عبد العزيز الدسوقي: **أحمد حسين**، الناشر عصمت شمردن، القاهرة ١٩٥١، ص ٤٠.
(٢٨) محمد الجوادي: **الدكتور علي إبراهيم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦، ص ٤٠.
(٢٩) عاصم محروس عبد المطلب: مرجع سابق، ص ١٠٩.
(٣٠) علي شلبي، مرجع سابق، ص ٤٣.
(٣١) أحمد عبد الله: مرجع سابق، ص ٧٥.
(٣٢) عاصم محروس عبد المطلب: مرجع سابق، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.
(٣٣) عبد العظيم رمضان: مرجع سابق، ص ٧٨.
(٣٤) دونالد مالكوم ريد: **دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة**، ترجمة إكرام يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥، ص ٨٩.
(٣٥) عبد الرحمن الرافعي: **مصطفي كامل باعث النهضة الوطنية**، مطابع دار الهلال، القاهرة ١٩٥٢، ص ٢٩.
(٣٦) رفعت السعيد: **القوى الاجتماعية ودورها في ثورة ١٩١٩**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٩، ص ١٢١؛ سيد محمود حسن: **حكاية كوبري عباس**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠١٠، ص ١٤.
(٣٧) عبد الرحمن الرافعي: **مذكراتي**، دار أخبار اليوم للنشر، القاهرة ١٩٨٩، ص ٤٢.
(٣٨) عبد العظيم رمضان: مرجع سابق، ص ٨٩.
(٣٩) عبد الرحمن الرافعي: **ثورة ١٩١٩ تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ إلي سنة١٩٢١**، الجزء الأول، مطابع دار الشعب، القاهرة ١٩٦٨، ص ٤٥.
(٤٠) أحمد عبد الله: مرجع سابق، ص ١٠٥.
(٤١) سيد محمود حسن: مرجع سابق، ص ١٦.
(٤٢) محمد عفيفي: **الروح الوطنية المصرية في ثورة ١٩١٩**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠١٠، ص ١٥.
(٤٣) أحمد أبو كف: **٦٣ سنة علي ثورة ١٩١٩**، الهلال، مارس ١٩٨٢، ص ٥٥.
(٤٤) سيد محمود حسن: مرجع سابق، ص ١٧.
(٤٥) أحمد محمد عوف: **الأزهر في ألف عام**، مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٠، ص ١٠١.
(٤٦) **مذكرات الشيخ عبد الوهاب النجار عن ثورة ١٩١٩**، مطابع دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠١٠، ص ٥.
(47)إسماعيل زين الدين: **دراسات في تاريخ مصر المعاصر**، دار الثقافة العربية للنشر، القاهرة ٢٠٠٩، ص ٧٤.
(٤٨) **سجل الهلال المصور**، المجلد الثاني، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٢، ص ٦٠٧.
(*) أصدر جريدة المقطم اليومية، أصحاب مجلة المقتطف: فارس نمر، ويعقوب صروف، وشاهين ماكريوس، وصدر العدد الأول من جريدة المقطم في الرابع عشر من فبراير ١٨٨٩. راجع: تيسير أبو عرجة: **المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧، ص ١٩. أما الوطن، فهي جريدة سياسية أسبوعية صدرت سنة ١٨٧٧، وكان يرأس تحريرها ميخائيل عبد السيد، راجع: عبد اللطيف حمزة: **قصة الصحافة العربية على أرض مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٦٩.
(٤٨) رمزي ميخائيل: **الصحافة المصرية والحركة الوطنية (١٨٨٢-١٩٢٢)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٦، ص ١٥٠.
(٤٩) عبد العظيم رمضان: مرجع سابق، ص ١٧٦.
(٥٠) سيد محمود حسن: مرجع سابق، ص ١٧.
(٥١) رفعت السعيد: مرجع سابق، ص ١٢٦.
(٥٢) أحمد عبد الله: مرجع سابق، ص ٨٩.
(٥٣) عبد العظيم رمضان: مرجع سابق، ص ١٧٦.
(٥٤) عاصم محروس عبد المطلب: مرجع سابق، ص ٢٢.
(٥٥) سيد محمد حسن: مرجع سابق، ص ١٩.
(٥٦) عاصم محروس عبد المطلب: مرجع سابق، ص ٨٩.
(٥٧) سيد محمود حسن: مرجع سابق، ص ١٩.
(٥٨) ضياء الدين الريس: **الدستور والاستقلال الثورة الوطنية سنة ١٩٣٥**، الجزء الأول، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة ١٩٧٦، ص٨٧.
(٥٩) عمرو عبد المنعم: **ثورة ١٩٣٥ الثورة المنسية في الذاكرة الوطنية**، مجلة الثقافة الجديدة، العدد (٢٤٨)، مايو ٢٠١١.
(٦٠) ضياء الدين الريس: **الدستور والاستقلال: الثورة الوطنية سنة ١٩٣٥**، الجزء الثاني، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة ١٩٧٦، ص ٢٣.
(٦١) يونان لبيب رزق: **تاريخ الوزارات المصرية**، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة ١٩٧٥، ص ٣٧٧.
(٦٢) ضياء الدين الريس: مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ٨٧.
(٦٣) عاصم محروس عبد المطلب: مرجع سابق، ص ١٣٥.
(٦٤) عمرو عبد المنعم: مصدر سابق.
(٦٥) آمال كامل بيومي السبكي: **الحركة النسائية بين الثورتين ١٩١٩ و١٩٥٢**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦، ص ٥٧.
(٦٦) كريمة حسن: **"انتفاضة ١٩٣٥ التي أحرجت بريطانيا"**، المصري اليوم، ٢٣ ديسمبر ٢٠١٠.
(٦٧) حمادة إسماعيل: **انتفاضة ١٩٣٥ بين وثبة القاهرة وغضبة الأقاليم**، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨، ص ٨٠.
(٦٨) سعيد هارون عاشور: **أخبار المصريين في القرن العشرين**، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٧، ص١٤٤.
(٦٩) عاصم محروس عبد المطلب: مرجع سابق، ص١٣٦-١٤٤.
(٧٠) أحمد عبد الله: مرجع سابق، ص ١٠٠.
(٧١) ضياء الدين الريس: مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ٩٠-٩٥.
(٧٢) عاصم محروس عبد المطلب: مرجع سابق، ص ١٤٨.
(٧٣) رؤوف عباس: مرجع سابق، ص ١٧٠.
(٧٤) كريمة حسن، مصدر سابق.
(٧٥) ضياء الدين الريس: مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ١٠٧.
(*) الجهاد: صحيفة يومية أصدرها توفيق دياب سنة ١٩٣١، وكان من بين المشاركين في تحريرها طه حسين، وعباس العقاد، وكانت من أهم الصحف التي عارضت حكومة إسماعيل صدقي، وتوقفت عن الصدور سنة ١٩٣٨، راجع: عبد اللطيف حمزة: مرجع سابق، ص ١٥٠.
(٧٦) محمود فوزي: **توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧، ص ٦٣.
(٧٧) عاصم محروس عبد المطلب: مرجع سابق، ص ٢٠٨.
(٧٨) أحمد عبد الله: مرجع سابق، ص ١٠٥.



# الندوة الوطنية
# محمد بن عبد الكريم الخطابي: رمز النضال الوطني

**د. محمد زايد**

أستاذ باحث في اللغة وعلم الاجتماع
المملكة المغربية

**د. الحاج ساسيوي**

أستاذ باحث في التاريخ المعاصر
المملكة المغربية

**بيانات الندوة**

مكان الانعقاد:
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بشراكة مع مركز محمد بنسعيد ايت إيدر

الزمان: ٩ يناير ٢٠١٤
مكناس – المملكة المغربية

**كلمات مفتاحية:**

المقاومة المغربية، استقلال المغرب، المغرب المعاصر، الذاكرة الوطنية، الأمير الخطابي

## مُقدِّمَة

تكتسي دراسة تاريخ المقاومة المغربية للاحتلال الأجنبي عامة، والمقاومة الريفية بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي خاصة، اهمية بيداغوجية وعلمية، ذلك أنها كانت عنوانًا لهزيمة إسبانيا العسكرية وإعلانًا لفشل مشروعها الاستعماري. وتأتي هذه الندوة تزامنًا مع الذكرى السبعين لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وإحياء الذكرى التي ظلت منسية بشكل مقصود أو غير مقصود، وكذا لرد الاعتبارات للمقاومة المغربية بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي يعتبر رمزًا وطنيًا لكل المغاربة، بل لكل حركات التحرر في العالم، لأن ثورته كانت درسًا لكثير من السياسيين والثوار وعلى رأسهم "ماو تسي تونغ"، و"تشي غيفارا" وغيرهما.

انقسم الحيز الزمني المذكور للندوة، إلى فترتين رئيسيتين:

- **فترة صباحية، أدار أشغالها الأستاذ الدكتور الحاج ساسيوي،**[1] **تضمنت هذه الفترة عروضًا معرفية أكاديمية قيمة وفق التسلسل الخطي التالي:**

- قراءة في كتاب "صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي" للمقاوم ورجل السياسة المغربي الكبير محمد بن سعيد ايت إيدر. ألقى هذا العرض الأستاذ الدكتور محمد العمراني.[2]
- قراءة في كتاب وثائق جيش التحرير بالجنوب المغربي، من سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٥٩، قدمه الأستاذ: جمال الحيمر.[3]

- **فترة مسائية أدار أعمالها الأستاذ الدكتور محمد زيدان.**[4] **وقدمت فيها العروض الآتية:**

- "كلمة حول محمد بن عبد الكريم الخطابي" للمقاوم والسياسي المغربي الكبير: محمد بن سعيد أيت إيدر.[5]
- "محمد بن عبد الكريم الخطابي والمغرب المستقل" للأستاذ الدكتور رشيد اليشوتي.[6]

(١) أستاذ التعليم العالي مساعد، تاريخ معاصر، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس

(٢) أستاذ التعليم العالي مؤهل، تاريخ وسيط، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس

(٣) أستاذ التعليم العالي، تخصص تاريخ معاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، بمكناس.

(٤) أستاذ التعليم العالي مساعد، لغة عربية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس.

(٥) مقاوم وسياسي مغربي كبير.

(٦) أستاذ التعليم العالي، تاريخ معاصر، جامعة محمد الخامس بالرباط.

"المشروع التربوي عند محمد بن عبد الكريم الخطابي" للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيبي.(٧)

- "مكانة محمد بن عبد الكريم الخطابي في الذاكرة الوطنية" للأستاذ الدكتور ميمون أزيزا.(٨)

## الفترة الصباحية

قبل الانطلاق الفعلي لأشغال هذه الندوة الوطنية الكبيرة، في الفترة الصباحية، استهل رئيس الجلسة، الدكتور الأستاذ الحاج ساسيوي، الكلام بالترحيب بالحاضرين، وعلى الخصوص المناضل والمقاوم الكبير محمد بن سعيد أيت إيدر، وذكر بموضوع الندوة. واعتبر الحاج ساسيوي أن محمد بن عبد الكريم الخطابي هو الأب الروحي للمقاومة الوطنية المغربية، فهو ملهمها وزعيمها الأول، حيث تشكل سيرته وأعماله مدرسة نضالية وجهادية بشهادة وإجماع المهتمين داخل الوطن وخارجه. بعد هذا التنويه بشخصية المجاهد الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي، اسند رئيس الجلسة الحاج ساسيوي الكلمة لمدير المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس-تافيلالت، الأستاذ السيد أحمد حميد.

## كلمة السيد مدير المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس تافيلالت. مركز مكناس:

رحب السيد المدير، أولاً، بالرجل المقاوم المناضل المغربي محمد بن سعيد أيت إيدر، باعتباره شخصية مناضلة ورمزًا كبيرًا للنضال الوطني، واعتبر أن لقاء الندوة يشرف المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، وأبرز أن هذا المركز، منذ إنشائه سنة ١٩٧٥، لم يأل جهدًا في التأطير والتأهيل على مستوى التكوينين: الأساس والمستمر، فتلك مهمته التي ينبغي أن تترسخ وتتعمق. وفي هذا الإطار، يوضح السيد المدير، تندرج هذه الندوة الكبرى وتنعقد في رحاب هذا المركز، استجابة للطلب الملح من الجهات المنظمة، والغاية الكبرى، بالطبع، هي العمل على تحقيق أهداف ثقافية واجتماعية، وبالخصوص تربوية، على رأسها: الحفاظ على الذاكرة الجماعية والتذكير بأهمية وثيقة الاستقلال، بوصفها سبيلا من سبل استرجاع الحرية، وكل ذلك للمساهمة في إرساء ثقافة نضالية.

واعتبر السيد المدير، في كلمته الافتتاحية، أن من أهداف اللقاء تكريم المناضل والمقاوم الكبير محمد بن سعيد ايت إيدر، من جهة وإبراز الملحمة الكبرى التي سطرها بطل ثورة الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي في سجل المقاومة والتحرير، إن هذه الصفحة الناصعة، من تاريخ النضال الوطني في المغرب، تعد مرجعية، ومحط اعتزاز وفخر حقيقيين للمغاربة الطامحين لبناء الثقافة الديموقراطية ورفع التحديات المختلفة. وفي نهاية كلمته، أعاد السيد المدير ترحيبه بالحاضرين ودعا الأساتذة المتدربين إلى الاستلهام والاعتبار بأشغال هذه الندوة، لما لها من فوائد جمة في تعميق التكوين وصقل المعرفة بتاريخ النضال المغربي والاقتداء بمسلك العظماء الذين يعتبرون أسوة حسنة لبناء مسار مجتمع حداثي متنور. وأحال السيد رئيس الجلسة الكلمة للسيد مدير "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر" للدراسات والأبحاث.

## كلمة السيد مدير "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث":

شكر السيد مدير المركز، في مستهل تدخله، اللجنة المنظمة للندوة، من جهة، وشكر مسؤولي المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، على رأسهم مدير المركز، لما بذلوه من جهود وتضحيات من أجل توفير الظروف الملائمة لانعقاد أعمالها، من جهة أخرى. وقسم مدير "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث" كلمته إلى موضوعين:

### أولاً: التعريف بمركز الأبحاث والدراسات الذي يدير أشغاله

تأسس "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث" سنة ٢٠١٢، كان ذلك نتيجة اقتناع وإجماع مجموعة من الفاعلين في مجال الفكر والسياسة والمجتمع بأن المغرب يعرف تدهورًا وانحطاطًا على مستوى الوضع الثقافي العام، وهو ما يعارض ويعرقل قيام دولة ديموقراطية حداثية مبنية على قيم المعرفة والمواطنة الحقة. وقد جاء إنشاء هذا المركز لتعزيز هذه القيم، من خلال جعل هذه المؤسسة قائمة على مبدأ الانفتاح على كل التوجهات والتيارات والاختيارات ومؤسسات المجتمع المدني، فالمركز كيان مستقل لبناء الثقافة المستنيرة. وعرض مدير المركز كثيرًا من الأنشطة الثقافية البارزة التي نفذها المركز، من أبرزها:

- ندوة بالدار البيضاء في موضوع: المغرب العربي.
- مقاومة الشمال بتطوان.
- عن حركة ٢٠ فبراير.
- تكريم المقاوم محمد الجبلي.
- أرشيف محمد بن سعيد أيت إيدر (مجموعة من الوثائق النادرة).

### ثانيًا: موضوع الندوة

أما في موضوع الندوة، فقد بين مدير "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث"، أن الندوة تنعقد في إطار تطابق التوجهات بين مركز الأبحاث والدراسات وبين المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، وهدفهما، معا، ليس المدح والإطراء، وإنما تقديم صورة مشرفة لكبار المقاومين وشهداء معركة الحرية والاستقلال باعتبارهم قدوة وبوصفهم بطولاتهم منهج طريق لبناء مجتمع ديموقراطي حداثي مستنير بأنوار صفحات الكفاح والنضال التي

(٧) أستاذ التعليم العالي، جامعة محمد الخامس بالرباط.

(٨) أستاذ التعليم العالي، تاريخ معاصر، جامعة المولى إسماعيل، مكناس.

حمل لواءها رموز النضال الوطني: محمد بن عبد الكريم الخطابي، محمد بن سعيد أيت إيدر، علال الفاسي، محمد بلعربي العلوي، محمد بن الحسن الوزاني وغيرهم. وبعد انتهاء مدير "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث" من كلمته هذه، منح رئيس الجلسة الصباحية الإشارة للانطلاق الإجرائي لفعاليات الندوة وكان أول عرض، في هذا الاتجاه، هو العرض الذي قدمه الأستاذ الدكتور محمد العمراني.

## قراءة في كتاب "صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي" لمحمد بنسعيد آيت إيدر للأستاذ الباحث محمد العمراني.

كان عنوان العرض بالضبط هو: حضور الوثيقة الوطنية وأهميتها في دراسة التاريخ الراهن في المغرب من خلال قراءة في كتاب "صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي" لمحمد بنسعيد آيت إيدر.(٩) سلم صاحب العرض، في البداية، بأن هدفه من القراءة هو تقديم بعض الملاحظات من شأنها التعريف بالقيمة العلمية لهذا المُؤَلَّف الذي يتحدث عن مرحلة غامضة من تاريخ المغرب المعاصر. فهذا الكتاب يُعتبر وثيقة تاريخية لمرحلة الكفاح من أجل استكمال استقلال المغرب ووحدته الترابية خاصة في المرحلة الممتدة ما بين ١٩٥٥ و ١٩٦٠، صدرت الطبعة الأولى منه في يونيو ٢٠٠١ بالدار البيضاء، تكمن أهمية هذا الكتاب في اعتبارات متعددة:

- كونه وثيقة تاريخية لمرحلة الكفاح من أجل استكمال استقلال المغرب: رسائل، وتقارير، صور جيش التحرير، ثكنات تدريب فرقه العسكرية،
- اعتبار صاحبه شَاهد عيَّان على المرحلة، وفاعلاً في الأحداث والوقائع، فهو أحد قادَة جيش التحرير، وهو ما يُعطي لشهادته بُعْدًا كبيرًا ورمزيةً خاصة.
- صدوره في سياق حفظ الذاكرة الوطنية المغربية، في ظل مشروع علمي على مستوى الكتابة التاريخية.

وأرجع صاحب العرض تميز الكتاب ومؤلفه إلى التكوين العلمي في مجال البحث التاريخي أثناء إقامته في فرنسا من جهة أولى،(١٠) ثم المسافة الزمنية التي أخذها من أجل التفكير في الموضوع وتحليل قضاياه المتشعّبة. ثم عرج الأستاذ الباحث في التاريخ محمد العمراني، إلى طريقة وأسلوب العرض في كتاب المناضل والمقاوم المغربي الكبير محمد بن سعيد أيت إيدر، وأبرز أن فصول هذا الكتاب نُظمت بأسلوب تحليلي واضح قَدَّمَ فيه الكاتب وصفًا للمعارك والأحداث المختلفة بشكل دقيق مع تعليقات على الوثائق بالاستناد إلى أساس مرجعي وهو معيار القيمة العلميةً لهذا الكتاب. وقد أورد العارض قولاً للمؤلف يبرز هذه الميزات المعرفية والأدبية بقوله: "وأود الإشارة إلى أنني استهدفت من وضع هذا العمل المساهمة في التوثيق وإلقاء الضوء على تلك الحقبة من تاريخنا الوطني المعاصر وإماطة اللثام على جزء مهم من الحقائق التي ما تزال طي الكتمان كخُطوة من الخطوات الهادفة إلى تيسير دراسة هذه المرحلة واستيعاب دروسها من أجل فهم الحاضر وبناء المستقبل".(١١)

وختم صاحب العرض مداخلته بتساؤل ودعوة مخلصة، فكان التساؤل: "إذا كان الأستاذ محمد بنسعيد آيت ايدر قد كان في الموعد، وقَدَّم للباحثين مادة علمية غزيرة، فهل كان الباحثون في حقل الدراسات التاريخية في مستوى هذه المسؤولية العلمية؟" وأما الدعوة فبقوله: "وحتى لا أنفرد بمتعة قراءة هذه المرحلة من تاريخنا الوطني أدعو جميع الباحثين والمهتمين بقراءة هذا العمل الجاد للأستاذ والمناضل محمد بنسعيد آيت ايدر". وبعد انتهاء العارض من عرضه شكره رئيس الجلسة، وأسند الكلمة للعرض الموالي وهو بعنوان: قراءة في وثائق جيش التحرير بالجنوب المغربي. من ١٩٥٦ إلى ١٩٥٩، للأستاذ الباحث جمال الحيمر.

## عرض ذ.جمال الحيمر:

في مبتدأ الكلام نوه الأستاذ الباحث بشخصية المقاوم محمد بن سعيد آيت إيدر باعتبارها شخصية وطنية أغنت الفعل النضالي بالمغرب كما أغنت الذاكرة الوطنية والخزانة الثقافية من خلال ما أسدته من خدمات جلى لهذا الوطن. من وجهة ثانية نوه العارض باللقاء الذي جمع أساتذة باحثين ومكونين وأساتذة متدربين، وهدف اللقاء، بالطبع، تعميق التكوين واستكماله من خلال، ما سماه بتنويع العرض البيداغوجي. وقد عرج الباحث، بعد هذه المقدمة، إلى ذكر السياق والمساق الذي أحاط بلحظة صدور الكتاب محط القراءة، ثم قدم تعريفًا إجماليًا بشكله ومضامينه، مركزًا على القيمة المضافة لهذا الكتاب المتمثلة في التنوير والتهذيب. وقارن الأستاذ الباحث بين كتابي المقاوم الفذ محمد بن سعيد آيت إيدر: "صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي" وكتابه: "وثائق جيش التحرير بالجنوب المغربي من ١٩٥٦ إلى ١٩٥٩"، حيث اعتبر الباحث أن المؤلف ساهم بصورة فعالة في إغناء صفحات تاريخ المغرب المعاصر، كما ساهم في الدفع بدفة الفعل السياسي إلى آفاق بناء المجتمع الديموقراطي والفكر الحداثي وتراجع الخطوط الحمراء في الكشف عن حقائق وأسرار تاريخ المغرب المعاصر. وفي ختام هذه الصبيحة نوه رئيس الجلسة بحضور السيد عثمان المنصوري رئيس الجمعية المغربية للبحث التاريخي، والذي ألقى كلمة باسم هذه الأخيرة.

---

(٩) محمد بنسعيد أيت إيدر، صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي، مطبعة التيسير، المنشورات المواطنة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ٢٠٠١.

(١٠) يشير الكاتب إلى إعداده لبحث حول المقاومة المغربية في الدراسات المعمقة بجامعة فانسان، المرجع نفسه، ص١٣.

(١١) المرجع نفسه، ص١٢.

## جلسة المساء:

أدار هذه الجلسة هذه الجلسة الأستاذ الدكتور محمد زيدان. انطلقت الجلسة بالعرض الجدير بالتنويه والقيم الذي قدمه ضيف شرف هذه الندوة العظيمة المقاوم ورجل السياسة الكبير المناضل محمد بن سعيد أيت إيدر، كان هذا العرض تحت عنوان: "كلمة حول محمد بن عبد الكريم الخطابي". استعرض محمد بن سعيد أيت إيدر في هذه الكلمة تاريخ مرحلة النضال من أجل الاستقلال التي خاضها المغاربة ضد المحتلين الإسباني والفرنسي. وكان محور الحديث ينصب أساسًا على موقع المجاهد الرمز والقائد الملهم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي (مولاي محند) في هذا السياق. لقد حاول المقاوم والسياسي المغربي السيد محمد بن سعيد أيت إيدر أن يستوفي الحديث عن البطولات والإنجازات التاريخية التي حققها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي لكنه لم يستطع، لأن هذا الحديث لن تستوفيه الساعات من الحديث ولا كلام الأفراد، بل يحتاج إلى مؤسسات للبحث التاريخي تعيد قراءة هذا التاريخ وتجيب عن كثير من الأسئلة الإشكالية التي ما تزال بحاجة إلى مزيد بيان لإضاءة صفحات ينتابها الغموض وتشوبها الضبابية.

تتابع الندوة أشغالها بالعرض الجيد والمثير الذي قدمه الأستاذ رشيد يشوتي، تحت عنوان: "محمد بن عبد الكريم الخطابي والمغرب المستقل"، أثار الباحث في هذا العرض مسألة التسمية، حيث أطلق اسم الأب على الابن، فقد شاع تسمية الأمير المجاهد باسم عبد الكريم الخطابي ولكن الأصل هو محمد بن عبد الكريم الخطابي، وقد تداولته السلطات الاستعمارية الإسبانية والفرنسية بهذا الصيغة اللفظية حيث شاع وانتشر، وأبرز الباحث أن الأمير المجاهد كان يدعى "مولاي محند"، معتمدًا على قول لإحدى بنات الأمير. قطع الأمير المجاهد، قيد حياته، بحسب مداخلة الأستاذ رشيد اليشوتي، أربع مراحل نوجزها في الترسيمة التالية:

(١) مرحلة الموالاة للاستعمار الإسباني.
(٢) مرحلة الثورة وتجسدها معركة "أنوال".
(٣) مرحلة المنفى في جزيرة لارينيون.
(٤) مرحلة اللجوء إلى مصر وإدارة المقاومة من القاهرة حيث قاد لجنة تحرير المغرب العربي التي جمعت قياديين وزعماء أحزاب مغاربيين.

عرض الباحث بإسهاب لسيرة الأمير المجاهد، كما عرض لقضايا أثيرت بعد موته كنقل رفاته إلى المغرب التي لم تحسم بعد، وعلاقته بالمخزن وبقادة الأحزاب السياسية المساهمة في توقيع وثيقة الاستقلال. وبعد إنهاء الأستاذ الباحث في التاريخ المعاصر السيد رشيد اليشوتي مداخلته، غادر، مقر الندوة، المقاوم المناضل ورجل السياسة في المغرب المعاصر محمد بن سعيد أيت إيدر متوجهًا إلى مدينة الدار البيضاء صحبة رئيس مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث المساهم الرئيس في إقامة الندوة إلى جانب المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، وأسند رئيس الجلسة محمد زيدان تناول الكلمة في هذه الندوة الهامة إلى الأستاذ عبد الرحمان الطيبي، ليقدم مداخلته تحت عنوان: "المشروع التربوي عند محمد بن عبد الكريم الخطابي".

اعتبر المتدخل تحليل تجربة الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي تحليلاً علميًا من جميع زواياها مطلبًا معرفيًا ملحًا. وعلى الأخص، من الوجهة التربوية، حيث يمكن القول: إن الأمير المجاهد كان يحمل مشروعًا تربويًا تعليميًا متكاملاً. ويعني ذلك، بوضوح، أن الأمير (مولاي محند) كان يملك رؤية استراتيجية متعددة الأبعاد، والدليل أنه اهتم بتدريس اللغة الأمازيغية إلى جانب الإسبانية في المدارس المغربية الواقعة في منطقة الريف. إن ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي ثورة جامعة بين مقاومة الاحتلال وبين إنشاء مشروع الدولة الوطنية الديموقراطية المتحررة التي ترسخها منظومة التربية والتعليم. لذلك يرى الباحث أن قراءة هذه التجربة ستكون ملهمة وقيمة مضافة لمنظومة التربية والتكوين المغربية الحالية.

انتقلت الكلمة بعد مداخلة الأستاذ عبد الرحمان الطيبي إلى الأستاذ ميمون أزيزا، كانت مداخلة الأستاذ ميمون بعنوان: "مكانة محمد بن عبد الكريم الخطابي في الذاكرة الوطنية". كانت الفكرة المركزية، في هذه المداخلة، هي أن الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي رمز كبير في الذاكرة الوطنية، إنه حاضر بقوة، حيث يمارس تأثيرًا كبيرًا في الفكر الوطني المعاصر. استشهد الأستاذ الباحث على كون بعض الرموز، في قوة تأثيرها، كأنها حاضرة بالفعل، بقولة للكاتب الفرنسي الكبير بول ريكور في كتابه: "الذاكرة، التاريخ والنسيان"، "لغز الذاكرة هو أن المحفوظ والمنقوش الذي يبقى فيصبح معه الماضي حاضرًا". فالأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي حاضر بقوة في الذاكرة التاريخية المغربية، إلا أن كثيرًا من كتب التاريخ تنكبت الحديث عنه، لقد أصبحت الحاجة ماسة إلى تضمين الكتاب المدرسي في المدرسة المغربية سيرة هذا البطل بلا منازع. وذكر الأستاذ الباحث ببعض القضايا المرتبطة بهذه الشخصية التاريخية التي أثارت جدلاً في العهد القريب كملف الغازات السامة التي ألقت بها طائرات الحرب الاستعمارية الإسبانية وخلفت آلاف الضحايا، كذلك مسألة نقل الرفات التي ما زالت لا تراوح مكانها من النقاش والفعل.

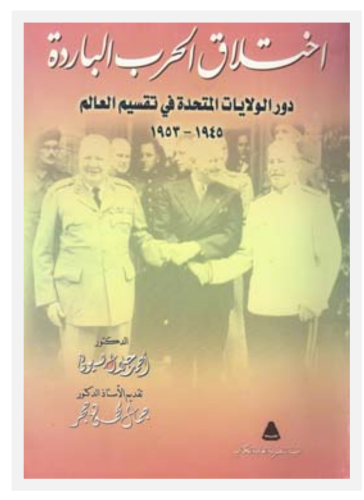
## خلاصة

إن هذه الندوة، على العموم، تُعَدّ جامعة خاصة من حيث كونها انصبت على استعادة تاريخ وسيرة البطل المغربي الكبير الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي. ولقد حققت هدفها العزيز وهو تذكير الأساتذة المتدربين المقبلين على التدريس بقيمة هذه الشخصية، من وجهة، واستطاعت أن تميط اللثام عن بعض المجهول، كما أثارت من وجهة أخرى تساؤلات، ودعت إلى مزيد من تعميق البحث والنظر في سيرة هذا البطل الكبير الحاضر بقوة في الذاكرة الوطنية.



# اختلاق الحرب الباردة

## دور الولايات المتحدة في تقسيم العالم (١٩٤٥ – ١٩٥٣)



**علي عفيفي علي غازي**

صحفي وأكاديمي مصري

دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

### بيانات الكتاب

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب

الطبعة الأولى – عدد الصفحات ٢٩٦

القاهرة ٢٠١٣

تأليف: دكتور أحمد جلال بسيوني

تقديم: أ.د. جمال محمود حجر

### كلمات مفتاحية:

الولايات المتحدة، الاتحاد السوفيتي، الشرق الأوسط، حلف شمال الأطلنطي، الحرب العالمية الثانية

### مُقدِّمة

تُعَدّ ثورة بوليفيا، التي قامت في التاسع من أبريل ١٩٥٢م، ثالث ثورة اجتماعية في أمريكا اللاتينية بعد الثورة المكسيكية في سنة ١٩١٠م، والثورة الجواتيمالية في سنة ١٩٤٤م، وأول ثورة شعبية في النصف الثاني من القرن العشرين، الذي شهد نمو الحركة الثورية في أمريكا اللاتينية؛ مما كان يهدد مركز الولايات المتحدة ووجودها في أمريكا اللاتينية؛ ومن ثم مصالحها الاقتصادية، والسياسية، والاستراتيجية، لذا لم ترحب الولايات المتحدة بهذه التجارب الثورية في دول أمريكا اللاتينية، واختلفت سياستها تجاه كل دولة من دول أمريكا اللاتينية حسب حجم مصالحها فيها، وتبعًا لطبيعة الخطر الذي تشكله الثورة في كلٍ منها على المصالح الأمريكية، وكانت الثورة البوليفية من ضمن هذه التجارب الثورية.

يُعبر مصطلح الحرب الباردة عن حالة الصراع والتوتر والتنافس الأيديولوجي التي سادت بين الولايات المتحدة الأمريكية، التي تزعمت معسكر الرأسمالية الغربي، والاتحاد السوفيتي، الذي تزعم معسكر الاشتراكية الشرقي، على الرغم من أنهما كانا حلفاء ضد المحور في الحرب العالمية الثانية، إلا أنهما اختلفتا في كيفية إدارة ما بعد الحرب وإعادة بناء العالم. وتبلور هذا الاختلاف من منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات من القرن العشرين، حيث ظهرت النِدِّية بين القوتين العظمتين في التحالفات العسكرية، والدعاية الإعلامية، وتطوير الأسلحة، والتقدم الصناعي، والتطوير التكنولوجي، والتسابق الفضائي، والانفاق الكبير على التسليح العسكري، والترسانات النووية، كل ذلك في ظل غياب حرب مُعلنة بينهما. ولم تقتصر الحرب الباردة على أوروبا بل انتشرت خارجها، وانقسم العالم بين المعسكرين المعاديين لبعضهما البعض سواء من حيث الأنظمة السياسية أو الاقتصادية، حيث عملت الولايات المتحدة في ظل سياسات المحاصرة والاستئصال للشيوعية، وحشد الحلفاء خاصةً في أوروبا الغربية والشرقين الأوسط والأقصى، ودعم الاتحاد السوفيتي الحركات الشيوعية حول العالم خاصة في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية ودول جنوب شرق آسيا.

يتسع نطاق الحرب الباردة الجغرافي بميلاد حلف شمال الأطلسي "الناتو" سنة ١٩٤٩ بقيادة الولايات المتحدة، ويقوم الاتحاد السوفيتي بإنشاء حلف "وراسو" لمواجهته، ويمتد نطاق الحرب إلى الفضاء، ويلعب الإعلام دورًا بارزًا، وتتبنى الولايات المتحدة سياسة الاحتواء لتجنب حرب ظلت كامنة في الأفق من خلال سياسة خارجية تقوم على ثوابت استراتيجية تجاه القضايا الأوروبية من أجل حماية البلدان الموالية للولايات المتحدة من الوقوع فريسة في يد السوفيت إلى أن يصل الرئيس الأمريكي رونالد

ريجان إلى السلطة في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن العشرين، فيُضاعف من ضغوط الولايات المتحدة السياسية والعسكرية والاقتصادية على الاتحاد السوفيتي، وفي نوفمبر ١٩٨٩ يسقط حائط برلين، ثم ينهار الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٩١. ويتلاشى الانقسام بين معسكري العالم، ليكون إيذانًا بانتهاء الحرب الباردة، حيث تنضم روسيا إلى النظام الرأسمالي، لتحتكر الولايات المتحدة القوة منفردة في عالم أحادي القطب.

تتحسن العلاقات بين الجانبين بعد انتهاء الحرب الباردة، وتتخذ شكل التعاون، ورغم حدوث خلافات حول بعض القضايا، إلا إنها لم تصل إلى حد الأزمة، إلى أن وقعت الأحداث الأخيرة في أوكرانيا. ووقف المحللون السياسيون في الغرب منقسمين بشكل حاد من أن الأزمة الأوكرانية سوف تؤدي إلى اشعال فتيل حرب باردة جديدة بين أمريكا وروسيا حول أوكرانيا، واعتبر البعض الأزمة بداية لعودة الحرب الباردة، لكن محللين آخرين عرضوا أسبابًا قوية جعلتهم مقتنعين بأنها ليست محتملة، نتيجة لغة المصالح الاقتصادية في المقام الأول. وكان التصعيد الأخير في أواخر شهر مارس ٢٠١٤ من قبل حلف شمال الأطلنطي، بتعليق التعاون المدني والعسكري مع روسيا على خلفية ضمها شبه جزيرة القرم قد أعاد من جديد التساؤل عمّا إذا كانت الازمة الحالية ستعيد اشعال الحرب الباردة بين موسكو والغرب؟

يطرح كتاب اختلاق الحرب الباردة للدكتور أحمد جلال بسيوني مجموعة من الأسئلة الجوهرية تتمثل في: هل كان صعود الولايات المتحدة الأمريكية إلى مرتبة القوى العظمى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حدثًا تاريخيًا مهمًا؟ وهل كان له مستقبل في تشكيل مستقبل العالم وإعادة تقسيمه؟ وهل الحرب الباردة كانت حربًا مختلقة؟ وهل كانت أمريكا وراء هذه الحرب؟ أم أنها والاتحاد السوفيتي وجدا نفسيهما في حالة حرب دون أن يكونا بحاجة لهذه الحرب؟ بمعنى هل اضطرتهما الظروف الدولية لذلك أم أنهما كانا مختارين؟ وهل كانت تلك الحرب بديلاً للحرب الساخنة؟ هل أجاب الكتاب على هذه الأسئلة أم لا؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه خلال الأسطر القليلة القادمة.

## اختلاق الحرب الباردة

يُعَدّ الكتاب في الأصل عبارة عن أطروحة دكتوراه، بإشراف الأستاذ الدكتور جمال حجر أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، وعميد كلية الآداب جامعة الإسكندرية، بعنوان **"الولايات المتحدة الأمريكية في المرحلة المبكرة من الحرب الباردة، دراسة في فكر دولة عظمى ناشئة (١٩٤٥ - ١٩٥٣)"**، وهي فترة رئاسة هاري ترومان، وترصد حركة صعود الولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، يواصل فيه المؤلف جهده الذي كان قد بدأه في رسالته للماجستير من رصد لصعود الولايات المتحدة كدول عظمى.

يرى الباحث في **مقدمة الكتاب** أن صعود الولايات المتحدة يشكل حدثًا مهمًا في التاريخ العالمي "لما له من أهمية كبرى في رسم المقدرات، وتشكيل مستقبل الدول والجماعات"، ثم يرى أن أهم النتائج التي ترتبت على هذا الصعود هي ما عرف باسم "الحرب الباردة". التي حاول الطرفان بها تجنب "الحرب الساخنة"، التي يرى أن اندلاعها كان كفيلا بتدمير العالم كله. ويُرجع الشرارة الأولى للحرب الباردة إلى ما قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية، بضرب هيروشيما ونجازاكي بالقنبلتين الذريتين، ذلك الحدث المتفرد في تاريخ البشرية، والذي أكد مكيافيلية الولايات المتحدة في سبيل مصالحها، وترتب على هذه الضربة غير المسبوقة سلسلة من الأحداث كللت بابتداع ما بات يعرف بسياسة الاحتواء، التي تهدف لاحتواء الولايات المتحدة للاتحاد السوفيتي دون اشعال آتون الحرب بصورتها التدميرية المتعارف عليها، وهي السياسة التي ظلت طوال فترة الحرب الباردة عماد الخطط الأمريكية. واستمرت هذه الحرب لأكثر من أربعة عقود، وانتهت بإعلان انهيار الاتحاد السوفيتي في ٢٥ ديسمبر ١٩٩١، من خلال ست مراحل تباينت فيها رؤى كل إدارة أمريكية وفقًا لمستجدات ومتغيرات الفترة التي تسلمت فيها هذه الإدارة مقاليد الحكم.

يُرجع المؤلف سبب اختياره لعام ١٩٤٥ كبداية للدراسة لأنه العام الذي توفي فيه الرئيس فرانكلين روزفلت بعد أن تولى الرئاسة الأمريكية لأربع فترات رئاسية متتالية (١٩٣٣-١٩٤٥)، وضعت إدارته خلالها نظريات سياسية واقتصادية وعسكرية لم توضع موضع التنفيذ إلا بعد هذا العام الذي شهد وضع الحرب العالمية الثانية لأوزارها، لتدخل الولايات المتحدة في معتركات جديدة ما بعد الحرب بأفكار الديمقراطيين بزعامة الرئيس هاري ترومان، أما سبب اختياره لعام ١٩٥٣ لنهاية الدراسة فيرجعه لسببين رئيسيين، على حد تعبيره، الأول خروج الديمقراطيون من السلطة وتولي الجمهوريون بزعامة إيزنهاور، والثاني وفاة جوزيف ستالين زعيم الاتحاد السوفيتي الأكثر تأثيرًا في تاريخه.

## فصول الدراسة

تُقسم الدراسة إلى خمسة فصول ومقدمة، جاء **الفصل الأول** بعنوان "الأمريكيون في مفترق الطرق: مدخل تاريخي"، واعتبره فصل تمهيدي للدراسة عالج فيه أربع قضايا أوقفت الأمريكيين على مفترق طرق عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية، هي: موقف الأمريكيين من كارثة الكساد الاقتصادي الكبير في الثلاثينيات، التي أثرت بصورة كبيرة على الشخصية الأمريكية، إذ إن الآثار السلبية للكارثة لم تقتصر على الجوانب الاقتصادية فحسب، فالنتائج الاجتماعية كانت أسوأ، إذ شعر الرجال العاطلون عن العمل بالمذلة والمهانة في مواجهة مسؤولياتهم تجاه أسرهم، وعزف الشباب عن الزواج، وهو ما هدد البناء الاجتماعي، واختفاء السلام الاجتماعي. وإعادة تشكيل الفكر القومي الأمريكي بعد تولي الرئيس القعيد فرانكلين روزفلت، الذي قدم برنامج انتخابي يقوم على أسس لعلاج

أزمة الكساد، ونجح بصورة كبيرة في تطبيق البرنامج الذي طرحه، وهو ما جعله يسيطر على عقول وألباب مواطنيه. ثم انتقل إلى قضية العزلة التي شكلت أحد الثوابت الأساسية في العقل الجمعي الأمريكي، من خلال مناقشته لقضية "الأمريكيون بين العزلة والانفتاح"، إذ انقسم الأمريكيون على أنفسهم بشدة إزاء الفعل الذي يجب تبنيه، وذلك حتى سقوط فرنسا في يد الزعيم الألماني هتلر (١٩٣٣-١٩٤٥) في العاشر من يونيو ١٩٤٠، فأيقنت الإدارة الأمريكية أنه لا مناص من تقديم المساعدة لبريطانيا لمواجهة المد النازي، ولم تقف إدارة روزفلت عند مرحلة الدعم المعنوي، وإنما انخرطت في الدعم المادي بالسلاح، كما تجاوزت مرحلة الحياد المعلن إلى مرحلة الانحياز التام بإقرارها مبدأ الإعارة والتأجير من أجل تأمين احتياجات بريطانيا، ثم جاء اجتياح هتلر للاتحاد السوفيتي بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير، ودفعت أمريكا لإعلان الحرب، ثم انتقل لتناول أمريكا ما بعد روزفلت الذي لم يُكمل مدته الرئاسية الرابعة إذ وافته المنية في ١٢ أبريل ١٩٤٥، حيث وجد الأمريكيون أنفسهم في مفترق الطرق عشية الانفتاح على عالم الحرب الباردة، واعتبر هذه العناصر قضايا انطلقت منها إدارة الرئيس هاري ترومان، وبالتالي سيكون لها تأثيرها على الحراك الداخلي الأمريكي، في مرحلة التحول من روزفلت إلى ترومان.

يُعالج **الفصل الثاني** الموسوم "الأمريكيون في مرحلة التحول" قضايا التحول في الإدارة الأمريكية من روزفلت إلى ترومان، ابتداء من اختيار ترومان نائبًا لروزفلت في دورته الرابعة، ثم خلافته له في الرئاسة، ويرى أنه نظريًا كان مجرد تكميل وامتداد لفترة إدارة سلفه الرابعة، بالرغم من أن الاختلاف بين شخصيتي الرئيسين كان واضحًا منذ اللحظة الأولى من حيث النشأة والتكوين وطريقة التفكير واتخاذ القرارات، بالرغم من محاولة ترومان دائمًا تقليد روزفلت في كل شيء، وكان يسأل عمّا كان روزفلت سيفعله في هذا الموضوع إذا كان حيًا؟، وبالتالي كان شبح الأخير يطارد ترومان في كل مكان، وملامح التحول التي أحدثها في البيت الأبيض، والتي ظهرت آثارها بصورة واضحة في سوء الإدارة الأمريكية، ومدى التحول في طريقة ونظام الإدارة، وفي التعامل مع مؤسسات الدولة، ثم انتقل لدراسة تأثير ذلك على المجتمع الأمريكي، فقد كان التحول من رووفلت إلى ترومان ذا أثر كبير على المستويين المباشر وغير المباشر، وما اعتراه من تغيرات في تلك المرحلة أدت إلى انحسار دور الديمقراطيين في الكونجرس نتيجة لاخفاقات الرئيس ترومان، وهبوب نقابات العمال للدفاع عن مكتسباتها التي جنتها طوال فترة حكم روزفلت، والمتمثلة في تكوين نقابات وتجمعات قوية للمحافظة على حقوقهم أمام استغلال أصحاب العمل وفقًا لقانون "واجنر" الذي سنه روزفلت عام ١٩٣٧، وقوانين الحد الأدنى للأجور، والحد الأقصى لساعات العمل، وتزايدت الانتقادات ضد الرئيس ترومان بعد أدائه المخيب في التعامل مع مسألة اعتصامات وإضرابات العمال والموظفين التي عمّت أرجاء البلاد، وفشلت الحكومة الفيدرالية في عهد ترومان في الحفاظ على مكتسبات الشعب، وتفشى هذا الفشل في المؤسسات القومية، وطال الأمور البسيطة، وبحلول عام ١٩٤٨ كانت هناك حركة نشطة داخل أروقة الحزب الديمقراطي تطالب بتنحية ترومان، إلا أنه رغم ذلك نجح في انتخابات العام نفسه لأنه استنسخ برنامج روزفلت في انتخابات ١٩٤٤، وكان منافسهما الجمهوري في المرتين هو نفسه، واكتسب ترومان الثقة فأعلن في يناير ١٩٤٩ مقترحات أطلق عليها "النظام العادل"، ولكن هذا النظام انتهى في العام التالي لإعلانه بسبب الحرب الكورية، وخسارة الديمقراطيين لمقاعدهم في مجلس النواب، بسبب سياسة ترومان ونظامه العادل، إلى أن نصل إلى تفشي ما عرف باسم "حمى الماكارثية"، التي كانت نتيجة لنجاح مكارثي في اختيار التوقيت المناسب لاتهام وزارة الخارجية وموظفيها بأنهم أعضاء في الحزب الشيوعي الأمريكي، أو موالون له، وأنهم يسعون لتشكيل سياسة الولايات المتحدة الخارجية لصالح الشيوعيين.

يتعرض في **الفصل الثالث** المعنون "الطلاق الودي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي" لقضايا الخلافات التي دبت بين المعسكرين الكبيرين في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية، بعد أن كان التفاهم والوفاق هما السائدين، وذلك لاختلاف وتضارب المصالح بينهما، وبرزت إلى العلن موضوعات كانت هي بؤرة الحرب الباردة، بداية من الاختلاف في وجهات النظر حول أولويات مصالحهما بين مؤتمر يالتا الذي تم بموجبه التحالف بين روزفلت (أمريكا) وستالين (الاتحاد السوفيتي) لمواجهة أعباء ما بعد الحرب، ومؤتمر بوتسدام الذي شهد انفراط العقد بينهما نتيجة لكراهية الرئيس الأمريكي الجديد ترومان لستالين، وإضماره ضرب المدن اليابانية بالقنبلة الذرية، فبالقنبلة لم تعد الولايات المتحدة بحاجة إلى مساعدة السوفيت في الحرب ضد اليابان، مرورًا بالستار الحديدي التي برزت كنتيجة لعرقلة تشرشل رئيس الوزراء البريطاني لأي جهود للولايات المتحدة في سبيل التقارب مع الاتحاد السوفيتي، ومبدأ ترومان الذي بدأ مرحلة تاريخية جديدة على الطريق إلى الحرب الباردة بدت فيها العداوة بين السوفيت والأمريكان إذ تحول الاتحاد السوفيتي بعد إعلانه إلى عدو حقيقي لوقف الشيوعية أينما وجدت أو وصلت، ويرى أن السبب الرئيس وراء توجه الولايات المتحدة لهذا الاتجاه في السياسة الخارجية هو فشل سياسة ترومان داخليًا، وسياسة الاحتواء التي أشعلت الحرب الباردة، ليتحول الصدام إلى صراع أيديولوجي بين المعسكرين الكبيرين تحت مصطلح الحرب الباردة. ولو تأملنا ما يتناوله الفصل سنجده يرصد إرهاصات تدخل الولايات المتحدة في الشؤون العالمية بوصفها دولة عظمى مستفيدة من تبعات الحرب العالمية الثانية على دول العالم القديم المنهكة اقتصاديًا والهرمة سياسيًا.

يناقش **الفصل الرابع** "الاستراتيجية الأمريكية في فترة الحرب الباردة" من خلال: الثوابت الاستراتيجية في السياسة الخارجية الأمريكية، والاستراتيجية تجاه قضايا ألمانيا، ومشروع مارشال لإنعاش الاقتصاد الأوروبي، وحلف شمال الأطلنطي لتكتيل دول غرب أوروبا، ومشروع النقطة الرابعة لجذب الشعوب الأقل نموًا، واتفاقية الجات التي تعبر عن استراتيجية النفعية الأمريكية، كل ذلك بهدف حماية الدول والشعوب الموالية للولايات المتحدة، والتي تريد التبعية للنموذج الأمريكي من الوقوع فريسة في يد ما كانت تراه واشنطن أطماعًا سوفيتيه. وذلك في إطار توازن القوى الذي أرادته الولايات المتحدة في تعاملها مع الدُب الروسي. ويرى الكاتب أن من الصعوبة الوقوف على ثوابت استراتيجية ملموسة لسياسة الولايات المتحدة الخارجية في تلك المرحلة المبكرة من الحرب الباردة، خاصة أنها حينما أطلت لأول مرة على الشؤون الدولية بعد الحرب العالمية الثانية رأى رجالها أن المد السوفيتي في شرق أوروبا صار كالسرطان الذي لابد أن يحاصروه ويستأصلوه، أو على الأقل يعزلوه من خلال سياسة الاحتواء، ولم يكن لدى الولايات المتحدة أية وسائل لمقاومة هذا التوغل الشيوعي سوى القنبلة الذرية، والوضع المالي المتميز، ولهذا عندما نجح السوفيت في امتلاك القنبلة الذرية في سبتمبر ١٩٤٩ ساد الخوف والهلع في البيت الأبيض بسبب الخلل الذي طرأ على موازين القوى، وبات أمام الإدارة الأمريكية خيارات أربع: إما استمرار الوضع الحالي، أو العودة إلى سياسة العزلة، أو التوسع في بناء الجيش والدخول في حرب جديدة، أو التحول والتغير السريع في البناء العسكري، ورجح الساسة الأمريكيون الخيار الأخير، وبناء عليه تمت مضاعفة المبالغ المالية المعتمدة لوزارة الدفاع أربع مرات، وقد لعبت تطورات الأمور ومستجداتها دورًا بارزًا في السياسة الخارجية في تلك المرحلة المبكرة من الحرب الباردة، وهو ما يتضح بجلاء في قضايا ألمانيا، ومشروع مارشال، ومنظمة حلف شمال الأطلنطي، ومشروع النقطة الرابعة، واتفاقية الجات، ومثلت هذه القضايا نموذجًا للرؤية التي أرادت بها الولايات المتحدة تكوين "نصف عالم حر" يسير في كنفها، وليس مع الاتحاد السوفيتي.

تختتم الدراسة **بالفصل الخامس** الذي يتناول "الهيمنة الأمريكية والشرقان الأقصى والأوسط"، وفيه عالج طبيعة نظام الهيمنة الأمريكية، الذي يهدف إلى السيطرة دون التورط في حالة استعمار مباشر، وكان الشرقان الأوسط والأقصى هما المكانين الجغرافيين البارزين لتطبيق هذه الرؤية، فقد درس الفصل أبرز القضايا التي واجهتها الولايات المتحدة فيهما، من خلال تناول موقعهما من السياسة الأمريكية، والسياسة الأمريكية تجاه اليابان، توحيد الصين، والحرب الكورية، وسياسة ترومان تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، والموقف الأمريكي من المد السوفيتي في إيران. وذلك من منطلق احتكار القوة فيهما دون الاتحاد السوفيتي، إذ لم تتردد واشنطن عن التدخل العسكري لإقرار وضع أو مساندة نظام بهدف التواجد في هذه الدولة أو تلك المنطقة. ففي الوقت الذي تعاملت فيه الولايات المتحدة بالوجه الطيب المساعد لدول غرب أوروبا أو الشعوب الأقل نموًا في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية التي تعلن عن انضمامها للمعسكر الغربي الذي تقوده وتتزعمه، إلا أنها تكشف صراحة عن وجهها القبيح وتكشيرها عن أنيابها ضد أية دولة أو منطقة تعلن انضمامها إلى المعسكر الشرقي، فنراها تساند حلفاءها، وتدعم الانقلابات ضد الأنظمة الشرعية، طالما أن ذلك يهدف إلى الوقوف ضد الاتحاد السوفيتي في منظومة الحرب الباردة. فيقدم الفصل بعض القضايا كنماذج توضح الطريقة التي تعاملت بها الولايات المتحدة مع تلك الدول أو المناطق التي تحتلف في توجهاتها وطموحاتها مع واشنطن، ولا ترغب الأخيرة في تركها تخرج من يديها، ولا يكون لها النصيب الأوفر من خبراتها وثرواتها، وتحقيق مصالحها الإمبريالية الاقتصادية والسياسية والعسكرية، بالإضافة إلى الهيمنة الاستراتيجية.

تفتقد الدراسة **لخاتمة** تقدم أهم النتائج التي توصلت إليها. وتعتمد على بعض وثائق وزارة الخارجية الأمريكية المنشورة في كتب تأخذ عناوينها بعناوين السنة الزمنية التي تتناولها والمنطقة الجغرافية التي تتحدث عنها، إلا أنها قامت في بصورة رئيسة على المقالات المنشورة في الدوريات. كذلك استفادت من خطب ورسائل الرئيس روزفلت، وبعض الوثائق المنشورة في المراسلات بين رزفلت وتشرشل، ومراسلات روزفلت وستالين. رغم أنها تتناول فترة حكم الرئيس ترومان، ولكن فيما يبدو أنها لم تكن من الناحية العملية إلا امتداد للرئيس روزفلت إضافة للمذكرات الشخصية المنشورة لبعض مَنْ عاصروا الأحداث ولعبوا دورًا مهمًا في توضيحها. وتفتقد الدراسة الاطلاع على وجهة النظر الأخرى خاصةً عند تناولها الصراع العربي الإسرائيلي فلم تتطرق للدوريات العربية والمصرية التي كانت تصدر في تلك الفترة التاريخية، وتستعرض وجهة النظر الأخرى في التحرك الأمريكي في الشرق الأوسط، ولم تتطرق لحلف وارسو الذي تزعمه الاتحاد السوفيتي كرد فعل على حلف شمال الأطلنطي ومَنْ يقرأ الدراسة يستشعر شغف المؤلف بالولايات المتحدة باعتبارها قوة عظمى على المستوى الشخصي، وتأثره الواضح بأيديولوجيتها، إذ يجد المبرر دائمًا لكل ما تقوم به، متأثرًا بالفكر الرأسمالي القائم على مقولة مكيافيلي "الغاية تبرر الوسيلة". رغم ذلك يبقى الكتاب إضافة للمكتبة العربية خاصة أنه قائم على مؤلفات أجنبية كثيرة.

# سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه بوليفيا

## (١٩٥٢ – ١٩٦٤)



**محمد عبد الباسط محمد العناني**

مدرس مساعد التاريخ الحديث والمعاصر

قسم التاريخ – كلية التربية

جامعة عين شمس – جمهورية مصر العربية

**بيانات الأطروحة**

أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

قسم التاريخ – كلية التربية – جامعة عين شمس

القاهرة ٢٠١٤.

إعداد: محمد عبد الباسط محمد العناني

إشراف: أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس

د. علي إبراهيم عبد اللطيف

**كلمات مفتاحية:**

ثورة بوليفيا، السياسة الأمريكية، الحرب الباردة، العلاقات الدولية، تاريخ الولايات المتحدة

### مُقدِّمة

تُعَدّ ثورة بوليفيا، التي قامت في التاسع من أبريل ١٩٥٢م، ثالث ثورة اجتماعية في أمريكا اللاتينية بعد الثورة المكسيكية في سنة ١٩١٠م، والثورة الجواتيمالية في سنة ١٩٤٤م، وأول ثورة شعبية في النصف الثاني من القرن العشرين، الذي شهد نمو الحركة الثورية في أمريكا اللاتينية؛ مما كان يهدد مركز الولايات المتحدة ووجودها في أمريكا اللاتينية؛ ومن ثم مصالحها الاقتصادية، والسياسية، والاستراتيجية، لذا لم ترحب الولايات المتحدة بهذه التجارب الثورية في دول أمريكا اللاتينية، واختلفت سياستها تجاه كل دولة من دول أمريكا اللاتينية حسب حجم مصالحها فيها، وتبعًا لطبيعة الخطر الذي تشكله الثورة في كلٍ منها على المصالح الأمريكية، وكانت الثورة البوليفية من ضمن هذه التجارب الثورية.

تتناول هذه الدراسة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه بوليفيا، على مدار الفترة الممتدة من عام ١٩٥٢م، إلى سنة ١٩٦٤م، والبالغة أثنى عشر عامًا تقريبًا، وهى عمر التجربة الثورية البوليفية؛ لذا يرجع سبب اختيار الفترة التاريخية للدراسة إلى أن سنة ١٩٥٢م، والتي تمثل نقطة البداية للدراسة، شهدت بداية اشتعال الثورة البوليفية وانطلاقها، والتي خلصت بوليفيا من سيطرة بارونات القصدير على مفاصل اقتصادها، ومن ظلم الإقطاعيين لسكانها من الهنود، ومن سيطرة جنرالات الجيش على مقاليد حكمها، وسياساتهم التي كانت تعمل على الحفاظ على مصالح الصفوة الحاكمة، وتحكمها في مصائر الشعب البوليفي الذي وصل سخطه إلى ذروته في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين، فخرج في ثورة اجتماعية وشعبية تلك التي تولت الطبقة العمالية قيادتها؛ أي كانت سنة ١٩٥٢م، بمثابة فاصل بين فترتين متمايزتين في التاريخ البوليفي؛ إذ أحدثت الثورة البوليفية بمجرد تمكّنها من الحكم، تغييرًا كبيرًا في بوليفيا عن طريق الإصلاحات الثورية التي قام بتطبيقها حزب الحركة القومية الثورية Movimiento Nacionalista Revolucionario (MNR) الذي تولى الحكم فيما بعد الثورة؛ لذا فقد اختلفت سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا اختلافًا كبيرًا بعد الثورة البوليفية في أبريل ١٩٥٢م؛ إذ أن الولايات المتحدة بدأت في وضع سياسة جديدة للتعامل مع الوضع الجديد في بوليفيا، والذي كان يهدد مصالحها بشكل كبير.

تنتهى الدراسة عند سنة ١٩٦٤م، وهو العام الذي شهد نهاية التجربة الثورية البوليفية؛ إذ سقطت حكومة الحركة القومية الثورية نتيجة الانقلاب العسكري في الرابع من نوفمبر ١٩٦٤م، والذي كان يمثل نهاية لثورة ١٩٥٢م، ونقطة فاصلة بين عهد استمر اثنى عشر عامًا، وهو عمر الثورة البوليفية، وعهد آخر مختلف، كانت سيطرة جنرالات الجيش البوليفي على الحكم هو السمة الغالبة عليه؛ لذا فإن سنة ١٩٦٤م تمثل من جانب آخر فارقًا في سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا، إذ أن هذا العام شهد تغيرًا كبيرًا في بوليفيا بسقوط الحركة القومية الثورية.

وصعود الجيش مرة أخرى للحكم، وتبع هذا التغير الداخلي البوليفي تطور آخر في سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا.

لذلك، تُعَدّ الفترة التاريخية الممتدة بين عامي (١٩٥٢- ١٩٦٤م) مرحلة مهمة من مراحل التاريخ البوليفي؛ لما شهدته خلالها بوليفيا من تجربه ثورية فريدة لم يكتمل نجاحها نتيجة الانقلاب العسكري، ولكنها بالطبع أحدثت تغيرًا كبيرًا في الجمهورية البوليفية. كما تُعد هذه الفترة التاريخية مرحلة مهمة ومتمايزة من مراحل سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، لما شهدته هذه السياسة من تغير ملحوظ وواضح مع بداية الثورة البوليفية في أبريل ١٩٥٢م، وتطور مستمر على امتداد هذه الفترة التاريخية التي انتهت عند سنة ١٩٦٤م بنهاية التجربة الثورية البوليفية.

## أهمية موضوع الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة في أنها تُعد إضافة مهمة للمكتبة العربية؛ إذ أنها تفتقر إلى دراسات عربية تتناول التاريخ الأمريكي بشكل عام، وتاريخ التجارب الثورية في أمريكا اللاتينية وسياسة الولايات المتحدة تجاهها بشكل خاص، كما إنه لا يوجد دراسات عربية تناولت سياسة الولايات المتحدة لمواجهة الثورة البوليفية. يُضاف إلى ذلك ما تمثله هذه الدراسة من أهمية للباحثين وصناع القرار العرب عامة، والمصريين خاصة، فأمريكا اللاتينية على الرغم من كونها بعيدة عن المنطقة العربية جغرافيًا، إلا أنها قريبة منها في الواقع الاقتصادي والسياسي، كما أن التجارب الثورية في أمريكا اللاتينية تتشابه بدرجه كبيرة مع بعض التجارب الثورية العربية، فثورة بوليفيا على سبيل المثال كانت في العام نفسه الذي قامت فيه ثورة يوليو ١٩٥٢م المصرية، وعلى الرغم من الاختلاف بين الثورتين إلا أنه لا يمكن نفي بعض التشابهات. وبوجه عام فإن التجربة الثورية البوليفية تُعد من إحدى التجارب الثورية الثرية في أمريكا اللاتينية، والتي كانت سياسة الولايات المتحدة للتعامل معها مختلفة نوعًا ما عن باقي تجارب أمريكا اللاتينية الثورية؛ لذا فإن دراسة آليات وأساليب هذه السياسة وتحليلها يمثل ضرورة من أجل فهم الأبعاد الحقيقية للسياسة الأمريكية.

ويجب الإشارة هنا إلى؛ أن هذه الدراسة **اعتمدت بشكل كبير على الوثائق سواء غير المنشورة منها أو المنشورة**، وتأتي وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F.O) في مقدمة الوثائق غير المنشورة، وهي تُعَدّ من أهم الوثائق التي اعتمدت عليها الدراسة، تلك التي أفادت منها بشكل كبير، خاصة في توضيح الأوضاع الداخلية في بوليفيا قبل وأثناء الثورة؛ ومن ثم الوقوف على خلفية بعض الأحداث المهمة التي شكلت تاريخ بوليفيا من جانب، ورد فعل الولايات المتحدة من جانب آخر؛ إذ أنها تناولت بالتفصيل الوضع الداخلي في بوليفيا، سواء الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي، كما تعرضت في كثير من الأحيان إلى وجهة النظر الرسمية سواء البوليفية أو الأمريكية تجاه بعض القضايا المهمة التي تناولتها الدراسة والتي لم تعتمد عليها إلا بعد البحث والتحليل من أجل تحري الدقة التاريخية. يلي وثائق وزارة الخارجية البريطانية في قائمة الوثائق غير المنشورة وثائق وزارة الخارجية الكندية، والتي ساهمت في توضيح بعض القضايا، خاصة المرتبطة بتأثير العلاقات البوليفية - الكوبية على سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا.

أما الوثائق المنشورة، فيأتي في مقدمتها مجموعة وثائق العلاقات الخارجية الأمريكية (FRUS) والتي غطت ملفاتها غالبية فترة الدراسة الممتدة على مدار اثنى عشر عامًا تقريبًا من سنة ١٩٥٢م، إلى سنة ١٩٦٤م؛ كما اعتمدت الدراسة على وثائق وزارة الخارجية الأمريكية المنشورة ضمن نشرتها الدورية The Department of State Bulletin (DOSB)، تلك التي غطت الكثير من موضوعات الدراسة، إلى جانب وثائق الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، والتي كانت مصدرًا مهمًا للكثير من البيانات الخاصة بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية، وأيضًا وثائق السياسة الخارجية الأمريكية American Foreign Policy، كما اعتمدت الدراسة على عدة وثائق أخرى مهمة مثل الأوراق العامة للرؤساء الأمريكيين، ووثائق وكالة المخابرات الأمريكية CIA، وغيرها.

وقد التزم الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي، بهدف رصد الأحداث التاريخية، وتحليلها، ملتزمًا بوحدة الموضوع في السياق التاريخي العام، وفي إطار العمل على الاهتمام بكافة الظروف والمعطيات الموضوعية التي تؤثر في الحدث التاريخي من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية قدر المستطاع.

## فصول الرسالة

تكونت الدراسة من: تمهيد، وأربعة فصول رئيسة، بالإضافة إلى المقدمة، والخاتمة، وقائمة بالملاحق، وأخرى بالمصادر والمراجع. وكُتب **التمهيد** تحت عنوان **"سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا ١٨٢٥- ١٩٥١م"** وتناول جذور العلاقات الأمريكية- البوليفية، ورصد بداية تشكلها، ومراحل تطورها المختلفة، كما أنه تناول موقف الولايات المتحدة من حزب الحركة القومية الثورية منذ تأسيسها في سنة ١٩٤١م، وحتى نجاحه في انتخابات مايو من سنة ١٩٥١م، والتي فاز فيها بمنصبي الرئيس البوليفي ونائبه، وركز هذا المحور على التوترات التي نشبت فيما بين الحزب والولايات المتحدة، نتيجة لمعارضته للإمبريالية الأمريكية، لذا أبرز التمهيد الأهداف المختلفة للولايات المتحدة في بوليفيا، من واقع وثائقها المنشورة. بالإضافة إلى ذلك، فقد تناول التمهيد أوضاع بوليفيا قبيل الثورة البوليفية، فتعرض للأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، وكذلك السياسية، من أجل إعطاء صورة عامة عن الوضع داخل بوليفيا فيما قبل سنة ١٩٥٢م، والذي كان له دور كبير في انفجار الثورة البوليفية.

أما **الفصل الأول**، والذي جاء بعنوان **"موقف الولايات المتحدة إزاء الثورة البوليفية ١٩٥٢م"** فقد تناول هذا رد فعل الولايات المتحدة تجاه الثورة البوليفية في سنة ١٩٥٢م، وموقفها من وصول الحركة القومية الثورية، والتي كانت تعارضها من قبل،

إلى حكم بوليفيا؛ لذا انقسم هذا الفصل إلى أربعة محاور رئيسة: تناول المحور الأول فيها انتخابات مايو ١٩٥١م، والتي فازت فيها الحركة القومية الثورية بمنصبي الرئيس البوليفي ونائبه، ولكنها لم تتمكن من تولى الحكم نتيجة سيطرة المجلس العسكري على السلطة، أما المحور الثاني، فيتناول أحداث العصيان المدني المسلح في الفترة (٩- ١٤ أبريل ١٩٥٢م) ويرصد هذا المحور هزيمة الجيش البوليفي أمام العمال المسلحين، وتأييد الشعب البوليفي لهذا العصيان حتى أصبح ثورة شعبية، أما بالنسبة للمحور الثالث، فإنه يتعرض لموقف الولايات المتحدة إزاء وصول الحركة القومية الثورية للحكم في بوليفيا فيما بعد الثورة، ويرصد تطور موقف الولايات المتحدة وصولاً إلى إعلان اعترافها بالحكومة البوليفية الثورية، وقد تناول المحور الرابع والأخير موقف الولايات المتحدة إزاء الإصلاحات الثورية في بوليفيا والتي كان أهمها: موقفها إزاء تأميم مناجم القصدير، والذي كان بمثابة القضية الأهم بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، وموقفها إزاء الإصلاح الزراعي، وإعادة تنظيم الجيش البوليفي.

أما **الفصل الثاني**، فهو بعنوان **"مساعدات الولايات المتحدة الاقتصادية لبوليفيا وآثارها السياسية"**، واشتمل على ثلاثة محاور أساسية: رصد المحور الأول فيها زيارة "ميلتون أيزنهاور" (Milton Eisenhower) إلى بوليفيا سنة ١٩٥١م، وتشكل سياسة الولايات المتحدة إزائها، إذ أن هذه الزيارة مهدت لبداية الدعم الاقتصادي الأمريكي لبوليفيا، والذي بدأ سنة ١٩٥٣م؛ لذا تناول المحور الثاني برامج المساعدات الاقتصادية الأمريكية في بوليفيا، ورصد هذا المحور تطور برامج المساعدات الاقتصادية إلى بوليفيا، والتي تمثلت في ثلاثة برامج، بدأت بالمساعدات الطارئة (١٩٥٣- ١٩٥٦م)، ثم برنامج الاستقرار النقدي البوليفي (١٩٥٦- ١٩٦٠م)، والذي كان يمثل مرحلة مهمة من مراحل سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، ثم برنامج التنمية البوليفية طويلة المدى (١٩٦١- ١٩٦٤م)، والذي قفزت خلاله المساعدات الاقتصادية الأمريكية المقدمة إلى بوليفيا بشكل كبير، أما بالنسبة إلى المحور الثالث والأخير في هذا الفصل فتناول الآثار السياسية لمساعدات الولايات المتحدة الاقتصادية، وركز على تأثير هذه المساعدات المتمثل في زيادة تدخل الولايات المتحدة في الشئون السياسية لبوليفيا.

أما **الفصل الثالث**، فخُصص لتناول **"آثار الحرب الباردة على سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا"**، واستعرض هذا الفصل ثلاثة محاور أساسية: تناول المحور الأول فيها سياسة الولايات المتحدة تجاه الجناح اليساري في الحركة القومية الثورية وميليشياته، وركز هذا المحور على موقف الولايات المتحدة منه وخاصة ميليشياته، ورصد سياستها تجاهه خاصة الهادفة إلى تقليص قوة الميليشيات لما تمثله من خطر على مصالح الولايات المتحدة، أما المحور الثاني، فرصد سياسة الولايات المتحدة تجاه المد الشيوعي في بوليفيا وركز بشكل خاص على استراتيجيات الولايات المتحدة وآلياتها لمكافحة الحركة الشيوعية في بوليفيا، واستكمل المحور الثالث والأخير الفكرة نفسها، بتناوله لآثار الثورة الكوبية على سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا، ورصد تطور سياسة الولايات المتحدة على إثر الثورة الكوبية وتهديد كاسترو بتصديرها إلى دول أمريكا اللاتينية، ومنها بوليفيا؛ ومن ثَمَّ عملت سياسة الولايات المتحدة على التصدي لمثل هذه المحاولة ومنع وقوع بوليفيا تحت النفوذ السوفيتي.

أما **الفصل الرابع** والأخير، فقد عالج **"دور الولايات المتحدة في الإطاحة بحكومة الحركة القومية الثورية في بوليفيا"**، ولذا احتوى على ثلاث محاور رئيسة: رصد المحور الأول دور الولايات المتحدة في إعادة بناء الجيش البوليفي، الذي كان قد انهار بعد الثورة نتيجة سياسة الحركة القومية الثورية الهادفة إلى تطهيره وإضعاف قدراته، ومر دور الولايات المتحدة في إعادة بناء الجيش البوليفي بثلاث مراحل متتابعة امتدت المرحلة الأولى بين عامي (١٩٥٢- ١٩٥٥م)، والمرحلة الثانية بين عامي (١٩٥٦- ١٩٦٠م)، أما المرحلة الثالثة والأخيرة، فقد امتدت بين عامي (١٩٦٠- ١٩٦٤م)، أما المحور الثاني، فتناول موقف الولايات المتحدة من ترشيح "الجنرال بارينتوس" (General Barrientos) في انتخابات مايو ١٩٦٤م، وركز بشكل أساسي على الاختلاف الذي كان بين كلٍ من وزارة الخارجية الأمريكية والبنتاجون بشأن هذه القضية والذي انتهى إلى تأييد الولايات المتحدة بكامل هيئاتها لترشح الجنرال بارينتوس لمنصب نائب الرئيس إلى جانب (Estenssoro) "استنسورو" (١٩٥٢- ١٩٥٦م، ١٩٦٠- ١٩٦٤م) في انتخابات مايو ١٩٦٤م، أما بالنسبة للمحور الثالث والأخير، فرصد دور الولايات المتحدة في انقلاب الرابع من نوفمبر ١٩٦٤م، كما تناول وجهات النظر المختلفة بشأن أهمية هذا الدور في حدوث الانقلاب والإطاحة بحكومة الحركة القومية الثورية من الحكم في بوليفيا.

## أهم نتائج الدراسة

خلصت الدراسة إلى أن سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا مرت بثلاث مراحل متتابعة **امتدت المرحلة الأولى منها من سنة ١٩٥٣م، إلى سنة ١٩٥٥م، والتي أطلق عليها الباحث "مرحلة التقييد والدعم الحذر"**، وهي المرحلة التي عملت فيها الولايات المتحدة على تقييد الحركة الثورية في بوليفيا، وتقييد إصلاحاتها الثورية. وقد استخدمت الدعم والمساعدات الاقتصادية كوسيلة لتحقيق هذا الهدف؛ وكان هدف الولايات المتحدة الأساسي هو الحفاظ على مصالحها في بوليفيا ودول أمريكا اللاتينية، لذلك كان المسئولون الأمريكيون يقظون لأي تغير قد يؤثر بالسلب على هذه المصالح الأمريكية في أية دولة من دول أمريكا اللاتينية، والتي كانت تعتبرها الولايات المتحدة بمثابة الحديقة الخلفية لها.

كان المسئولون الأمريكيون ينظرون إلى بوليفيا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية على أنها مورد مهم من موارد المواد الخام خاصة القصدير الذي كان من أهم صادرات بوليفيا المعدنية، فعملت

السياسة الأمريكية آنذاك على الحفاظ على هذا المورد المهم والقريب منها، خاصة في حالة نشوب أي حروب. ومن جانب آخر، كانت الاستثمارات الأمريكية الخاصة قد دخلت مجال صناعة النفط في بوليفيا؛ لذا كانت واشنطن تنظر إلى أية محاولة تؤثر على استمرار تدفق القصدير إلى موانها من جانب، أو على استثماراتها الخاصة من جانب آخر، على إنها تُعَدّ تهديدًا مباشرًا لمصالحها في بوليفيا؛ ومن ثم في دول أمريكا اللاتينية بأكملها.

كان المسئولون الأمريكيون يتوقعون حدوث ثورة في بوليفيا، ويناقشون احتمالية مجيء حكومة غير متعاونة مع الولايات المتحدة على مضض، وهذا ما حدث بالفعل؛ إذ تولت الحركة القومية الثورية (MNR) حكم بوليفيا بعد ثورة أبريل ١٩٥٢م، وأصبح استنسورو (Estenssoro)– الذي كان قد انتُخب في مايو ١٩٥١م - الرئيس الدستوري لبوليفيا، ولذا نظرت وزارة الخارجية الأمريكية في البداية، إلى وصول الحركة القومية الثورية لحكم بوليفيا على أنه يمثل تهديدًا لمصالحها هناك.

امتنعت إدارة الرئيس "ترومان" Truman (١٩٤٥- ١٩٥٣م) والتي كانت ولايتها قد أوشكت على الانتهاء عن الاعتراف بالحكومة البوليفية الثورية الجديدة، كما أوقفت الدعم المقدم إلى بوليفيا، بعد تأكدها من سيطرة الحركة القومية الثورية على السلطة في بوليفيا، وألغت عقود التنجستين مع بوليفيا، وأوقفت مفاوضات شراء القصدير، وهذا التصرف الأخير من جانب الولايات المتحدة أزعج حكومة الحركة القومية الثورية كثيرًا، ذلك لأن القصدير كان من أهم صادرات بوليفيا، وكانت تعتمد عليه بشكل أساسي من أجل الحصول على النقد الأجنبي لشراء (٤٠ %) تقريبًا من احتياجاتها من المواد الغذائية، خاصة وأنها ورثت الأزمة الاقتصادية من المجلس العسكري مما وضعها في معضلة، وجعلها في حاجة ماسة إلى المساعدات الاقتصادية، وتحت تأثير الأزمة الاقتصادية، وبفعل تجاربها السابقة مع الولايات المتحدة قامت حكومة الحركة القومية الثورية بمناشدة الولايات المتحدة من أجل الاعتراف، ومن ثم توقيع عقد لشراء القصدير وتقديم المساعدات الاقتصادية.

اعترفت الولايات المتحدة بحكومة الحركة القومية الثورية في الثاني من يونيو ١٩٥٢م، أي بعد حوالي شهرين من قيام الثورة البوليفية، ولم يحمل هذا الاعتراف من جانب إدارة الرئيس ترومان، معه علاقات حميمة، ولكنه كان موقفًا غير واضح بشكل كبير، فكان الاعتراف عبارة عن موافقة حذرة من جانب واشنطن إذ إنه كان بمثابة محاولة لتثبيط خطط الحركة القومية لتأميم القصدير، بالإضافة إلى أن واشنطن استخدمت عمليات الشراء الكبيرة، والتهديد بعدم التفاوض حول عقود شراء القصدير طويلة المدة كسياسة العصا والجزرة لوقف خطط تأميم مناجم القصدير حينًا، وسياسة المماطلة من أجل تأجيلها حتى مجيء الإدارة الأمريكية الجديدة حينًا آخر، حتى أصبح موقف الولايات المتحدة إزاء بوليفيا شبه مجمد خلال النصف الثاني من سنة ١٩٥٢م، بسبب الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وبهذا تركت إدارة ترومان مهمة تشكيل السياسة الأمريكية الجديدة تجاه بوليفيا إلى الإدارة التالية لها، أي إدارة الرئيس "أيزنهاور" Eisenhower (١٩٥٣-١٩٦١م).

**بدأت السياسة الأمريكية تجاه بوليفيا - ما بعد الثورة - في التبلور مع بداية إدارة أيزنهاور؛ إذ كان المسئولون الأمريكيون يهدفون إلى تحجيم الحركة الثورية في بوليفيا وتقييد تقدمها؛ ومن ثم السيطرة عليها**، فاستغلت الولايات المتحدة الأزمة الاقتصادية البوليفية التي كانت تهدد حكومة الحركة القومية الثورية بالسقوط إذا لم تستطع التغلب عليها. ومارست ضغوطًا كبيرة عليها من أجل تحجيم الإصلاحات الثورية وتقييدها، ونجحت الولايات المتحدة بالفعل في تحقيق هذا الهدف؛ إذ اعترف قانون الإصلاح الزراعي ومرسوم تأميم القصدير على مبدأ التعويضات لأصحاب الممتلكات المصادرة، وكان اتفاق الحكومة البوليفية مع مجموعة باتنيو، إحدى أكبر ثلاث شركات مالكة لمناجم القصدير في بوليفيا، على تسوية بشأن ممتلكاتها التعدينية المصادرة، وكان هذا الاتفاق هو الأهم بالنسبة للولايات المتحدة، لأن مواطنيها كانوا يملكون ربع أسهم الشركة، وبمجرد إتمام بوليفيا الاتفاق مع الشركة، أعلنت الولايات المتحدة عن عرضها لتوقيع عقد لمدة عام لشراء القصدير البوليفي، وكان توقيعها للعقد لمدة عام واحد نابعًا من رغبة إدارة أيزنهاور في عدم فقدان سلاحها من أجل الضغط لاستكمال اتفاقيات التعويضات بعد انتهاء مدة الاتفاق المؤقت بين بوليفيا ومجموعة باتنيو من جانب، وإعطاء الفرصة لنفسها حتى تضع سياسة مستقبلية أكثر وضوحًا في تعاملها مع بوليفيا ومع الحركة القومية الثورية من جانب آخر.

**تبلورت سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا بشكل أكثر وضوحًا في أواخر سنة ١٩٥٣م؛ إذ أنها قررت دعم الجناح المعتدل داخل الحركة القومية الثورية**، والذي كان يمثله كلًا من: استنسورو وسواسو وقررت في المقابل تهميش الجناح اليساري وتقييد تأثيره على الحركة القومية الثورية، وعلى الحكومة البوليفية. وقد استخدم المسئولون الأمريكيون المعونة والمساعدات الاقتصادية كوسيلة لتحقيق هذا الهدف الذي تلخص في دعم القومية الوسطية المرنة، التي لا تتحدى الأمن القومي الأمريكي والسيطرة الإقليمية للولايات المتحدة. بالإضافة إلى أنهم أرادوا أن تعطي الولايات المتحدة أمريكا اللاتينية مثالًا إيجابيًا لسياستها، لأن أمريكا الجنوبية كانت تراقب عن كثب رد الفعل الأمريكي إزاء الثورة البوليفية خاصة وسياستها تجاه بوليفيا عامة، كما أراد المسئولون الأمريكيون استخدام بوليفيا كمعمل لاختبار السياسات الاقتصادية التي كانت تُوضع في واشنطن، لذا بدأت الولايات المتحدة في تنفيذ برنامج المساعدات الاقتصادية الطارئ في أكتوبر ١٩٥٣م، بعد زيارة ميلتون أيزنهاور إلى بوليفيا، وتأكيده أن حكومتها غير شيوعية، ولكن إذا تركتها الولايات المتحدة فستسقط وسيعقب هذا السقوط حالة

من الفوضى ستمكّن اليساريين ومن بعدهم الشيوعيين، ومن ثم ستكون المصالح الأمريكية مهددة. وقد نجحت سياستها هذه نتيجة ما كانت تعانيه بوليفيا من أزمات اقتصادية متتالية كانت تهدد استمرار الثورة البوليفية نفسها؛ ولذلك تمثّل هدف الولايات المتحدة في هذه المرحلة في تقييد الثورة والإصلاحات الثورية عن طريق الدعم الحذر للجناح المعتدل في حزب الحركة القومية الثورية الحاكم.

**أما بالنسبة إلى المرحلة الثانية من المراحل التي مرت بها سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا** والممتدة بين عامي (١٩٥٦-١٩٦٠م)، والتي يمكن أن نُطلق عليها **"مرحلة الاحتواء وصنع البديل"**؛ إذ عملت السياسة الأمريكية خلالها على احتواء الحركة القومية الثورية، واحتواء الحركة الثورية بأكملها في بوليفيا بشكل أكبر، والبدء الفعلي في إعادة بناء الجيش البوليفي ليكون بديلًا للحركة القومية الثورية حال سقوطها أو انحرافها عن المسار المرغوب لواشنطن.

**رصدت الدراسة التطور الكبير الذي حدث في سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا مع مطلع عام ١٩٥٦م؛ إذ كان المسئولون الأمريكيون يبحثون عن وسائل تمكنهم من زيادة تأثيرهم على الحركة القومية الثورية الحاكمة في بوليفيا واحتوائها بشكل أكبر**؛ ومن ثم الحفاظ على المصالح الأمريكية، وزيادة نفوذ الولايات المتحدة داخل بوليفيا، وزيادة فاعلية برامج مكافحة الشيوعية، خاصة مع تصريحات الاتحاد السوفيتي المهدده بمد النفوذ السوفيتي إلى دول أمريكا اللاتينية عن طريق إقامة علاقات دبلوماسية معها.

**أثبتت الدراسة أن السياسة الأمريكية تجاه بوليفيا اتخذت ثلاثة محاور خلال هذه المرحلة** تمثّل المحور الأول في قرار الولايات المتحدة باستمرار دعمها للجناح المعتدل داخل الحركة القومية الثورية، والبدء في برامج اقتصادية جديدة تدعم وجوده واستمراره، وتعمل على احتوائه، أما المحور الثاني فانعكس في سياستها في زيادة الضغط على الجناح المعتدل مستغلة ما تقدمه له من مساعدات اقتصادية لتعزيز إجراءات الحكومة البوليفية الهادفة إلى إبعاد الجناح اليساري عن دوائر صنع القرار البوليفي، وتقليل قوة الميليشيات وتقييد تأثيرها من جانب، ومكافحة الأنشطة الشيوعية داخل بوليفيا من جانب آخر، أما المحور الثالث فتمثل في بحثها عن بديل للحركة القومية الثورية تستطيع الاعتماد عليه للحفاظ على مصالحها في حالة سقوط الحركة القومية أو انحرافها عن المسار المرغوب بالنسبة لمسئولي واشنطن، وتمثل هذا البديل في الجيش، لذا ازداد دعمها لبرنامج إعادة بناء الجيش البوليفي بشكل كبير.

بدأت الولايات المتحدة في مارس ١٩٥٦م، في وضع برنامج لتعزيز الجيش البوليفي والذي كان من أهم ملامحه: العمل على استعادة ثقة الشعب والحكومة في القوات المسلحة البوليفية عن طريق مساعدة الولايات المتحدة لها في التنمية الاقتصادية البوليفية، وتصميم برامج للمساعدات العسكرية إلى بوليفيا تُعزز مكانة القوات المسلحة لدى فئات الشعب البوليفي المختلفة، وزيادة فاعليتها في الحفاظ على الأمن الداخلي والاستقرار السياسي، وفي الوقت نفسه جددت كل من الولايات المتحدة وبوليفيا الاتفاقيات الخاصة بالجيش ومن ثم استمرار البعثات العسكرية الأمريكية في بوليفيا والسماح لضباط الولايات المتحدة بالدخول إلى لاباس، وكان استمرار البعثات العسكرية الأمريكية في بوليفيا وسيلتها في تنفيذ برنامج تعزيز الجيش البوليفي كما بدأت في تقديم المساعدات العسكرية بشكل مباشر إلى بوليفيا في سنة ١٩٥٨م.

أثبتت الدراسة بشكل كبير نجاح الولايات المتحدة خلال هذه المرحلة في تغيير مسار السياسة الاقتصادية البوليفية وجعلها تتوازى مع سياستها الاقتصادية عن طريق استخدام سلاح المساعدات الاقتصادية ضمن برنامج الاستقرار النقدي، خاصة وأن بوليفيا كانت في أشد الحاجة إليها، كما اضطرّت حكومة الحركة القومية الثورية لإيقاف أو تخفيض نفقاتها على مشروعاتها الإصلاحية والتنموية مما أضرّ بالمسار الثوري، وعزز الانقسام ما بين الجناح اليساري والجناح المعتدل داخلها.

أوضحت الدراسة، نجاح الولايات المتحدة في السيطرة على الاقتصاد البوليفي والتدخل في القرارات الاقتصادية البوليفية كثيرًا، من خلال تطبيق برنامج الاستقرار النقدي البوليفي، والذي صممه جورج إيدر وهو رئيس البعثة الاقتصادية الأمريكية في بوليفيا، ورئيس مجلس الاستقرار البوليفي. وكان إيدر كثيرًا ما يتدخل في الشئون الاقتصادية البوليفية لدرجة أنه كان يهدد الحكومة البوليفية بأنها إذا لم تنفذ الإجراءات التقشفية القاسية ضمن برنامج الاستقرار النقدي، فإنه سيتم إيقاف المساعدات الاقتصادية الأمريكية.

وبيّنت الدراسة أن تقليل قوة الجناح اليساري وتأثيره كان من أهم أهداف برنامج الاستقرار النقدي البوليفي، إذ أن الإجراءات التقشفية أثرت بشكل كبير على الميزات الاقتصادية والاجتماعية التي كان يتمتع بها العمال، كما أن هذه الإجراءات تضمنت تسريح لبعض العمال، وتعديل جداول أجورهم، مما نتج عنه في النهاية تقليل تأثيره على العمال وقوتهم، وهم نواة الجناح اليساري البوليفي وميليشياته ومصدر قوتها.

كما أثبتت الدراسة في كثير من أجزائها الأثر الكبير لبرنامج الاستقرار النقدي على زيادة الانشقاق والانقسام ما بين الجناح المعتدل والجناح اليساري داخل الحركة القومية الثورية؛ إذ أن تطبيق الإجراءات التقشفية داخله دفع لاشين إلى معارضة " سواسو " Zuazo (١٩٥٦- ١٩٦٠م) بشكل قوي، وزادت حدة الخلافات بينهما.

يجب الإشارة إلى؛ أنه في سنة ١٩٥٩م، أصبحت محاربة كوبا ومكافحة المد الشيوعي بمثابة حجر الزاوية في سياسة الولايات

عرض أطروحة

المتحدة تجاه بوليفيا ودول أمريكا اللاتينية الأخرى، إذ كانت واشنطن قلقة من انتقال عدوى الثورة والنفوذ الشيوعي كالدومينو – المقصود نظرية الدومينو - من كوبا إلى دول أمريكا اللاتينية وخاصة إلى بوليفيا التي كانت الحركة الشيوعية فيها نشطة آنذاك؛ لذا ازداد اهتمام الولايات المتحدة بأمريكا اللاتينية، وعمل مسئولو صنع السياسة الخارجية فيها على تطوير السياسة الأمريكية من أجل منع اندلاع ثورة أخرى على غرار الثورة الكوبية في أي دولة أخرى، خاصة بعد فشل الولايات المتحدة في الإطاحة بكاسترو؛ ومن ثم هزيمتها.

**أما بالنسبة إلى المرحلة الثالثة والأخيرة من المراحل التي مرت بها سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا**، والممتدة بين عامي (١٩٦١- ١٩٦٤م)، والتي يمكن أن يُطلق عليها " **مرحلة تصعيد الجيش البوليفي إلى الحكم** "؛ فإن الولايات المتحدة عملت خلال هذه المرحلة على دعم برنامج إعادة بناء الجيش بشكل أكبر مما سبق، كما مارست ضغوطها على حكومة الحركة القومية الثورية لتصبح أكثر اعتمادًا على الجيش؛ ومن ثم زيادة دوره في السياسة الداخلية لبوليفيا، وصولًا بتصعيده إلى الحكم كبديل للحركة القومية الثورية.

**تطورت السياسة الامريكية مرة أخرى تجاه بوليفيا على إثر الثورة الكوبية، وتزامن هذا مع تولي إدارة "كينيدي" Kennedy (١٩٦١- ١٩٦٤م) لحكم الولايات المتحدة في سنة ١٩٦١م**؛ إذ احتلت أمريكا اللاتينية مكان الصدارة في أولويات الولايات المتحدة في عهد كينيدي، وعملت السياسة الأمريكية خلال هذه المرحلة على الاهتمام بالتنمية من أجل تجنب الثورات العنيفة، في الوقت نفسه تغيرت السياسة الأمنية للولايات المتحدة بشكل كبير، إذ أصبح الأمن الداخلي في دول أمريكا اللاتينية هو الهدف المنشود من سياسة الولايات المتحدة من أجل محاربة ومكافحة الشيوعية، ولذا عملت الولايات المتحدة على زيادة دعمها لبرنامج إعادة بناء الجيش البوليفي.

اهتم كينيدي ببوليفيا بشكل خاص خلال هذه المرحلة؛ إذ أنه أعلن تشكيل بعثة خاصة وأرسلها إلى بوليفيا لاستعراض مدى فاعلية السياسات الاقتصادية للولايات المتحدة فيها، ووصلت البعثة بالفعل إلى بوليفيا في التاسع من مارس ١٩٦١م ، ولقد انهت من مهمتها بعد إحد عشر يومًا، وكتبت في تقريرها إلى الرئيس أنه على الرغم من توجه بوليفيا غير المرغوب فيه، إلا أنها تقدم فرصًا كبيرة للتنمية الاقتصادية. وأضافت بأن برامج المساعدة التي قدمتها إدارة أيزنهاور لم تتمكن من السيطرة على الاستخدام الثانوي للأموال المقدمة، كما علقت على طريقة معاملة الحكومة البوليفية للعمال بأنها تقوم بتدليلهم، وفي توصياتها اقترحت أن تقوم إدارة كينيدي بدمج أية مساعدات مستقبلية في خطة متكاملة للتنمية، وختمت تقريرها بأنه سيكون خطأ كبير إذا تخلت الولايات المتحدة عن بوليفيا في ظل الظروف آنذاك، وكانت البعثة تقصد بالظروف هذه ما يدور في كوبا، ولذا وجهت الولايات المتحدة مساعداتها الاقتصادية إلى بوليفيا ضمن برنامج التنمية البوليفية طويلة المدى في ظل برنامج التحالف من أجل التقدم، والذي كان بمثابة رد فعل على الثورة الكوبية من جانب الولايات المتحدة.

وكان من أهم النتائج المترتبة على هذه المساعدات؛ وصول تدخل الولايات المتحدة في الشئون الداخلية البوليفية إلى ذروته في عهد كينيدي؛ إذ كان سفيرها في لاباس "ستيفانسكي"، ومن بعده "هندرسون" يسافر كل منهما مع استنسورو، وكان يُهتَفُ لهما بشكل واسع في أنحاء بوليفيا، كما أنهما كانا بمثابة جزء من عائلة الرئيس السياسية، وكانا يحضران الاجتماعات التي ينظمها الأصدقاء الموالين للرئيس، وقد كان استنسورو يحاول استخدام وجود السفير الأمريكي إلى جانبه كي يقنع الشعب بأن إعادة انتخابه شئ ضروري من أجل استمرار المساعدات الاقتصادية الأمريكية، وكان هذا التدخل من جانب السفراء الأمريكيين في لاباس انعكاسًا لزيادة المساعدات الاقتصادية الأمريكية، إذ أنه كان كلما ارتفعت نسبة القروض والدعم الاقتصادي زاد تدخل واشنطن في تحديد أولويات السياسة البوليفية.

**تتبعت الدراسة أيضًا مراحل تراجع العلاقة فيما بين الولايات المتحدة وبوليفيا مع نشوب الثورة الكوبية**؛ إذ أن استنسورو كان معارضًا لقطع علاقات بوليفيا مع كوبا، وامتنع عن التصويت ضد طرد كوبا من منظمة الدول الأمريكية، كما انه لم يقطع العلاقات مع تشيكوسلوفاكيا بشكل نهائي، وتردد أكثر من مرة في اتخاذ مواقف قوية ضد المظاهرات والإضرابات العمالية في المناجم، وكان كل هذا يُصَعِد من الخلافات غير المباشرة بين واشنطن ولاباس، مما أدى إلى زيادة التوقعات بداية من عام ١٩٦١م، لدى مسئولي الولايات المتحدة بعدم قدرة استنسورو على الاستمرار في حكم بوليفيا، وأن نظام الحركة القومية الثورية سيسقط حتمًا، وسيعقبه إما حكومة عسكرية، أو حكومة من نوع كاسترو؛ لذا عملوا على تدعيم الاختيار الأول.

زادت جهود الولايات المتحدة، خلال عامي (١٩٦٢م)، (١٩٦٣م)، لتوسيع برامج محاربة التمرد والعصيان؛ إذ وضعت تدريبات خاصة لمكافحة التمرد وحرب العصابات ، كما قامت الولايات المتحدة بوضع تدريبات فى كيفية مكافحة التمرد والعصيان، كانت تُدّرس للشخصيات العسكرية داخل الجيش البوليفي وجيوش أمريكا اللاتينية، وقد كان لسياسة أمن نصف الكرة الغربي التي اتبعتها إدارة كينيدي وكذلك تدريبات مكافحة التمرد، أثر كبير على الجيش البوليفي، إذ أن الجناح المعتدل فى الحركة القومية الثورية أسند إليه مهمة مكافحة العصيان والتمرد فى بوليفيا، ولقد قدمت له الولايات المتحدة التجهيزات والتدريبات التي احتاجها لتنفيذ هذه المهمة، مما أدى إلى تولي الجيش البوليفي دورًا محوريًا فى السيطرة على المظاهرات والإضرابات العمالية ، وهو ما أعطى الجيش البوليفي قوة سياسية إضافية.

رصدت الدراسة من جانب آخر، دور البنتاجون متمثلًا في الملحق الجوي الأمريكي فوكس في إقناع استنسورو باختيار الجنرال بارينتوس ليكون مرشحًا معه على نفس القائمة الانتخابية لمنصب نائب الرئيس في انتخابات مايو ١٩٦٤م، كما تناولت الدراسة بالتفصيل الأحداث التي دارت حتى أصبح بارينتوس مرشحًا بشكل رسمي لمنصب نائب الرئيس، خاصة محاولة اغتيال بارينتوس المزيفة، والتي أطلق عليها المؤرخون " حادث الرصاصة السحرية " والتي كان لها دور كبير في الضغط على استنسورو لقبول بارينتوس إلى جانبه في القصر الرئاسي.

أكدت الدراسة على أن انتخاب الجنرال بارينتوس لمنصب نائب الرئيس ودخوله إلى القصر الرئاسي البوليفي إلى جانب استنسورو كان بمثابة الخطوة الأولى باتجاه انقلاب الرابع من نوفمبر ١٩٦٤م، أو إنه كان بمثابة تمهيد لسيطرة بارينتوس على حكم بوليفيا وخلافة استنسورو. وبنهاية سنة ١٩٦٣م، استطاعت الولايات المتحدة جعل الجيش البوليفي في مستوى قوي يفوق مستوى قوة الميليشيات، وهو ما كانت تهدف إليه وتخطط له؛ إذ إن الجيش البوليفي قام بحملة موسعة لأخذ الأسلحة من أيدي ميليشيات العمال ، إلى جانب الكثير من النزاعات التي حدثت بين الجيش البوليفي والميليشيات، والتي كان الجيش ينتصر فيها على الميليشيات، وأحيانًا كانت تحدث مذابح بحق العمال.

هكذا؛ انتهت **المرحلة الثالثة** من مراحل سياسة الولايات المتحدة تجاه بوليفيا لتنتهي معها الثورة البوليفية بانقلاب الرابع من نوفمبر ١٩٦٤م، وقيام الجنرال بارينتوس والذي كان قد انتُخب نائبًا لاستنسورو بالإطاحة بالرئيس البوليفي المنتخب معه على نفس القائمة الانتخابية في انتخابات مايو ١٩٦٤م، وبذلك خَلف بارينتوس استنسورو على كرسي الحكم البوليفي، وعاد معه الجيش البوليفي ليتولى مقاليد الحكم لتبدأ معه بوليفيا مرحلة جديدة في تاريخها المعاصر، كانت سيطرة جنرالات الجيش على الحكم من أهم ملامحها.

**وأخيرًا: توصلت الدراسة إلى عدة استنتاجات كان من أهمها: أن الولايات المتحدة دعمت الانقلاب العسكري في الرابع من نوفمبر ١٩٦٤م**، ودعمت بارينتوس كي يصبح خليفة لاستنسورو، وأن هذا الدعم استمر حتى أصبح بارينتوس رئيسًا دستوريًا لبوليفيا، كما أثبتت الدراسة بالأدلة من خلال وثائق وزارة الخارجية ووكالة المخابرات الأمريكية الدعم الواضح من جانب الولايات المتحدة لبارينتوس ابتداءً من نفس يوم الانقلاب، في الرابع من نوفمبر ١٩٦٤م، ولذا خلصت الدراسة إلى ترجيح الرأي القائل بأن الولايات المتحدة كان لها دور كبير في قيام بارينتوس بالإطاحة باستنسورو ليحل محله في حكم بوليفيا، وليعود الجيش إلى الحكم، وهذا هو ما كانت تخطط له الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٦م، عندما كانت تبحث عن بديل للحركة القومية الثورية، وشخص قادر على حكم بوليفيا والحفاظ على المصالح الأمريكية فيها.

## خاتمة

بنظرة عامة؛ نجد أن الثورة البوليفية في سنة ١٩٥٢م قد أحدثت تغيرًا جوهريًا في المجتمع البوليفي؛ إذ أن الاقتراع أصبح حقًا لكل مواطن بوليفي، كما اعترفت بوليفيا بحق كل فرد بوليفي في التعليم والعمل، وألغت الثورة الكثير من القوانين التي كانت مفروضة على الفلاحين البوليفيين من أجل خدمة الإقطاعيين – بشكل يقترب كثيرًا من السخرة – كما أن الثورة كانت سببًا في تطبيق الإصلاح الزراعي بالإضافة إلى أنها جعلت بوليفيا هي المالك الوحيد لمناجمها من القصدير، وأخيرًا فإن بوليفيا شهدت استقرارًا سياسيًا لم تشهده من قبل في الفترة (١٩٥٢- ١٩٦٤م)، وهذا ما لم يتحقق لها بعد سنة ١٩٦٤م؛ إذ شهدت عدة انقلابات عسكرية، أثرت بشكل كبير على التجارب الإصلاحية التي بدأتها الثورة.

كما أن الولايات المتحدة عملت منذ اللحظة الأولى للثورة البوليفية على احتواء الحركة الثورية في بوليفيا؛ ومن ثم احتوائها في أمريكا اللاتينية بأكملها بهدف الحفاظ على مصالحها الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية في المنطقة، ولقد استخدم المسئولون الأمريكيون عدة وسائل لتحقيق هذا الهدف كان من أهمها في بوليفيا؛ المساعدات الاقتصادية التي كان النظام الثوري في أشد الحاجة إليها لما كانت تعانيه البلاد آنذاك من أزمات اقتصادية متتالية كان من الممكن أن تعصف بالثورة، وقد كانت هذه المساعدات بمثابة السلاح الذي استخدمته الولايات المتحدة لاحتواء الحركة الثورية البوليفية.

# الأعمال التاريخية في الإنتاج الفكري لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ١٩٨٦ – ٢٠١٣

**إسراء محمد عبد ربه**
باحثة دكتوراه - قسم المكتبات والمعلومات
كلية الآداب – جامعة عين شمس
القاهرة – جمهورية مصر العربية

**مُلَخصْ**

تتناول هذه الدراسة عرض للأعمال التاريخية في الإنتاج الفكري لسمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي خلال الفترة (١٩٨٦ - ٢٠١٣) لما لسموه من شأن عظيم في ميدان الثّقافة والكتابة والتاريخ والأدب، وحصر هذه الأعمال ببليوجرافيًا لاستيضاح رؤاه ومعرفة وجهات نظره، وللتعرف على مدى علاقة هذا الإنتاج الفكري والمسئولية التي يتحملها سموه كرجل دولة وحاكم إمارة، ومدى ارتباطه بالتنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ومدى ارتباط انتاجه الفكري موضوعيًا بالوضع السياسي والتاريخي للوطن العربي. ولقد أثبتت الدراسة أن هناك علاقة إيجابية ظهرت في الإنتاج الفكري لسمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي وبين المسئولية السياسية والاشتغال بالقضايا العامة ليس في وطنه فقط، بل في الوطن العربي، لنستطلع من خلال مؤلفاته مسيرة دولة الإمارات العربية المتحدة والخليج العربي، والأحداث والمواقف الهامة في تاريخ الوطن العربي، كما تبين أن الانتاج الفكري يزيد بصورة طردية مع التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فانعكس هذا الولع العلمي على الإمارة التي تزخر بالمراكز العلمية والثقافية، والمكتبات والمدارس والجامعات.

**بيانات الدراسة:**
تاريخ استلام البحث: ٢٧ مايو ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ١٠ أغسطس ٢٠١٤

**كلمات مفتاحية:**
سلطان القاسمي، تاريخ الإمارات، الخليج العربي، تاريخ العرب، الوطن العربي

**الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**
إسراء محمد عبد ربه. "الأعمال التاريخية في الإنتاج الفكري لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ١٩٨٦ - ٢٠١٣".- دورية كان التاريخية.- العدد السابع والعشرون؛ مارس ٢٠١٥. ص ١٥٩ – ١٧٧.

## هدف الدراسة

تعطي دراسات تحليل الانتاج الفكري للباحثين والعلماء جانبًا هامًا من جوانب تكوين الشخصية الأكاديمية لهؤلاء العلماء، وتلقي هذه الدراسات الضوء على جوانب غير مرئية في شخصياتهم لا يستطيع المرء التعرف عليها إلا من خلال الرؤية المتأنية الفاحصة للإنتاج الفكري خلال الرحلة العلمية والحياة البحثية لإحدى هذه الشخصيات المرموقة علميًا وأكاديميًا. لذا فإن دراسة وتحليل الإنتاج الفكري لسمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي هي: محاولة بحثية للتعرف على إنتاج سموه الفكري، وملاحظة تطور هذا الانتاج من منظور علمي، وعلاقته بالمسئولية السياسية التي يتحملها كرجل دولة. فالباحث لا يشغل منصبًا أكاديميًا وبحثيًا فقط، إنما يشغل منصب حاكم إمارة الشارقة وعضو المجلس الأعلى لاتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة، وكذلك مدى ارتباط انتاجه الفكري ومستوى التنمية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية لوطن الباحث، وهل هناك ارتباط بين الانتاج الفكري موضوعيًا وبين الوضع السياسي والتاريخي للوطن العربي؟ حيث أن هذا الإنتاج يمثل تنوعًا موضوعيًا مميزًا ويغطي فترة من الزمن تمتد لأكثر من سبع وعشرون سنة.

## منهجية الدراسة

تخضع هذه الدراسة للمنهج الببليوجرافي لرصد وحصر كل الأعمال التاريخية في الإنتاج الفكري لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي خلال الفترة (١٩٨٦ – ٢٠١٣)، وذلك

لعرضها، وإعداد قائمة ببليوجرافية بها، حيث سيتم الاعتماد عليها في دراسة الاتجاهات العددية والنوعية، واستخراج المؤشرات هدف الدراسة.

## نتائج الدراسة

لقد أثبتت الدراسة أن هناك علاقة إيجابية ظهرت في الانتاج الفكري لسمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، وبين المسئولية السياسية والاشتغال بالهم العام، ليس في وطنه فقط، بل أيضًا على مستوى الوطن العربي، وذلك لاهتمامه الكبير بتاريخ الخليج العربي وعلاقاته الخارجية والجغرافيا السياسية، وكذلك أشارت الدراسة إلى أن التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ترتبط بصورة طردية مع زيادة الإنتاج الفكري لسموه.

## مُقَدِّمَة

تتميز الأعمال التي ألفها، أو ترجمها، أو حققها، أو نشرها سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي بأنها ذات عائد إيجابي واضح لكل مَنْ يعمل في مجال الدراسات التاريخية، فنحن بصدد تناول الإنتاج الفكري لشخصية أكاديمية علمية بحثية من الطراز الأول بالتحليل والعرض، فصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمّد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة،[١] أحد معالم السّاحة الثّقافيّة في الوطن العربي، وأحد رموز الكتابة، وأحد المؤرّخين السّبّاقين، وأحد المفكّرين المبدعين. وله اسهاماته الجليلة في مجال الثقافة والعلم سواء في جانب التأليف أو الترجمة أو في جانب النشر، فقد قضى جزءًا كبيرًا مِن حياته بين القلم والقرطاس، وبين الفِكر والعمل، وبين الإدارة والحكم، وبين الخلوة مع الذّات وبين الاجتماع مع النّاس، ودوّن بروحه قبل قلمه مشاعرَه وأفكاره وحوّلها إلى كلمات مقروءة جعلها في متناول القرّاء، سواء كانت تاريخًا، أو قصصًا، أو روايات، أو أدبًا.[٢]

الحق أننا أمام باحث أكاديمي من نمط يختلف عن النمط المعتاد للباحثين الأكاديميين، فإن أعمال سموه لم تقتصر فقط على الدراسة التاريخية التي تتمثل في نشر وتحقيق لمجموعة من الوثائق والمصادر الأصلية، وكذلك التأليف لأعمال تغطي التاريخ الحديث لمنطقة شديدة الحيوية مع الدول العظمى المعروفة في القرنين التاسع عشر والعشرين، بل إنها تعددت في هذا المجال الحيوي من الدراسات الإنسانية إلى الأدب في شكل القصة، والرواية، والمسرحية التي تعتمد على أصول تاريخية ترتبط بمنطقة الخليج العربي.

## أولاً: الأعمال التاريخية في الإنتاج الفكري

### (١) أسطورة القرصنة العربية في الخليج

(The Myth of The Arab Piracy in The Gulf)

- الطبعة الانجليزية الأولى، كروم هلم، لندن، المملكة المتحدة، ١٩٨٦.
- الطبعة الانجليزية الثانية ١٩٨٨، الطبعة الانجليزية الثالثة ٢٠٠٦، روتلدج، اكسون، المملكة المتحدة.
- الطبعة الفارسية، همسايا للنشر، طهران، إيران، ٢٠٠٨.

يعتبر هذا العمل من أهم الأعمال التاريخية التي ألفها سمو حاكم الشارقة الدكتور سلطان بن محمد القاسمي وهو عنوان الأطروحة العلمية التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة إكستر في إنجلترا، ولقد طبعت الطبعة الأولى باللغة الإنجليزية سنة ١٩٨٦م، في (٢٣٣) صفحة من الحجم المتوسط، كما تقع الطبعة الثانية للكتاب سنة ١٩٨٨ في (٢٤٤) صفحة من القطع الكبير، واشتملت على ببليوغرافيا هامة للغاية. وقد سجل الدكتور سلطان بن محمد القاسمي في هذه الرسالة الكثير من الشواهد الصادقة والآراء الثاقبة، وتصحيح لمعلومات خاطئة، وإكمال لأخرى ناقصة، وتناول فترة مهمة من فترات تاريخ هذه المنطقة، وكما تحتوي على معلومات تاريخية ووثائق مفيدة عن منطقة الخليج، وكشف اللثام عن مكانة هذه المنطقة، وإبراز الجوانب المضيئة من تاريخها.

وهذا الكتاب يفند الزعم بأن الإنجليز كانوا هم القوة المسيطرة في الخليج العربي في أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، وقد جرى الرأي في تبرير التوسع البريطاني في منطقة الخليج على أنه كان ضرورة حتمية لقمع القرصنة العربية، ويتصدى العمل لأسطورة تلك القرصنة، ويؤكد بالأدلة والبراهين من خلال رؤية ثاقبة ذات بعد فكري ونهج سياسي، ومنحى تاريخي واجتماعي وسبر لأغوار تاريخ هذه المنطقة، ومن واقع دراسة مكثفة ودقيقة لأرشيف بومباي البريطاني وما يحتوي عليه من وثائق ومعلومات تم تجاهلها من قبل الباحثون الأوربيون، ويرجع ذلك كما يقول القاسمي إلى طغيان شهرة أرشيف مكتبة حكومة الهند البريطانية[٣] على ما عداه. وقد اكتشف القاسمي أن أرشيف بومباي هو أغزر مادة وأكثر اكتمالاً من وثائق مكتبة حكومة الهند، وبخاصةً ما يتعلق منها بوثائق الفترة التي تعنى بها هذه الدراسة.

إن خطر القرصنة كان صورة خلقتها شركة الهند الشرقية[٤] لأسباب تجارية بحتة، ومن هذا المنطلق تولت شركة الهند الشرقية تنظيم حملة لتصوير القواسم زورًا على أنهم قراصنة يهددون كل النشاط البحري شمال المحيط الهندي والمياه المجاورة له. وقد أدت هذه الحملة في النهاية إلى اجتياح رأس الخيمة وتدمير القواسم.

ولقد قام جون جوردون لوريمر (John Gordon Lorimer) منذ مائة عامًا بتأليف موسوعته الكبرى عن الخليج الذي عربها قسم الترجمة في مكتب أمير قطر، وطبعت باسم (دليل الخليج) في قسمين: تاريخي، وجغرافي، وكل قسم سبعة مجلدات، ولوريمر كان موظفًا مدنيًا في حكومة الهند البريطانية قضى معظم حياته الوظيفية في الهند، وإن إعداد الدليل الشهير الذي ارتبط اسمه به في الهند، عقب رحلة قام بها اللورد للخليج سنة ١٩٠٣م، كان الهدف الأساسي منه أن يكون هناك تحت يد مندوبي بريطانيا وواضعي سياستها في كل من الخليج والهند ولندن، كتاب يمكن تداوله عن البلاد والمصالح البريطانية التي سوف يتعاملون معها. ومنذ ذلك الحين أصبح التشويه المتعمد لتاريخ شبه الجزيرة

العربية سائدًا لم يتصد له أحد، ونقل المؤرخون عن لوريمر، دون رؤية وتبصر وتفكير، كل ما ساقه من أخبار، وما توصل إليه من قناعات عن الخليج وأهله.

ولنا أن نعرف مدى الجهد العلمي الكبير الذي بذله الدكتور القاسمي إذا علمنا أن وثائق أرشيف بومباي تقع في سبعة آلاف مجلد أقدمها يرجع تاريخها إلى سنة ١٦٣٠هـ، وتشمل يوميات شركة الهند الشرقية التي كان نشاطها التجاري هو المقدمة للاستعمار البريطاني للهند طوال أربعة قرون، كذلك عثر الدكتور القاسمي على وثائق عربية ومراسلات عربية بين الزعماء العرب ومسئولي الشركة في فترة حرجة من تاريخ الاحتلال البريطاني للمنطقة العربية.

ويضم الكتاب إلى جانب المقدمة، والخرائط، والصور الفوتوغرافية، خمسة فصول رئيسة حول تاريخ الخليج في القرن الثامن عشر، وخرافة القرصنة خلال الفترة (١٧٩٧ – ١٨٠٦)، والهجوم على رأس الخيمة لإبادة القواسم، والمفاوضات بين البريطانيين والقواسم حتى معاهدة ١٨١٤، ثم تدمير القواسم في سنة ١٨١٩.

**(٢) تقسيم الإمبراطورية العُمانية (١٨٥٦ - ١٨٦٢)**

- الطبعة العربية الأولى، مؤسسة البيان، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٩.
- الطبعة العربية الثانية، مؤسسة البيان، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٦.
- الطبعة العربية الثالثة، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٨.

يتناول هذا الكتاب الهام الذي ألفه الدكتور سلطان بن محمد القاسمي فترة تاريخية وأحداث اكتسبت أهمية بالغة وفقًا لما نتج عنها من نتائج، فهذا الكتاب يقدم تفسيرًا شاملاً لفترة شديدة الحيوية على ساحل شرق افريقيا، ويلقي الضوء على الطريقة والأسلوب الذي اتبعته شركة الهند الشرقية للسيطرة على افريقيا، إذ أن شركة الهند الشرقية ابتدعت أكذوبة تداولتها الألسن مفادها إن بعد حكم السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي (١٨٠٤-١٨٥٦م)[٥] قد قسم الإمبراطورية العُمانية بين أبنائه. وهي إمبراطورية أفريقية كبرى تمتد من المحيط إلى الخليج، فقد دان له جميع الساحل الأفريقي من رأس غردافي إلى رأس دلغادو، وأصبحت زنجبار عاصمة لإمبراطوريته الأفريقية، ولكن المستعمرين والمستكشفين الأوربيين والارساليات أفاقوا فجأة على حقيقة أن هناك مكانًا مثل أفريقيا، وأنها قارة كانت تستحق الامتلاك فهبوا إلى استحواذها.

ويحاول القاسمي في دراسته أن يفضح المستعمرين ويجادل بالأدلة والبراهين، حيث اعتمد على مركز وثائق مومباي، والمكتبة الهندية في لندن، ومركز وثائق زنجبار الوطني، ومتحف بيبودي بأميركا، وقسم وثائق الخارجية الفرنسية وغيرها من المصادر التاريخية الموثقة، في محاولة منه لاستجلاء الصفحات الغامضة من تاريخ عمان ومنطقة الخليج، لدحض تلك المغالطات التاريخية في كتابه الذي يحتوي على مقدمة وخمسة فصول، إلى جانب الملاحق والهوامش والمراجع، ويقع في (٣٩١) صفحة من القطع الكبير، كما يضم بعض الصور الفوتوغرافية لشخصيات وقادة وموانئ ومخطوطات مهمة.

الحق أن المقدمة الضافية التي أعدها الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، يركز فيها إعجابه وإجلاله لأولئك الأئمة الأقوياء الذين حكموا عُمان فترة كانت فيها الدولة العثمانية مسيطرة على جميع الأراضي العربية، واستطاعوا بشجاعتهم أن يحتفظوا باستقلال دولتهم على مر العصور ضد كثير من النزاعات القبلية والأطماع الخارجية. كما يعرض في مقدمته إلى ماعزاه بعض المؤرخين لرغبة السيد سعيد في تقسيم تلك الممالك بين أبنائه، ويتناول الكتاب في فصوله الخمس تاريخ زنجبار والسواحل، والخلافات بين الإمام سعيد وحملة السيد ثويني على زنجبار، والخلاف بين السيد ماجد والسيد برغش، وبعثة تقصي الحقائق، وقرار التقسيم، وابتلاع أركان الإمبراطورية العمانية، واستيلاء القوى الأجنبية على جميع الأراضي التي كانت تابعة للإمبراطورية العمانية على الساحل الشرقي لأفريقيا وجعلت من زنجبار محمية خاصة لهم.

**(٣) الاحتلال البريطاني لعدن**

- الطبعة العربية الأولى، دار الغرير للطباعة، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٠.
- الطبعة العربية الثانية، دار الغرير للطباعة، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٢.
- الطبعة العربية الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.

كتاب "الاحتلال البريطاني لعدن" هو الكتاب الثالث لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى لدولة الإمارات العربية المتحدة، حاكم إمارة الشارقة. وهو أول كتاب عربي تحدث عن احتلال عدن من قبل بريطانيا العظمى سنة ١٨٣٩، فقد وسع الدكتور سلطان بن محمد القاسمي اهتمامه ليشمل ركن الجزيرة العربية الجنوبي، وأستخلص كتابه من عدة مصادر بريطانية وهندية، بالإضافة لمقابلات عدة لبعض أبناء ومشايخ المنطقة، ولم يترجم الكتب البريطانية التي كانت متوفرة مثل كتاب عدن تحت الحكم البريطاني (١٨٣٩ – ١٩٦٧) لـ أرجي كافين (R.J. Gavin)،[٦] الذي كان يعتبر المرجع الوحيد قبل صدور كتاب القاسمي، بل تعداها للبحث عن الحقيقة وسط كم هائل من الوثائق الأصلية والمراسلات.

ويتعرض الكتاب لصورة من صور الاستعمار البريطاني الذي ابتليت به أجزاء شتى من وطننا العربي، فيتناول الباحث فيه مخطط بريطانيا لاحتلال عدن[٧] وكيف تصاعد تنفيذ هذا المخطط خلف سواتر من الخداع، والمراوغة، والدس، ثم العدوان والاحتلال. ولا يوغل الكتاب في الممارسات اليومية للمحتل، بل يهتم أساسًا بفضح المؤامرات البريطانية، ويروي بالوثائق الافتراءات والأكاذيب البريطانية التي كانت تختلقها قوى الاحتلال لتجد لنفسها مبررًا للاستعمار وفرض الاتفاقيات الجائرة وغير المتكافئة على الشعوب العربية.

ويقع الكتاب في مقدمة وخمسة عشر فصلاً، إلى جانب الملاحق والهوامش والمراجع وبعض الصور الإيضاحية والخرائط الجغرافية. ففي الفصل الأول، تحدث الكاتب عن القبائل المجاورة لعدن بدأت بنبذة تاريخية عن عدن من عصر الفراعنة ومرورًا بالعصر الإسلامي، ومحاولة البرتغاليين لاحتلالها، والعصر العثماني، وصولاً إلى سلطنة العبدلي الذي أخذ الإنجليز عدن منهم.

وذكر القاسمي نبذة مختصرة للقبائل المجاورة لعدن وصنف هذه القبائل إلى صنفين: سلطنات تحيط بعدن وقد شاركت في أحداثها، وقبائل كانت تجاور عدن دون الاشتراك في أحداثها، كما تحدث المؤلف في الفصل الثاني عن الصراع البريطاني - الفرنسي على البحر الأحمر[٨] الذي بدأ منذ وصول الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت إلى مصر،[٩] واحتلال بريطانيا لجزيرة (ميون) سنة ١٧٩٩، ويتناول القاسمي اتفاقية عدن بين سير "هيوم بوفام" من بريطانيا والسلطان أحمد بن عبد الكريم سلطان "لحج". وقد شرح الفصل الثالث العدوان البريطاني والحملات على ميناء المخا، وكيف دمرت هذا الميناء الرئيس لليمن آنئذ بعد مقاومة شجاعة لأسباب واهية مفتعلة. ويتناول الفصل الرابع بالدراسة حملة سقطرة. ثم الفصل الخامس الذي يسرد فيه المؤلف قضية السفينة "دريا دولت" (أي مملكة البحار) التي جنحت بالقرب من ميناء عدن في فبراير سنة ١٨٣٧ فطلب حاكم عدن ١٢٠٠ دولار لسحبها إلى الشاطئ، ولقد استغلت بريطانيا هذه الحادثة وما وقع بعدها لأفراد طاقمها وركابها من التجار أسوأ استغلال.[١٠]

وكما أن الفصل السادس يوضح خطة هينز للاستيلاء على عدن، وكيف كان يلوي الحقيقة مرة بعد أخرى. ويبين الفصل السابع من الدراسة الترتيبات العسكرية والسياسية لاحتلال عدن. ويتناول الفصل الثامن قصف عدن بالمدافع بعد حصارها من القوات البريطانية. وفي الفصل التاسع شرح لحملة عدن من واقع الوثائق. ويذكر الفصل العاشر احتلال عدن بعد التحرشات البريطانية العسكرية بالسلطان محسن فضل العبدلي وولده الأمير أحمد بكر، ويذكر الوقائع الحربية بالتفصيل مستندًا إلى الوثائق التاريخية. ويتناول الفصل الحادي عشر تسليم مدينة عدن.

وفي الفصل الثاني عشر أوضح المؤلف الهجوم الأول على العرب الذي وقع بعد عدة حوادث وتحرشات بين العرب والمحتلين البريطانيين. أما الفصل الثالث عشر فيغطي الهجومين الثاني والثالث على العرب. والفصل الرابع عشر فيتناول فيه المؤلف الهجوم البريطاني على الشيخ عثمان، وخاتمة المطاف فهي في الفصل الخامس عشر حيث لخص الدكتور سلطان بن محمد القاسمي دراسته عن الاحتلال البريطاني لعدن واعتباره من قبل كافة القبائل المحيطة ظلمًا كبيرًا.

ويختم القاسمي كتابه القيم عن الاحتلال البريطاني لعدن وصاحب أهم دور في إتمامه "كابتن هينز" بهذه العبارة "سرق وطنًا غيلةً وغدرًا فأحاطوه بالفخار.. وسرق بعض الأموال.. فكان سقوطه المخزي ونهايته المأساوية".

**(٤) العلاقات العُمانية الفرنسية (١٧١٥- ١٩٠٥م)**

- الطبعة الانجليزية، فوريست رو، لندن، المملكة المتحدة، ١٩٩٣.
- الطبعة العربية، دار الغرير للطباعة، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٣.
- الطبعة الفرنسية، هارماتان، باريس، فرنسا، ١٩٩٥.
- الطبعة الفارسية، دار النشر، طهران، إيران، ٢٠٠٨.

يناقش الكتاب العلاقة بين فرنسا وسلطنة عمان منذ بدايات وصول الفرنسيين إلى الشرق ثم مسقط، وما شاب العلاقة من صراع مد وجزر حتى استقلال سلطنة عُمان. فالعلاقة العُمانية - الفرنسية تكتسب أهميتها من ارتباطها بالصراع المرير بين بريطانيا وفرنسا الذي دار في المحيط الهندي والخليج العربي، للاستثمار بالموقع الممتاز التي تمثله هذه المنطقة باعتبارها الموقع المتقدم والهام الذي يحمي الطريق إلى الهند،[١١] وكان القلق يستبد ببريطانيا عند التفكير في احتمال أن يصل "نابليون بونابرت" إلى الهند،[١٢] وكانت فرنسا ترى أهمية أن يكون لها نفوذ ودور مؤثر في هذه المنطقة ليس فقط للأغراض التجارية، وإنما أيضًا كوسيلة من وسائل حصار الإنكليز ومقاومة ضغط بريطانيا، وخاصةً في بداية القرن التاسع عشر لانتزاع فرنسا من المحيط الهندي. من هنا فإن دراسة هذه العلاقة تتضمن بالضرورة تتبع تطورات الصراع البريطاني الفرنسي والعوامل المؤثرة فيه والتي تركت بصماتها على مستقبل هذه المنطقة فيما بعد، ومن خلال هذه الدراسة يمكن استكشاف منهج وأساليب القادة المحليين في مواجهتهم للقوتين المتصارعتين، وتجنب مضاعفات الخوض في مثل هذا الصراع.

ووضعت هذه الدراسة أساسًا على الوثائق الفرنسية والتي يمكن إيجادها ضمن سلاسل متعددة في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، وأكثرها في سلسلة المراسلات القنصلية لمسقط: المراسلات القنصلية والتجارية- مسقط قبل سنة ١٨٩٥، والمراسلات القنصلية - مسقط (سلسلة جديدة) بعد سنة ١٨٩٥، وأوراق الجنرال "ديكان" المتعلقة بمسقط وزنجبار سنة ١٨٠٠

والمحفوظة في المكتبة البلدية في مدينة كان بفرنسا، مضافًا إلى ذلك الوثائق الإنكليزية في كل من المكتبة الهندية في لندن، وأرشيف بومباي. ويتعين الملاحظة بأن جزءًا من أرشيف الوكالة الفرنسية القنصلية لما قبل سنة ١٨٩٠ يمكن إيجاده ضمن أرشيف القنصلية الفرنسية في بومباي، وهو الآن في فرع أرشيف الخارجية الفرنسية في مدينة "نانت" في فرنسا، وفي أرشيف السفارة الفرنسية في طهران، وضمن المراسلات مع أبو شهر. أما الوثائق العربية فتوجد في أرشيف وزارة الخارجية، وفي المكتبة البلدية في مدينة كان، وفي دائرة أرشيف جزيرة "ريونيون".

ولقد أشار الدكتور محمد بن سلطان القاسمي إلى أن العلاقة بين فرنسا وعُمان لم تكن واردة على الاطلاق، وذلك سبب اتهام فرنسا بأنها ضالعة في مشروع احتلال مسقط استجابة لتشجيع إيران لها بعد أن وقفت الأخيرة عاجزة أمام السيطرة العمانية على الخليج العربي. ويرجع السبب الثاني في توتر العلاقات العمانية الفرنسية إلى استيلاء الفرنسيين على عدد من السفن العمانية بدون مبرر، وكان ذلك في بداية القرن التاسع عشر.

وتقع هذه الدراسة في عشرة فصول تسبقها مقدمة، وتتناول في الفصل الأول وصول الفرنسيين إلى الشرق، ويقع مشروع احتلال مسقط في الفصل الثاني، أما الفصل الثالث فيوضح القاسمي كيفية استيلاء الفرنسيين على السفن العُمانية، وتشرح الدراسة بعثة "بوشامب" التي لم تتم وأسباب ذلك في الفصل الرابع، أما الفصل الخامس اختص بدراسة طرد الفرنسيين من مسقط، وفي الفصل السابع يتعرض القاسمي لدراسة سفن القرصنة الفرنسية، أما الفصل الثامن فاختص بمبعوثي السلطان إلى الحاكم موريشيس لاستعادة السفن العمانية المنهوبة من قبل الفرنسيين، وتناول الفصل التاسع والعاشر قناصل فرنسا لدى السيد سعيد، واستقلال عُمان. وقد اختتم القاسمي دراسته القيمة بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في بحثه، إلى جانب الهوامش التي حفلت بها الدراسة واستشهد بها. وتتميز هذه الدراسة بوجود كشاف ملحق بالدراسة مرتب ترتيبًا هجائيًا، مما يفيد في سرعة الوصول إلى المعلومات الغزيرة التي تمتاز بها الدراسة.

### (٥) الوثائق العربية العُمانية في مراكز الأرشيف الفرنسية

- الطبعة العربية، دار الغرير للطباعة، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٣.

يعرض الدكتور محمد بن سلطان القاسمي في هذه الدراسة الوثائقية مجموعة من الوثائق العربية والفارسية والتي تهتم بالعلاقات العُمانية الفرنسية، وهدف القاسمي من إعداد هذه الدراسة هو توفير مجموعة من الوثائق الهامة للباحثين العرب، التي تمثل فترة تاريخية اكتسبت أهميتها البالغة بارتباطها بالموضوعات الخاصة بالعلاقة العُمانية الفرنسية، وتوجد هذه الوثائق في مراكز الأرشيف التالية:

١. دائرة أرشيف جزيرة ريونيون.
٢. أرشيف وزارة الخارجية- باريس.
٣. مكتبة بلدية كان –فرنسا.

تتميز هذه الدراسة بعرض وثائق عربية وفارسية ترتبط بشكل مباشر بالعلاقات العُمانية الفرنسية، ومعظم هذه الوثائق كانت من خلال:-

أولًا: القنصل الفرنسي في بغداد "جان فرنسوا جافير روسو".
ثانيًا: حاكم جزيرة موريشيس "تشارل ما ثيوا ازيدور ديكان".
ثالثًا: حكام جزيرة "ريونيون" والذين عينتهم بريطانيا على جزيرة ريونيون بعد احتلالها، وكذلك على جزيرة "موريشيس" فترة الاحتلال الواقعة بين (١٨١٠ – ١٨١٥).
رابعًا: قناصل فرنسا في زنجبار.
خامسًا: القنصل الفرنسي في مسقط السيد "أوتافي".

ويضيف القاسمي في دراسته الوثائقية لشكل آخر من الوثائق هي المراسلات والمبعوثين، ولقد أثر هذا الشكل في الدراسة.

وتتضمن الدراسة مجموعات الوثائق العمانية الفرنسية في تسع مجموعات كالآتي:

١. استيلاء الفرنسيين على السفينة "صالي".
٢. بعثة عبداللطيف الرقعي.
٣. بعثة السيد ماجد بن خلفان.
٤. بعثة عبد القاهر بن محمد الماجد.
٥. بعثة ملا صالح.
٦. بعثة السيد أحمد بن يوسف بن محمد البوسعيدي إلى ريونيون.
٧. بعثة السيد مرشد إلى ريونيون.
٨. قناصل فرنسا لدى السيد سعيد.
٩. الحماية الفرنسية للسفن العُمانية.

وقد الحق بالكتاب كشاف عام، رُتبت فيه الأسماء والأعلام في ترتيب هجائي، مما يساعد الباحثين على سرعة الوصول إلى المعلومات في الوثائق المحققة والمنشورة.

### (٦) جون مالكوم والقاعدة التجارية البريطانية في الخليج (١٨٠٠)

**(John Malcolm and the British Commercial Base in The Gulf – 1800)**

- الطبعة العربية، دار الخليج، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٤.
- الطبعة الانجليزية، دار الخليج، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٤.
- الطبعة العربية الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.

تعتبر هذه الدراسة الوثائقية لواحدة من أهم الوثائق الخاصة بتاريخ الخليج في القرن التاسع عشر ١٨٠٠، فالوثيقة التي يعرضها الدكتور سلطان بن محمد القاسم هي خلاصة رسالة أرسلها كابتن مالكولم إلى "إيرل أوف مورينغتون" حاكم الهند والمؤرخة في ٢٦ فبراير سنة ١٨٠٠، ويعتبر حصول الدكتور القاسمي على هذه الوثيقة من قبيل الصدفة، فلقد أرسل في طلب الكتب الخاصة بتاريخ الخليج في القرن التاسع عشر من بعض أصدقائه الانجليز، ولقد اهداه صديقه "جيرس كارفر" هذه الوثيقة التي كانت مخبأة بين أوراق أسرة "كابتن دينرايت أر.أن" الذي قاد الحملة البريطانية ضد أجداده القواسم.

وتلقي هذه الرسالة توضيحًا مهمًا أيضًا على خطط البريطانيين للتجارة في الخليج، بعد استعراض أهمية كل ميناء على الجانب الفارسي في الخليج، وكانت النقاط الرئيسية في رسالة "مالكولم" تتعلق بالسيطرة والتوسع في التجارة بين الهنود فارس وبلاد العرب. إن مهمة "مالكوم" عندئذ هي أن يبحث عن المواقع الممكنة لتأسيس قاعدة تجارية في الخليج، في ٨ يناير ١٨٠٠، وصل "مالكوم" إلى مسقط وقابله فيها حاكمها، سيف بن محمد، في غياب الإمام الذي كان وقتئذ في طريقة لمهاجمة قسم، مع ذلك فسرعان ما نجد "مالكولم" ينضم إلى الإمام على متن سفينته "جنجافا"، حيث تم توقيع وختم اتفاقية بين السيد سلطان بن أحمد إمام عُمان والكابتن "جون مالكولم" مبعوث الحاكم العام "إيرال أوف مور فينعتون".

ويلاحظ القاسمي أن "مالكوم" سرعان ما حقق هدفيه الأول والثاني. معاهدة سنة ١٧٩٨، التي أرغمت الإمام على أن يضع حدًا لتعاملاته مع الفرنسيين والهولنديين، ثم العمل بها وتعيين ممثل بريطاني في مسقط. بعد ذلك سرعان ما وصل "كابتن مالكولم" إلى شيراز، وبنفس السهولة وقع اتفاقية مع إيران أمن فيها امتيازًا تجاريًا من الإيرانيين، الذين وعدوا أيضًا بمنع الفرنسيين من دخول بلادهم، وهكذا تظهر هذه الوثيقة الأطماع البريطانية التي ظهرت مبكرًا في القرن التاسع عشر خاصةً نحو الخليج.

**(٧) يوميات ديفيد سيتون في الخليج (١٨٠٠ - ١٨٠٩م)**

- الطبعة العربية، دار الخليج، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٤.
- الطبعة الانجليزية، ب.بي.سي ويتونس، اكستر، المملكة المتحدة، ١٩٩٥.

يترجم الدكتور سلطان بن محمد القاسمي في هذا الكتاب، دفتر خطة يوميات "ديفيد سيتون" (Seaton David) بخط يده، عندما كان ممثل لشركة الهند الشرقية في مسقط في بداية القرن التاسع عشر، والذي وجد ضمن مجموعة من المخطوطات في إحدى مكتبات بيع الكتب في لندن. وقد تبين أنها مجموعة الوثائق الخاصة بالكابتن (جي وينرايت)، قائد الحملة البريطانية على القواسم سنة ١٨٠٩.

ومن خلال بحث الدكتور القاسمي في مادة التاريخ في كل من مركز وثائق بومباي والمكتبة الهندية في لندن، تبين له أن هناك نسخًا أخرى ليوميات "ديفيد سيتون". وبالمقارنة اتضح أن دفتر اليوميات الذي في حوزته غير مكتمل، وأن النسخة المنقولة التي حصل عليها من مركز وثائق بومباي بها أخطاء واضحة، وذلك راجع لعدم تمكن الموظفين الهنود من اللغة الإنكليزية فاختار القاسمي النسخة التي حصل عليها من المكتبة الهندية في لندن لهذه الدراسة، باعتبارها أفضل النسخ فضلاً عن كونها في حالة جيدة.

إن نشر هذه الوثائق يبين بداية النفوذ البريطاني في الخليج العربي، والتدخل البريطاني في الشؤون المحلية، ويبين كذلك جهل السلطات البريطانية في بومباي بالساحلين العربي والفارسي، مع العلم بأن التواجد البريطاني في الخليج قد بدأ منذ سنة ١٦١٦م. كما توضح هذه الدراسة الظروف التي أحاطت بتوقيع أول معاهدة بين القواسم والبريطانيين.

يقع الكتاب في (١١١) صفحة من القطع المتوسط يحتويها غلاف يصور قلاع مسقط، ويضم خمسة فصول رُتبت حسب تواريخها، ووضعت دراسة تمهيدية في مقدمة كل فصل، ودرست نص الوثائق، فبينت الخطأ، وأوضحت المهم، وعرفت المجهول، وأنهيت الدراسة بخاتمة توضح الأحداث التي شارك فيها "ديفيد سيتون" في الخليج قبل وفاته في عمان. فجاء الكتاب يرصد الأحداث المهمة في العقد الأول من القرن التاسع عشر والتي شكلت نواة امتداد النفوذ البريطاني وأبرزت المناورات الغربية في منطقة الخليج.

ففي الفصل الأول، يعرض القاسمي يوميات محضر على متن السفينة (غفرنر دنكان)، وفي الفصل الثاني يتناول القاسمي يوميات جولة من مسقط إلى البحرين والعودة إلى مسقط عن طريق الساحل العربي على سفينة صاحب السمو الإمام المسماة الجنجافة، أما عن الفصل الثالث فبأسلوب شيق تحدث القاسمي في يوميات محضر عن المساعدة المقدمة من قبل ديفيد سيتون لحكومة مسقط، وأيضًا تناول الفصل الرابع مرحلة مهمة للغاية في تاريخ الخليج العربي من خلال سرد يوميات محضر ديفيد سيتون في بندر عباس والاتفاقية التمهيدية المعقودة مع القواسم، وأخيرًا جاء الفصل الخامس عن يوميات محضر ديفيد سيتون مع السيد منسي في الخليج الفارسي.

وقيام الباحث الدكتور محمد بن سلطان القاسمي بتحقيق هذه الوثائق البريطانية ليتيح للعرب والأكاديميين في الدراسات التاريخية الاستفادة القصوى من هذه الوثائق المحققة والمترجمة من قِبل باحث جاد متميز، ويثري مكتبة الدراسات التاريخية بعمل علمي هام.

**(٨) الخليج في خرائط تاريخية (١٤٩٣ – ١٩٣١)**

**The Gulf in Historic Maps (1493 – 1931)**

- الطبعة الانجليزية الأولى، ثنك برنت، ليشستر، المملكة المتحدة، ١٩٩٦.

**الخليج في خرائط تاريخية (١٤٧٨ – ١٨٦١)**

**The Gulf in Historic Maps (1478 – 1861)**

- الطبعة الانجليزية الثانية، استريم لاين برس، ليشستر، المملكة المتحدة، ١٩٩٩.

يذكر الدكتور محمد بن سلطان القاسمي في تقديمه لهذا الأطلس التاريخي أنه لدى افتتاح متحف الشارقة للفنون في بيت السركال في حي الشويهين في الشارقة القديمة، تم عرض مجموعة من الخرائط الأصلية المقتناة عبر سنوات طوال، تم عرضها لأول مرة وقد طلب منه الكثير نشر هذه الخرائط التاريخية لإفادة الباحثين، فأصدر الدكتور سلطان بن محمد القاسمي كتابه ليضم الخرائط المطبوعة فقط، ويعود أقدمها إلى خرائط الخليج المعتمدة على نصوص بطليموس (القرن الثاني) والتي ظهرت إبان السنوات الأخيرة للقرن الخامس عشر، لكن الخرائط المتعلقة بالمنطقة والناتجة عن الملاحة فيها نشرت في البرتغال وبعضها يعد وثيقة ثمينة ذات قيمة (ظهرت قطر في خريطة مستنسخة هولندية سنة ١٥٩٦ ثم لم تظهر مجددًا إلا بعد رحلة سفينة بريطانية سنة ١٨٠٧).

والخرائط مكتوبة بعدة لغات مختلفة منها الإنجليزية والفرنسية والهولندية وغيرهم، فالهولنديون والبريطانيون طوروا الخرائط عن المنطقة، وخصوصًا ساحل فارس وجزر الخليج، ولكن لم ينشروا خرائط إلا بعد جهود الهولنديين اعتبارًا من عامي ١٦٤٤، و ١٦٤٦ كما في خريطة (بيتر فانديرا) سنة ١٧١٤ لمضيق هرمز. أما الفرنسيون ففي بدايات القرن الثامن عشر نشروا خرائط علمية أظهرت المنطقة الخليجية في صورتها الواقعية، ونشر جوهانز فان كويلن في سنة ١٧٥٣ خريطة بحرية تكشف بعض غموض الساحل العربي.

توافرت في أواسط القرن الثامن عشر معلومات أكثر وأوسع عن منطقة الخليج بعد البعثات إلى المنطقة، فلقد أرسل ملك الدنمارك بعثة إلى الجزيرة العربية نجا منها (كارستن فيبور) الذي نشر ما يشير إلى الشارقة والكويت (Scharedsche & Kuwait)، كما نجح في مسوحاته في خريطة عمان والتي تعتبر الأولى التي توفر معلومات عن داخل عمان. وفي القرن التاسع عشر استخدمت التقانة الجديدة والأجهزة بوساطة البريطانيين في الخليج (١٨٢١) بعد السيطرة على المنطقة.

وخرائط الطبعتين خرائط أصلية فتقع الطبعة الأولى في (٢٨٧) صفحة، وتشمل (٢٧٩) خريطة، والطبعة الثانية تزيد عن الطبعة الأولى، حيث احتوت على (٣٠٣) خريطة، في (٣١١) صفحة، إلى جانب ثبت للخرائط في ثماني صفحات من القطع الكبير في طباعة فاخرة مرتبة تاريخيًا.

**(٩) رسالة زعماء الصومال إلى الشيخ سلطان بن صقر القاسمي (١٨٣٧)**

- الطبعة العربية، دار الخليج، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٦.

يضم هذا الكتاب بين طياته تحقيقًا لمخطوط رسالة زعماء الصومال إلى الشيخ سلطان بن صقر بن راشد القاسمي، يطلبون منه فيها أن يتملك عليهم، ويضم ملكهم إلى ملكه. وتُعدّ الرسالة أو المخطوطة من الوثائق المهمة التي بحوزة المحقق الباحث صاحب السمو حاكم الشارقة، رأى أن يحققها ويضعها في خدمة الباحثين بالنشر لتكون مرجعًا تاريخيًا لهم في تأريخ المنطقة. قدم المحقق المخطوطة بتمهيد تاريخي لمنطقة الصومال، والأسباب التي دعت زعماء الصومال لكتابة الرسالة، بيد أن طلب الصومال لم تتم الاستجابة له لأسباب تتعلق بالشيخ سلطان بن صقر القاسمي، من بينها تدخل الإنجليز بشكل غير لائق. وجاء الكتاب في (٤٧) صفحة تضم المقدمة والتمهيد ونص المخطوطة وخاتمة، إلى جانب صورة المخطوطة الأصلية، مكتوبة بخط واضح لما لخطها وأسلوبها من جمال.

**(١٠) صراعات القوى والتجارة في الخليج (١٦٢٠ – ١٨٢٠)**

**(1620-1820) Power Struggles and Trade in The Gulf**

- الطبعة الانجليزية، فوريست رو، لندن، المملكة المتحدة، ١٩٩٩.
- الطبعة الفارسية، همسايا للنشر، طهران، إيران، ٢٠٠٨.

يقع الكتاب في طبعته الإنجليزية في (٢١٨) صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، إلى جانب مراجع وهوامش وخرائط وصور وببليوغرافيا مختارة للمراجعة. حيث استخدم القاسمي الوثائق الهولندية والبريطانية والهندية، وخصوصًا وثائق شركة الهند الشرقية، إلى جانب دفاتر ومذكرات الرحالة الغربيين ليتمكن من إظهار ما شاب تلك الفترات التاريخية من أخطاء في التناول والتفسير والتحديد الجغرافي التاريخية وبخاصة للمنطقة العربية.

الكتاب دراسة دقيقة ومعمقة للظروف والملابسات التي أدت إلى صراعات القوى الأوروبية التجارية في الخليج في خلال فترة قرنين من التحولات السياسية الكبرى في بلاد فارس (١٦٢٠-١٨٢٠) .ويوضح القاسمي في كتابه، الأحوال السياسية والتجارية وتقلباتها، والظروف والملابسات التي أدت إلى صراعات القوى الأوروبية التجارية في الخليج في خلال فترة قرنين من التحولات السياسية الكبرى في بلاد فارس (١٦٢٠-١٨٢٠)، ويظهر الجهود الأوروبية

للتغلب على المعوقات والمشكلات الهائلة التي واجهت الأوروبيين من أجل السيطرة على أسواق الخليج.

إن الدراسة هي بالأساس إسهام رئيس في الجغرافيا السياسية للخليج، وتنقيب في المصادر الأولية التي تستخدم للمرة الأولى لتوضيح صورة صراع القوى في المنطقة ما بين أوروبا وفارس، وبلاد تبحث عن مستقبل لها، بل وتتطلع إلى نشوء الدولة الحديثة والسيادة والاستقلال عما يهدر طاقاتها ويفت من عضدها.

ويذكر أن جامعة طهران اعتمدت تدريس ثلاثة مؤلفات لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة ضمن المساقات الأكاديمية المقررة لقسم التاريخ في كلية الآداب بالجامعة. من ضمنها كتاب (صراعات القوى والتجارة في الخليج ١٦٢٠ – ١٨٢٠)، وتم ترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية.[١٣]

**(١١) بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد**

- الطبعة العربية، مداد للطباعة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٠.
- الطبعة الروسية، مداد للطباعة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥.
- الطبعة الهندية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٣.

عثر الدكتور سلطان بن محمد القاسمي على مخطوطة يوميات الرحلة الأولى لفاسكو داغاما (Vasco da Gama) إلى الهند، وهي نسخة مخطوطة في المكتبة العامة في مدينة اوبورتو البرتغالية، ومنها انطلق التحقيق في (براءة ابن ماجد) مما لصق له من تهم بشأن إرشاد البرتغاليين إلى الهند، وهي موضوعة ظلت على مدى سنوات محور بحث عكف عليه المؤرخون والباحثون فاختلفوا واتفقوا وتفرقوا.

ففي مقدمة الكتاب يشير القاسمي إلى الآراء المختلفة حول الملاحة البرتغالية إلى الهند، وخصوصًا يوميات الرحلة الأولى لفاسكو دغاما إلى الهند (١٤٩٧- ١٤٩٩)[١٤] التي وردت ضمن أكثر من مذكرة أو يومية، يتولى الباحث عرضها وعرض ترجماتها، فيسافر إلى أوبورتو حيث مكتبتها العامة التي أتاحت له الوقوف على نسخة المخطوطة الأصلية لليوميات (في ٨٧ صفحة مرقمة برقمين مختلفين)، وفي الوثيقة يتوافر بالنص ما يرشد الباحث إلى البراءة.

وأيضًا ضحد الدكتور سلطان بن محمد القاسمي وثيقة المؤرخ (قطب الدين النهروالي) المتوفى سنة (٩٨٨هـ) في كتابه (البرق اليماني في الفتح العثماني) بثناء من علي بن الحسين على أحمد بن ماجد، لأن الأخير لم يتهمه بأرشاد الفرنج، كما أعتمد المؤلف على وثائق أخرى لغبريل فران وثيودور شومو فسكي. وتوضح الأمر بالنهاية من مخطوطة اليوميات الذي نشرها ديوغو كوبك، والمخطوطة الأصلية التي تخص دير "سانتا كروز" في كويمبرا في البرتغال. وقد ختم الدكتور سلطان بن محمد القاسمي بحثه بقوله: "وبذلك يكون مرشد "فاسكو داجاما" في رحلته من الساحل الأفريقي إلى الهند، مسيحيًا غجراتيًا".

هذا ويثبت الباحث في الدراسة النص البرتغالي للرحلة الأولى لفاسكو داغاما إلى الهند (١٤٩٧– ١٤٩٩)، وترجمتيه العربية والإنجليزية وصوره الفوتوغرافية.

**(١٢) بيان الكويت: (سيرة حياة الشيخ مبارك الصباح)**

- الطبعة العربية الأولى، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.
- لطبعة العربية الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦.

بيان الكويت[١٥] هو سيرة حياة الشيخ مبارك الصباح مؤسس دولة الكويت،[١٦] معززة بالوثائق والصور، جمعها القاسمي في هذا الكتاب لكي يقدم صورة واضحة عن إرهاصات الاستقلال، وعن مرحلة قيام الكويت في مفترق طريق تاريخي وحضاري، ونظرًا لما يحيط بتلك الفترة من جدل عميق.

ويتحدث الدكتور سلطان بن محمد القاسمي أن الهدف الأساس من تأليف هذا الكتاب، الذي يعد بحق إسهامًا فريدًا في مجال الدراسات التاريخية، هو توفير مرجع قيم يعكس التاريخ الحديث للكويت، لا غنى عنه لأي متخصص في تاريخ المنطقة، وتسليط الضوء على ما غفل عنه المؤرخون، أو تجاهلوه، أو حرفوه بقصد أو غير قصد. كما يقدم القاسمي وصفًا دقيقًا للكويت في تلك المرحلة ولسكانها الذين كانوا يعتمدون بصفة أساسية على صيد اللؤلؤ.[١٧] ويتحدث أيضًا عن ظهور الشيخ مبارك وشمائله، ويعرض لمراسلاته مع الحكومة التركية التي يعرض فيها خدماته للدولة العلية العثمانية مطالبًا بتعينه قائمقامًا للكويت. كما يتحدث عن المعارك التي قادها الشيخ مبارك وجهوده لتوحيد القبائل وفرض الأمن على الكويت.

الكتاب يحوي عددًا من الصور النادرة للشيخ مبارك الصباح، وعددًا من البرقيات والرسائل، والوثائق التي حصل عليها المؤلف من المكتبة البريطانية في لندن، ومن مركز الوثائق التابع لوزارة الخارجية الألمانية في برلين، والأرشيف العثماني، وهي تنشر لأول مرة إضافة إلى وثائق عربية وتركية بتواقيع أصحابها.

يقع الكتاب في (٤٥٦) صفحة، ويحتوي على ثلاثة عشر فصلاً، وملحق للوثائق. فقد سمى الفصل الأول (قبل طلوع الفجر)، والفصل الثاني سماه (البراءة) حيث اورد القاسمي العديد من المراسلات والبرقيات التي تمت بين الحاكم السابع للكويت الشيخ مبارك بن صباح وبين السلطات العثمانية، وكانت الفترة التي حكم فيها الكويت من أصعب الفترات التي مرت على تاريخ الكويت، حيث

كانت اطماع الدول الكبرى تحيط بالكويت من كل حدب وصوب، وفي الداخل لم تكن الأوضاع هينة، كانت الأمور معقدة ومتداخلة، اختلط فيها السراب بالماء، والوهم بالحقيقة، فكان الشيخ مبارك بموهبته الفذة وبعقله الكبير يجاهد ويكافح في كل الاتجاهات ليضمن لبلده الاستقرار والرقي.

**(١٣) نشأة الحركة الكشفية في الشارقة**

- الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٨، الطبعة العربية الثانية ٢٠٠٩.
- الطبعة الانجليزية الأولى ٢٠٠٨، الطبعة الانجليزية الثانية ٢٠٠٩، دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

يعرض صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان في هذا الكتاب نشأة الحركة الكشفية في الشارقة، حيث تم تأسيسها من قبل محمد ذياب الموسى لتكون أول فرقة كشافة في الإمارات وفي الشارقة بالذات، وكان العريف الأول لها سلطان بن محمد القاسمي. ويستعرض القاسمي بعد ذلك المراحل التي مرت بها تلك الفرقة، ونشاطاتها، ورحلاتها الكشفية، ومشاركاتها في المخيمات والمهرجانات، مرفقة بالصور التوثيقية لتلك المرحلة الممتدة من سنة ١٩٥٤م وحتى سنة ١٩٥٧م.

**(١٤) التذكرة بالأرحام**

- الطبعة العربية الأولى، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٨.
- الطبعة العربية الثانية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٨.

أصدر الدكتور سلطان بن محمد القاسمي الطبعة الثانية من كتابه "التذكرة بالأرحام" نظرًا للإقبال الرائع على الكتاب الذي نفدت طبعته الأولى، واشتملت الطبعة الجديدة على بعض التنقيحات والمعلومات الإضافية على ضوء الاهتمام الذي أثاره في صفوف كبار المعنيين والمهتمين وأقاربه.

تجدر الإشارة إلى: أن التذكرة بالأرحام يقع في جزءين: الأول منهما: استعرض أرحامه المتصلة بوالده الشيخ محمد بن صقر بن خالد بن سلطان بن صقر بن راشد القاسمي، وجده الشيخ خالد بن سلطان بن صقر بن راشد القاسمي، وكان له من الإخوة عشرة وهم: الشيوخ صقر، وسالم، وإبراهيم، وماجد، وعبدالله، وسيف، وراشد، وجاسم، وأحمد، وناصر، أبناء الشيخ سلطان بن صقر بن راشد القاسمي واثنتا عشرة أختًا. والجزء الثاني: أرحامه المتصلة بوالدته.

وقد جمع القاسمي في تقديمه للكتاب أسماء أرحامه وصلة بعضهم ببعض، واتصل ببعض الأقارب والأرحام والأصدقاء للتأكد من صحة تلك الأنساب وسطرتها في هذا كتاب وجعلها في جزءين. وتناول القاسمي بالتفصيل ذرية أبناء جده الشيخ سلطان بن صقر بن راشد القاسمي، وهم: الشيخ خالد بن سلطان بن راشد القاسمي، وجده صقر بن خالد بن سلطان القاسمي، والذي كان له إلى جانب والد القاسمي الشيخ محمد بن صقر بن خالد القاسمي من الأبناء الشيوخ سلطان، وخالد، وماجد، وراشد، وحميد، ومن البنات ثلاث. كما تناول القاسمي ذرية والده الشيخ محمد بن صقر بن خالد القاسمي، وإخوانه، وأبنائهم، وأعمامه وعماته، وكل مَنْ له صلة بالقواسم. ويقع ذلك الكتاب في (٩٤) صفحة من الحجم المتوسط.

ويعد هذا الكتاب توثيقًا للأسرة الحاكمة في الشارقة من خلال تتبع هذه العروق الممتدة بين القواسم والمجتمع الذي يعيشون فيه، بحيث تمتد هذه الصلة والقرابة إلى أكثر من (٤٠) قبيلة وإلى أكثر من عائلة، ليتأكد ما يرمي إليه حاكم الشارقة في السعي إلى التقارب والتآلف والمودة التي هي من صلة الرحمة التي أرادها لتكون رابطًا لمجتمع القواسي والشارقة بل والإمارات. حيث يؤكد القاسمي على هذه الوشائج والعلاقات القوية التي تحصن مجتمع الامارات وهو ينفتح على العالم بأثره.

**(١٥) محطة الشارقة الجوية بين الشرق والغرب**

- الطبعة العربية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٩.
- النسخة الإنجليزية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢.

يقدم الكتاب الصادر عن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، محاولة توثيق مهمة لجزء من تاريخ المنطقة في دراسة شاملة حول تاريخ إنشاء محطة الشارقة، ونقل خط الطيران من الساحل الفارسي إلى الساحل العربي، وما صاحبه من متاعب، ويقع الكتاب في (١٤١) صفحة من القطع الكبير.

يضم الكتاب أربعة فصول: يتحدث الأول عن مدرج الهبوط على الساحل العربي، والثاني حول اتفاقية المحطة الجوية في الشارقة، ويتناول الثالث محطة الشارقة الجوية، في حين يدور الرابع حول مرافقها ومدرج الهبوط الاضطراري في كلباء، مع خاتمة وملاحق تضم صورًا من الوثائق ومنها صورة عن الاتفاقية التي وقعت بين الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة والحكومة البريطانية حول إنشاء محطة للطيران في الشارقة.

ويرصد الدكتور سلطان بن محمد القاسمي منذ بداية الكتاب تاريخ الاتفاقية الانجليزية - الإيرانية والموقعة بين الحكومتين في سنة ١٩٢٨، وحول بدايات تطبيق تلك الاتفاقية، ويذكر مجموعة من التواريخ والحقائق التمهيدية، وبعد مرور عام على تلك الاتفاقية

رفضت الحكومة الايرانية تجديدها واضعة جملة من المطالب، وهذا ما أثبتت الوثائق البريطانية فيما بعد أن إنجلترا كانت ترفض تلك المطالب لتعارضها مع سياستها ومصالحها.

كان ذلك الخلاف بداية لتأسيس مدرج للهبوط على الساحل العربي، حيث قام المقيم السياسي في الخليج بجولة في الساحل العربي نهاية فبراير ١٩٣٠ حين حطت الطائرة المائية في خور الشارقة، وقام المقيم السياسي بزيارة للشيخ سلطان بن صقر القاسمي، حاكم الشارقة وقام بعد ذلك بزيارات لكل من حاكم أم القيوين وحاكم رأس الخيمة، وبعد دراسة ميدانية توصل إلى أن رأس الخيمة هي المكان الأكثر ملاءمة لمدرج هبوط الطائرات. وبين القاسمي أن الخيار لموقع المحطة الجوية كان ما بين موقعين الأول هو المطار الشمالي وهو موقع ميدان الزهراء الحالي، والثاني المطار الجنوبي ويقع في منطقة القاسمية حاليًا.

وفي سياق المشاورات التي تمت يورد القاسمي مجموعة الوثائق الخاصة بالمراسلات والتقارير البريطانية، وكتابات وكيل المقيمية البريطانية في الشارقة "عيسى بن عبد اللطيف السركال"، وهي تظهر المصاعب التي كانت موجودة أمام البريطانيين لإنشاء المدرج المذكور حيث كانوا في الوقت نفسه في محاولة لتجديد الاتفاقية مع الحكومة الإيرانية.

ونوه القاسمي في الكتاب إلى؛ أن جميع شيوخ الساحل العربي كانوا يرفضون منح التسهيلات لخط الطيران، ويظهر الفصل الأول المحاولات المستمرة التي قام بها البريطانيون لإيجاد مهبط للطائرات على الساحل العربي. ونوه إلى إصرار حكام الامارات على عدم السماح بتوفير التسهيلات المطلوبة لإنشاء المحطة الجوية، واشتراط الشيخ سلطان بن صقر القاسمي حاكم الشارقة آنذاك الحصول على خطاب ضمان من الحكومة البريطانية لاستقلاله وحريته.

أما الفصل الثالث، فركز القاسمي فيه على المحطة الجوية في الشارقة ومرافقها من مدرج واستراحة للمسافرين، ومحطة للبرقيات، ومركز للأرصاد الجوية وآخر للبريد، ومستودعات الوقود، وقوة دفاع المطار، واستعرض القاسمي في الفصل الرابع ما جرى بشأن مدرج الهبوط الاضطراري في مدينة كلباء، وما رافقه من مشكلات وعقبات وأزمات حتى توقيع اتفاقية أغسطس سنة ١٩٣٦ بين حاكم كلباء آنذاك الشيخ سعيد بن حمد القاسمي، والحكومة البريطانية، لتوفير التسهيلات لهبوط الطائرات في كلباء. وذكر القاسمي في خاتمة الكتاب أن رحلات الخطوط الجوية الامبريالية بين الشرق والغرب استمرت من خلال مطار الشارقة منذ تأسيسه سنة ١٩٣٢ وحتى سنة ١٩٤٠ حيث تغير اسم الخطوط الجوية الامبريالية إلى هيئة الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار في ذات الوقت الذي توقفت فيه حركة الطيران المدني بسبب الحرب العالمية.

وتضمن الكتاب أيضًا مجموعة من الصور التوثيقية المهمة، ومنها صور لعربات توزيع الوقود للطائرات آنذاك، ومنظر جوي لمدينة الشارقة، ومجموعة من وثائق الاتفاقيات، وخطاب الضمان، وجداول المسافات، ومواقيت الوصول والمغادرة، وأنواع الطائرات ورحلاتها بين انجلترا ومصر والهند.

**(١٦) وصف قلعة مسقط وقلاع أخرى على ساحل خليج عُمان**

- الطبعة العربية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٩.

صدر هذا الكتاب عن منشورات القاسمي في الشارقة، وهو عبارة عن تحقيق يبحث في كتاب الجغرافي البرتغالي "بدرو باريتو دي ريسنده" بعنوان "وصف قلاع الهند الشرقية". حيث جاء تأليف الكتاب المحقق بأمر من الملك البرتغالي فيليب الثالث سنة ١٦٣٢، الذي أمر نائبه بجوا (الهند) أن يرسل له وصفًا مفصلاً عن القلاع البرتغالية، فقام الأخير بتحويل الأمر إلى "أنطونيو بوكارو" والذي كان مدير مركز الوثائق الملكية، فقام بمسح شامل لقلاع مسقط، وقريات، ومطرح، والسيب، وبركا، وصحار، وخورفكان، والبدية، وكلباء، ومدحا، ودبا، وهذا المؤلف الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع عشر، ويتنازع على حقوقه أكثر من مؤلف، وهو يتعرض إلى بدايات فترة الاستعمار البرتغالي للهند الشرقية ولمنطقة الخليج.

ويعرج الكتاب في (٧٩) صفحة على بعض المدن والثغور على الساحل العربي في الخليج، وساحل عُمان، والتي انضم بعضها إلى الإمارات، وبشكل خاص إلى إمارة الشارقة، وكعادته عندما يتناول صاحب السمو أي وثيقة فإنه يلجأ إلى المصادر المتوفرة بأكثر من لغة. وبالنسبة لهذا المصنف الجغرافي فقد اعتمد القاسمي على مجموعات من الوثائق في المكتبة الوطنية، ومكتبة أكاديمية العلوم في لشبونة، والمكتبة الوطنية في باريس، والمكتبة البريطانية، حيث وقف القاسمي في تحقيقه على نسخة المكتبة البريطانية في المخطوطة رقم (١٩٧) وهي التي عكف على بناء تحقيقه العلمي عليها، فعاد بها إلى الجغرافي البرتغالي (بيدرو باريتوا دي ريسنده) ومن هذا الجغرافي اختار قلاعًا برتغالية على ساحل عمان وهي مسقط، وقريات، ومطرح، والسيب، وبركا، وصحار، وكلباء، وخورفكان، والبديه، ومدحا، ودبا.

وأشار الكتاب إلى علاقات التعايش والظروف الاقتصادية والتجارة وأنواعها في المناطق العربية، وحتى مناطق الغوص، والسفن، والنواحي الصحية وخلافه، والمقاييس، والعملات، والمواقع، وأوضح العلاقات بين المستعمر البرتغالي والشيوخ والأمراء والأهالي بالثغور، مما يفتح للباحثين إمكانيات الدراسة والتنقيب في مسالك معرفية مختلفة، ومتغيرات تاريخية وعبر القرون.

(١٧) سرد الذات (My Early Life)

- الطبعة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.
- الطبعة الإسبانية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١١.
- الطبعة الألمانية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١١.
- الطبعة الانجليزية، بلومسبيري للطباعة والنشر، لندن، المملكة المتحدة، ٢٠١١.
- الطبعة الفرنسية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢.

في كتاب "سرد الذات" يتحدث الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عن نفسه كشاب طموح بكل ما يحمله لفظ الشباب من أحلام ومغامرات وإحباطات وأماني، تربّى على الوطنية وترعرع على المبادئ القومية الوحدوي، فقد كتب القاسمي هذا الكتاب ليوثق فيه تاريخ أهله وبلده، على مدى تسعة وعشرين عامًا، وأغفل كثيرًا من الحوادث والروايات لأناس قضوا نحبهم، فذكرها يثير الضغائن التي سترها الله. وأسماه سرد الذات، فالسرد هو إجادة سياقة الحديث؛ أما الذات فهي ما يصلح لأن يُعْلم ويُخْبَر عنه.

ويُعد هذا الكتاب إطلالة خاصة على حياة حاكم الشارقة، ويتيح للباحثين التعرف إلى الأحداث التاريخية الكبيرة التي شهدتها إمارة الشارقة بشكل خاص، ودولة الإمارات ومنطقة الخليج بشكل عام خلال فترة الأربعينيات وحتى السبعينيات من القرن الماضي. ويوضح الكتاب الحجم الهائل للإرث التراثي، والعلاقة الوطيدة التي ربطت بين الناس وبعض المعالم الخاصة في الشارقة، والتي بدورها ساعدتهم في تحديد شخصيتهم وأعطت للشارقة هوية ثقافية فريدة من نوعها.

ويقع الكتاب في (٢٩١) صفحة، ويحتوي على أربعة عشر فصلاً. الفصل الأول يتناول أيام الطفولة، فقد ولد القاسمي يوم الأحد الموافق للسادس من يوليو سنة ١٩٣٩، وبلغ الخامسة عشر من عمره عندما كانت الحرب العالمية الثانية والقوات البريطانية وطائرتها الحربية تتواجد في المعسكر البريطاني، وهو تابع لمحطة الطيران في الشارقة، كما تناول أيضًا بيته وبيت عمه المهجور وحصن الشارقة. ويسرد في الفصل الثاني بعنوان "حاكم الشارقة الشيخ سلطان بن صقر القاسمي" عن يوم العيد، وعن وصف مزرعة الفلج، وتحدث عن الشيخ سلطان يتوسط مسألة رأس الخيمة، وأيضًا ابعاد والده عن الشارقة، وسفره إلى البحرين، والتحاق سمو الشيخ سلطان بالصف الأول في مدرسة الإصلاح القاسمية.

وفي الفصل الثالث تحدث عن نائب الحاكم، وعن العودة مرة أخرى لمدرسة الإصلاح القاسمية، وعن وفاة الشيخ سلطان ابن صقر القاسمي "رحمه الله"، وعن إعلان الشيخ محمد بن صقر القاسمي أنه قد خلف شقيقه المرحوم الشيخ سلطان بن صقر القاسمي كحاكم للشارقة، وعن الفصل الرابع ناقش فيه تطوير التعليم في الشارقة فقد مر التعليم بخمسة مراحل خلال الأعوام (١٩٥١-١٩٥٥)، كما تناول مشاركة الشارقة في المخيم الكشفي العاشر في الكويت. وسرد القاسمي رحلة الحج مع أسرته في الفصل الخامس، وفي الفصل السادس أورد العدوان الثلاثي على مصر.

وفي الفصل السابع تعرض القاسمي لحوادث جرت في الشارقة في المدة ما بين (١٩٥٨-١٦٥٩)، أما الفصل الثامن فاحتوى على الرحلة إلى إيران في أواخر شهر يوليو سنة ١٩٥٩، وتحدث في الفصل التاسع عن حزب البعث سنة ١٩٥٩م. وسرد بالفصل العاشر حادثة السفينة والشارقة والبترول، ووفاة والده والوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، واشتمل الفصل الحادي عشر على الوكلاء الصهيون، والبعثة الفنية بجامعة الدول العربية، وعزل الشيخ صقر، وتنصيب الشيخ خالد يوم الخميس الرابع والعشرون من يوليو. كما تناول الفصل الثاني عشر دراسته الجامعية، حيث وصل إلى القاهرة في شهر سبتمبر سنة ١٩٦٥ قبل بداية الدراسة الجامعية، وتم قبوله في جامعة القاهرة - كلية الزراعة في القاهرة، وتحدث هذا الفصل عن حرب ١٩٦٧، وفي بداية شهر مايو ١٩٦٨ عين الشيخ خالد بن محمد القاسمي، الشيخ عبد العزيز بن محمد القاسمي نائبًا للحاكم في المنطقة الشرقية ومقره في خورفكان بدلاً من "عثمان بارود"، وقد عاد إلى الشارقة سنة ١٩٧١.

وقد تم اتحاد ستة إمارات بين الشيخ زايد بن سلطان حاكم أبوظبي، والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم في الثامن عشر من شهر يوليو سنة ١٩٧١، دون رأس الخيمة التي تمنعت عن الدخول في الاتحاد، ووصف القاسمي في آخر فصل من الكتاب أيام الشدة ١٩٧٢/١/٢٤ قبل عيد الأضحى بيومين وفي يوم عرفة تجمعت العائلة ليسلموه المسئولية، فقد عينوه لكي يكون ابنًا بارًا لكبيرهم، وأخًا وفي لأوسطهم، وأبا حنونًا لأصغرهم عبارة قالها بمثابة وثيقة شرف.

(١٨) حديث الذاكرة (Taking the Reins)

- الجزء الأول: النسخة العربية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٠.
- الجزء الأول: النسخة الإنجليزية، بلومسبيري للطباعة والنشر، لندن، المملكة المتحدة، ٢٠١١.
- الجزء الثاني: النسخة العربية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢.
- الجزء الثالث: النسخة العربية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٣.

إن كتاب (حديث الذاكرة) يأتي بعد كتاب (سرد الذات)، ويكمّل الأجزاء الثلاثة بعضهم بعضا إذ يعتبروا ترجمة لحياة صاحب السمو الدكتور سلطان بن محمد القاسمي في ثلاثة أطوار من حياته على الدرجة ذاتها من الأهمية، ليؤسس لمادة وثائقية يغيب الكثير من حقائقها وتفاصيلها عن المكتبات، وخصوصًا وأنها تأتي من بين يدي قائد ومؤرخ يلامس الحقائق بشفافية ونزاهة، كما هي العادة عند القاسمي. حيث يظهر صاحب السمو حاكم الشارقة في هذا الكتاب بأنه قومي من الطراز الأول، نبتت وترسخت في أعماقه جذور العروبة والقومية، ويجمع القاسمي بين اتجاهين في السرد، فتحضر الوثيقة إلى جوار الذات الراوية التي تتناول سيرة الشخص بوصفه حاكمًا وفي موقع مسؤولية سياسية واجتماعية معًا. لكنْ إذ تغلب على السيرة هنا السيرة السياسية، فإن الكتاب لا يخلو من بعض الالتماعات الاجتماعية التي يمكن من خلالها تلمّس أثر قيام الاتحاد على النسيج الاجتماعي في الامارات، وكذلك من بعض اللحظات الإنسانية الشفافة.

سرد القاسمي في (٣١١) صفحة كتابه "حديث الذاكرة الجزء الأول"، والذي غطى سنوات الطفولة حتى سنة ١٩٧١، ليوثق لمرحلة مهمة من تاريخ اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة، مع التحدي الأهم في مسيرة القاسمي عندما تولى مقاليد الحكم في الإمارة، وهو يسدّد بصره وبصيرته باتجاه خلق مناخ تنموي وثقافي، يتجاوز المعارف الفطرية وزمن الكتاتيب، وتحدث فيه عن بدايات الإنجازات الثقافية الكبرى والتأسيس للتنمية الشاملة في الشارقة، وتوقف القاسمي كثيرًا عند علاقة الحب والتبجيل التي ربطته بالمغفور له، بإذن الله تعالى، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، ومدى التفاهم والود الذي كان بينهما. وقد خصص في كتابه فصلاً للقرارات التاريخية والخطوات المتعلقة بدعم الكيان الاتحادي. واختتم القاسمي كتابه بفهرس للصور الفوتوغرافية مقسمة إلى ثلاث مجموعات.

كما جاء الجزء الثاني في (٢٦٣) صفحة استكمالاً لأحداث الجزء الأول، حيث أفرد القاسمي مساحة كبيرة للقضايا القومية العربية، وقضية فلسطين وإسهاماته في دعمها، ويظهر من خلاله حسه القومي الراسخ وسعيه الدؤوب للنهوض بالوطن العربي، ومركزية القضية الفلسطينية بالنسبة إليه، كما اهتم بتفاصيل الأحداث والمواقف الحاسمة والتفاعلات الهامة بين حكام الإمارات، والتي كان لها بالغ الأثر على تشكيل ونمو مؤسسات دولة الإمارات العربية، وعلاقاتها الدولية منذ إنشائها في ديسمبر ١٩٧١ وإلى سنة ١٩٧٧، وكشف مدى الصعوبات التي واجهتها القيادة وحكام الإمارات، في تأسيس وحدتهم واتحادهم، وتأسيس دولة يشهد لها الآن في جميع الميادين بالريادة والتقدم.

وانتهى الجزء الثالث بوفاة المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في الثاني من نوفمبر من سنة ٢٠٠٤. ومن الأمور المهمة التي ضمها هذا الجزء من حديث الذاكرة، غزو العراق للكويت في سنة ١٩٩٠ وموقف الإمارات، ووفاة قطبي الاتحاد والمؤسسين له، المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والمغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم "طيب الله ثراهما"، وتعديل الدستور المؤقت. أما الجزء الأكبر من مساحة الكتاب فخصصه القاسمي للسفر الذهني نحو مسارات التطور والازدهار في مجالات العلم والمعرفة والثقافة التي تشكّلت ملامحها الأولى وسط رؤى ومرئيات القاسمي لمستقبل إمارة الشارقة في تحويلها إلى عاصمة دائمة للثقافة بأبعادها المحلية والعربية والإسلامية والعالمية.

ومن الموضوعات المهمة التي ضمها هذا الجزء الثمين أيضًا، تأسيس جامعتي الشارقة والجامعة الأمريكية في الشارقة، وكذلك كليات التقنية العليا، وجعل مركز الأبحاث هي القاعدة في التطوير التعليمي، هذا فضلاً عن بناء القاسمي للمسجد الجامع في غرناطة، وكذلك المركز الثقافي التابع له في إطار دعم التواصل الحضاري والثقافي، والحوار الفكري بين الشعوب العربية الإسلامية، والحضارات المتعددة في الغرب. وغير هذا من الأمور المهمة المعززة بالصور والوثائق والشهادات والأوسمة التي مُنحت للقاسمي تثمينًا لجهوده ودعمه المادي والمعنوي للحركة الثقافية والتواصل الحضاري والإنساني. وبفضل تلك الجهود الاستثنائية التي بذلها القاسمي، أصبحت الشارقة منارةً للعلم، وعاصمة للثقافة العربية والإسلامية.

**(١٩) حصاد السنين ثلاثون عامًا من العمل الثقافي في الشارقة**

- الطبعة العربية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١١.

يواصل عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي الإبحار في العمل الثقافي ويرصد في كتابه "حصاد السنين: ثلاثون عامًا من العمل الثقافي في الشارقة" المحطات المهمة في مسيرة الشارقة الثقافية التي بدأت منذ تأسيس دائرة الثقافة والإعلام سنة ١٩٨١، فيقدم كشف حساب للجمهور في إمارة الشارقة لفترة ثلاثين عامًا بادر فيها لوضع البنى التحتية والاستراتيجيات للعمل الثقافي الذي أثر محليًا وعربيًا ودوليًا بدرجة كبيرة. فالكتاب هو في حقيقته رصد لأهم البرامج والأنشطة الثقافية والفنية والأدبية التي قامت بها المؤسسات الثقافية في الشارقة، وأدوارها المباشرة في التأثير، وتفعيل الثقافة المجتمعية، والعمل الثقافي الوطني الذي امتد إلى الوطن العربي والأمة الاسلامية جمعاء بل والانسانية. فقد نجح حاكم الشارقة في أن يجعل هدفه ثقافيًا، وقد مرت الشارقة بمراحل متعددة في التنمية الثقافية، حتى اختيرت عاصمة ثقافية للوطن العربي سنة ١٩٩٨، وعاصمة للثقافة الإسلامية سنة ٢٠١٤.

يقع الكتاب في (٤٢٣) صفحة من القطع الكبير ويوفر إحصاءات معالجة بأحاديث وكلمات حاكم الشارقة في مناسبات أدبية، وفنية، وثقافية، وفكرية متعددة ومتنوعة طوال ثلاثة عقود، ليشمل الكتاب على مختلف مناحي الحياة الثقافية، والفنية في الشارقة بامتداداتها الطبيعية، الوطنية، والعربية، والعالمية، وذلك استجابة لرؤية القاسمي، وربما لهذا السبب جاءت فصول الكتاب الخمسة والثلاثين بلا عناوين، بالمعنى التقليدي المعهود، بل عمد القاسمي إلى متتالية الزمن، كي تأخذ النصيب الأوفر حظًّا في تقسيم هذه الفصول حسب السنين، وتعاقب فصول المشروع الثقافي في الشارقة عليها، بدءًا من سنة ١٩٨١ حتى سنة ٢٠١١م.

وتوجز خاتمة الكتاب كل ما ورد فيه، حيث يؤكد أن مَنْ يقرأ هذا الكتاب سيجد أن ما ذكر فيه هي الأنشطة الثقافية المميزة فقط، التي تؤسس مباشرة على الفعل الثقافي، مع وجود مئات من الأنشطة، من شعر ورواية وقصة، ومعارض فردية وجماعية للفنون التشكيلية، لعرب وأجانب، ومسرحيات عربية وأجنبية، يتكامل فيها مشروع الشارقة الثقافي، الذي أنجز خلال ٣٠ عامًا، من ثلاثة أنشطة إلى ألف وستمائة نشاط في السنة.

**(٢٠) مراسلات سلاطين زنجبار**

- النسخة العربية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢.

يُعد هذا الكتاب إضافة متميزة إلى مكتبة الدراسات التاريخية العربية عامة، والعُمانية خاصة، لأنه يتناول حقبة مهمة في التاريخ السياسي والاقتصادي لعُمان وللعلاقات التاريخية بين السلطنة وبريطانيا، ويحتوي الكتاب على مجموعة مختارة من الرسائل الواردة والصادرة للسيد "سعيد بن سلطان" مع الحكومة البريطانية والخاصة بزنجبار، وكذلك الرسائل الواردة والصادرة للسلاطين ماجد، وبرغش، وخليفة أبناء سعيد بن سلطان والمتبادلة مع الحكومة البريطانية، وكلها متعلقة بالقسم الأفريقي من الإمبراطورية العمانية والذي عملت بريطانيا على فصله عن الجزء الأم عُمان.

وتنبع أهمية الكتاب من أنه يكشف عن كثير من المعلومات الخاصة بسياسة بريطانيا في الساحل الشرقي لأفريقيا، وذلك بإثارة الفتن في الولايات التابعة لسلطان زنجبار، وإبعاد ولاته، وإنزال علم السلطنة، ورفع العلم البريطاني مكانه على تلك الولايات حتى أصبح سلطان زنجبار لا يملك إلا جزيرة زنجبار والجزيرة الخضراء "بيمبا"، إلى أن وقع الانقلاب على الوجود العُماني هناك في يناير سنة ١٩٦٤.

وقد اعتمد د. سلطان القاسمي على المكتبة البريطانية في جمعه لوثائق الكتاب التي ضمت (٢٣٤) رسالة صادرة وواردة لسلاطين زنجبار في (٥٣٩) صفحة، وتم تقسيمها إلى (٤) مجموعات، حيث ضمت المجموعة الأولى مراسلات السلطان سعيد بن سلطان وعددها (٩٩) رسالة، فيما ضمت المجموعة الثانية مراسلات السلطان ماجد بن سعيد وعددها (٣٥) رسالة، وضمت المجموعة الثالثة مراسلات السلطان برغش بن سعيد وعددها (٣٢) رسالة، أما المجموعة الأخيرة فتضم مراسلات السلطان خليفة بن سعيد وعددها (٦٨) رسالة، أي أن هذه المراسلات تغطي فترة مهمة من التاريخ العماني من سنة ١٨٠٦ إلى سنة ١٨٩٠.

وميزةُ الكتاب في أن الدكتور القاسمي اعتمد على نشر الرسالة الأصلية في الصفحة اليمنى ونشر طباعتها دون تدخل منه في الصفحة المقابلة، وهو بذلك قد سهل للباحثين في التاريخ العُماني، وتاريخ الوجود العُماني في الشرق الأفريقي مهمة البحث والتنقيب، والحقيقة إن كتاب "مراسلات سلاطين زنجبار" يأتي في إطار جهود الدكتور سلطان بن محمد القاسمي لخدمة الباحثين والمختصين- المهتمين بالتاريخ العُماني، من خلال تقديم مجموعة متميزة من الدراسات التاريخية الجادة التي أصبحت مصدرًا لكل مَنْ أراد أن يكتب عن تاريخ عُمان.

**(٢١) القواسم والعدوان البريطاني (١٧٩٧- ١٨٢٠)**

- النسخة العربية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢.

كتاب القاسمي "القواسم والعدوان البريطاني (١٧٩٧-١٨٢٠)" الصادر عن منشورات القاسمي، هو في الأصل أطروحة الدّكتوراه التي قدّمها القاسمي إلى جامعة إكستر في بريطانيا سنة ١٩٨٥ ونال على إثرها درجة الدكتوراه في التاريخ، وترجمت الأطروحة إلى اللغة العربيّة، فوقعت في (٤٨٧) صفحة من الحجم المتوسط، والهدف من هذه الدراسة هو تقديم تفسير أكثر موضوعية ومنطقية للتطورات التي حدثت في منطقة الخليج العربي في العقدين الأولين من القرن التّاسع عشر، هذه التطورات التي هي المهد الأساسي التي وطدت لبريطانيا السيطرة التامة على الخليج خلال ١٥٠ سنة، لذا ينقسم الكتاب إلى مقدّمة وخمسة فصول رئيسة، إضافة إلى هوامش الدراسة وقائمة طويلة من المصادر والمراجع مع العديد من الصور والخرائط.

افتتح القاسمي الكتاب بمقدمة تطرق فيها إلى مسألة التشويه المتعمد لتاريخ شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي من قبل بعض المصنفين الأجانب، أشهرهم (ج . ج . لوريمر)، و(ج . ب . كيلي). ورأى القاسمي أن عبء التشويه يقع على هذين الرجلين، ولهذا عمل على كشف الحقائق التي طمساها، وإثبات الوقائع التاريخية كما هي سليمة من دون تحريف، وركز القاسمي على تهمة القرصنة وإلصاقها بالقواسم زورًا وبهتانًا، وبين بالدلائل النصية كيف قام الرجلان بالترويج لهذه التهمة.

استهل القاسمي الفصل الأول (الخليج العربي في القرن الثّامن عشر) بوصف شامل لمنطقة الخليج العربي من مدخله عند مضيق هرمز إلى مصبّ نهرَي دجلة والفرات عند شطّ العرب، واستعرض فيه عددًا من المواضع والمدن والموانئ على السّاحل الفارسي للخليج، وأهمّ الجزر الموجودة فيه. وأشار إلى أهم إمارات الخليج في الكويت والبحرين وقطر وإمارات السّاحل، وأكّد في هذا الفصل الحضور القاسمي على ساحِلَي الخليج ودور شركة الهند الشّرقيّة وبدايات حضورها إلى المنطقة.[١٨] وتناول الفصل الثاني (اتّهامات بالقرصنة: ١٧٩٧-١٨٠٦) كيف اتّخذ البريطانيّون التّجارة مطيّة لهم لترسيخ أقدامهم في المنطقة، وأشار إلى دور القواسم التّجاري والملاحي في الخليج العربي والمحيط الهندي ونشاطاتهم المختلفة في الهند وشرقي إفريقيا. والشّائعات التي بدأت ببثّها السّلطات البريطانيّة حول القواسم، ويستعرض في هذا الفصل ظهور السّعوديّين وصلاتهم بساحل الخليج العربي، وكيف خشي البريطانيّون مِن ذلك، وفي عنوان فرعيّ في الفصل نفسه: "الأوضاع السياسية في الخليج" ناقش فيه وضع سلطنة مسقط، ونشاطات القواسم في الخليج وعلاقاتهم مع القوى الأخرى، كما تحدّث عن أعمال الكابتن "سيتون" في المنطقة، ناقش فيها عددًا من الرسائل المتبادلة بين أفراد السّلطات البريطانيّة.

وفي الفصل الثّالث (الهجوم على رأس الخيمة سنة ١٨٠٩)، بدأ بمناقشة الأدلّة واستجلاء النّصوص وتبيين الحقائق، وإيضاح طبيعة الوجود البريطاني الاحتلالي في المنطقة، واستعرض أيضًا بعض الحوادث الخاصّة بتعرّض سفن بريطانيّة للاعتداءات وأثبت أنّها لم تكن مِن قِبل القواسم، الفصل الرّابع "مفاوضات ومعاهدة سنة ١٨١٤" بدأ بمناقشة الأحداث والوقائع ويستشهد بالنّصوص والرّسائل والوثائق مفنّدًا كل الاتهامات مثبتًا أن السلطات الاحتلاليّة كانت مصدرًا للشّائعات رغبة مِنها في تحطيم قوّة القواسم. كما حلّل العلاقات البريطانيّة - السّعوديّة.[١٩] وأشار إلى الاتّصالات بين البريطانيّين مِن جهة، والقواسم والسّعوديّين مِن جهة أخرى.

وفي الفصل الخامس والأخير (تحطيم القواسم ١٨١٩) قد توصّل القاسمي بتمهيده في الفصول الأربعة الأولى لِيَصل إلى هذه النّتيجة بأنّ تحطيم قوّة القواسم كان هو الهدف مهما كانت الأسباب، ومهما كانت التّهم والادّعاءات والأكاذيب، ويستطرد بعد ذلك في شرح العدوان البريطاني على القواسم ومهاجمتهم بعنف وهمجيّة، تدلّ على حقد دفين، ورغبة في فرض النّفوذ بالقوّة والعنف، الهدف منها إحكام قبضة الشركة على تجارة السواحل الخليجية. هكذا عالج الدكتور سلطان القاسمي تهمة القرصنة لأجداده، فبرهن على عدم صحتها، وأن خلفها أمورًا خفية عديدة، وأن مسألة قرصنة القواسم ونشرها، هي مسألة تجارية واقتصادية.

**(٢٢) زنوبيا - ملكة تدمر**

- النسخة العربية، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٣.

تدمر، هي إحدى المدن، التي كانت كل واحدة منها تعمل كوسيطة للتجارة بين الصين والبحر الأبيض المتوسط، لنقل التوابل والحرير الذي كانت له أهمية كبرى في تلك الأزمنة، فأصبح ذلك الطريق يُعرف بطريق الحرير.[٢٠] أما طريق نقل التجارة القادمة عبر طريق الحرير، فكانت تصل إلى مدينة دورا أوروبوس- الصالحية في أيامنا هذه- وتقع بالقرب من الميادين على نهر الفرات شرقي سوريا، وينقل عبر تدمر إلى البتراء في الأردن، هكذا بدأ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي مقدمة كتابه المؤرخ لسيرة حياة زنوبيا ملكة تدمر العربية، ومواقفها الخالدة الموثقة من الوثائق الإغريقية القديمة، فقد بسطت الملكة زنوبيا رقعة مملكتها شرق آسيا وسوريا والجزء الشمالي من بلاد النهرين ومصر، وقاتلت الرومان حين احتلوا سوريا والجزء الغربي من العراق، حتى امتداد نهر الفرات، في الفترة من سنة ١١٣م حتى سنة ١١٧م؛ وبنى الرومان طريقًا يربط المناطق المحتلة من العراق بتدمر ومنها إلى دمشق. وتحولت "رأس الخيمة" بفعل الملاحة البحرية إلى أبرز حاضرة تجارية تعيد إنتاج تدمر ومكانتها الكبيرة، فيما ينتصب قصر زنوبيا الشهير في القلب منها الذي أمرت ببنائه، وهو قصر من قصور القرون الوسطى ويعتبر من أكثر الشواهد الأثرية القديمة ضخامة، وحاولت خلال فترة حكمها الاستنجاد بالفرس في قتالها ضد الرومان، فهُزمت ودُمرت مملكتها.

وللزباء أو زنوبيا كما تسمى قصة غريبة فهي الزوجة الثانية لملك تدمر (أذينة) وتريد الحكم عند وفاة زوجها الملك لأبنها وهب اللات وأخذت تدعي بأنها أبنة كليوباترا، وادعت كذلك بأن أباها بطليموس، وفي الفترة التي كانت فيها وصية على أبنها وصلت إلى أماكن كثيرة، وحكمت وكانت كل التجارة التي ترد إلى الدولة الرومانية تمر عن طريق أراضيها، فأقامت محطات لنقل التجارة إلى مصر، واحتلت الأناضول في تركيا والشام مما يدلل على مدى قوتها.[٢١] وعرض القاسمي صورة توضيحيه لقصر الملكة زنوبيا في تدمر بين العراق والشام، وأن هذا القصر لم يعد موجودا الآن، وهذه اللوحات تبين لنا ما كان موجود من حوالي ٣٠٠ أو ٥٠٠ سنة وتبين لنا عظمة تلك المملكة، ومن خلال الصورة يتبين لنا حجم البشر مقارنة بحجم البناء، وكل رسام من الرسامين عندما يهم برسم مثل هذه الأمور لم يكن هناك أناس متواجدين بل يضع رسوم توضيحية للبشر أو الدواب لتبيان حجم تلك المباني، وهذا الأمر تجده في كافة اللوحات حتى عند (ديفيد روبرت) في لوحاته عن مصر يضع أناس في لوحاته لذات الغرض.

## ثانيًا: التوزيع الزمني والجغرافي واللغوي للإنتاج الفكري التاريخي

يوضح الجدول التالي التوزيع الزمني والجغرافي واللغوي للإنتاج الفكري التاريخي لسمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي خلال ثماني وعشرون عامًا:

| سنة النشر | عنوان العمل | الطبعة | الناشر. مكان النشر، بلد النشر | لغة العمل | العدد |
|---|---|---|---|---|---|
| ١٩٨٦ | The Myth of The Arab Piracy in The Gulf | ط١ | كروم هلم. لندن، المملكة المتحدة | الإنجليزية | ١ |
| ١٩٨٨ | The Myth of The Arab Piracy in The Gulf | ط٢ | روتلدج. اكسون، المملكة المتحدة | الإنجليزية | ١ |
| ١٩٨٩ | تقسيم الإمبراطورية العُمانية ( ١٨٥٦-١٨٦٢) | ط١ | مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر. دبي، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ١ |
| ١٩٩٠ | الاحتلال البريطاني لعدن | ط١ | مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر. دبي، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ١ |
| ١٩٩٢ | الاحتلال البريطاني لعدن | ط٢ | دار الغرير للطباعة. دبي، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ١ |
| ١٩٩٣ | الوثائق العربية العمانية في مراكز الأرشيف الفرنسية | ط١ | دار الغرير للطباعة. دبي، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ٣ |
| | العلاقات العمانية الفرنسية ١٧١٥ - ١٩٠٥م | ط١ | فوريست رو. لندن، المملكة المتحدة | الإنجليزية | |
| | العلاقات العمانية الفرنسية ١٧١٥ - ١٩٠٥م | ط١ | دار الغرير للطباعة. دبي، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| ١٩٩٤ | يوميات ديفيد سيتون في الخليج (١٨٠٠- ١٨٠٩م) | ط١ | دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ٣ |
| | جون مالكولم والقاعدة التجارية البريطانية في الخليج ١٨٠٠م | ط١ | دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| | John Malcolm and the British Commercial Base in The Gulf – 1800 | ط١ | دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | الإنجليزية | |
| ١٩٩٥ | يوميات ديفيد سيتون في الخليج (١٨٠٠- ١٨٠٩م) | ط١ | ب.بي.سي وبتونس. اكستر، المملكة المتحدة | الإنجليزية | ٢ |
| | العلاقات العمانية الفرنسية ١٧١٥ - ١٩٠٥م | ط١ | هارماتان. باريس، فرنسا | الفرنسية | |
| ١٩٩٦ | الاحتلال البريطاني لعدن | ط٣ | الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، جمهورية مصر العربية | العربية | ٥ |
| | تقسيم الإمبراطورية العُمانية ( ١٨٥٦-١٨٦٢) | ط٢ | مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر. دبي، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| | The Gulf in Historic Maps (1493-1931) | ط١ | ثنك برنت، ليشستر، المملكة المتحدة. | الإنجليزية | |
| | رسالة زعماء الصومال إلى الشيخ سلطان بن صقر القاسمي ١٨٣٧ | ط١ | دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| | جون مالكولم والقاعدة التجارية البريطانية في الخليج ١٨٠٠م | ط٢ | الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، جمهورية مصر العربية | العربية | |
| ١٩٩٩ | Power Struggies and Trade in The Gulf (1620-1820) | ط١ | فوريست رو. لندن، المملكة المتحدة | الإنجليزية | ٢ |
| | الخليج في خرائط تاريخية (١٤٧٨ – ١٨٦١) | ط٢ | استريم لاين برس. ليشستر، المملكة المتحدة | الإنجليزية | |
| ٢٠٠٠ | بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد | ط١ | مداد للطباعة. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ١ |

| سنة النشر | عنوان العمل | الطبعة | الناشر. مكان النشر، بلد النشر | لغة العمل | العدد |
|---|---|---|---|---|---|
| ٢٠٠٤ | بيان الكويت | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ١ |
| ٢٠٠٥ | بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد | ط١ | مداد للطباعة. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | الروسية | ١ |
| ٢٠٠٦ | بيان الكويت | ط٢ | المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، لبنان | العربية | ٢ |
| | The Myth of The Arab Piracy in The Gulf | ط٣ | روتلدج. اكسون، المملكة المتحدة | الإنجليزية | |
| ٢٠٠٨ | نشأة الحركة الكشفية في الشارقة | ط١ | دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ٧ |
| | نشأة الحركة الكشفية في الشارقة | ط١ | دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | الإنجليزية | |
| | التذكرة بالأرحام | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| | صراعات القوى والتجارة في الخليج (١٦٢٠-١٨٢٠) | ط١ | همسايا للنشر. طهران، إيران | الفارسية | |
| | العلاقات العمانية الفرنسية ١٧١٥ - ١٩٠٥م | ط١ | همسايا للنشر. طهران، إيران | الفارسية | |
| | تقسيم الإمبراطورية العُمانية ( ١٨٥٦-١٨٦٢) | ط٣ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| | أسطورة القرصنة العربية في الخليج | ط١ | همسايا للنشر. طهران، إيران | الفارسية | |
| ٢٠٠٩ | وصف قلعة مسقط وقلاع أخرى على ساحل خليج عمان | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ٥ |
| | سرد الذات | ط١ | المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، لبنان | العربية | |
| | محطة الشارقة الجوية بين الشرق والغرب | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| | نشأة الحركة الكشفية في الشارقة | ط٢ | دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| | نشأة الحركة الكشفية في الشارقة | ط٢ | دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | الإنجليزية | |
| ٢٠١١ | حديث الذاكرة ( الجزء الأول ) | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ٦ |
| | حديث الذاكرة ( الجزء الأول ) | ط١ | بلومسبيري للطباعة والنشر. لندن، المملكة المتحدة | الإنجليزية | |
| | حصاد السنين ثلاثون عامًا من العمل الثقافي في الشارقة | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| | سرد الذات | ط١ | بلومسبيري للطباعة والنشر. لندن، المملكة المتحدة | الإنجليزية | |
| | سرد الذات | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | الألمانية | |
| | سرد الذات | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | الإسبانية | |

| سنة النشر | عنوان العمل | الطبعة | الناشر. مكان النشر، بلد النشر | لغة العمل | العدد |
|---|---|---|---|---|---|
| ٢٠١٢ | القواسم والعدوان البريطاني ١٧٩٧-١٨٢٠م | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ٥ |
| | مراسلات سلاطين زنجبار | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| | حديث الذاكرة (الجزء الثاني) | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| | سرد الذات | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | الفرنسية | |
| | محطة الشارقة الجوية بين الشرق والغرب | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | الإنجليزية | |
| ٢٠١٣ | زنوبيا ملكة تدمر | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | ٣ |
| | حديث الذاكرة (الجزء الثالث) | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | العربية | |
| | بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد | ط١ | منشورات القاسمي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة | المالىالام الهندية | |

ويتبين من الجدول السابق ما يلي:

١- أكثر السنوات نشرًا هي سنة ٢٠٠٨، ثم ٢٠١١، ثم سنة ٢٠٠٩ و٢٠١٢، حيث صدرت ٧ أعمال لسموه في سنة ٢٠٠٨، و٦ أعمال في سنة ٢٠١١، و٥ أعمال في سنة ٢٠٠٩ و٢٠١٢.

٢- تم نشر أغلب الأعمال في دولة الإمارات العربية المتحدة (٣٣ عمل) باللغات العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والهندية، والإسبانية، والألمانية، ويليها المملكة المتحدة حيث نُشرت بها (١٠) أعمال لسموه بالإنجليزية، وقامت إيران بنشر (٣) أعمال لسموه باللغة الفارسية، أما مصر ولبنان فأنفرد كلاً منهما بنشر عملين لسموه باللغة العربية، ولم تحظ فرنسا إلا بترجمة عمل واحد إلى الفرنسية.

٣- تم اصدار عدد (١٣) عمل تاريخي لسموه باللغة العربية، ولم تتم ترجمتهم لأي لغة أخرى، وإصدار عدد (٥) أعمال باللغة الإنجليزية لم يترجم منهم سوى عملين إلى اللغة الفارسية فقط، كما تم ترجمة عدد (٩) أعمال لسموه إلى اللغات الأجنبية الأخرى.

لذا نلاحظ من خلال هذا التوزيع للإنتاج الفكري لسمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي خلال الثلاثة عقود الماضية: أن سموه قد نشر في عقد الثمانينيات عملين في طبعهم الأولى، وفي عقد التسعينيات (١٢) عملاً في طبعهم الأولى، أما العقد الماضي فقد نشر (١٢) عملاً في طبعهم الأولى أيضًا، وفي الثلاث سنوات الأخيرة (١٤) عملاً تاريخيًا، ويظهر هذا أن هناك ارتباط طردي بين المرحلة العمرية وزيادة الانتاجية، حيث يحقق الشيخ أعلى إنتاجية في عقده الثامن من العمر، كذلك فإن هناك ارتباط طردي بين زيادة المسئولية السياسية لرجل مثل سموه وبين زيادة الإنتاجية، وكذلك زيادة المشروعات الثقافية والحضارية الفريدة من نوعها التي ينفذها ويهتم بها سموه في إمارة الشارقة، حيث عمل سموه على تنفيذ مشاريع التنمية الثقافية، والحفاظ على التراث الثقافي، والتفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى، وتفعيل وسائط الثقافة بين الفئات المختلفة من خلال المتاحف، والمراكز والمرافق الثقافية، والعلمية والفنية. حيث تم اختيار إمارة الشارقة عاصمة للثقافة الإسلامية لسنة ٢٠١٤ تقديرًا لإسهاماتها في المجال الثقافي محليًا وعربيًا وإسلاميًا، إذ يأتي هذا اللقب الجديد استمرارًا للتنمية الثقافية، واستحقاقًا لما قدمته الشارقة من بانوراما ثقافية وإسلامية تمثلت في مهرجان الفنون الإسلامية وغيرها من الفعاليات الثقافية والإسلامية التي تبناها سموه.

## خلاصة

وأخيرًا؛ ومن ملاحظات الدراسة الموضوعية للأعمال التاريخية لسمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي أنه تعرض لموضوعات الخليج العربي، والجغرافيا السياسية، ورأس الخيمة، والشارقة، والاحتلال البريطاني، والقرصنة العربية، والقواسم، والعلاقات الخارجية للخليج العربي بالتأليف والترجمة والتحقيق والنشر، وكذلك بسرد سيرته الذاتية في سلسلة من الأعمال المتميزة التي تعكس مسيرته في العمل الوطني وتحمله لمسئولية الثقافة العربية. وهكذا؛ يمكن أن نرصد أن سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي رجل العلم والثقافة بامتياز، لم تشغله يومًا شؤون الحكم عن الاطلاع والاستزادة من مناهل الثقافة المتنوعة، فاستقى من المسرح والأدب والتاريخ، ودرس العلوم الزراعية، ونال الشهادات والأوسمة والجوائز في مختلف المجالات، كما أغدق بعطاءاته الكريمة؛ ليعلي من مكانة الإسلام والمسلمين في كل مكان، فأنشأ المراكز الإسلامية والمكتبات ودور البحث المجانية؛ ليتسنى للجميع الدخول إليها والاطلاع على كنوزها دون عقبات.

## الهوامش:

(١) واحة غناء على ساحل الخليج العربي تجمع بين عراقة الماضي وأصالة الحاضر من خلال تمازج راق بين القديم والجديد بأسلوب عصري فريد. راجع: **موقع هيئة الانماء التجاري والسياحي بالشارقة**.- متاح بتاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠١٣ على الرابط:

*http://www.sharjahtourism.ae/ar/about-sharjah*

(٢) راجع: **الموسوعة العربية العالمية**/ رئيس التحرير أحمد مهدي الشويخات.- أعمال الموسوعة، الإصدار الرقمي ٢٠٠٤؛ "النشأة والسيرة".- **الموقع الرسمي لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي**، متاح بتاريخ ٢٩ أكتوبر ٢٠١٣ على الرابط:

*http://www.sheikhdrsultan.ae/Portal/ar/education.aspx*.

وأيضًا:

John E. Jessup, "*An encyclopedic dictionary of conflict and conflict resolution, 1945-1996*", Greenwood Press, 1998. P. 773.

(٣) يأتي ذكر حكومة الهند في كل مرجع يتناول التاريخ السياسي للخليج العربي. راجع: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، **حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي: دراسة وثائقية**.- الرياض: دار المريخ، ١٩٨١. ص ٧ وما بعدها.

(٤) منذ أواخر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي نجحت بريطانيا في تأكيد وجودها الأوروبي كقوى ناشئة لا يستهان بها، وذلك على أثر انتصارها على اسبانيا القوى العظمى آنذاك في معركة الأرمادا سنة (٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م)، بدأت السياسة البريطانية توجه أنظارها نحو ثروات الشرق ومشاركة البرتغاليين في اقتسام خيرات الهند، ولم تنطلق الأساطيل البريطانية بثبات نحو المياه الشرقية إلا عندما ُوضع أساس الإدارة الاستعمارية البريطانية الجديدة المثلة في شركة الهند الشرقية البريطانية والتي تأسست بمرسوم ملكي في أواخر سنة (١٠٠٩/١٦٠٠م). راجع: منال المربطي، "**التنافس الأوربي حول منطقة الخليج في مطلع العصور الحديثة**".- دورية كان التاريخية (القاهرة).- العدد الثامن؛ يونيو ٢٠١٠. ص ٥٤ – ٥٥.

(٥) بلغت فترة حكمه نحو نصف قرن من الزمان، وتميز عهده بالرخاء والانجازات في شتى الميادين، لقد كان السيد سعيد مثالاً للبطل العربي؛ فقد كان شجاعًا، اظهر في مرات عديدة بسالة نادرة. لقد كان حكيمًا وذكيًا، كريمًا، جليلاً، وكان يحبه كل شعبه، وقد حفر له في قلب كل منهم صورة عظيمة، ولقد اظهر في تعامله مع القبائل العربية حذقًا وفطنة لم يعرفهما غيره. انظر: س.ب مايلز، **الخليج بلدانه وقبائله**/ ترجمة: محمد أمين عبد الله.- مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة،١٩٨٣. ص ٣٥٢ – ٣٥٣.

(6) R.J. Gavin, *Aden Under British Rule: 1839–1967*.- London: C. Hurst & Company, 1975. (472 Pages)

(٧) قام البريطانيون باحتلال عدن سنة ١٨٣٩، وكانت دوافعهم عديدة، لكن علاقة البريطانيين بعدن واهتمامهم بالمناطق المتاخمة لها، لم تبدأ مع هذا التاريخ، بل كان الاهتمام من جانبهم يتزايد اعتبارًا من سنة ١٦٠٠، وهو تاريخ إنشاء شركة الهند الشرقية البريطانية. انظر: عزمي عبد الوهاب، قراءة في كتاب "**الصراع الدولي على عدن**".- جريدة الأهرام العربي.- منشور بتاريخ ٢٨ أبريل ٢٠١٢.

(٨) قلما تجتمع لمنطقة ما من العالم المميزات الجغرافية والحضارية والسياسية مثلما اجتمع لمنطقة البحر الأحمر بموقعها الوسط كشريان حيوي للمواصلات العالمية، وبتوسطها بين حضارات العالم المختلفة من عربية وأفريقية وغيرهما. انظر: عبد اللطيف بن محمد الحميد، **البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمي الأولى**.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٤. ص ١ وما بعدها. وعن الصراع البريطاني الفرنسي على البحر الأحمر، راجع: آمال إبراهيم محمد، **الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**.- صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٩٣. ص ٤٢ – ٥٢.

(٩) شكلت الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) نقطة تحول هامة في التاريخ المصري، وهو واقع يسلم به المؤرخون على اختلاف مدارسهم، راجع: هنري لورنس وآخرون، **الحملة الفرنسية في مصر: بونابرت والإسلام**/ ترجمة: بشير السباعي.- القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٥. ص ١١ وما بعدها.

(١٠) راجع: سعيد محمد سالمين، "**داربا دولت.. رمز الاحتلال الانجليزي لعدن والدروس المستخلصة منها**".- صحيفة ١٤ أكتوبر.- العدد (١٤٣٥٢) ١٨ يناير ٢٠٠٩.

(١١) راجع: باسمة عبد العزيز عُمر، "**العلاقات العُمانية الفرنسية ١٧٤١ – ١٨١٠**".- مجلة الخليج العربي.- المجلد (٣٧) العدد (٣ – ٤) ٢٠٠٩. ص ١٧٥ – ١٩٨.

(١٢) في فترة الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨م، أدرك نابليون بونابرت بعد وصوله إلى مصر أهمية عُمان، وبعث برسالة إلى السيد سلطان بن أحمد تنص على ما يلي: "أكتب إليكم هذا الكتاب لأبلغكم ما لاشك أنكم علمتموه، وهو وصول الجيش الفرنسي إلى مصر، ولما كنتم أصدقاء لنا فعليكم أن تقتنعوا برغبتي في حماية جميع سفن دولتكم". راجع: زاهية قدورة، **شبه الجزيرة العربية وكياناتها السياسية**.- بيروت: دار النهضة العربية، [د.ت]. ص٣١٩.

(١٣) خبر بعنوان "**تدريس ثلاث مؤلفات لسلطان القاسمي في جامعة طهران**".- جريدة الاتحاد.- منشور بتاريخ الأربعاء ١٦ سبتمبر ٢٠٠٩، ومتاح على الموقع الإلكتروني للجريدة: (www.alittihad.ae)

(١٤) استطاع فاسكو داغاما أن يطوف حول رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٧م، وأن يعبر المحيط الهندي ويصل إلى سواحل الهند الغربية سنة ١٤٩٨م، ثم عاد إلى لشبونة سنة ١٤٩٩م وسفنه مشحونة بالتوابل والمنتجات الشرقية. وبذلك تم للبرتغال التخلص من احتكار تجّار البندقية والعرب بطريق التوابل. راجع: أشرف صالح محمد، **أصول التاريخ الأوربي الحديث**.- الدوحة: دار واتا للنشر الرقمي، ٢٠٠٩. ص ٧٢ – ٧٣.

(١٥) يؤرخ لبداية الكويت بسنة ١٦١٣م، وقد أصبحت وحدة سياسية معترف بها من واقع الوثائق الهولندية منذ سنة ١٧٥٨. انظر: سيد حامد، **"الكويت.. لؤلؤة الخليج"**.- مجلة ديوان الأهرام (تراثية، وثائقية).- ع١٥ يوليو ٢٠١٣. ص ٥٦ – ٥٧.

(١٦) تولى الشيخ مبارك الصباح الحكم في الكويت في ١٣ مارس ١٨٩٦. وعن الحياة السياسية والأوضاع الداخلية في الكويت في عهده، راجع: محمد حسن العيدروس، **تاريخ الكويت الحديث والمعاصر**.- دبي: دار العيدروس للكتاب الحديث، ٢٠٠٢. ص ١١٧ وما بعدها.

(١٧) دلت الكثير من الدلائل على أن الشعب الكويتي يتميز بحيوية دافعة، فلم يستسلم منذ البداية للوضع الذي وجد نفسه فيه على أرض قاحلة لا ماء فيها ولا زرع، بل شمر عن ساعد الجد، واستطاع أن يجعل من البحر بديلاً لما فقده في الصحراء، فخاض أمواجه تاجرًا وغواصًا، حتى كون لوطنه سمعة عالية في مجال الملاحة البحرية. راجع: يعقوب يوسف الغنيم، **ملامح من تاريخ الكويت**.- الكويت: [د.ن]، ١٩٩٩. ص ١٢٩.

(١٨) كانت شركة الهند الشّرقيّة وسيلة أدخلت الخليج العربي في النظام الاقتصادي الرأسمالي الناشئ الذي هيمنت عليه الأنظمة في غرب ووسط أوروبا الصناعية الجديدة. راجع: محمد حسن العيدروس، **تاريخ الخليج**

**العربي الحديث والمعاصر**.- ط٢.- الجيزة: عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٨. ص ٣٢ وما بعدها.

(١٩) تتميز علاقة المملكة العربية السعودية ببريطانيا بسمات عديدة منها العمق التاريخي الذي مرت به من جهة، واستقلالية السياسة الخارجية في التعامل مع هذه العلاقات من جهة أخرى. فمنذ الدولة السعودية الأولى في القرن الثاني عشر الهجري/ القرن الثامن عشر الميلادي، كانت بريطانيا تتابع امتداد نفوذ الدولة وترقب اتجاهاتها ورصد اتساعها وأسبابه. ويعود أول اتفاق رسمي بين بريطانيا والدولة السعودية إلى عهد الإمام عبد الله بن فيصل عندما تبادل مع الحكومة البريطانية تفاهما مكتوبا في سنة ١٨٦٦م/ ١٢٨٣هـ يحافظ على مصالح الطرفين. انظر: فهد بن عبد الله السماري، **"الجذور التاريخية للعلاقات السعودية - البريطانية"**.- جريدة الشرق الأوسط.- العدد (١٠٥٧٢) الخميس ٨ نوفمبر ٢٠٠٧.

(٢٠) **طريق الحرير**: مجموعة من الطرق التجارية القديمة التي كانت تربط بين الصين وأوروبا. ازدهر طريق الحرير بصورة رئيسية خلال الفترة من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن السادس عشر الميلادي. وامتدت الطرق نحو ٨,٠٥٠ كم عبر الجبال والصحارى في آسيا الوسطى والشرق الأوسط، بين شرقي الصين والبحر الأبيض المتوسط. وقد سُمي طريق الحرير بهذا الاسم لكميات الحرير الصيني الكبيرة التي كانت تنقل عبره. كان الصينيون أول مَنْ تعلم صناعة الحرير، واستطاعوا المحافظة على سر المهنة. فقد ظلت الصين المورد الوحيد للحرير حتى القرن السادس الميلادي، حين اكتشفت الدول الغربية كيفية صناعة المنسوجات الحريرية. راجع: أشرف أبو اليزيد، **طريق الحرير**.- الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٣. ص ١٥ – ٢١.

(٢١) فترة حكم زنوبيا لتدمر (٢٦٨ – ٢٧٢م)، وقد تضاربت الآراء حول مصير زنوبيا، فمن قائل أنها أسرت في طريقها في طلب الإمدادات من الساسانيين، ومنهم من يقول أنهّا انتحرت بالسمّ، وبعض الآراء تذكر أنهّا أخذت إلى روما حيث شوهدت في موكب النصر للإمبراطور أورليان، وثمة رأي يقول أنّه أطيح برأسها بعد موكب النصر. راجع: بشار محمد خليف، **"مقاربة فكرية- تاريخية لروحية وخصائص حضارة المشرق العربي القديم: نموذج تدمر"**.- دورية كان التاريخية (القاهرة).- العدد الثالث؛ مارس ٢٠٠٩. ص ٤٢ - ٥٤

# Attitude of the United States of coups Shishakli in Syria 1949 – 1954



**Prof. Dr.Ibraheem Saeed AlBaidhani**
Professor of modern history
University of Mustansiriya
Baghdad – Iraq

## ABSTRACT

*In the first coup, which was carried out by Adib Shishakli on the nineteenth of December 1949, there was talk that he was the effect of the intervention of an external, and it came in the context of conflict and competition for Syria, and to say it was the result of that coup, fled to the United States a chance to become the owner of power and influence, And she sent a blow to the interests of Britain, which has been working to achieve a union between Syria and Iraq in the era of Sami Henawi, since Britain's control of oil pipelines to the Mediterranean, flying harm the interests of the United States. Therefore, the United States was concerned about the draft policy in Tapline Sami Henawi, and also worried about the tolerance of communists, And support for the Hashemites makes it inappropriate to U.S. interests, so through research, make sure the absence of clear evidence of a direct role for the United States in the coup Shishakli, but acted alone but he was aware that the United States will support, and will be considered favorably and acceptance to the coup, Moreover, those who reckon intervention and U.S. support for the coup Shishakli build their perceptions on the evolution of US-Syrian relations under the government Shishakli by raising the diplomatic representation and to allow for Economic Cooperation and contract agreements between the two countries, and there was talk of economic and military aid. In spite of all this, the Colonel Shishakli involved and a supporter of U.S. policy and seek their support and help, but there are concerns and fears and obstacles that stand in front of, and perhaps the U.S. bias toward Israel was a matter of concern and dissatisfaction with the Syrians, This is evidenced by the conditions set by the United States in aid projects provided by Syria, as imposed on Syria to engage in a joint policy with Israel, as well as guarantees of non-threatening Israel's security was the main concern of the U.S., which draws its policy toward Syria. Moreover, the U.S. policy toward Syria was governed by another issue is the fear of Communist infiltration in Syria.Generally, the United States believes that it is not in Shishakli pro-Western fully, but he was more inclined toward the United States, and that his disappearance may serve the interests of the plans and the normal to the West, Moreover, the second coup, which was carried out by al-Shishakli in the twenty-ninth of November 1951 was the starting point of the projects that the U.S. wants to be passed in the region, led by defense project for the Middle East in 1951, which has a floor statement triple (British-French-American) in twenty-sixth of May 1950.*

***Keywords:***

*Adib Shishakli, Syrian government, The Middle East, Arab Policy, The Soviet Union*

***Article info:***

*Received:* 21 January 2014
*Accepted:* 07 April 2014

***Citation:***

Ibraheem Saeed AlBaidhani, “Attitude of the United States of coups Shishakli in Syria (1949 – 1954)”. - Historical kan Periodical. - Vol. (8) Issue (27); March 2015. Pp. 178 – 188.

## Introduction

Is the period between the years (1949-1954) in the history of Syria, historically known as a period of military coups in the history of the important periods in the history of Syria, the Arab region and the Middle East and international relations, Perhaps the most prominent of these is the coup of coups Adib Shishakli, first of them who carried out the coup in the nineteenth of December 1949, and the second was carried out in 1951, and therefore, the period up to February 1954 worthy of study and research, And we choose in our issue of one basic in the framework of U.S. policy and the U.S. position toward Syria, since taking the conflict and the international competition on Syria intensifies and increases in this period, so the study concerned with the study and treatment of the U.S. position of coups Adib Shishakli during the period between the years 1949-1954.

## Shishakli first coup 19 December 1949 and the U.S. position

On the nineteenth of December 1949 Colonel Adib Shishakli in the first coup, which is the third coup in Syria this year in a series of coups that have taken place in Syria, and there was talk that a Shishakli coup has been the impact of the foreign intervention, particularly American, has interpreted Moscow the coup as a struggle for dominance on Syria , And the upper hand became again the Americans who were their interests conflict continues with the interests of the British, who are seeking to integrate Syria with Iraq, which is not favored by the U.S. oil companies nor the U.S. State Department, because the complete unity with Syria means Britain's control of oil pipelines to the Mediterranean, and therefore it will affect negatively on U.S. interests in the region, and what was Britain supports the Union of Iraq with Syria according to their interests, so it is natural to consider positively the United States to overthrow the government loyal to the Hashemites.

It is possible that the United States has encouraged the coup Shishakli, as the U.S. State Department was great interest the position of the Government of Henawi issue Tapline and the Syrian Communist Party, Progress in project Tapline was likely to be curtailed due to disagreements over the terms with contractors Syrians and the Syrian government, as a result of the opposition of some political parties for this project, including the Baath Party and the Party of Akram Hourani (Arab Socialist Party), was also pointed out that U.S. officials were more concerned with the lack of activity Henawi government in the face of the communist threat, Chairman of the Second Committee (military intelligence in the Syrian army) Salah Al-Bizri, said the extension of the U.S. military in Damascus: ((the Communists your anxiety you are not our main concern)), as it turns out the United States that the Syrian Interior Minister Rushdie Kikhiya was not interested communists in Syria, has been counting this is proof that the interest of the United States to support a military coup in Damascus.[1] Thus preparing the lack of interest the Government of Sami Henawi activity Communist one hand, and described in favor of the Hashemites the other hand, makes it inappropriate to U.S. interests, and therefore the interest of the United States that is being changed.

Faced with the lack of tangible evidence of the U.S. role in the coup Shishakli, and all that can be said, is that the coup was compatible with U.S. interests in Syria, and Adib Shishakli and Akram Hourani They in the coup independent of any foreign influence, because they knew who requesting support at the time, also pointed out that the Syrian coups were more of an explosive protest issued by the leaders of employees and officers with political trends against the system is not valid and are not represented them.[2]

In spite of the official U.S. intelligence (Copeland) alleged that he was close to Shishakli before the coup, the Shishakli had acted individually and separately from the U.S. assistance, driven by motives and personal ambitions, but he was sure that the United States would be considered favorably and support to his movement and that's what encouraged him to move to the implementation of the coup.

And took Syrian relations - U.S. strengthens active clearly in the era of Shishakli, where he was raising the diplomatic representation of the U.S. in Syria to the level of an embassy in 1950, and visited Syria, American officials expression of improved relations between the two sides the U.S. and Syrian, and in the same frame, he met known Dawalibi[3] Minister of Economy Syrian National minister, U.S. Commissioner in Damascus (Kelly) in February 1950, and discussed with him the Syrian

relations - the U.S., and asked (Dawalibi) help (Kelly) in order to make way for cooperation between Syria and the United States in the economic field and contract agreements between the two countries.

Although the improvement in relations may have come as a result of the Syrian government's response to Saudis advice in loyalty to Americans, and because Damascus has entered into talks with the United States about the possibility of getting military and economic aid and technical, but the Syrian government has been fluctuating between bargaining for technical assistance, economic, and between open criticism Washington's policy of support for Israel, He was in Syria and other Arab countries, the other felt disappointed with the U.S. government., And I think that this sense of disappointment from U.S. policy had the Syrian opposition, not the government's position and the position of the Syrian Adib Shishakli himself.

As part of the concerns of the penetration of the Soviet Union in the Middle East and particularly in Syria, the U.S. government has adopted a program of economic and military aid to countries in the Middle East, and this program back to 1949, The U.S. President ( Truman ) on January 20, 1949, about his new project, known (Point Four Program) or technical assistance program , which includes the provision of technical assistance and economic diameters and economically backward regions in order to establish security and peace in the world , and served the United States to introduce this program into effect and the application to implement its policy in the region through these projects , and the purpose of the program , as referred to by U.S. Secretary of State ( Acheson ) as a means for the development of commercial markets of America and overseas, and to stop what he called the danger of Soviet threatens the Middle East.

Syrian officials are hoping to get economic aid and military especially asked Khaled bone from the United States to get the fighter planes, and this is what was offset by rejection has asked the U.S. Department of Defense of the U.S. government in July 1950 to stop military aid to Syria on the grounds that cooperation system Shishakli with the U.S. administration was not satisfactory and reassuring, and that the Syria military force could lead to a breach in the balance of power between the Arabs and Israel.[4]

Was U.S. concern focuses on two issues: first the fear of penetration of the Communist and Soviet in Syria, and the second media campaign and propaganda against the U.S. policy toward Syria, which has created an atmosphere of Syria, rejecting U.S. policy, and gave more attention to focus on the notice of the peoples of the region that there is a great danger posed by Soviet influence alleged Syria, and that the United States stands deduced from this policy.

On January 7, 1951 sent a telegram U.S. Ambassador Cavendish in Damascus December (K. Cannon) to the U.S. State Department about his meeting with the Prime Minister of the Syrian Nazim Qudsi, pointing out that Syria is considering a loan of $ (100) million dollars to be able to cope with the deficit deteriorating economies experienced, And that the true essence of U.S. policy is to put conditions on the provision of U.S. aids, including that States undertake that have requested aids by Point Four program, including Syria, the suppression of national movements within their own countries, then should these countries to support the decisions of the U.S. and British governments at the United Nations in respect to Korea and China, and this is what the Syrian government was putting in great embarrassment in a matter of accepting American aid in front of Syrian public opinion that rejects her.[5]

On 22 March 1951 he visited (the Mac guy), Assistant U.S. Secretary of State Damascus, and met with senior officials, especially with Adib Shishakli, and talked about economic aid needed by Syria, and the desire to hold bilateral treaties between the two parties, and that was the visit, an indication of the interest Syria on the U.S. government granted economic aid under the point Four program.

Despite U.S. efforts to conclude an agreement with Syria about the Point Four program, but they did not succeed in that, in a telegram of Annex American military in Damascus Clark to the U.S. State Department on 28 May 1951, in which he explained that the United States has made efforts through the delegations sent to Syria Search on the possibility of reaching an agreement on the program of the fourth point, and he described the failure to reach agreement with them proof of the failure of the Syrian government, and it is seeking to obtain a loan, not just assistance,

The rejection of Syria's Point Four program returning to it sees allows experts and foreign workers in this program to intervene in the internal affairs of the country, as he is not allowed except to accept tied aid, and this is what was rejected by Syria, and the Syrians have doubts the intentions of the United States, stood next to (Israel), and point Four program found primarily to serve and support it, and the Americans are targeting purports to give a dose of calm compared to the Arab countries to achieve the target on the strengthening of the other (Israel).[6]

These conditions refute saying that United States was willing to do the countries of the Near East to hold bilateral treaties with the United States to improve their economies and defenses against any external aggression. But aid is conditional on the achievement of security in the region and intended here Israel's security. Generally speaking, the situation of the people and the protests against condemning U.S. policy and forced the government to reject U.S. aid related to the fourth point, and announced their support for the positions that condemn the U.S. aggression on Korea.

The Point Four program was a means of penetration of U.S. influence, the United States followed the style of economic aid as a means to expand its political influence in the region and achieve economic recovery, and for the governments of the Syrian and Egyptian was where officials question the Point Four program, They felt that it is likely to be for some Americans, the political motives that they want to achieve, it is, along with encouragement to employ capital of America and seek to develop the countries covered by the provision of technical assistance, but it is also aimed at cooperation with Israel, the Arab states in joint ventures.

In the era of the Government of Hassan al-Hakim enhanced oil companies U.S. sites more than any other time, as occurred (Pacteel) U.S. company on 28 August 1951, the agreement on the extension of the oil pipeline through Syrian territory in conjunction with the Kuwait Oil Company, and obtained the approval of the Iraq Petroleum Company to participate in the another pipeline to the port (Banias) on the Mediterranean. The efforts of the Syrian government in order to improve and strengthen relations with the United States , and in order to gain military and economic aid them , did not achieve what they want, because the United States remained the sticking lack of desire to provide Syria with arms and military equipment that were trying to get them , due to fear of the U.S. government's use of such weapons against (Israel) , and remained its position that despite the urgency of the Annex of the U.S. military in Damascus (Clark ) that military assistance is to prevent terrorism, the current drift and fester to the extent of pro - communist and hostelling Israel.[7]

After a year and a half on the first coup Shishakli United States believes that the dictatorship of Colonel Shishakli well established, as it failed all conspiracies internal and external, as well as that there is a declaration imminent draft a new constitution, and a referendum it, and see that it is expected to hold new democratic elections, It describes Shishakli he is not loyal to the West in the full sense, and it's been cooperating to some extent with the United States, at least more than his predecessors, and there is no successor in sight that would be more inclined toward the United States, but in the fact that his disappearance may serve systems against Western. Moreover, as well as stop it firmly against communism, So he sees the United States should do what it can to give the incentive regime.[8] I think that the description of the U.S. Chichakli expresses objective reading of the decision-maker for the role of U.S. President Shishakli and its relationship to the United States.

## The U.S. position of the second coup Shishakli November 29, 1951.

And by a bloodless coup dominated Shishakli in the November 29, 1951, the Syrian government, the dissolution of Parliament, the resolution of the Council of Ministers, which did not pass it only one day, and the formation of a government headed by (Fawsi Selo) with the support of the National Party and the movement of the Arab Liberation, and issued a number of ordinances, procedures and measures.

And also there was talk that the second coup of Shishakli was in November 29, 1951, it was with the support of Western countries, especially the United States, and to say that he did not come from a vacuum, but has on the floor of the permit trio of 26 May 1950 defense project for the Middle East in 1951 In the opinion of many observers of the events of that era, The United States and France backed the coup, after he saw that Shishakli is the only

person who can put an end to the activity (Maarouf Dawalibi), who is seeking his group to push Syria toward the Soviet Union. And that the Western military planners have made several attempts to cram the Middle East within their plan to contain the Soviet Union in 1951, This is what made them receiving more emphasis on the need for a local Systems which are stable and loyalty to the West, and what was the chaos in Syria inappropriate for their designs, this was appropriate for them to strengthen the role and position of Shishakli in the power.[9]

And certainly that the Soviet press will describe the second coup Shishakli as a Western plot designed to drag Syria to participate in the defense project in the Middle East, and as the payment Hosni Zaeem price of Western recognition of his regime signed an agreement Tap line, the Shishakli accept defense project for the Middle East, the price for the recognition of his regime.

The second coup is to pave the way for the accession of Syria to the defense project for the Middle East, and aims to dislodge Syrian opponents of U.S. policy, and thus paving the atmosphere to accept the economic and military aid from the United States, and the United States welcomed the coup, and saw it as an opportunity to eradicate what imagined tide leftist communist growing, As well as the U.S. newspapers were the other welcoming the establishment of a coup Shishakli, she noted the newspaper (Christian Science Monitor) to the coup by saying that victory for the pro-Western policy.

As Dawalibi focus special attention from the United States, since he called in April 1950 to hold a non-aggression pact with the Soviet Union, has described the newspaper (New York Times) that: ((the biggest Arab leader hostile to the Americans)).

And visited by representatives of the United States, Britain and France in addition to Turkey on 16 December 1951, Fawzi Selo Syrian Prime Minister to tell him the recognition of their country, and that the four countries had hoped this preliminary introduction because make Shishakli cares about its plans for the establishment of the leadership of the Middle East, which was rejected by Egypt strongly two months ago.[10] The representative of the United States met in Damascus, Secretary General of the Ministry of Foreign Affairs Zafer al-Rifai and handed him a note from his flag included confirmation of what happened in Syria, as well as U.S. recognition of the new situation in Syria.

When guarantee Shishakli recognition the U.S. government of his regime, even sought to strengthen and make the relationship solid with them, in the hope of gaining access to weapons and military equipment, an American, was a Syrian official a Ghassan Jadeed, has been questioned in front of the military attache U.S. in Damascus, saying to him: ((and why would you want that do you even deserve weapons)).

The U.S. government has been quick to make strong relations with the new system, including a perception that the presence of a strong governor would be a stabilizing factor in Syria, At the end of November 1951 the United States offered by Point Four program create (the highway) between Aleppo and Damascus, Beirut , Baghdad and Amman , provided that it is for the United States the right to use these facilities in time of war , but the Shishakli refused this offer, as a result of opposition to the widespread popularity in Syria. Thus, the Shishakli not engaged fully in the U.S. scheme, but it takes into account the situation of the people and the attitude of the opposition and the conditions affecting national sovereignty, but he has a vision that they do not see a problem with the recognition of Israel or dealing with the West if they were, according to the interests of Syria and its security as seen Shishakli same.

Despite the rejection of the Syrian government to the offer, but U.S. Secretary of State (Acheson) sent in December 1951 guidance to the U.S. diplomatic mission in Damascus in which he mentioned that the interest of the West to help Shishakli in state efforts to submit them to establish a stable government and progressive in Syria. As Shishakli cares Syrian army special attention to increase its capacity and provide modern weapons, has had contacts with the United States to get the tanks and guns military, is expected to become Syria's second country in the Middle East after Saudi Arabia in obtaining military assistance under the law of the common defense, and in the 17 December 1951 sent the U.S. Commission in Damascus a memorandum to the U.S. State Department, in which she expressed the hope that can Shishakli of Syria has provided strong leadership, which was believe it in the past, and in the long run the development environment


ISSN: 2090 – 0449
Vol. 8 – Issue (27) – March 2015

that can be of political democracy that they operate.[11]

In the second round of the rule Shishakli, I mean, after the second coup, and in order to create the internal conditions to consolidate his rule and leadership of Syria, has had its own form of dictatorship unconvincing, Within this period, implemented a number of measures dictatorship pure, such as disabling the political parties, including the solution Arab Socialist Party, Which is headed by Akram Hourani in mid-January 1952, a sign promised not to return to democratic life for the foreseeable future, and did not allow any political party to work, except for the party, which had been founded by Adib Shishakli, an (Arab Liberation Party), also served as to put restrictions on the press, all of this has led to anger and alienated many politicians Syrians, and the outbreak of popular protests across the country, and the charge system Shishakli dictatorship and bias of the Western countries, And the American Information Office had an explosion in Damascus on March 28, 1952, and the next day protested the U.S. ambassador in Damascus (December) strongly to the Syrian government on this work, and this is what led Shishakli to call the U.S. ambassador (Canon) on March 31, 1952, and promised that the Syrian government will work its utmost to apprehend and punish those who work.

The fear of increasing widespread popular opposition, Shishakli saw to change its policy in order to appease this opposition, he took several steps to reduce the activity of foreign capital in Syria, has issued a decree in March 1952 eliminates the necessity to represent all foreign companies operating in Syria, a Syrian citizen or a Syrian company, it also imposed restrictions on the entry of foreigners into Syria,[12] and concluded in June 1952 to a new agreement with the U.S. company (Tapline), which impose on the company to double the income of the Syrian government of the proportion of the profits, and provide the Syrian crude oil.[13]

In addition to the prosecution of Communists inside Syria and monitor their movements, it has been suggested the U.S. ambassador in Damascus (Canon), in an interview with al-Shishakli, control the movements of Akram Al-Hourani, well, because they see in it, and his party is communist propaganda inside Syria, and before Shishakli proposed in hopes of Neil desirability of the United States order to receive economic and military aid, including to strengthen his regime.

The United States recognizes that there is great resentment in Syria in the Shishakli's regime, and this is confirmed by the attitudes of his internal opposition that being against him and arrests waged against his opponents, however, the United States opposed any attempt until that was done successfully, and at a time when the Shishakli ruled, the United States were not in favor of any revolutionary movement, because it appeared to have that still governs its grip on the country , and that differs from his previous coups. Shishakli has shown the important element that rule the country, compared with the previous coups.[14]

In the context of U.S. efforts to ensure what it called stability and peace in the Middle East and work to counter the communist threat to her, U.S. diplomacy has moved in this period to link the countries of the region in bilateral treaties with the United States, the move came on May 11, 1953 when the U.S. Secretary of State The new John Foster Dulles * visit to the region, and held meetings with officials and Arab leaders, He pointed out that failure to achieve the aspirations of Arab nationalism preclude any cooperation between the Arabs and the West, also pointed to the issue of (Israel) and the effects of the bitter legacy in the hearts of the Arabs, and that the West's help her make a lasting Arabs in doubt of their intentions towards them.[15]

To understand the position of the United States of Shishakli, we have to know the position of Shishakli and the U.S. position on key issues Perhaps the Palestinian issue and one of the most important of which charted the direction of U.S. policy toward Syria, and the statement of its position on Shishakli policy, and a lot of thought-General of the Chichakli based on the Palestinian issue. Especially as it is realized that Israel will be an important factor in the region for a long time, which refers to the possibility of achieving "peace," but seeks to provide the conditions to make the United States put pressure on Israel in order to arrange the best situation to the border with Syria, and accept the return of Palestinian refugees to their homeland, and the granting of compensation to refugees and the internationalization of Jerusalem, as well as limiting Jewish immigration to Israel.[16]

The Shishakli For his part and described by the reports of U.S. diplomats do not see that the Soviet threat is a threat and the main threat facing the Arabs, but believes that the imminent danger comes from Israel, so the attempts by Arabs performing procedures defensive and adopt the Charter of the Collective Security Arab) that he is a legitimate right of the Arabs in the face of danger Israeli, and he also believes that the United States still has not provided any temptations incentive enough for Syria to force it to cooperate with the West in the area of the Palestinian cause in the field of defense projects for the region.[17]

A report issued by the U.S. Embassy in Damascus, which is a compendium of ideas and discussions between Adib Shishakli, and Dallas, the U.S. Secretary of State, for a number of issues and perceptions of common interest and through which we understand some of the trends in U.S. policy toward Syria, has launched a dialogue is an important point describing how it was America's reputation among the Arabs and how they are now, because the Arab world in general and Syria in particular loves the United States because of the ideas and principles of democracy, and in particular Wilson's fourteen principles.

As a result of the isolation of the United States for its role after the First World War, the Arabs who helped the Allies are divided according to the mandate system and blind sovereignty and independence, and use the assignment as a way to exploit the resources of the Arabs and keep them divided, as well as the United States contributed after the Second World War in the expulsion of Palestinians from their lands and helped Israel in establishing its state.[18]

And Shishakli focused which he was describing and talking about U.S. policy on the important issues, and it seems that he was the first in presenting the idea of recognizing Israel, and says it has become a fact undeniable, and he was not looking for a weapon to throw Israel into the sea, but insisted on the right of the Arabs claim the United States have to deal with them in a matter of providing them with weapons to an end as both deal with Israel, In this dialogue session raised the issue of the communist threat in Syria, and the view was U.S. Secretary of State that the Arab world is divided between those who are described as engaged under Soviet influence and those who are outside of this description, and when asked Shishakli economic aid as necessary to provide the capabilities to defend against communism, Dallas the Foreign Minister stressed on the link between economic aid and security, The condition of internal policies provide financial and economic ground to provide such aid, comes under the heading-aid assistance for common security, and here he emphasizes the security of Israel in the framework of building a system of collective defense.[19]

The U.S. Secretary of State stressed the need to recognize the mistakes of the previous policy against Arabs and against Syria, and he pledged to work to restore the confidence of the American-Arab politics, and help Israel and the interest in them at the expense of the Arabs lead to increased loss of confidence between the Arabs and the United States, He said he will work to make the existence of Israel is compatible with the relations of peace and harmony in the region of the Near East, and asked Shishakli to work with him to persuade the Arabs that the United States did not support Israel at the expense of the Arabs, and that his country would oppose any expansion of a new Israel. Dallas has talked for a broad concept of the defense system MEDO regional countries in order to develop the eastern Mediterranean, and in the context of talking about a defense organization of the Near East, He saw the need to stabilize the border between the Arabs and Israel do with some improvements, which he described negligible, such as the withdrawal of refugees and the provision of safeguards against any expansion of the New Israel, and the development of military capabilities with the Arab economic progress to raise the standard of living of Arab citizens.[20]

In a letter from Assistant Secretary of State for African Affairs and the South Asian and the Near East (Allen) to the Minister of Foreign Affairs says that he spoke with al-Shishakli in the May 15, 1953 for the loss of confidence of the Arabs in the United States because of its support for Israel, and a request for a U.S. economic and military aid. He said that the threat of Israel and the threat of communism associated with each other since heavy Syrian military expenditures to defend against Israel at the expense of development expenditures that would fight communism. He promised that Syria would not attack Israel, and that he would prefer to reach a settlement between the Arabs and Israel, along the lines of the UN resolution, from time to time that the United States had

discussed military and economic aid to Syria, but did not reach any agreements.[21]

The policy of Israel in changing the course of the river one of the challenges faced by the Shishakli government, in an interview with the U.S. ambassador in Damascus (moose) the Syrian President Shishakli on a number of important points as it deems appropriate, that the Syrian government would like the adoption of the Security Council for a project to change the course of the river , and that Syria's goal is to protect their rights in the waters of the Jordan, He said he does not understand how the U.S. government could agree on the text of what hurt Syrian interests, stressing that the Syrian government does not accept less than the explicit recognition of their rights, and in the latter pointed out clearly by saying if justice cannot be obtained, Syria will depend on the (Russian veto).

He stressed that the continuation of Shishakli indifference by the forces of the tripartite declaration will not leave him no choice but to accept Russian help grudgingly, has warned Shishakli to the risks of cooperation with the Soviets, And the risk of a resumption of Israeli actions in changing the course of the River Jordan if there was no UN Security Council resolution. Syrian President Shishakli recognized the dangers in Syria, and stressed that his country would use all its resources and its potential to defend their rights in the case of Israel's resumption of work, and added, "(this time Syria will not be kicked).[22]

Therefore, the security of Israel was the U.S. important goal, and even that the issue of the Soviet threat in Syria retained its importance and lead her to U.S. the decision maker ,and prompted the United States to see the need to move to influence the attitude of the Soviet and activities in Syria, because this activity undermines U.S. interests in the region and reflected on Security and the interests of Israel, and the United States to pay special attention to the security of Israel, and is aware that any policy that leads to appease Israel,It raises fears of the Arabs, and therefore give an opportunity for the Soviet Union to increase its ties and relations with Syria.[23]

One of the issues that had occupied the attention of U.S. diplomacy in dealing with al-Shishakli, is the impact of Iraq's position and his quest for union with Syria under the crown Hashemi, as well as asylum Syrian officers and the Syrian opposition to Iraq and conspiracy to Shishakli regime, and the Hashemite dynasty in Iraq and Jordan has long dreamed of achieving the political unity of the Jordanian-Iraqi Syrian name of the "Fertile Crescent," under the crown of al-Hashemi , This endeavor led by Abdul Ilah guardian of the throne of Iraq, has the support of King Abdullah of Jordan, as the Iraq plans to accommodate Syria and Jordan, and documents indicate the U.S. that these rumors have become a kind of credibility on the effect of a steady drumbeat of information and reports that officers of the Syrian army disaffected Shishakli planning from Iraqi territory, Lebanese and Iraqi funding of the coup on Shishakli.

Shishikli fear of Iraq's attempts to unify Syria, Jordan and Iraq under Faisal II's Hashemite crown, and that the presence of a number of Syrian officers, former Iraqi soil lends credence to the apprehensions, The United States believes that the Tripartite Declaration May 1950 could deter this threat under certain conditions.[24]

Shishakli urges the United States to be able to motivate Iraq to rein in the Syrian officers through Britain, but the United States focused and requests confirmation of reports and information and verification, and to make sure that Iraq actually supports the activities of aggressive military action against Syria, It has said the U.S. ambassador in Damascus (MOS) that the United States would consider any concern to the activities by the Near East countries, which constituted a violation of the sovereignty of other countries.[25] It must be said that one of the factors that have made writers and historians are likely to support the United States to carry out the coup in 1949 is to stand against the union of Syria and Iraq.

The other most important issue in determining the course of U.S. policy toward Syria and the position of the Government of Shishakli is a matter of economic aid, took a larger area of concern since the first Shishakli coup until the last years of his reign, Shishakli Contact the U.S. ambassador in Damascus (Moose) and told him that he had agreed in principle to the proposals for re-program of economic aid to Syria, and he hoped to form a Ministry agrees to enter into early detailed discussions in Damascus to reach an agreement for a U.S. aid in the Ghab, Jezira roads and Latakia harbor project, and Shishakli believed that World Bank loans for the establishment do

not achieve the benefit, unless supplemented by U.S., economic aid, and said that Syria was planning to get a secure technical advice and assistance of the World Bank mission to create (IBRD) and the work will start in 1954, It Barada hydroelectric, Orontes and Khabour River development, and He expressed the hope that the United States provides evidence on the friendly attitude of Syria by supporting the Syrian position in the Security Council regarding the project to divert the Israeli in the demilitarized zone.(26)

The Shishakli said he cares greatly in military aid and expressed the hope to talk in the early time on this subject, and Shishakli looking for military equipment, more modern, provided that is not in accordance with the payment in cash, but rather along the lines of U.S. aid to Turkey, and expressed willingness to provide guarantees of non-carry out any hostile acts against Israel, and said his country sees Shishakli unfairly excluded from the opportunity to get U.S. aid (Syria is unjustly being left out).(27)

The United States wants to give economic and military assistance to Syria

(Syria military economic assistance), closer cooperation with the signing of an agreement with UNRWA on the refugees, they see that the granting of economic aid can be used in many ways, it could not be a substitute for any money that you may find Syria are available from International Bank for Reconstruction (IBRD) , Projects required the use of grants which fall into three areas of roads and the construction of the port of Latakia and reclaim the swamp Ghab, and these three areas do not support the United States should be grants and assistance in their scope, but for the necessary actions should Syria to be subject to it, is to start a program to grant economic and the U.S. technical assistance , The United States aims to hold Syria and the U.S. standard agreement specifies the conditions under which assistance is provided next, and that Syria continues its negotiations with the International Bank for Reconstruction and acceptance of the Bank's guidelines in the development of controls to ensure the proper implementation of projects in Syria, and to approve a ban on shipment of certain materials to countries within the Soviet orbit.(28)

The goal of the United States of bilateral agreements military and economic ties with countries in the region is the solutions U.S. influence replace British and French influence in the Middle East, told Dallas that the system imposed by England and France in the Middle East was still standing ... even provide the United States a helping hand in solving the problems of colonial, it paves the way for this part of the world to turn into a region of the United States to become the priority.

At a time when the United States seeks to drag Syria into the circle Western alliances and linked to U.S. policy, Syria was experiencing internal turmoil gradually, as the opposition began to grow slowly against Shishakli, announced disobedience in the Druze Mountain, resisted by military force, and that's what set the fire of opposition inside Syria, has met political parties in the Syrian city of Homs on July 4, 1953 for the signing of the Charter of the national, was in fact a covenant to overthrow the ruling al-Shishakli.(29)

Although the space of accusation to the United States is great that being behind the coup of Shishakli in 1949, but we are in front of the weakness of evidence confirm that the best description of this is to say that the coup was compatible with U.S. interests in Syria, and the security of Israel and confronting communism in Syria, the most important engines of U.S. policy toward Syria during the reign of Adib Shishakli, especially in the matter of economic and military aid, as well as to Syria as a corridor for oil pipelines to give it strategic importance and more attention in U.S. policy toward Syria.

Add to this that the United States is working to push Syria and the Arabs in general to do a joint with Israel in order to make it a fait accompli and the introduction of the recognition and affirmation to maintain its security, and it aims behind economic aid to invest their capital and which will also achieve another goal is stability and calm to face resentment of U.S. policy in favor of Israel. And also say that U.S. relations have become more powerful with Syria during the reign of al-Shishakli and the level rays of diplomatic representation with her to the embassy in 1950. It seems that the United States went to far in fear of providing economic and military assistance under the impulse of fear for the security of Israel, causing it to lose confidence in its allies, and was Shishakli although he carries the goals and the needs of national and works to achieve the interests of his country, but he wanted to be based in its relations to the

United States, and he has a desire to read and recognize Israel, if what happened to encourage and support and the rights and interests of Syria, and therefore the United States lost an ally could be strategic, Therefore, the subsequent developments that have taken place within the framework of U.S. policy toward Syria back to overstate the U.S. interest in the interests of Israel at the expense of the Arabs , and also interest concerned communist influence in Syria, a risk is significant and has no data on the ground , ignoring the Israeli threat , and through this reading in the U.S. documents do not find it difficult to say that Shishakli involved clearly in the context of American politics , and it was through his position on Israel and the possibility of coexistence with them, as well as an agreement with the American view on the concern of Soviet influence in Syria, making it the focus of attention by the U.S. administration as one of the pillars of its policy in Syria and the region in general.

**Conclusion**

Since the coup Sami Henawi in August 1949 may Gere in favor of Britain or to say it had carried out its help in the framework of conflict and competing interests in Syria, so I figured the idea that the coup Shishakli in the December 19, 1949 that he came to give the upper hand in Syria for the United States, Britain as the quest to unify Syria, Iraq and its control over the oil pipeline threatens U.S. oil interests, especially of Tapline lines, as well as the position of the Sami Henawi careless with the Communists.

Through the study could be marking two facts, the first he had not seen us through search the image and identity of the role of the U.S. direct and act in a coup Adib Shishakli, and the second comes from reading interests and goals and the path of policy Shishakli, We note clearly that it came in conformity with U.S. interests, and despite the fact that Americans do not see it as their man preferred, but they believe in the absence of a threat to their interests, it adds to this that U.S. policy toward Syria during the rule of Shishakli wisdom important issues such as the Soviet influence in Syria and the reflection case Palestinian, and especially arming Syria and military and economic aid and refugees.

## NOTES

(1) Fahad Abbas Suleiman al-Sabawi, *Syrian relations - United States 1949 - 1958*, Master Thesis submitted to the University of Mosul in 2004,61.

(2) Patrick Seale, *The Struggle for Syria, A Study of the 1945–1958 Arab Policy*, (Beirut, 1980),122.

(3) **Maarouf Dawalibi**: political and Syrian lawyer born in Aleppo in 1907, and studied in Damascus, Aleppo and Paris, one of the members of the People's Party of Syria, became minister of the national economy in the era of Shishakli in 1949 to 1950, then chairman of the House of Representatives in 1951, and as prime minister in 1951 lasted for only two days, was appointed as defense minister after the fall of the year 1954 Shishakli, try to put an end to the military and their interference in political affairs, opposed the union with Egypt and was appointed prime minister again after the separation from 1961 to 1962, then worked as a consultant to the Kingdom of Saudi Arabia , (Abdel Wahab Kayyali, *Encyclopedia Policy*, c. 2, 508.

(4) Fahad Abbas Sulaiman Sabawi , op.cit , 66 .

(5) Ibid , 68 .

(6) Ibid, 69 .

(7) Ibid, 79 .

(8) FRUS, 1952-1954,Volume IX, Part 1, *The Near and Middle East* (in two parts), Document 607,Washington, May 5, 1953.

(9) Fahad Abbas Sulaiman Sabawi, op.cit , 72 .

(10) Patrick Seale , op.cit,166.

(11) Fahad Abbas Sulaiman Sabawi,op.cit ,75 .

(12) George Linciovisky, *middle east in world affairs*, translate by jaafar khayat, vol2, Baghdad 1965, 86.

(13) Fahad Abbas Sulaiman Sabawi, op.cit , 76 .

(14) FRUS, 1952-1954,Volume IX, Part 1, *The Near and Middle East* (in two parts), Document 607,Washington, May 5, 1953.

* John Foster Dulles: U.S. political, was born in February 1888, he studied at Princeton University and the University of the Sorbonne in France, and he specialized in international law, and is the author of the foundations of U.S. foreign policy after the Cold War and the conflict between the United States and the Soviet Union, was appointed foreign minister by U.S. President Eisenhower in January 1953, and remained in office until the year 1959, is seen, Alaa Kadhim gull: revolution of July 14 in the reports of British diplomats, (Baghdad, national Publishing house, 1990), 54.

(15) Hussein Fawzi Al-Najjar: With events in the Middle East, Cairo Modern Library, 1st Floor, (Cairo, 1957), 140-141.

(16) FRUS, 1952-1954,Volume IX, Part 1, The Near and Middle East (in two parts), Document 607,Washington, May 5, 1953.

(17) FRUS, 1952-1954,Volume IX, Part 1, The Near and Middle East (in two parts), Document 607,Washington, May 5, 1953.

(18) FRUS,1952-1954.vol.9, Memorandum of conversation, prepared in the Embassy in Syria, Damascus. May 15.1953.56-64.
(19) Foreign relations,1952-1954.vol.9, Memorandum of conversation,56-64. prepared in the Embassy in Syria, Damascus. May 15.1953 .
(20) Ibid.
(21) FRUS, 1955–1957,Volume XIII, Document 329, Memorandum From the Assistant Secretary of State for Near Eastern, South Asian, and African Affairs (Allen) to the Secretary of State11, Washington, June 27, 1956.
(22) FRUS, 1952-1954,Volume IX, Part 1, The Near and Middle East (in two parts), Document 766,The Ambassador in Syria (Moose) to the Department of State11. Damascus, January 13, 1954.
(23) FRUS, 1952-1954,Volume IX, Part 1, The Near and Middle East (in two parts), Document 878,The Chargé in Syria (Strong) to the Department of State11. Damascus, August 30, 1954.
(24) FRUS, 1952-1954,Volume IX, Part 1, The Near and Middle East (in two parts), Document 607,Washington, May 5, 1953.
(25) FRUS, 1952-1954,Volume IX, Part1,The Near and Middle East (in two parts), Document 607,Washington, May 5, 1953.
(26) FRUS, 1952-1954,Volume IX, Part 1, The Near and Middle East (in two parts), Document 730,The Ambassador in Syria (Moose) to the Department of State, Damascus, November 17, 1953.
(27) FRUS, 1952-1954,Volume IX, Part 1, The Near and Middle East (in two parts), Document 607,Washington, May 5, 1953.
(28) FRUS, 1952-1954,Volume IX, Part 1, The Near and Middle East (in two parts), Document 678,Memorandum of Conversation, by Douglas Worcester of the Office of Near Eastern Affairs, Washington, September 29, 1953.
(29) Patrick Seale , op.cit,181.

## موقف الولايات المتحدة من انقلابي الشيشكلي في سوريا
(1954 -1949)

**أ.د. إبراهيم سعيد البيضاني**
أستاذ التاريخ الحديث – الجامعة المستنصرية
بغداد – العراق

**ملخص:**
في الانقلاب الأول الذي نفذه أديب الشيشكلي في التاسع عشر من كانون الأول سنة 1949 جرى الحديث أنه جاء بتأثير وبتدخل خارجي، وأنه جاء في إطار الصراع والتنافس على سوريا، وأن القول بذلك جاء نتيجة أن الانقلاب وفر للولايات المتحدة فرصة أن تصبح صاحبة القوة والتأثير، وأنها وجهت ضربة لمصالح بريطانيا التي كانت تعمل لتحقيق الاتحاد بين سوريا والعراق في عهد سامي الحناوي، إذ أن سيطرة بريطانيا على خطوط نقل النفط المتجهة إلى البحر المتوسط يضر بمصالح الولايات المتحدة. لذلك فإن الولايات المتحدة كانت قلقة على مشروع التابلاين في سياسة سامي الحناوي، وأيضًا قلقة من تساهلها مع الشيوعيين، وأن تأييدها للهاشميين يجعلها غير ملائمة للمصالح الأمريكية، لذلك من خلال البحث تأكد عدم وجود دليل واضح على دور مباشر للولايات المتحدة في انقلاب الشيشكلي، وإنما تصرف بمفردة لكنه كان يدرك أن الولايات المتحدة ستؤيده، وستنظر بعين الرضا والقبول إلى انقلابه، فضلاً عن ذلك أن الذين يرجحون تدخل وتأييد الولايات المتحدة لانقلاب الشيشكلي يبنون تصوراتهم على تطور العلاقات الأمريكية السورية في ظل حكومة الشيشكلي من خلال رفع التمثيل الدبلوماسي وفسح المجال للتعاون الاقتصادي وعقد الاتفاقيات بين البلدين، وجرى الحديث عن المساعدات الاقتصادية والعسكرية.
وعلى الرغم من كل ذلك؛ فإن العقيد الشيشكلي منخرط ومؤيد للسياسة الأمريكية ويسعى للحصول على تأييدها ومساعدتها، إلا أن هناك هواجس وخوف وعراقيل تقف أمام ذلك، ولعل الانحياز الأمريكي لإسرائيل كان مسألة تثير قلق واستياء السوريين، وهذا يتضح من الشروط التي تضعها الولايات المتحدة في مشاريع المساعدات التي تقدمها لسوريا، إذ تفرض على سوريا الانخراط في سياسة مشتركة مع إسرائيل، فضلاً عن الضمانات بعدم تهديد أمن إسرائيل كان الهاجس الأمريكي الرئيس الذي يرسم سياستها تجاه سوريا، فضلاً عن ذلك فإن سياسة الولايات المتحدة تجاه سوريا كانت محكومة بمسألة أخرى هي الخوف من التغلغل الشيوعي في سوريا. وعمومًا؛ فإن الولايات المتحدة ترى في الشيشكلي بأنه ليس موالي للغرب بشكل كامل، إلا أنه أكثر ميلاً نحو الولايات المتحدة، وإن اختفائه قد يخدم المخططات والمصالح العادية للغرب، فضلاً عن ذلك فإن الانقلاب الثاني الذي نفذه الشيشكلي في التاسع والعشرين من تشرين الثاني سنة 1951 جاء منطلقًا من المشاريع التي كانت الولايات المتحدة تريد تمريرها في المنطقة وعلى رأسها مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط سنة 1951 الذي قام على أرضية التصريح الثلاثي (البريطاني الفرنسي الأمريكي) في السادس والعشرين من أيار سنة 1950.




# Historical Kan Periodical

WWW.KANHISTORIQUE.ORG